منبر الإسلام

العدد ٧ - السنة ٢٢ رجب ١٣٨٤ - ٥ نوفمبر ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضة

العدد ٧ - السنة ٢٢

رجب ١٣٨٤ - ٥ نوفمبر ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* نص حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى التليفزيون الالمانى
* مؤتمر دول عدم الانحياز
* التعريف بالاجهزة الشعبية والحكومية — السيد الأستاذ حسين الشافعى — نائب رئيس الجمهورية
* باب الحديث والسنة — فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد
* الرؤيا الصالحة — فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
* من حضارة الاسلام — الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل
* من توجيهات النبوة — فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
* الوحدانية فى بعض الديانات القديمة — الاستاذ محمود كمال
* الجوانية فى نظرة العقاد الى تعاليم المسيح — الدكتور عثمان امين
* خواطر مستشار — المستشار على على منصور
* مظهران من نزول المرأة المصرية الى ميادين الكفاح فى الحياة — الدكتور على عبد الواحد وافى
* دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام — الاستاذ حسنى عبد المجيد
* التأمين والاسلام — الاستاذ البهى الخولى
* عرض لكتاب الفتاوى — الدكتورة نعمات احمد فؤاد
* باب العلم — الفن — التحقيقات — الشعر — الافتاء — مع القراء — المرأة المسلمة — بريد التعارف — الرياضة .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبانات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٦ ٣٣٩٥

معالم الطريق

نص الحديث الذي أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر

إلى التليفزيون الألماني

وحصل عليه المعلق المشهور "موجنبرج"...

● نحن نؤمن بالله ونتمسك بعقائدنا الدينية ، ولانؤمن بسيطرة طبقة واحدة .

● نحن نؤمن بالديمقراطية لجميع الشعب ولانؤمن بالقضاء على طبقة بوسائل العنف .

● نؤمن بحل المتناقضات بالوسائل السلمية

سؤال : سيدى الرئيس .. ان مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز منعقد هنا فى القاهرة ماذا هى — فى رأيكم — مهمة هذا المؤتمر ؟.

جواب : ان فكرة عدم الانحياز قائمة — بالطبع — على أساس تجنب انقسام العالم الى كتل ، فنحن — كدولة غير منحازة — نرى أن تقسيم العالم الى كتل قد يؤدى الى الحرب . لذلك فان المهمة الرئيسية للمؤتمر هى السلام . علينا أن نعمل من أجل السلام. وعدم الانحياز معناه أن على كل دولة أن تفصح عما تؤمن به لان هذه الدول لا تنتمى الى أية كتلة وبالتالى فانها تستطيع أن تعبر عن وجهة نظرها تجاه اية مشكلة بحسب اعتقادها هى وليس بحسب مصالح اية كتلة من الكتل .. وبعبارة أخرى فان عدم الانحياز يمثل ضمير العالم ، وهذا هو الاتجاه الذى يساعد على تحقيق السلام . أما دورنا فى المؤتمر — باعتبارنا دولة مضيفة — فهو تقديم التسهيلات للجميع والعمل بكافة الوسائل على الوصول الى اتفاق اجماعى حول جميع المسائل المعروضة .

سؤال : ولكن يا سيادة الرئيس— باعتباركم أحد قادة عالم عدم الانحياز .. هل لديكم مشروعات خاصة تودون عرضها على المؤتمر ؟

جواب : كما قلت لك .. ان هدفنا الرئيسى هو العمل من أجل السلام ووضع نهاية للاستعمار ثم العمل من أجل حق الشعوب فى تقرير مصيرها بنفسها ، وسنعمل ايضا — من خلال المؤتمر — على تعزيز العلاقات الاقتصادية بين الدول المشتركة فيه لان

غالبية الدول التى تنتهج سياسة عدم الانحياز هى من الدول الحديثة النمو .

سؤال : هـــذه هى النقطة .. سيادة الرئيس ، كما صرحتم سيادتكم من قبـل . هناك اتجاه ظهر منذ فترة ، نحو التحلـل داخل كل من الكتلتين الكبيرتين . هـل تعتقدون أن لهذا الاتجاه تأثيرا على سياسة الدول التى تجتمعون بها هنا ؟

جواب : اننا بطبيعة الحال، نحاول - بكافة الوسائل - وضع نهاية للحرب البـاردة وتجنب الحرب وتهيئة الجو للسلام . لذلك فانه اذا كانت هناك اية فرصة لتحقيق مزيد من التقارب الدولى فانه يتحتم علينا ان نفعل ذلك . ولعلك تذكر اننا بعد مؤتمر بلجراد - وهو المؤتمر الاول لدول عدم الانحياز - ارسلنا بعض المبعوثين الذين يمثلون رؤساء هذه الدول الى موسكو ووشنطـن ، وكانت المسألة الرئيسية هى الحرب والسـلام . ونحن نقف فى جانب السلام ، لذلك فان اى شىء يحدث بين الكتلتين - مهمـا كان - لا يؤثر فى سياسة عدم الانحياز لان اتجاه عدم الانحياز - كما قلت لك - يمثل ضمير العالم .. يمثل التعبير عما نؤمن به وليس عما يسر كتلة أو أخرى .

سؤال : فى خلال هذا العام عقـد مؤتمران للاقطاب العرب ، ومؤتمر لرؤسـاء دول افريقيا .. كيف ترون - يا سيادة الرئيس - العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى من جانب وبين العالم العربى والعالم الافريقى من الجانب الآخر ؟

جواب : أولا يجب ان نتذكر ان ستا مـن الدول العربية موجودة فى افريقيا ، لذلك فان لنا مصالح متبادلة مع الدول العربية والدول الافريقية مستمدة من الوجود الجغرافى ذاته وليس هناك تناقض بين العلاقات مع الـدول العربية والعلاقات مع الدول الافريقية ، لان كلا من العرب والافريقيين يعمـلون لنفس الهدف .

سؤال : هل تعتقدون سيادتكم ان عليهـم ان يعملوا معا وانهم سيعملون معا ؟

جواب : نعم ، فنحن - كعرب - نعمـل فى المؤتمرات الافريقية كأفريقيين .

سؤال : ان الشعب الالمانى وحكومته يذكران حتى الآن - بامتنان - موقفكم فى مؤتمر عدم الانحياز الاول فى بلجراد حيث أشرتم الـى اهمية مبادىء الحرية وحق تقرير المصير أيضا للشعب الالمانى . ومنـذ ذلك الوقت كررتم واكدتم هذه الفكرة عـدة مرات .. والآن ونحن فى عشية المؤتمر الثانى لدول عدم الانحياز ما هى وجهة نظركم بخصـوص الامة الالمانية ومشكلاتها ؟

جواب : أنت تعرف اننا عبرنا عن وجهـة نظرنا طبقا لسياستنا القائمة على المبادىء ورأينا فى هذه المسألة هو انها يجب ان تترك للشعب الالمانى لكى يحلها ، كما انها مسألة ينبغى أن تحل بالوسائل السلمية ولو تركنا الشعب الالمانى - بدون اى تدخـل من اية دولة أجنبية - يحل مشاكله بنفسه فسيكون ذلك امرا سهلا . فنحـن ما زلنا متمسكين بالمبادىء التى عبرنا عنها فى بلجراد .

سؤال : ولكن - كما تعرفـون يا سيادة الرئيس - فان البعض يبدون مخاوفهم من ان تقدم حكومتكم - أو انتم شخصيا - على الاعتراف الرسمى بنظام الحكم القائم فى شرق المانيا ، فما هو رأيكم بخصوص هـــذه المخاوف ؟

جواب : سنفعل ذلك بالطبع اذا وجدنا أنه يتفق مع مبادئنا .. ولكننا لا نريد تعقيد المشاكل . ولقد عبرنا عن مبادئنا ازاء الدول المقسمة .

سؤال : بعد المصاعب التى انطوت عليها الحقبة الاخيرة أصبح الشعب الالمانى يرغب - أكثر من أن وقت مضى - فى أن يتحقـق السلام فى العالم . فهـل ترون - يا سيدى الرئيس - فرصة لتحقيق السلام فى الشرق الاوسط أيضا ؟

جواب : ان جـذور الخطر فى الشرق الاوسط زرعت مع مؤامرة اقامة اسرائيل ، مما تمثله - بعد اقامتها - من عدوان مستمر .. ولا شك انك تذكر اننا تعرضنا للعدوان فى عام ١٩٥٦ ، ولم نكن نحـن الذين هددنا

السلام ، فقد هوجمنا من جانب بريطانيا وفرنسا واسرائيل . لذلك فان السلام فى الشرق الاوسط لا يتوقف على رأى أحد ، فهناك عوامل كثيرة جدا تؤثر فيه ، والعامل الرئيسى بالطبع هو قضية فلسطين .

ففى عام ١٩٤٨ احتل الاسرائيليون بمساعدة الاستعمار أرض فلسطين فطردوا الفلسطينيين الى خارج أرضهم وحرموهم من ممتلكاتهم ومن كل شىء ، وبعد ذلك رفضت اسرائيل تنفيذ قرارات الامم المتحدة وكان آخر هذه القرارات الذى ينص على اعادة اللاجئين العرب الى ديارهم . ولكن الاسرائيليين رفضوا تنفيذ هذا القرار أيضا ، والآن هناك مليون لاجىء عربى خارج وطنهم محرومون من ممتلكاتهم .

وهناك مسألة أخرى هى التهديد الاسرائيلى ، فان اسرائيل تحاول بكل الوسائل الحصول على الكثير من الاسلحة وتكوين جيش كبير لكى تهدد الدول العربية التى حولها . ولقد جاء التهديد فى عام ١٩٥٦ من جانب اسرائيل ، فاسرائيل هى التى هاجمتنا . لذلك فاننا اذا تحدثنا عن السلم العالمى فيجب ان نضع فى الاعتبار ان السلم يجب ان يكون قائما على العدل .

سؤال : ولكن من الناحية الاخرى — يا سيادة الرئيس — هم يقولون انكم تهددونهم ؟

جواب : طبعا اذا دخل لص الى بيتك وأخذ ممتلكاتك ، وحاولت ان تسترد ممتلكاتك من اللص .. فسيقول انك تهدده .. فهل يمكن ان يكون ذلك منطقا ؟

سؤال : ما هى الشروط — يا سيادة الرئيس — التى يمكن ان تؤدى الى تسوية سلمية لهذا الوضع الخطير ؟

جواب : ان المسألة لا تحل بشروط ولكن تحل على أساس مبدأ وهناك مبدأ واحد هو مبدأ العدل وبعده أو نتيجة تلقائية له يتحقق السلام . لقد قلت لك ان الفلسطينيين طردوا كلية من أرضهم ، وهناك الآن نحو ٢٠٠ الف عربى يعيشون فى اسرائيل ويعملون كمواطنين من الدرجة الثانية ، فهم يقيمون داخل قطاعات مغلقة ولا يسمح لهم بالعمل ، ولا يسمح لهم بالانتقال من مكان الى آخر فهل يمكن ان يقوم سلام على مثل هذه الاوضاع ؟

سؤال : هل ترون سيادتكم ثمة فرصة فى المستقبل ؟

جواب : قلت ان السلام يجب أن يكون قائما على العدل .. لان السلام الذى لا يقوم على العدل يصبح معناه التهديد باستخدام القوة . فمثلا بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل السابق ، قال مرة انه يريد ان يفرض السلام على العرب ، ومعنى ذلك أنه يريد ان يفرض السلام غير القائم على العدل . وهذا ليس سلاما .. لان محاولة فرض أى شىء تستتبع بالضرورة الالتجاء الى القوة ، لذلك فان محاولة فرض تسوية أو فرض سلام سيكون معناها الحرب .

أما نحن من جانبنا فاننا نريد لعرب فلسطين ان يحصلوا على حقوقهم .

سؤال : سيادة الرئيس .. لقد اعلن اخيرا رئيسنا لوبكه — فضلا عن رئيس وزرائنا البروفسور ايرهارد — انه سيكون مسرورا جدا لاستقبالكم كضيف شرف فى المانيا .. فهل تقبلون الدعوة لزيارة المانيا ؟ واذا كان الامر كذلك فما هو الموعد الذى ترونه مناسبا للزيارة ؟

جواب : نحن هنا نحمل كل التقدير للشعب الالمانى .. ولكننى لااستطيع أن أحدد موعدا ، فانا لا أعد برنامج للزيارات فى الوقت الحالى .

سؤال : ولكن هناك شائعات بأنكم قد تزورون المانيا ، شهر يونيو القادم ، فهل هذا صحيح ؟

جواب : كما قلت لك ليس عندى برنامج معد للزيارات فى الوقت الحاضر .

سؤال : ما هى الخطوات التى ترون اتخاذها — يا سيدى الرئيس — من أجل تعزيز العلاقات بين بون والقاهرة ؟

جواب : ان علاقاتنا تسير — بلا شك — فى اطراد فى مجالى الثقافة والاقتصاد ، ولدينا اتفاقات كثيرة مع الشركات الالمانية تمت فى

اطار خطتنا الخمسية الاولى . وفى هذا العام سننتهى من تنفيذ خطة السنوات الخمس الاولى ونبدأ فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الثانية التى ستكون قائمة فى اساس على الصناعة الثقيلة . واعتقد انها ستكون فرصة طيبة امام الشركات الالمانية للمساهمة عن طريق تقديم التسهيلات الائتمانية ولكن بدون فوائد مرتفعة .

سؤال بقى سؤال أخير ياسيادة الرئيس .. ان الثورة الاجتماعية التى قامت من أجل الشعب المصرى مع قيام ثورتكم عام ١٩٥٢ ، قد تطورت الآن الى ثورة اشتراكية تطلقون عليها « الاشتراكية العربية » .. فما هى منابع الاشتراكية العربية ، والى أى حد تختلف على الانواع الاخرى من الاشتراكية ؟

جواب : عندما نقول اشتراكية عربية فاننا نعنى التطبيق ، أو بمعنى آخر فاننا نبنى اشتراكيتنا على اساس عملى وواقعى وليس على مجرد شكل نظرى . وهناك بعض اختلافات بالطبع بين تطبيقنا للاشتراكية وبين تطبيقات اخرى . فنحن نؤمن بالله ونتمسك بعقائدنا الدينية ولانؤمن بسيطرة طبقة واحدة .. ونحن نؤمن بالديمقراطية لجميع الشعب ولا نؤمن بالقضاء على طبقة بوسائل العنف .. كما نؤمن بحل المتناقضات بالوسائل السلمية .. وما زلنا نسير فى هذا الاتجاه بعد ان قطعنا فيه شوطا طويلا بنجاح .

ولكننا اخذنا — بحكم الضرورة — اجراءات لانهاء الاقطاع حيث ان نحو نصف المساحات المزروعة فى بلادنا كان يملكها نحو ٢ أو ٣ فى المائة من مجموع السكان ، ووضعنا حدا اقصى لملكية الارض هو مائة فدان ووزعنا الارض على الفلاحين . ومن ناحية اخرى اعطينا العمال حقوقهم لكى يعيشوا كآدميين، ووضعنا حدا أدنى للاجور ، ونحن نعطى العمال الآن نسبة ٢٥ فى المائة من ارباح الشركات والمصانع ، وخفضنا ساعات العمل الى سبع ساعات . ويشترك العمال الآن فى ادارة المصانع والشركات حيث ينتخب اربعة منهم اعضاء فى مجلس الادارة المؤلف فى مجموعة من تسعة اعضاء ، وقد حصل العمال ايضا على تأمينات اجتماعية وتأمينات صحية . ونحن نحاول بكافة الوسائل ان نزيد عدد العمال المشتغلين فى ميدان الصناعة . كذلك فان التعليم بالمجان ليس فى المدارس الابتدائية والثانوية فحسب وانما ايضا فى الجامعات ، وفى جامعاتنا يدرس الآن نحو ١٣٠ الف طالب .

سؤال : لا شك ان العديد من الانجازات الاخرى سوف تتحقق فى المستقبل .. ولكن، هل انتم مطمئنون — يا سيادة الرئيس — الى تجربتكم الاشتراكية ؟

جواب : اننا الآن ننفذ برامج لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، وقد تمكنا بالفعل من مضاعفة الدخل القومى خلال الفترة ما بين عامى ١٩٥٢ و ١٩٦٠ وبدأنا منذ عام ١٩٦٠ تنفيذ برنامج آخر لمضاعفة الدخل القومى قبل عام ١٩٧٠ ،ولكننا طبعا نريد ان نحقق أكثر من ذلك ، فان لنا مطامح كبيرة.. نريد ان نغير — فى فترة قصيرة من الزمن — ما تراكم خلال آلاف السنين ، نريد ان نسرع فى الوصول ببلادنا الى مستوى الدول المتقدمة وهذه هى مشكلة الدول المتخلفة أو الدول حديثة النمو .

ونحن ، بالطبع ، نواجه مشاكل أخرى .. فنحن الآن نحس بمشكلة الزيادة فى استهلاك مواد الطعام وفى طلب الخدمات وغيرها من النواحى الاخرى ، ونحاول أن نعالج هذه المشكلة ايضا ، ونحاول ان نزيد رقعة الارض المزروعة كما نعمل الآن فى بناء السد العالى .

سؤال : لا شك ان السد العالى يساعد فى تحقيق كل ذلك ..

جواب : نعم ..

— شكرا جزيلا يا سيادة الرئيس.. وحظا سعيدا لبلادكم .

زعماء العالم الاسلامى ...

الرئيس جمـــال عبد الناصر أثناء توقيعه على قرارات المؤتمر .

مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز

تطلعت أنظار العالم كله فى الشهر الماضى الى القاهرة حيث عقد المؤتمر الكبير .مؤتمر السلام والرخاء والرفاهية لكل الشعوب .. وترقبوا مشاعل النور والهدى وهى تسير فى طريقها .. طريق السلام والحرية وتعرب عن أمانيها فى أن ينجح المؤتمر فى تأدية رسالته وان يسهم مساهمة فعالة فى تحقيق أهداف وآمال الانسانية فى حياة بعيدة عن الحروب والتوتر والقلق والخوف .

وفى داخل قاعة الاجتماعات الكبرى بجامعة القاهرة التقى رؤساء دول وحكومات أكثر من نصف دول العالم يحدوهم الامل ويمـــلأ قلوبهم الاخــلاص والايمان بحــق شعوبهم وشعوب كل العالم فى الانتصار على أعــداء الحياة والسير فى طريق الخير والسلام .

فى القاهرة

مقدمة قرارات المؤتمر :

وأذيعت قرارات المؤتمر فى ١١ قرارا خطيرا .. قرر المؤتمر العمل المشترك من اجل تحرير البلاد غير المستقلة للقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية . وأعلن أن من حق الشعوب المستعمرة أن تلجأ لاستخدام السلاح لضمان حقها فى تقرير المصير والاستقلال .. وأيد حق الشعب العربى الفلسطينى فى استعادة وطنه وفى تقرير مصيره . وندد بموقف بريطانيا فى عدن والمحميات وطالب بتصفية قواعدها وسحب قواتها .

أوصى المؤتمر بحل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها .. أكد أهمية نزع السلاح الشامل واستخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية وتحريم تجارب الاسلحة النووية وانشاء مناطق مجردة من الاسلحة النووية ومنع انتشارها والغائها .. أكد أن الاحلاف والقواعد العسكرية تزيد حدة التوتر والحرب الباردة وتشكل خطرا وتهديدا للسلام والحرية . اعلن أن السلام ينبغى ان يقوم على أساس اقتصادى سليم وأن استمرار الفقر خطر على سلامة العالم ورفاهيته ،وان التحرر الاقتصادى ضرورى للكفاح ضد السيطرة السياسية واحترام حق الشعوب فى السيطرة على ثرواتها الطبيعية وفتح أسواق للمنتجات الاولية للبلاد النامية .

وفيما يلى نص مقدمة القرار :

« ان المؤتمر الثانى لرؤساء الدول أو حكومات الدول غير المنحازة وهى : أفغانستان . الجزائر ، انجولا ، بورما . بوروندى . كمبوديا . الكاميرون . جمهورية افريقيا الوسطى . سيلان . تشاد . الكونغو برازافيل . كوبا . قبرص . داهومى . اثيوبيا . غانا . غينيا . الهند . اندونيسيا . العراق . جمهورية موريتانيا الاسلامية . الاردن . كينيا . الكويت . لاوس . لبنان . ليبريا . ليبيا . مالادى . مالى . المغرب . نيبال . نيجيريا . المملكة العربية السعودية . السنغال . سيراليون . الصومال . السودان . سوريا . توجو . تونس . اوغندا . الجمهورية العربية المتحدة . جمهورية تنجانيقا وزنزبار المتحدة . اليمن . يوغوسلافيا . وزامبيا .

والدول الآتية يمثلها مراقبون : الارجنتين . بوليفيا . البرازيل . شيلى . فنلندا . جامايكا . المكسيك . ترينداد . توباجو . اورجواى . فنزويلا .

انعقد المؤتمر فى القاهرة من ٥ أكتوبر الى ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ وقد حضر المؤتمر الامين العام لمنظمة الوحدة الافريقية والامين العام لجامعة الدول العربية بصفتهما مراقبين .

وقد قام المؤتمر بتحليل الموقف الدولى رغبة فى أن يسهم بطريقة فعالة فى حل المشاكل الكبرى التى تهم الانسانية بسبب ما لها من آثار على السلام والامن العالميين .

ولتحقيق هذه الغاية واستنادا الى المبادىء التى تضمنها بيان بلجراد فى سبتمبر ١٩٦١ فان رؤساء الدول أو حكومات الدول غير المنحازة المذكورة قاموا فى جو من الود والصراحة والاخوة باجراء مناقشات مفصلة وبتبادل وجهات النظر بشأن الوضع الراهن فى العلاقات الدولية وبشأن الاتجاهات التى تسود العالم المعاصر .

ان رؤساء الدول أو حكومات الدول المشتركة فى المؤتمر يعربون عن اغتباطهم اذ يرون أكثر من نصف الدول المستقلة فى العالم تشترك فى هذا المؤتمر الثانى لعدم الانحياز .

كما يلاحظ المؤتمر باغتباط ما أولته الشعوب التى لا تزال خاضعة للسيطرة الاجنبية وكذلك الشعوب التى اغتصبت حقوقها وسيادتها الامبريالية والاستعمار الجديد من اهتمام متزايد وثقة للدور الايجابى البالغ الذى يتعين على الدول غير المنحازة اداؤه لتسوية المشاكل أو الخلافات الدولية .

الرئيسان جمال عبد الناصر وعبدالله السلال اثناء الاستراحة

وفضلا عن ذلك فان المؤتمر يبدى اغتباطه بما أحدثه هذا اللقاء الثانى للدول غير المنحازة من آثار طيبة تردد صداها فى انحاء العالم . وهكذا تبرز صلاحية سياسة عدم الانحياز وفعاليتها وحيويتها كما يبرز دورها البناء فى مجال المحافظة على السلام والامن العالميين وتدعيمهما .

لقد أصبحت مبادىء عدم الانحياز وذلك بفضل الثقة التى تشعها فى العالم من قوة وحيوية متزايدة تعمل من أجل تحقيق سلام الانسانية ورخائها .

ان رؤساء الدول أو حكومات الدول غير المنحازة المشتركة يلاحظون بارتياح انه بفضل الجهود المتضافرة للحرية والسلام والتقدم ينعقد هذا المؤتمر الثانى لعدم الانحياز فى وقت تحسن فيه الموقف الدولى اذا قورن بالحالة التى كانت سائدة عند انعقاد مؤتمر بلجراد التاريخى ومع ذلك فان رؤساء الدول أو حكومات الدول غير المنحازة يدركون انه على الرغم من أن حدة التوتر فى العلاقات الدولية قد خفت حاليا وعلى الرغم من عقد معاهدة موسكو والتوقيع عليها فانه لا تزال هناك مصادر للتوتر فى مناطق عديدة من العالم .

ويدل هذا الموقف على ان قوات الاستعمار لا تزال قوية وانها لا تتردد عن الالتجاء فى استخدام القوة للدفاع عن مصالحها والتمسك بمزاياها .

واذا لم تقاوم هذه السياسة بحزم من جانب قوى الحرية والسلام فان من شأنها أن تعرض للخطر ما طرأ من تحسن على الموقف الدولى وتخفيف حدته ومن ثم تشكل خطرا على السلام العالمى .

ان سياسة التعايش السلمى الايجابى وحده لا تقبل التجزئة . ولا يمكن تطبيقها بصفة جزئية حسب المصالح والمعايير الخاصة . كما حدثت تغيرات هامة فى داخل الكتلتين الشرقية والغربية ويتعين ان تؤخذ هذه الظاهرة بعين الاعتبار فى التقدير الموضوعى للموقف الدولى المعاصر .

ويلاحظ المؤتمر بارتياح ان حركات التحرير الوطنى التى تخوض كفاحا بطوليا ضد الاستعمار الجديد وسياسات التفرقة والتمييز العنصرى . ويعتبر هذا الكفاح جزءا

الرئيس جمال عبد الناصر مع أحد ضيوف المؤتمر الخالد

من النضال المشترك من أجل الحرية والعدالة والسلام .

ويؤكد المؤتمر أن تدخل الدول الاجنبية المتقدمة اقتصاديا فى الشئون الداخلية للدول الحديثة الاستقلال أو النامية وكذلك وجود أقاليم لا تزال غير مستقلة يشكل خطرا على السلام والامن .

ان رؤساء الدول أو الحكومات غير المنحازة اذ يعبرون عن تقديرهم للجهود التى ترتب عليها عقد مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية واذ يقرون بما حقق المؤتمر من نتائج فانهم يلاحظون مع ذلك أنه لايزال هناك مجال واسع للعمل من أجل القضاء على عدم التكافؤ فى العلاقات بين الدول الصناعية والدول النامية .

وان رؤساء الدول أوالحكومات غير المنحازة اذ يعلنون عن عزمهم على الاسهام فى اقامة سلام عادل دائم فى العالم فانهم يؤكدون ان المحافظة على السلام وتحقيق رخاء الشعوب انما هى مسئولية جماعية تنبثق مما يحدو الانسانية من امان طبيعية للحياة فى عالم أفضل .

ان رؤساء الدول أو الحكومات قد أسفرت مداولاتهم عن فهم مشترك للمشاكل المختلفة التى يواجهها العالم ، كما توصلوا لمنهج مشترك نحوها .

وهم اذ يؤكدون من جديد المبادىء الاساسية لاعلان بلجراد فانهم يعربون عن اتفاقهم على النقاط التالية :

ثم تليت القرارات الاحدى عشرة .. ونظرا لضيق المجال هنا .. نكتفى بتحديد مضمون كل قرار :

١ ـ عمل مشترك من أجل تحرير البلاد التى لا تزال غير مستقلة للقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية .

٢ ـ احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها والتنديد باستخدام القوة ضد ممارسة هذ الحق .

٣ ـ التمييز العنصرى وسياسة التفرقة العنصرية .

٤ ـ التعايش السلمى وتقنين مبادئه بواسطة الامم المتحدة .

٥ ـ احترام سيادة الدول وسلامة اراضيها .

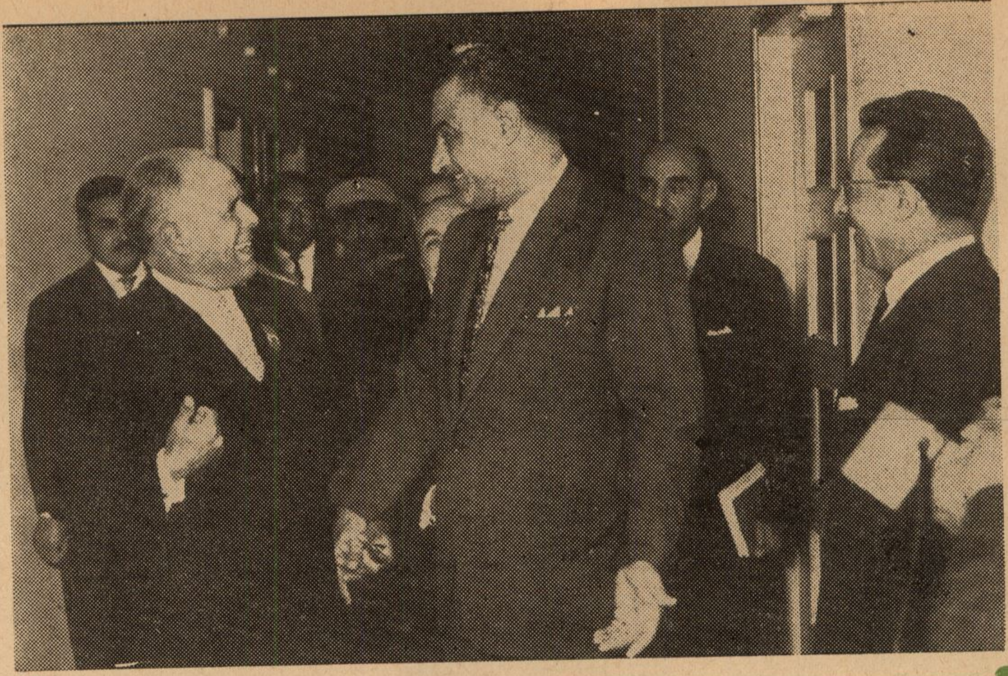

الرئيســـان جمـال عبد النـاصـر والحبيب بورقيبة فى حديث ودى

٦ – حل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادىء ميثاق الامم المتحدة .

٧ – نزع الســلاح العام الشـــامل . واستخدام الطاقة الذرية للاغراض السلمية وتحريم جميع تجارب الاسلحة النـــووية وانشاء مناطق مجردة من الاسلحـة النووية ومنع انتشار الاسلحة النووية والغاء جميـع الاسلحة النووية .

٨ – الاحلاف والقواعد العسكرية .

٩ – الامم المتحدة ، دورها فى الشـــئون الدولية ، تنفيذ قراراتها ، وتعديل ميثاقها .

١٠ – التنمية والتعاون الاقتصادى .

١١ – التعاون الثقافى والعلمى والتربوى ، وتعزيز المؤسسات العالمية والاقليمية والعاملة لهذه الغاية .

وبعد : فلقد اصبحت سياسة عدم الانحياز قوة انسانية جديدة قادرة على حمـــاية الانسان مهما كان لونه وجنسه وعنصره .

وفكرة عدم الانحياز انما هى امتداد لفكرة الحياد الايجابى التى انطلقت من مؤتمـــر باندونج وكان الرئيس جمال عبد الناصر من طليعة القادة المنادين بالفكرة والدعوة اليها . والايمان بها . ثم انعقـد مؤتمر الدول غير المنحازة لاول مرة فى بلجراد عام ١٩٦١ وفى هذا العام اجتمع المؤتمر للمرة الثانيـــة فى القاهرة .

وقد وصف الرئيس جمال عبــد الناصر مراحل هذه المؤتمرات فقـــال ان مؤتمر (باندونج) كان وقفـة ضـد الاستعمار . ومؤتمر (بلجراد) كان وقفة ضد الحرب .

ودعا الى أن يكون مؤتمر (القاهرة) وقفة من أجل السلام .

وقدم مشروعا شاملا لتحقيق السلام عن طريق التعاون الدولى .

وقد وجدنا أن خطب رؤســـاء الدول والحكومات والقرارات التى انتهى اليهـــا المؤتمر كلها تسير فى نفس لاتجاه العام الذى رسمه الرئيس جمال عبـدالناصر فى خطابه الذى تضمن مشروعا كاملا لاقامة عالم السلام

التعريف بالأجهزة الشعبية والحكومية

حول علاقة الأجهزة الشعبية بالأجهزة الحكومية

السيد
حسين الشافعي
نائب رئيس الجمهورية

- إن القوى الشعبية ليس لديها الفرصة على التعبير في ظل الحزبية والتحكم .
- بقدر ما تيسر الجو الصالح للتلاقي والعلاقة والمناقشة المجدية ، بقدر ما نحصل على النتائج المرجوة
- العلاقات السليمة بين التنظيمات هي تلك التي تؤمن إيمانا راسخا بالديمقراطية السليمة

ان الأجهزة الحكومية هى وحدات التنفيذ التى تتناول بالتخطيط والتشريع والتنفيذ والرقابة أعمالا حكومية فى مجالات السلطة والانتاج والتوزيع والخدمات وأعمال السيادة

ومعلوم لنا ان وحدة العمل الحكومى هى الوزارات واداراتها وفروعها وأقسامها وهى معلومة كذلك فى شتى أساليبها المركزية واللامركزية ، والعلاقة بينها من الوجهة الحكومية ، البحتة معروفة أيضا ٠

والأجهزة الشعبية التى تقابل هذه الأجهزة الحكومية ، هى المجلس الشعبى للقرية ، المجلس الشعبى للمدينة ، والمجلس الشعبى للمحافظة ٠٠ وتلك تقابل مجلس القرية ، ومجلس المدينة ، ومجلس المحافظة ٠٠ ويعلو هذا البنيان مجلس الأمة ، ويقابل حكوميا مجلس الوزراء ٠

والمعروف أنه توجد بين الأجهزة أو التنظيمات الشعبية والحكومية علاقات تقليدية من حيث المشاركة والرقابة والتيسير فى العمل ،علاقات تلتقى فى الأعمال التنفيذية وبخاصة فى محيط العمل التشريعى والتمويل وأداء مايحتاجه الشعب من مشروعات ٠٠ هذه العلاقة متوقفة فى فاعليتها وأهميتها الى حد كبير على نوع الحكومة وميولها وحسب قوة الأجهزة الشعبية٠ ونحن نعرف دائماأن القوى الشعبية ليست لديها الفرصة على التعبير فى ظل الحزبية والتحكم ٠

وواضح أن هناك انواعا من الحكم تعادى التنظيمات الشعبية معاداة سافرةأو تجافيها، ولا تهتم بها أو تمالئها وتحنو عليها لتكون تابعة فتنعدم فيها روح المبادأة والعمل كما تنعدم لديها بالمثل حرية الرأى ،والقدرة على المساءلة ٠٠ والذى أريد ان اخرج به من هذا هو أنه بقدر ما نيسر الجو الصالح للتلاقى والعلاقة والمناقشة المجدية المفيدة البناءة ، سيمكننا أن نحصل على النتائج المرجوة ٠

أما العلاقات السليمة التى يتعين أن تقوم بين التنظيمات ، أو الاجهزة الشعبية وبين الحكومة ، فهى تلك العلاقات التى تؤمن ايمانا راسخا بالديمقراطية السليمة ، والتى تهدف الى اقامتها ودعمها ، دعم قواعدها بحيث تكون الهيئات التمثيلية من قومية ومحلية صورة تعبر عن آراء أو اهداف اعضاء الجماعة ، وبحيث يشترك الشعب اشتراكا حقيقيا عن طريق هذه الهيئات فى ادارة السياسة العامة والمحلية والاشراف على تنفيذها ٠

والعلاقة السليمة بين الأجهزة الحكومية والشعبية تعتمد بالضرورة على حرية الرأى للافراد والجماعات طالما أنها لاتعتدى على حرية الغير أو تسىء الى أمنهم أو تهدر كرامتهم كما أنها تعارض أى لون من ألوان التمييز ٠

حديث مع :

سفير المملكة الليبية بالقاهرة

السيد محمود الخوجة

تاريخ الكفاح الليبي يعد من أهم تواريخ النضال من أجل اعلاء كلمة الحق وفى سبيل الحرية الكاملة والسيادة المطلقة والحياة العزيزة الكريمة .. وموقف ليبيا العربية المشرف بالنسبة لقضايا العرب والعروبة وتضامنها الكامل مع الأحداث العربية ووقوفها فى صف واحد مع شقيقاتها العربيات فى السراء والضراء لهومفخرة للشعب الليبي الذى ناضل نضال الابطال ليكون وطنه سندا عظيما للعروبة وقضاياها تحت راية الملك المعظم ادريس الأول .

وفى لقاء مع السيد محمود الخوجة سفير المملكة الليبية فى القاهرة تحدث سيادته عن العلاقات بين الشقيقتين العربيتين التى تزداد قوة ونماء سنة بعد أخرى .

وسألت سيادته عن الشخصية الليبية الأولى فى الكفاح الليبي من أجل نشر العقيدة الاسلامية .. فقال سيادته .

الشخصية الليبية الاولى التى خدمت الدين الاسلامى فى ليبيا بطريقة عصرية خالية من التعقيد الدينى هو الامام السيد محمد بن على السنوسى رحمه الله ، فقد ولد الامام الاكبر فى مدينة مستغانم بالجزائر يوم الاثنين الموافق ٢٢ ديسمبر عام ١٧٢٧ حيث نشأ فى بيت دين وفضل ، ومـا ان شب عن الطوق حتى بدت عليه مظاهر الطموح فتزود بعلوم الدين ، ودرس علوم اللغة العربية والشريعة الاسلامية على أيدى العلماء حتى اتقن هذه العلوم بطريقة موضوعية خالية من التعقيد وقد رأى الامام الأكبر ان الدراسة العملية هى فى الترحال من مكان الى آخر ، فأخذ يتنقل من بلد اسلامى الى آخر وكان خلال هذه الرحلات يتتلمذ على ايدى علماء البلاد التى يمر بها وتمكن أثناءها من الاطلاع على الاحوال العامة والخاصة للشعوب الاسلاميه وعلى التيارات السياسية ولاحظ الزحف التبشيرى والوسائل التى يسلكها فى البلدان البدائية واهدافه السيئة التى يرمى اليها .

س ـ ماهى مراحل كفاح الامام الأكبر

ج ـ ادرك الامام الاكبر من دراساته واسفاره واتصالاته بالمسلمين فى مشارق

الارض ومغاربها ان بلاد المسلمين اصبحت نهبا موزعا وهذه الحالة السيئة آلمت قلب الرجل المؤمن بالله وبشريعته **ولهذا استقر رأيه على العمل لمكافحة الاستعمار واعوانه وقرر أنه لابد من عمل ٠٠ ان الامام الأكبر داعية اصلاح ومنقذ امة ومؤسس نهضة وباعث مجد وحفيد صاحب الرسالة عليه السلام**

س – ماهو منهج دعوته الدينية والسياسية والاجتماعية

ج – الامام الاكبر كان يسير فى دعوته الاصلاحية فى مخطط مزدوج ، اعداد جذرى شامل للقوى الروحية والمادية على السواء وارساء هذه على تلك ومن ناحية أخرى لايقف من الأحداث موقف المتفرج وانما استطاع بموهب الداعية الحاذق أن يأخذ لنفسه الموقف الايجابى السديد ان لم يستطع قهر العدو فى الحال فلن يخلى له المجال وانما يباغته كل ماواتته الفرصة ويضع فى طريقه الحواجز والسدود ريثما تتغير الظروف فينقض عليه ، **وقد استطاع الامام الأكبر فى الميدان السياسى ان يحقق بتعاليمه كسبا للاسلام فالدعوة السنوسية هى التى جعلت ليبيا وغيرها من البلاد الاسلامية تدرك الخطر الاستعمارى وتقف فى وجهه وتقاومه وتكشف النقاب عن حقيقة نواياه واغراضه ، أما فى ميدان الاصلاح الاجتماعى فقد استطاع أن يجعل من المراكز الاصلاحية مأوى أمينا يؤمه الناس يحفظون فيه القرآن ويتدارسون العلم ، وفى لباقة الواعى تمكن من المؤاخاة بين القبائل المتنافرة فألف بينها وعلمها كيف يكون الاخاء ٠**

س – هل للامام مؤلفات وماهى ؟

ج – ترك الامام الاكبر للمكتبة العربية انتاجا دينيا هاما له قيمته فى ذلك الوقت **ولكن لم يطبع من مؤلفات الامام سوى الكتب الآتية :**

١ – المسائل العشر ، المسمى بغية المقاصد وخلاصة المراصد

٢ – المنهل الروى الرائق

٣ – المسلسلات العشر

٤ – ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن

٥ – السلسبيل المعين فى الطرائق الاربعين

٦ – الدرر السنية فى أخبار السلالة الادريسية ٠

٧ – الدرة الفردية فى ذكر أوائل الكتب الانزهية

٨ – الشموس الشارقة في أسانير العلوم وأصول الطرائق

٩ – شفاء الصدر

أما المؤلفات التى لم تطبع بعد فتتجاوز عشرين مخطوطا منها ٠

١ – هداية الوسيلة اتباع صاحب الوسيلة

٢ – رسالة شاملة تتضمن البحث فى مسألتى القبض والتقليد

٣ – شذور الذهب فى محقق النسب

٤ – عجالة فى أول من ألف فى الحديث

س – ماهو الطريق الذى نهجه حضرة الملك محمد ادريس السونسى لرعاية آثار جده ؟

ج – بعد استقلال ليبيا اتجه عاهل المملكة الليبية الملك ادريس الأول حفظه الله الى رعاية اثار جده فجعل من الزاوية الام نواة لجامعة اسلامية كبرى تجعل اسم الامام الأكبر تخليدا لذكراه ولهذه الجامعة فروع أخرى فى جميع انحاء المملكة الليبية وقد سارت الجامعة الاسلامية متخذه سبيلها نحو التطور بخطى واسعة تتسم بالجرأة والتقدم وتختص الجامعة الاسلامية بتخريج علماء يتولون نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية ورعاية التراث الاسلامى والشئون الدينية ، كما تقوم بمهام الوعظ **والارشاد والتوجيه الدينى والاجتماعى عن طريق وسائل الاعلان فى الاذاعة والصحافة الى جانب اصدار مجلة شهرية وكتيبات تتضمن بحوثا متعددة فى الدين والعلوم والآداب وغير ذلك من الأعمال التى تتفق ودراستهم فى القضاء الشرعى ٠**

والجامعة الاسلامية معدة لقبول الطلبة المسلمين أيا كانت جنسيتهم وبها عدد كبير من الدول الاسلامية التى لم يسعدها الحظ بافتتاح دراسات اسلامية بها ٠

وتسير الجامعة الاسلامية على نمط منهج الجامعة الازهرية التى تغذيها ببعض الاساتذة الكبار والذين يقومون بالتدريس بها

الحديث

فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

باب السنة

والآن ، وقد بينت لك ما لا بد أن تعلمه قبل الشروع فى قراءة الحديث والبحث عن معانيه ، وأخشى أن استرسلت معك فى هذه المقدمات أن يطول البحث ، ويطول زمن الانتظار ، فان هذه الابحاث عميقة الغور طويلة الطريق ، أرى أن أقتصر على ما جئتك به ، وأن أشرع فى المقصود ، مستعينا بالله تعالى ، مستمدا من فيضه التوفيق والتسديد .

تمهيد

اتفق علماء المسلمين على أن صحيح الامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى وصحيح الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى هما أصح ما أخرج للناس من كتب الحديث وأنهما أوثق الكتب بعد كتاب الله تعالى ، ولكنهم يختلفون فى ترجيح أحد الكتابين على الآخر ، فأما علماء المشرق فيذهبون الى أن صحيح الامام البخارى أعلى منزلة من صحيح الامام مسلم ، من قبل أن الرجال الذين روى عنهم البخارى أعلى فى درجات القبول من رجال مسلم ، وأما علماء المغرب العربى فيرون صحيح مسلم أعلى منزلة من صحيح البخارى ، وهم لا يريدون أن أسانيد مسلم أوثق من أسانيد البخارى لأن ذلك يؤدى الى التناقض بين رأيهم ورأى المشارقة ، ولكنهم يريدون أن تنسيق الامام مسلم وتبويبه وترتيبه أدق من تنسيق وتبويب وترتيب الامام البخارى ، وأن البحث عن حديث ما فى صحيح مسلم أيسر على طالبه من البحث عنه فى صحيح البخارى ، وذلك يرجع الى سببين ، أولهما أن البخارى يروى الحديث فى المكان الذى استنبط منه الحكم للدلالة عليه ، وقد يكون استنباطه خفيا ، وقد يكون الحكم الذى استنبطه مما لايشعر به ظاهر الحديث ، وقد يقطع الحديث أجزاء فيضع كل جزء منه فى موضعه المستحق له ولهذا تعذر على كثير من العلماء الوصول الى الحديث منه ، ولهذا أيضا نفى بعض الناس أحاديث فزعموا أن البخارى لم يروها مع انه قد رواها ، لانهم بحثوا عنها فى المواطن التى يسبق الى أذهانهم أنه رواها فيها فلم يجدوها . وأما الامام مسلم فيروى الحديث فى موطنه الذى يتبادر الى ذهن الباحث أنه فيه ، ويزيد على ذلك أنه يجمع الاسانيد المختلفة للحديث الواحد فى مكان واحد ويبين مواطن اتفاق الرواة فى ألفاظ المرويات ومواطن اختلافهم ، فهو من الجهة الحديثية ـ نعنى من جهة الرواية التى تهم نقلة الحديث ـ أدق تصنيفا وأسهل مراجعة . أما الامام البخارى فلكونه أراد من رواية ما رواه من الأحاديث مايريده أئمة الاجتهاد واستنباط الاحكام فقد روى كل حديث فى موضع الحكم الذى استنبطه هو منه ، ووضع لكل حديث أو لكل جملة من الأحاديث تراجم تدل على ما أخذه هو منها ، فكانت تراجمه هذه آية فى دقة الفهم وعميق الغوص على درر الاحكام ، وقد عنى بهذه التراجم كثير من مبرزى العلماء فأوضحوا معانيها وكشفوا عن وجوه

استنباطها من الحديث وطرق دلالتها على ذلك .

فصحيح مسلم كتاب حديث بحت جمع فيه مؤلفه ماصح عنده من الاحاديث على النظام الذى أشرنا اليه ، وترك للعلماء من بعده أن يستخرج كل واحد منهم من هذه الاحاديث الاحكام على حسب استعداده وعلى مقدار تبصره وفهمه ، وأما صحيح البخارى فهو كتاب حديث وكتاب فقه مع ذلك . والذى يعنينا - بعد هذه الكلمات - أن ننبه الى أن الباحثين من علماء هذه الامة اتفقوا على أن أصح الاحاديث وأوثقها هو ما اتفق البخارى ومسلم على تخرجه ، ويليه فى مراتب القبول ما انفرد بتخريجه البخارى ، ثم يأتى من بعد ذلك ما انفرد بتخريجه مسلم ، ولما كنا نريد ان نروى فى هذا المكان من مجلة (منبر الاسلام) جملة من أوثق الأحاديث اسنادا ونبين مع كل حديث معانى مفرداته ، ومعانى تراكيبه ، ثم نبين مايؤخذ منه من الأحكام وطريق أخذ كل حكم منها ، فقد صح عزمنا على ألا نروى من الاحاديث الا ما اتفق على روايته البخارى ومسلم .

الحديث الأول

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه » .

الشرح

١ - هذا الحديث رواه البخارى فى سبعة مواضع من صحيحه : رواه فى باب كيف كان بدء الوحى ، وفى آخر كتاب الايمان ، وفى أول العتق ، وفى أول الهجرة ، وفى أول النكاح ، وفى آخر الأيمان والنذر ، وفى أول ترك الحيل . ورواه مسلم فى أول الجهاد من سبع طرق ، وأخرجه ابو داود فى الطلاق ، والترمذى فى الجهاد ، والنسائى فى الطهارة وابن ماجه فى الزهد ، واخرجه غير هؤلاء : أحمد بن حنبل فى المسند ، وابن حبان فى صحيحه ، والطحاوى فى معانى الآثار ، والبيهقى فى السنن ، وابن خزيمة ، وابن الجارود ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، ثم قال : رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى ، واقتصر على هؤلاء لأن طريقته أن الحديث اذا كان مما أخرجه البخارى ومسلم أو أحدهما لم يتوسع فى تخريجه .

٢ - نقلوا أن هذا الحديث جاء فى شأن رجل هاجر من مكة الى المدينة لا يريد بذلك فضيلة الهجرة ، وانما هاجر ليتزوج امرأة تكنى أم قيس ، كان قد خطبها لنفسه ، فأبت أن تتزوجه الا أن يهاجر ، فهاجر ليفى لها بشرطها ، ولم يحك الرواة اسم هذا الرجل سترا له ، وأما أم قيس فذكروا أن اسمها قيلة ، وقد لقبوا الرجل بمهاجر أم قيس . وربما أطلقوا على الحديث نفسه « حديث مهاجر أم قيس » فهذا سر ذكر من هاجر الى أمرأة يتزوجها فى الحديث ، والا فالحكم عام كما سنبينه .

٣ - « انما » يقول العلماء عن هذه الكلمة : انها أداة حصر ، ومعنى ذلك انها تدل على ثبوت الحكم فى المذكور وعلى نفيه عما عداه . وبيان ذلك بايضاح أن نقول لك : أنت اذا قلت « محمد راحل » دلت هذه الجملة على ثبوت الرحيل لمحمد ، من غير ان تشير الى ثبوت شىء غير الرحيل الى محمد ، ومن غير ان نشير الى نفى شىء آخر عنه ، ومن أن نشير الى ثبوت شىء أصلا الى غير محمد ، ومن غير أن نشير الى نفى شىء أصلا عن غير محمد ، وبالجملة لا دلالة لهذه العبارة على شىء سوى ما صرحت به وهو ثبوت الرحيل لمن صرحت باسمه وهو محمد ، فاذا قلت « انما محمد راحل » دلت الجملة حينئذ على شيئين : أولهما ثبوت الرحيل الى محمد ، وثانيهما نفى ما عدا الرحيل من الأوصاف التى يجوز أن يتصف بها محمد ، أو التى تكون مثار جدل ومناقشة بينك وبين آخر ، يزعمون انه متصف بها فانت تريد

بعبارتك نفيها عنه ، والعبارة التى فى الحديث الذى نحن بصدده من هذا القبيل ، فهى تثبت وجود الاعمال وجودا معتدا به عند وجود النية وتنفى وجود الاعمال عند عدم النية ، واذا قلت « انما الراحل محمد » دلت العبارة حينئذ على شيئين أيضا ، أولهما ثبوت الرحيل لمحمد ، وثانيهما نفى الرحيل عمن عدا محمدا من الاشخاص اما على وجه العموم واما عمن قد يكون ثبوت الرحيل لهم أو لاحدهم مثار جدال ومناقشة بينك وبين واحد من الناس. هذا معنى قولهم «انما أداة حصر» ومن أجل أن هذا هو المقصود بهذه الكلمة كانت كل جملة حاصرة تنحل الى جملتين احداهما اثبات الحكم المذكور للمحكوم عليه المذكور ، والثانية نفى الحكم المذكور عمن عدا المحكوم عليه المذكور ، وليس يخفى عليك فهم ذلك بعد ماأوضحناه لك .

٤ - « الاعمال » جمع عمل ، والعمل فى فى اللغة كل فعل يحدث مع القصد اليه وارادته ، ومن أجل هذا لا تكاد العرب تنسب الفعل الا للانسان لانه الذى يمكن أن يقصد الشيء ويريده ، أما الفعل فقد يكون عن قصد وقد يكون من غير قصد ، ولهذا يصح أن يسند الفعل الى الحيوان الاعجم الذى يقع منه الشيء من غير ان يكون له قصد ولا ارادة ، بل قد ينسب الفعل الى الجماد ، واذن فلفظ الفعل أعم استعمالا من لفظ العمل ، وكما يكون العمل صالحا وخيرا وحسنا ، يكون سيئا وشرا وقبيحا ، وتأمل فى قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » من الآية ٣٠ من سورة الكهف ، وقوله سبحانه « ومن يعمل من الصالحات » من الآية ١٢٤ من سورة النساء ، وقوله « من يعمل سوءا يجز به » من الآية ١٢٣من سورة النساء ، وقوله « ونجنى من فرعون وعمله » من الآية ١١ من سورة التحريم ، وقوله « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » من الآية ١٧ من سورة النساء .

وعندما يسند العمل الى الانسان يقصد به حركة البدن كله أو بعضه ، وقد يقصد به حركة الفكر أيضا ، واذن فالعمل قد يكون باليد ، وقد يكون بالرجل ، وقد يكون بالعين ، وقد يكون بالاذن ، وقد يكون باللسان ، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بغير أولئك من الجوارح الظاهرة والباطنة ، فاعطاؤك السائل أو الفقير بيدك عمل ، وضربك اليتيم عمل بيدك ، وسيرك الى الجهاد فى سبيل الله أو للدفاع عن وطنك أو لتلقى العلم فى المدرسة أو فى المعهد عمل بقدمك ، وسيرك للسهو فيما لا منفعة فيه أو للاجتماع مع أهل البطالة واللهو عمل بقدمك ،وقراءتك القرآن وتعليمك العلم وذكرك الله عمل بلسانك ، وقولك السوء وغيبتك أخاك وشتمك اياه عمل بلسانك ، ونظرك الى آيات الله فى الأفاق وفى نفسك للعظة وللاستدلال بها على قدرته سبحانه عمل ، ونظرك الى الغانيات عمل بعينك ، وسماعك العلم وسماعك القرآن وسماعك ذكر الله عمل ، وسماعك للغيبة والنميمة وسب اخوانك عمل ، وتفكيرك فى صنع الله وفيما يعود على قومك بالخير عمل ، وتفكيرك فى ايقاع الاذى بأخيك أو بارادة السوء لقومك ووطنك عمل ، وعلى وجه الاجمال كل حركة تتحركها جارحة من جوارحك ظاهرها وباطنها عمل من الاعمال ، وقد يكون هذا العمل خيرا وقد يكون شرا ، والعمل الواحد يكون خيرا أو شرا بحسب ماتهدف به اليه وتقصده منه ، ولكل خير ثواب ولكل شر عقاب « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وسيأتى مزيد بيان لهذه المسألة .

٥ - « والنيات » جمع نية ، والنية : مصدر نوى الشيء ينويه ، بوزن رماه يرميه وقضاه يقضيه ، ومعنى النية فى اللغة القصد ، وتطلق النية على انبعاث القلب نحو شيء يراه موافقا وملائما لغرض من أغراضه اما جلب مصلحة واما دفع مضرة ، اما فى الحال واما فى المآل واهل الشرع يخصون النية بالارادة المتوجهة نحو فعل من الافعال ابتغاء رضوان الله تعالى وطلبا لمثوبته ، وامتثالا لامره سبحانه وتعالى ،

٦ - وقد زعم شراح هذا الحديث أن العمل قد يحدث صورة بغير نية كمن يتوضأ وهو

تمايل أو صاه ، أو من ينغمس فى الماء من غير أن ينوى شيئا فانه يصدق عليه أن الماء قد جرى على سائر جسده ، فيكون قد حدثت له حقيقة الغسل من غير نية ، واذا كانت الاعمال تحصل بدون نية ، وعبارة الحديث صريحة فى أن العمل لايحدث بغير نية ، فانه يجب ان تقدر شيئا فى الكلام ندعى انه مراد للنبى صلى الله عليه وسلم حتى يكون الكلام صحيحا ومنهم من قدر العبارة هكذا « انما صحة الأعمال بالنيات » ومنهم من قدرها هكذا « انما كمال الأعمال بالنيات » ومنهم من قدرها هكذا « انما اعتبار الاعمال شرعا بالنيات » وعلى كل واحد من هذه التقديرات يصبح معنى الكلام أن العمل الذى تحدث صورته بغير نية غير صحيح ، أو غير كامل ، أو غير معتبر ، وانما الصحيح - أو الكامل ، أو المعتبر - فهو ما حدث من الاعمال مصاحبا للنية ، وقد أطالوا فى هذا الموضوع طولا لا يقضى العجب منه ، ثم أطالوا فى ترجيح أحد هذه التقديرات على بقيتها .

ونحن لا نرى ما ذهبوا اليه ، ولا شيئا منه ، أما أولا فان قولهم ان العمل قد يحدث صورة بغير نية فنحن لا نسلم أن عملا ما يحدث من المكلف بغير نية ، وكيف يكون ذلك ونحن نفسر العمل بانه كل فعل يحدث مع القصد اليه وارادته ؟ فاذا كانت حقيقة العمل لاتتحقق ولا يسمى شىء ما عملا الا اذا قصده عامله واراده ، وانه اذا لم يقصده ولم يرده لا يسمى عملا ، وهل حقيقة النية تزيد عن هذا ؟ واما ثانيا فان الحديث لم يرد بقصد تبيين أن النية شرط فى الاعمال او ركن منها ، وانما اتى ليبين أن العمل يكون خيرا أو شرا مثابا عليه أو معاقبا عليه بحسب نية عامله ، فالعمل الواحد يكون خيرا ان نوى به عامله الخير ، ويكون شرا أن نوى به عامله شرا ، فضرب اليتيم أن نوى به ضاربه تهذيبة وتقويم اعوجاجه كان خيرا مثابا عليه ، وان نوى به ضاربه اهانته وتحقيره كان شرا معاقبا عليه . والقتل - وهو ابشع الجرائم - ان نوى به فاعله ازهاق نفس حرم الله ازهاقها لضغينة أو نحوها كان شرا مستطيرا معاقبا عليه فى الدنيا والأخرة ، وان كان دفاعا عن النفس بحيث لم يمكن الدفاع عنها الا به كان هدرا لا عقوبة فيه ، ومن اجل هذا تجد المشرع يقسم القتل الى عمد عدوان والى شبه عمد والى خطأ ، ثم تجده يذكر حكما للصائل على غيره ولدفاع هذا الغير عن نفسه ، والشرائع الوضعية كلها تراعى مثل ذلك ، واذا كان المراد بالحديث ما ذكرنا لم يكن تقدير الصحة أوالكمال أو الاعتبار متلائما مع مورد الحديث .

والذى يصحح ما ذهبنا اليه أمران ، أولهما أن الحديث نفسه قد ذكر عملا واحدا وبين أنه بحسب نيته على نوعين نوع يعقبه ثواب وهو الهجرة ابتغاء وجه الله ، ونوع لا يعقبه ثواب وهو الهجرة ابتغاء عرض من عروض الدنيا ، وقد تعقبه عقوبة أن انضم الى نية تحصيل الدنيا نية اخرى كان يقصد الرياء وأن يوهم الناس انه انما هاجر ابتغاء مرضاة الله : وثانيهما أن هذا المعنى الذى أوضحناه قد ورد كثيرا فى الاحاديث : فمن ذلك ما رواه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال : قلت يا رسول الله اخبرنى عن الجهاد والغزو ، فقال : يا عبد الله بن عمرو ، ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا ، يا عبد الله بن عمرو ، على أى حال قاتلت - أو قتلت - بعثك الله على تلك الحال . ومن ذلك ما رواه ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لايتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » وعرف الجنة - بفتح العين وسكون الراء - ريحها ، وأوضح من ذلك كله ما رواه مسلم والنسائى والترمذى وابن حبان ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسو ل الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل

استشهد فاتى به ، فعرفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فاتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرات القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ، ورجل وسع الله عليه واعطاه من أصناف المال ، فاتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا انفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار » فهؤلاء ثلاثة أصناف من الناس كل واحد منهم عمل عملا ظاهره الخير العميم النفع ، ولكنهم عذبوا على هذا العمل لسوء نيتهم ، فدل ذلك على ان العمل يكون خيرا مثابا عليه بنية عامله ، وهو نفسه يكون شرا معاقبا عليه بنية صاحبه ، وروى الترمذى والحاكم والبيهقى ، عن كعب بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس اليه ، أدخله الله النار »

والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدا ، وتأمل قوله تعالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له فى الآخرة من نصيب » الآية ٢٠ من سورة الشورى ، فهذه الآية الكريمة وهذه الاحاديث التى اثرناها وغيرها مما يطول الكلام بذكره تدل دلالة لا غموض فيها على أن أعمال المكلفين تدور على البواعث والدواعى التى اثارت انفسهم الى عملها ، وان مدار الثواب والعقاب على هذه البواعث والدواعى ، فان كان الباعث هو امتثال أمر الله تعالى ورسوله وابتغاء وجهه ولا شىء الا هذا كان خيرا محضا وكان الثواب عليه عظيما ، وان كان الباعث على العمل والدافع امرا من أمور الدنيا فان كان هذا الامر الدنيوى حراما كالرياء أو كالذى يخرج الى الغزو والجهاد وفى نيته ان يغتال احد مواطنيه لعداوة بينهما مثلا ، أو كان فى نيته ان يسرق من الغنائم ، فانه لا ثواب له على خروجه للغزو ، وعليه عقوبة ما اجترح من السيئات ، وان كان الامر الدنيوى الذى قصد اليه بعمله مباحا كالذى ورد فى الحديث وهو الرجل يهاجر ونيته مصروفة الى عرض الدنيا أو الى تزوج امرأة فلا ثواب له على عمل الخير الذى عمله ، ولا عقاب عليه فى المباح الذى قصده ، فان جمع فى نيته بين ابتغاء وجه الله وتحصيل عرض الدنيا فهو مثاب على الخير ولكن ثوابه اقل من ثواب من نوى الخير ولم يدنسه بشائبة من شوائب الدنيا المباحة . ومن هذا التقرير يتضح لك أن المدار فى كل عمل على الهدف الذى يرمى اليه العامل ، وأن العمل قد يكون ظاهره خيرا ولا ثواب عليه أو عليه عقاب ، وقد يكون ظاهر العمل شرا ولا عقوبة على عامله وربما اثيب . وهذا هو المقصود بالحديث .

٧ ـ « وانما لكل امرىء ما نوى » توهم كثير من العلماء ان هذه الجملة تأكيد للجملة التى قبلها ، وهذا ليس بصحيح ، لانها انما تكون تاكيدا اذا كان المعنى الذى تدل عليه هو نفس المعنى الذى تدل عليه الجملة السابقة وأنت اذا تذكرت ماقلناه عن الجملة الحاصرة وأنها تنحل الى جملتين احداهما مثبتة للحكم المذكور على المحكوم عليه المذكور والاخرى نافية له عما عدا المحكوم عليه المذكور اتضح لك أن هذه الجملة تؤدى معنى قولنا : يحصل لكل امرىء ما نواه ، ولا يحصل لاحد ما لم ينوه ، والمراد حصول جزاء مانواه ، وعدم حصول جزاء مالم ينوه ، واين هذا مما قبله ؟ واذن فالمراد من الجملة الاولى أن الاعمال بحسب ما ينوى المكلف

منها ، وأنها تتكيف خيرا أو شرا طبق الهدف الذى يرمى اليه فاعلهـا ، وطبق الباعث له عليها ، والمراد من هـذه الجملة أن من نوى شيئا خيرا وشرا حصل له جزاؤه ، ومن لم ينو شيئا ــ كأن حدث منـه العمـل وهـو ذاهل أو غافل أو مكره على فعله بحيث يفقـد بسبب الاكراه ارادته ــ لا يحصل له جزاء هذا العمل . أما الجملة الثانية ــ التى هى أن من لم ينو شيئا لم يحدث له جزاؤه ــ فقد تصح على عمومها .

وأما الجمـلة الاولى ــ التى هى أن من نوى شيئا حصل له جزاؤه ــ فظاهرها عام يشمل الخير والشر ، ويشمل من ناحية أخرى من نوى الشىء وفعله ومن نوى شيئا ولـم يفعله أما لأنه تركه من تلقاء نفسه واما لأنه قد عاق لايد له فيـه . ولـو أخـذت الجملة على هذا العموم صار معناها : مـن نوى خيرا حصل له ثوابه سواء أفعله أم لم يفعله ومن نوى شرا استحق عقابه سواء أفعله أم لم يفعله ولولم يرد فى السـنة الـكريمة أحاديث تخصص هذا العموم لكنت خليقـا ان تأخذ بهذا الحديث على عمومـه الـذى بيناه ، لكن ورد فيها ما يدل على أن من نوى الخير وصحت عزيمته على فعله ثم حال بينه وبين فعله حائل كان له ثواب ما نواه ، ومن نوى شرا واعتزم فعله ثم لم يفعله لـسبب ما لم يعاقب على هذه النيـة ، ومن ذلك حديث رواه الامام أحمد وابو عيسى الترمذى عن أبى كبشة الانمارى ، وفيه : « انما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النيـة يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء » . ومن ذلك حديث رواه البخارى ومسـلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : اذا أراد عبدى أن يعمـل سيئة فلا تكتبوها حتى يعملها ، فان عملها فاكتبوهـا بمثلها ، وان تركها من أجلى فاكتبوهـا له حسنة ، وان أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها اكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها لـه بعشر أمثالها ، الى سبعمائة » فهذا الحديث يدل على أن من نوى فعل الخير ولكنه لم يعمله يكتب له ثواب ذلك الخير ، ومن نواه وعمله ضوعف له الثواب فيكون بعضه علـى مجرد النية وبعضه على اتباع النية بالفعـل ، ومن نوى أن يعمل شرا ثم لم يعمله فان كان امتناعه منه لعائق حال دونه ولولا العائق لفعلـه لم يكتب له عقاب ، وان امتنع منه لانه فـكر فى سوء العاقبة وخاف الله تعالى وندم علـى تفكيره السابق كتبت له حسنة فى مقابل خوف الله والندم ، وان هم بعمل خير كتب له ثواب على هذا الهم ، وان أردف العزيمه بالفعل ضوعف له الثواب ، ودلالة الحديث على ما ذكرنا أوضح من أن يشار اليها ، ولهذا صح أن نقول ان عموم « من نوى شيئا حصل له جزاؤه » مخصوص بمثل هـذا الحديث ، وهكذا كلما وجدت دليلا معتبرا يقتضى أن المنوى لايحصل له جزاء ، أو يقتضى ان غـير صالحا للتخصيص فان عليك أن تأخـذ به وتخصص به هذا الحديث .

٨ ــ « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله » الهجرة : مأخوذة من الهجر ، واصل الهجر ــ ومثله الهجران ــ مفارقة الانسان غيره اما ببدنه واما بلسانه واما بقلبه ، ويحمل هذا اللفظ على ما يناسبه ويوائمه من هذه الاحتمالات الثلاثة فيمـا يرد فيه من الأساليب ، فمثل قوله تعالى من الآية ٣٤ من سورة النسـاء «واهجروهن فى المضاجع» يحمل على المفارقة بالبدن ، ومثل قوله جل شأنه من الآية ٣٠ من سـورة لقمان « ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » يحمـل على المفارقة بالقلب واللسان جميعا لان الكفار اعتقدوا بقلوبهم ما لا يجوز اعتقاده فى القرآن ولم يكتفوا بان تكون هذه عقيدتهم بقلوبهم بل نطقوا بالسنتهم بتكذيبه وتقولوا عليه مرة بأنه

سحر ومرة بانه كهانة ومرة بانه شعر ، وهلم جرا ، ومثل قوله سبحانه من الآية ١٠ من سورة المزمل « واهجرهم هجرا جميلا » يصح أن يحمل على الامور الثلاثة كلها دفعة واحدة، ويصح أن يحمل على واحد غير معين منهما ويكون الرسول مكلفا ان يتحرى اى الثلاثة أحب أن يفعله منها لأن الدعوة الى الله لم تسقط عنه بهذه الآية ، واما قوله تباركت كلمته من الآية ٥ من سورة المدثر « والرجز فاهجر » فانه يدل على الحث على مفارقة الرجز وتركه بالوجوه الثلاثة كلها مجتمعة بحيث لايجوز أن يقربه لا ببدنه ولا بلسانه ولا بقلبه ، وهكذا تحمل هذا اللفظ على ما يليق به فى كل أسلوب من هذه الأوجه على الوجه الذى بيناه لك فى هذه الآيات الكريمة . وقد اطلق المسلمون فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لفظ الهجرة على شيئين : أولهما مفارقة دار الخوف الى دار الامن ، وذلك لانهم سموا من فارق مكة حيث كان يعذب ويسام الهون الى الحبشة حيث يجدون من يحميهم ويدافع عنهم باعتبارهم لائذين به مستظلين بكنفه وحمايته ، سموا هؤلاء مهاجرين ، وبقى هذا الاسم عليهم فيقال : فلان من مهاجرة الحبشة ، ومن الأمور الطبيعية التى يجب على الانسان أن يفعلها أن يفارق المكان الذى لا يأمن فيه على نفسه او اهله أو عقيدته الى مكان آخر يجد فيه برد الطمأنينة وينشق فيه نسيم الامان ، ولهذا تجد الله تعالى فى الآية ٩٧ من سورة النساء ينعى على من أخلد الى الذلة ورضخ الى المسكنة ثم انطلق يعتذر لنفسه بانه كان عاجزا عن مقاومة طغيان الجبارين ، فيقول سبحانه : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا : الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » . والشيء الثانى مما اطلق المسلمون عليه لفظ الهجرة مفارقة دار الكفر الى دار الايمان ، وهذا على ضربين :

الضرب الاول مفارقة مكة التى كانت مقرا لصناديد الكفر وطغاتهم الى المدينة التى أرز الايمان اليها ووجد فيها دعاة يدعون اليه وحماة يدفعون عنه ويقفون فى وجه من يريد أهله بسوء ، وذلك بطبيعة الاشياء فيما قبل فتح مكة وصيرورتها بلدا من بلاد الاسلام ولكون هذه الهجرة كانت ذات أثر واضح فى رفعة الاسلام وعلو كلمته كان لفظ الهجرة وما اشتق منها اذا أطلق ولم يقيد بشيء ينصرف الى الهجرة من مكة الى المدينة ، فاذا قيل « فلان مهاجر » أو قيل « فلان أسلم وهاجر » انصرف الى انه هاجر من مكة الى المدينة قبل فتح مكة ، فأما بعد فتح مكة فلا يسمى مهاجرا ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا هجرة بعد الفتح » ولان المسلمين فى مكة بعد فتحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق لهم ما يزعجهم عنها ويدفعهم الى مفارقة الاهل والوطن فهم آمنون مستقرون ناعمو البال قريرو العين . والضرب الثانى الهجرة من أى بلد من بلاد الكفر الى المدينة حيث يكونون بجوار الرسول يتعلمون منه ويأخذون عنه ويتمتعون بصحبته ومشاهدة منن الله تعالى عليه ، وكان كثير من العرب الذين لم يدخل الاسلام بلادهم يسمعون برسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فتميل قلوبهم اليه ويحبون أن يروا ما يتحدث به الناس عنه ليحكموا بانفسهم عن مشاهدة وعيان ، فلا يلبثون أن تقع انظارهم عليه وتسمع آذانهم تعاليم دينه التى يدعو اليها حتى تمتلىء انفسهم رغبة فى الدخول فى دينه ، فهؤلاء أيضا ممن أسماهم المسلمون مهاجرين ، وان لم يكن لهم الثواب الذى كتبه الله لمن هاجر من مكة الى المدينة ، واذ قد سمعت ان لفظ الهجرة حيث يطلق ينصرف الى هذا الضرب منه خاصة فليس من العسير عليك بعد ذلك أن المراد فى قوله عليه الصلاة والسلام « فمن كانت هجرته » هو الهجرة من مكة الى المدينة . وقبل ان ننتقل عن هذا البحث نقول لك : أن مما اطلق لفظ الهجرة عليه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم

هجرة ما نهى الله تعالى عنه ، وقد ورد فى الحديث « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » وذلك بعد فتح مكة ، لأن كثيرا ممن لم تتيسر لهم الهجرة من مكة الى المدينة قبل الفتح كانوا يتحرقون أسفا على أن لم يكونوا ممن كتب الله تعالى لهم هذا المجد العظيم، فطمأنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم ان فعلوا ماأمرهم الله به وتركوا مانهاهم الله عنه فلم يقربوه لا بأيدانهم ولا بالسنتهم ولا بقلوبهم كان لهم من الاجر ما يعدل أجر من فارق مكة الى المدينة • ونريد أن ننبهك الى شيء نرى ألا تغفل عنه ، ذلك أن هذا الكلام من قوله صلى الله عليه وسلم « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله » الى آخر الحديث تطبيق على القاعدتين اللتين دل عليهما قوله « انما الاعمال بالنيات » وقوله « وانما لكل امرىء ما نوى » وقد عرفت أن الجملة الاولى تقرر أن العمل بحسب نية فاعله ، وأن الثانية تقرر أن جزاء العمل راجع الى ماينــوى به ، وحينئذ يكون المعنى أن من نوى بهجرته أن تكون خالصة لله ورسوله كان له ثواب المهاجر الى الله ورسوله لايريد غيرهما ، ومن هـذا التقرير يتبين لك أن الشرط الذى هو قوله « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله » لم يتحد مع جوابه وهو قوله « فهجرته الى الله ورسوله » لان الشرط باعتبار النية والجواب باعتبار الجزاء ، وهذا واضح أن شاء الله ،واذا كان هذا الكلام تطبيقا وتفريعا علـى القاعدتين اللتين بينا لك أمرهمــا فان هذا التطبيق لا يدل على الانحصار ، بل كل عمل أو ترك حكمه هو هذا الحكم : ان اريد به حين عمله وجه الله ورسوله كان لفاعله ثواب ذلك، وان أريد به حين عمله جاه أو سمعة أو مراءاة الناس فليس لصاحبه ثواب - وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام « فهجرته الى ما هاجر اليه » فان خلط المكلف فى عمله بين نية وجه الله تعالى ورسوله وبين نية شيء آخر نظر فى هذا الشيء الآخر ،فان كان حراما كالرياء والسمعة حبط هذا العمل واستحق على نية الحرام عقوبته ، ويدل لهذا الوجه الحديثان اللذان اثرناهما فى أوائل هذا البحث كما يؤيده حديث رواه الطبرانى عن الجارود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ، ومحق ذكره ، واثبت اسمه فى النار » وان كان الذى خلطه المكلف فى نيته مباحا ومنه تزوج المراة الذى ورد ذكره فى الحديث - فلا عقاب على قاصده ، لكن هل له ثواب على نيته وجه الله مع نية هذا المباح ؟ أما ظاهر عموم حديث الجارود الذى رواه الطبرانى فيدل على انه لا ثواب له ، وقد يؤيده أن يقال : العادة جارية بأن من ينوى بعمله وجه الله تعـالى لا يتأتى له أن يريد عرض الدنيا ، ولكن الله ذو فضل عظيم ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهو سبحانه أجل من أن يضيع قاصده ما دام الذى خلطه مع قصده غير منهى عنه ولا محظور على المكلف أن يقصده اذ الفرض انه مباح ، وقد قال جل شأنه « فمن يعمل مثقال ذرةخيرا يره » وعلى الاخص أنا لو فرضنا ان المهاجر الذى قصد تزوج المرأة لم يقصد بالهجرة الا تزوجها بقصد أن يعف نفسه لكان مثابا على ذلك القصد ، فكيف اذا ضم الى هذا القصد الخروج من دار الكفر الى دار الايمان وتكثير سواد المؤمنين ؟ وقد فصل الامام الغزالى فى هذا الموضوع على وجه آخر ، فذهب الى انه ينظر الى أغلب القصدين الباعثين على الفعل ، فان كان أغلبهما هو الاخلاص فانه يثاب ، وان كان الاغلب هو تحصيل عرض من اعراض الدنيا غير محظور فانه لا يثاب وكذا أن تساوى القصدان ، ومن العلماء من ذكر وجها آخر هو أنه ينظر فى الأسبق المبتدأ به من القصدين، فان سبق الى المكلف قصد الاخلاص كان مثابا ولم يضره ما يعرض له من بعد ، وان كان الاسبق المبتدأ به هو عرض الدنيا المباح له لم يكن له ثواب •

نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى العمل الصالح ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه ، وأن يكفينا شر أنفسنا ، وأن يتولانا بعونه ورعايته .

الرؤيا الصالحة

فضيلة الشيخ
محمد محمد المدني

*** جاء فى « الموطأ » الذى جمعه فى الحديث امام دار الهجرة مالك بن انس رضى الله عنه مانصه :**

(١) عن مالك ، عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة الأنصارى ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا **الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »**

(٢) وعن مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن زفر بن صعصعة بن مالك ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاة الغداة يقول : « **هل رأى احد منكم الليلة رؤيا؟» ويقول : « ليس يبقى بعدى من النبوة الا الرؤيا الصالحة »**

(٣) وعن مالك عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ابن يسار ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم قال : « **لن يبقى بعدى من النبوة الا المبشرات » فقالوا : وما المبشرات يارسول الله ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »**

(٤) وعن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن انه قال : سمعت أبا قتادة بن ربعى يقول : سمعت رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم يقول : **(الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فاذا رأى أحدكم الشيء يكرهه ، فلينفث عن يساره ثلاث مرات اذا استيقظ ، وليتعوذ بالله من شرها ،فانها لن تضره ان شاء الله)) فقال أبو سلمة : ان كنت لأرى الرؤيا هي أثقل على من الجبل ، فلما سمعت هذا الحديث ، فما كنت اباليهـا ٠**

(٥) وعن مالك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنه كان يقول في هذه الآية : « **لهـم البشرى في الحياة والدنيا وفي الآخرة » قال:**

هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ٠

* وهذه الأحاديث الخمسة التى رواهـا امام دار الهجرة مالك بن أنس ، رضى اللهعنه فى كتابه «الموطأ» تدلنا على الحقائق الآتيـة فى شأن الرؤيا الصالحة ، وفى شأن «الاحلام» التى يراها النيام ٠

الحقيقة الأولى : التى يقررها سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين هى الاعتراف بقانون طبيعى يعرفه كل امرىء فى نفسه ، ولا يشك فيه أدنى شك ، لأنه يتكرر عليـه فى الحين بعد الحين ، ويشغله لحظات قليلة أو كثيرة ، ذلك هو قانون الرؤى والأحلام التى يراها الناس فى نومهم ٠

ان كل انسـان منـا لاينفك عن ذلك فى مختلف مراحل حياته ، فما منا الا من يرى الرؤى ، ويتخيل فى الأحلام ، صوراتمثيلية لما مر فى حياته من أحداث أو أشخاص ، أو لما يستقبل من ذلك رمزا لما سيكون ، أوتحديثا عن شأن يشغله فى واقع أمره ٠

وبعض هذه الصور التخييلية أو الرمزية يكون واضحا الى درجة تشبه وضوح الرؤيا البصرية فى اليقظة ، حتى أن الانسـان اذا استيقظ يجد فى احساسه البصرى ، أومذاقه اللسانى ، أو شعوره باللذة أو الألم ، أوالبشرى أو الخوف ، أو الندم ، مايشبه احساس الذين وقع لهم ذلك ، وهم فى أتم مايكونون صحوا

وقد يبدو على النائم مايدل على أنه يحلم بشىء فينطـق بالفـاظ ، او يأتى بحركات ، حتى ان الطفل الرضيع يحرك شفتيه أحيانا وهو نائم كأنه يرضع ثدى أمه ٠

واذن فهذه حقيقة مشاهدة محسوسـة لاسبيل الى انكارها ، أو التردد فى قبولها ٠

وكما ورد ذكر هذه الظاهرة البشرية فى الحديث الشريف ورودا يدل على الاعتراف بها ورد ذكرها أيضا فى القرآن الكريم مؤذنابهذا الاعتراف :

فقد ذكر القرآن الكريم رؤيا ابراهيـم الخليل عليه السلام ، أنه يذبح ولدهاسماعيل اذ يقول الله تعالى :

« فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معهالسعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنىأذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين »

وذكر رؤيا يوسف عليه السلام :

« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »

كمـا ذكر فى الصورة المسماة باسميوسف عليه السلام ، عدة من الرؤى المنامية ، منها ما رآه صاحباه فى السجن : « **قال احدهما انى اراني اعصر خمرا ، وقال الآخر انى أرانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منـه »** ومنها ما رآه الملك « **وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبـع سنبلات خضر وأخر يابسات »**

وذكرالرؤيا التى رآها الرسول تثبت لهيوم بدر ان المشركين أقل منهم :« **اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثـيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور**

فهذا كله تقرير للرؤى يتضمن الاعتراف بواقع الأمر وطبيعة الانسان فيها ٠

الحقيقة الثانية : أن مايراه النـاس فى منامهم صنفان :

أحدهما : الرؤيا الصالحة ، وهى المبشرة ، أو الصادقة ، أو المحذرة .

والثانى : الحلم الشيطانى ، وهو مايلقى فى روع النائم تحزينا وتخويفا وقد قرر النبى – صلى الله عليه وسلم – ان الرؤيا الصالحة جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة فما المراد بذلك ؟

يقرر بعض العلماء : ان سر التجزئة على هذه النسبة ، هو « ان مدة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثة وعشرين سنة ، منها ستة أشهر كانت نبوته بالرؤيا الصادقة ، ولذلك روى عن عائشة رضى الله عنها – فى الصحيحين – انها قالت « **أول مابدىء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح » وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة ، تساوى جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة** »

وهذا تخريج حسن ، ولكن الكلام حينئذ يكون فى الرؤيا التى يراها الرسول بخصوصها ، وأن ماكان يراه صلى الله عليه وسلم حين بدىء بالوحى وقع فى جزء زمنى اذا نسب الى مدة رسالته كان جزءا من ستة وأربعين جزءا .

ويمكننا اذا تأملنا فى الاحاديث أن نقرر أن التجزئة على هذه النسبة سر من اسرار الخلق يعلمه الحكيم الخبير ، على وجه لم يطلع عليه أحد ، ويكون ذلك عاما فى الصالحين من المؤمنين ، وليس خاصا بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بل الأحاديث صريحة فى افادة ذلك حيث تقول « **الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح** » أو **الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له** »

ومعنى كونها جزءا من النبوة أن فيها التبشير أو التحذير وهما من وظائف النبوة ، وفيها القاء شىء فى النفس أحيانا عن أمر سيكون ، قد يستأنس به المؤمن ويتقوى ، كما تقوى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالرؤيا التى رآها ان المؤمنين دخلوا المسجد الحرام آمنين « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين** »

وكثير منا يرى بعض الرؤى الواضحة الصالحة فتؤثر فيه تأثيرا حسنا ، وتقويه على احتمال صعاب ماكان ليقوى عليها ، وتبشره بخير يرقبه ثم يتحقق له ذلك ، ولهذا جعلها رسول الله – صلى الله عليه وسلم من (المبشرات) التى لايبقى بعده من لمحات النبوة ، أو لمسات نورها ، سواها ، حيث يقول فيما رويناه :

« **لن يبقى بعدى من النبوة الا المبشرات ويفسر هذه المبشرات بأنها « الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له** »

هذا وللرؤى الصالحة التى يراها الناس ثم يتحقق ما ترمز اليه ، أو تفصح عنه بوضوح ، رسالة فى تثبيت الايمان بوحى الله الى رسله ، ذلك أن الذين طغت عليهم المادية فحكموها فى كل شىء حتى فى قضايا الأديان ، ينكرون الوحى ويعتبرونه مستبعدا او مستحيلا ، ويقولون : كيف يتصور العقل أن يتصل **الخالق بالمخلوقين فيوحى اليهم بامره أو كلامه** وقد جوبهت الرسالات الالهية بهذه الشبهة منذ العهود الأولى ، فنوح يقول لقومه « **أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم** » ، وهود يقول لقومه هذه العبارة **نفسها** : « **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم** على رجل منكم » والملأ الكافرون من قوم صالح يقولون للذين آمنوا به : «**أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه** » ، وهكذا كل رسالة حتى ليقول القرآن الكريم فى الرسل عامة « **وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون** » « **وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا** » ويقول فى شأن خاتم النبيين **والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين** « **أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس** » « **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم** »

ولقد يحلو لبعض المتفلسفة فى عصرنا هذا وفيما قبله من العصور ، أن يصوروا الوحى تصويرا علميا – فيما يزعمون – فيقولوا : ان النبى ماهو الا انسان مفكر له عقلية تخالف عادة

عقلية أهل عصره ، وهو لايظهر الا فى عصور الفساد والضعف والبغى والطغيان ، فيثور فى نفسه على هذه الأوضاع ، ويشتد مقته لها ، وتأمله فى طريقة التخلص منها ، ثم يفضى به ذلك التأمل العميق ، والتفرغ الطويل ، الى حالة يعتقد معها أن العناية الالهية قد اختارته هو ليكون المنقذ ، وتمتلىء نفسه بهذه العقيدة حتى يتصور أنه يسمع فيها وحيا ، وان « ملكا سماويا » يغاديه بها ويراوحه ، وهو ليس بكاذب فيما يروى عن هذا (الملك) لأن خياله يجسم له الأمر ، ولايترك عنده ذرة من الشك فيه .

هكذا يقول المستبعدون للوحى أو المنكرون له ، ومن الواضح أن هذا الذى يذكرونه ماهو الا ظنون ومزاعم لا تستند الى دليل عقلى تطمئن اليه القلوب ، وأن الذى حملهم على ذلك هو استبعاد انزال وحى من الله على من يصطفى من عباده .

ونحن نقول لهم : على أى أساس بنيتم هذا الاستبعاد الذى أفضى بكم الى التماس العلل والفروض ؟ وأى بعد فى أن يوحى الله الى أحد من خلقه بوحى ؟ وهل كل ماغاب عنا ادراكه وعجزت حواسنا عن تفهمه تنكره عقولنا ؟ اننا نكتشف كل يوم اسرارا فى هذا الكون وفى أنفسنا ماكنا من قبل نتصورها ، وأننا نرى الهبات الالهية لاتقف عند الحد الذى تقبله ادراكاتنا المحدودة ، فكم رأينا من عباقرة أفذاذ لا نظير لهم فى بيئاتهم ، وكم رأينا من أفراد أوتوا قوة عجيبة فى ناحية من النواحى لاتعرف أسبابها ، وأنا قد رأيت بنفسى غلاما صغيرا له موهبة حسابية عجيبة ، فهو يستطيع - مع أنه عامى جاهل - ان يستخرج حاصل ضرب عددين كل منهما مؤلف من عشرة أرقام فى وقت يسير دون أن يخطىء ، ويقال له : ان فلانا ولد فى ساعة كذا من يوم كذا من عام كذا فما عمره بالدقائق ، فيجيب الاجابة الصحيحة فى نحو دقيقة بينما يعجز الحاسبون عن استخراج هذه الاجابة الا بعد حساب طويل . فاذا كان الله يجود على بعض خلقه بمثل ذلك ، فهل يعجزه سبحانه أن يهيىء بشرا أو ملكا بقوة فوق العادة يستطيع معها ان يتلقى عنه ؟

ان الذى يقول باستحالة ذلك أو باستبعاده ينسى أن خلق الانسان وتكوينه كله عجب « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ويكفى أن يفكر الانسان فى أنه كيف يفكر ، ليعلم أن تفكيره من أعظم الآيات على قوة خالقه وقدرته وجوده الفياض ، ثم من كان يظن أن فى الذرة تلك القوة الكامنة ، وأن فى بعض رمال الصحراء التى ظلت ملايين السنين مهملة تذروها الرياح ، ما عرف لها من الخواص ، وما تصلح له مما هدى الله اليه أهل العلم الحديث ،ثم من ذا الذى يعرف مدى ما يصل اليه علم الناس وقدرة الناس فى المستقبل وهم خلق محدودو العلم والقدرة،وفيهم يقول الله عزوجل « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » « وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء » ، فهل يجوز أن يصدر من هذا الانسان المحدود استبعاد شىء من الممكنات العقلية على الله ، وقد مكنه من الأرض هذا التمكين ؟

ثم نقول لهم - وهذا بيت القصيد فيما أوردنا له ذلك :

بماذا تفسرون الالهام الذى يحس به كل واحد منا ؟ بماذا تفسرون أن يتذكر المرء انسانا لم يره منذ سنين ، ثم يفاجأبه داخلا عليه من حيث لايحتسب ؟ بماذاتفسرون الرؤى الصادقة التى تقع لكثير من الناس ، حيث يرون أشياء فتصدق رؤاهم ؟ بماذا تفسرون كل ذلك ؟

انى لأحسب أن الله تعالى جعل من طبيعة الانسان فى الرؤى والاحلام ، ومن عموم هذه الطبيعة فى البشر ، ومن قدرة أرواحهم أو مخيلاتهم على أن ترى فى النوم ما يتحقق ، دليلا أو أمارة أو ارشادا يتبين به المنصفون امكان الوحى ، لأن الذى يرى الرؤيا الصالحة فتتحقق ، انما هو انسان صفت روحه ، فانكشف له ما غاب ، واقترب منه ما بعد ، وآنسه الله بشىء من العلم لايعرف كيف أتاه ، فاذا جاز هذا فى العقول على ملايين الملايين من البشر العاديين ، أفلا يجوز ما هو أعظم منه

وأوثق على انبياء الله ورسله فيوحى اليهم باذنه ما يشاء على النحو الذى وصفه جل جلاله حيث يقول « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم »

وقصارى القول فى هذا الشأن : انه لايجوز استبعاد الوحى الالهى للانبياء والرسل ، وأن الدلائل الواضحة على قدرة الله تعالى ترشد الى امكانه ، وان كل انسان منصف يستطيع أن يتخذ مظهر رؤاه والهاماته أمارة واضحة على هذا الامكان .

الحقيقة الثالثة : ان للمؤمن أن يستبشر خيرا بالرؤيا المبشرة حين يراها أو حين ترى له ، ولا يعتبر هذا من التعلق بالأوهام ، أوالتمسك بالخرافات ، فقد أنبأ الله تعالى بأنه أرى نبيه رؤيا هدفها تثبيته وتثبيت المؤمنين معه حيث قال « **اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم ، انه عليم بذات الصدور** »

فرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم أن المشركين قليل ، كانت بشارة له وللمؤمنين بأن اعداءهم هم الطرف الأضعف الذى ستدور عليه الدائرة وذلك لأن المؤمنين فى غزوة بدر كانوا يعلمون علما حسيا فى يقظتهم أن المشركين أكثر منهم عددا ، فرؤية النبى لهم قليلا تبشير بمعنى انهزامهم ، لأنهم على كثرتهم العددية فى واقع أمرهم قد بدوا له قلة ، وقد علل الله هذه الرؤيا التى أراها نبيه بأنه يريد أن يدرأ عن المؤمنين عوامل الفشل والتنازع التى تصيبهم لو هالتهم كثرة أعدائهم مع قلتهم ، واذن فهذا اذن من الله تعالى بالاستبشار بالرؤيا ، ولذلك اعتبر النبى — صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من المبشرات .

الحقيقة الرابعة : ارشاد نبوى كريم للمؤمن بأنه اذا رأى خيرا فى منامه حمد الله واستبشر ، واذا رأى شرا استعاذ بالله منه واحتقر الشيطان الذى نزغ به والقاه فى روعه بأن ينفث عن يساره ثلاث مرات — أى يتفل تفلا خفيفا ايذانا باحتقاره لما رأى وعدم اهتمامه به — وبذلك يكون متوكلا على الله ، غير مثقل نفسه بلون من الوان الخوف او الحزن من حلمه السىء الذى خيل اليه .

وهذا علاج نفسى حسن ، وقد جرت بمثله سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان يحب الفأل الحسن ، ويكره التشاؤم ، ويقول « **اذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لايأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك** » .

وقد أنبأنا أحد رواة الحديث الرابع من الأحاديث التى صدرنا بها هذا البحث ، وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه عالج بذلك نفسه ، اذ كان يرى الرؤيا هى اثقل عليه من الجبل ، — فيضطرب لها — فلما سمع هذا الحديث أصبح لايبالى بما يراه فى منامه من شره ولا يعدو أن ينفذ ما اشار به الصادق الأمين من علاج .

من حضارة الاسلام

فريضة الجهاد

الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل

القوة والضعف ـ فريضة الجهاد ـ آداب القتال ـ الحقوق الانسانية ـ قسم الغنائم ـ الجزية والخراج ـ الرغبة فى السلام

القوة والضعف :

لاحاجة الى دليل على أن العرب شعب محارب . كانت هذه فطرته ككل شعوب الرعاة ـ كما يقولون ـ ولا حيلة فى أن ننكر عليه هذه الفطرة بعد تاريخه الفياض بها . ولا يعنى القول بأن العرب جيل محارب أنه يعتدى وانما خلقت فيه النخوة لرد العدوان والقتال من أجل ما يتصوره من كرامة الجنس والنوع، ولأقل سبب يبذل كل ما يقدر عليه من تضحيات .

نعم أنه تطرف فى جاهليته تطرفا أضله عن طريق الاعتدال فكان الاعتداء من قبيلة على أخرى تعبيرا عن القوة التى لا مظهر لها الا هذا الاعتداء ، ثم حسبه الاقوياء عزة وكرامة وحسبه الضعفاء عدوانا وجورا ، وكان هذا الخلاف اقرارا بأن فى هذا التطرف خروجا عن طبيعة الفطرة التى تميل الى الاعتداء يجب أن يقابل بأخذ الثأر .

ثم حمل الشعب العربى معه نخوته حين أسلم فاظهر موهبته العميقة الجذور فى فن الحرب ولكنه خضع لآداب لازمة هذبت هذه الفطرة فيه وفى الشعوب التى دخلت الاسلام معه ، وكان من أوليات التهذيب ان القتال غير مشروع الا فى عظائم الأمور وحتى تستنفد كل وسائل السلم .

وطبقا للوصف الأول لم يخرج العربى عن طبيعة الانسان الحر المدافع عن ذاته ، ثم ارتفع الاسلام به وبغيره الى درجة أعلى فلم يشرع رمحه الا على عدو خارج عنه وحين لا يفلح السلم فيما تفلح فيه الحرب ويجدى القتال، أما استراق الظفر وانتهاب النصر فلم يصبر شيمة العربى أو المسلم وانما هو العون على نصرة الحق والدفاع عن الصواب .

وهذه الصفة لم تكدر الا حين ابتلى المسلمون بخصومهم الاشداء ، وفيما بين

الرعب من زحوف المسلمين الأولى وضعفهم فيما بعد ، انطلقت التهمة عارية بلفاء فافلحت التقية عصورا طويلة فى توهيم الناس بأن العرب والمسلمين قوم يعتدون ، حتى لقد توهمت العقول – ومن بينها عقول المتأولين بلا استثناء – ان التقية والتستر صارت علما من العلوم فأخذت أقلامهم تدافع عن العرب والمسلمين بأنهم شعوب لا شأن لها بالحرب ، واخضعوا آيات وأحاديث لهذا الضعف المزرى ، وراح الشاب المسلم يغض بصره عن نشابة لم يعمرها سهمو وراحت الفتاة المسلمة تصرخ بأعلى صوتها مذعورة من ضفدعة تقفز على حافة ماء .

واما الاجنبى المدجج بالسلاح وهو يرتكب العدوان كلما شاء ، فليس عليه أن يتنصل مما يفعل لانه انما يقر السلم – كما يدعى – ولا عتب عليه في أن يقره بتقليم الأظفار واذلال النفوس . وتوهم كتابنا جميعا ذلك حقا فدافعوا عن فطرة القوة فنيا ثم أخطأوا اذ حسبوها مرادفة للعدوان .

فريضة الجهاد :

ومهما اختلف فقهاء المسلمين فى توجيه الآيات والاستنباط من الاحاديث فى دوافع القتال وترجيح أقوال على أقوال فان حقيقة موقف الاسلام من القتال انما هو موقف معتدل شجاع لا هو الى الجبن ولا هو الى التهور وانما هو بين سلبية الدفاع ضد العدوان البادىء من العدو وايجابية نشر الدين البادئة من المسلمين . ومنه يبدو أن الاسلام قد يبدأ الحرب حينا وقد يكون مثنيا حينا ، على أنه مهما بدأ أو ثنى فقد أوجب على نفسه أن لا يسترق الظفر أو ينتهب النصر بل عليه أن يدعو عدوه أولا الى الاسلام وأغراضه الصالحة ، وقد تقرر ذلك قاعدة فى قوله تعالى : ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا)) وفيما أورده ابو يوسف من ان رسول الله لم يقاتل قط – فيما بلغه – حتى يدعوهم الى الله ورسوله .

وقد تكون الدعوة والجند الاسلامى على رءوس القوم . كما غزا سلمان المشركين من اهل فارس حتى اذا كان على رءوسهم قال لقومه : كفوا حتى ادعوهم كما كنت اسمع رسول الله يدعوهم فأتاهم فقال : انا ندعوكم الى الاسلام فان اسلمتم فلكم مثل ما لنا وعليكم مثل ما علينا وان ابيتم فأعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون وان أبيتم قاتلناكم . قالوا : أما الاسلام فلا نسلم واما الجزية فلا نعطيها واما القتال فانا نقاتلكم . فدعاهم كذلك ثلاثا فأبوا عليه فقال للناس : انهدوا اليهم !.

وكذلك يرى الاسلام ان يدعو بدعوته قبل القتال ، ولكنه بعد أن يكون قد استعد وقوى ثم يرسل دعوته حتى لو كان على رءوس القوم. وقد رأى بعض الفقهاء والتابعين أنه ليس أحد من أهل الشرك الا وقد بلغته الدعوة فحل للمسلمين قتالهم من غير دعوة ، وقد جعلوا دليل الاول قوله تعالى : ((**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا**))والدليل الثانى قوله :((**وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله**))

ولم يكن للاسلام أن يغفل ويستر عقله فيغتر بسكون الحقد من حوله فان الحقد ما يزال يتطلب العلل حتى يستعر استعار النار ولذا فقد حسب دائما أنه محصور بين أعداء لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ، فأى قتال نشب بين المسلمين لازهاق فتنة الكفر أو ارهاق وثبة الظلم فانه لايعد بدءا .وليست بداية وقعة بدر الا مثلا لما هو بين السلب والايجاب ، فان عدت بدءا من المسلمين بالقتال عدت كذلك ردا على طرد المسلمين من الديار والاموال .

ومن ثم صار الجهاد فريضة الاسلام بغية الأمرين : نشر الدين ورد المعتدين ، والاهبة للامرين على الدوام ، وقد قرر ذلك رسول الله فى قوله : والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ، وفى قوله ((من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى القتل أو الموت مظانه)) .

وقد عرف الرسول القائد وعرف الخلفاء والقواد من حوله ومن بعده أن موهبة القتال لن تخمد عن المسلم مهما كانت القوى التى

يلقاها لانه انما يطلب دائما بقتاله أغراضا صالحة هى التى تتحكم فى سيفه وهو يفترض دائما ان عدوه أضعف منه اذ يحيط به الضعف مرتين : مرة من نفسه ومرة من أغراضه فما لم يكسره ضعف النفس يكسره ضعف الاغراض.

وحيث يكون الجهاد فرض كفاية حينا وفرض عين حينا حسب الاضطرار وكيد العدو وقهره يكون الاستعداد فرض عين دائما حتى اذا لم يكن هناك عدو فلا يؤمن انفتاح باب الفتن بين المسلمين . ومن الاستعداد والتأهب صنع السلاح والتدريب على الرمى ورعاية صحة الجند ومؤونتهم وتحديث النفس والناس بشرف الغزو ، وقد نبه رسول الله على ذلك كله فقال : **((ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر فى الجنة صانع يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله)) وقال من علم الرمى ثم تركه فقد عصى » وقال : ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق))** . وهكذا لم تحط فريضة الجهاد عبئها عمن لا يستطيع أن يغزو بنفسه فكان عليه أن يغزى غيره ويعينه عليه ، وقد قرر ذلك رسول الله فى قوله : **((من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا))** .

ولم ينس الاسلام ثواب المرابط على ثغور المسلمين بل جعله أكثر ، لان المرابط مقيم دائما على قلق وهو يهجر وطنه ويغترب من أجل دينه ليحمى مداخل بلاد المسلمين ويدفع عنها . وقد استجاب الوف الاوف من المسلمين فى شتى العصور فطمعوا فى هذا الثواب فلم يعودوا الى أوطانهم وأقاموا وماتوا على الرباط فى ديار الغربة يحمون حصنا أو واديا ويسدون ثغرا من وراء جبل أو غدرة من وراء البحار .

ومسئولية المسلمين نحو دينهم ـ من حيث انه دين الكافة ومن حيث انهم مكلفون بالدعوة له ورد المرتدين عنه اليه حتى القيامة ـ مسئولية ذات خطر وبال ، والعالم كله متدينه وعاطله مفطور على قبول الحجة القوية التى هى من صنع الداعى وحيلته ، ولذا وجب على المسلمين متابعة ما بدءوا به من دعوة كل انسان الى ما دعا اليه الاسلام منذ البدء فاما الى الاسلام واما الى السلام .

وقد يكون من المرعب لذوى الحقد والعناد أن يقال ان السيف من وراء تلك الدعوة ، وكان من الحق أن يرتعبوا لو أن السيف سلط على الرقاب من غير أن تصحبه وتسبقه دعوة صالحة وحجة قوية ، فاذا صحبته الدعوة وسبقته الحجة فمن ظلم القول أن يلقى الذنب الا على العناد والكفران .

وما زالت حجة الاسلام قائمة على اهل الارض ، فالاديان التى خاطبها من قبل لم تزل كما هى بل اختلطت واضطربت فهى أشد حاجة من ذى قبل الى دعوته ، وارتطام كتل ضخمة من البشر فى حضيض الوثنيات ما زالت له هدات ووجبات ، ولم يجد جديد سوى أنظمة مادية تسمى عقائد مجازا وليس فى واحد منها ـ الا ما سار فى ظل القرآن ـ ما بلغ فى خطورته عقائد الخوارج التى خالفت أهل السنة والشيعة جميعا ثم انتصر الاسلام عليها بيقين ثابت وبرهان متين .

آداب القتال :

وقد أخذ الاسلام فى الحرب بمبدأ السياسة واللين ورآه أشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة ، وقد قال الرسول الحكيم فى بعض غزواته لاصحابه ((أيها الناس ، لاتتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فأصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، قال ذلك علما منه بأن اللقاء قد يكون أضعف حيل الحرب وأن أحزم القادة من لم يلتمس الامر بالقتال وهو يجد الى غيره سبيلا .

وفى وصية عمر بن الخطاب لسعد بن ابى وقاص ومن معه من الاجناد ، جمع عمر كل آداب الجندى فى زحفه للحرب وكانت من قبل فى وصايا النبى وأوامره ومراقباته فكملت

بها المحافظة على مكاسب النصر والصبر على قروح الهزيمة ، ثم صارت الوصايا فى الحرب تقليد الخلفاء والقواد لكل بعث أو رباط

وأول تلك الوصايا الاستقامة فى مسلك القائد والجندى معا ، فعلى كل منهما أن يلتزم التقوى ويحترس من المعاصى — لا كالجند الكافر الذى ينهم الى اللذة والظلم حين يظن ملاقاة الموت — وقد جعلها عمر أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة على الحرب ، وضرب المثل بالانتصارات فى الغزوات وفى عهد أبى بكر ، وأنها لم تكن بكثرة عدد ولا بقوة عدة وانما كانت بالاستقامة التى نصرت قلوبا جميعة سليمة على عدو متفوق مرتطم فى المعاصى .

وقد فصل عمر واجبات القتال فأوجب على القائد رعاية الجند والسلاح والمؤونة وأمور الزحف والتقهقر والسرايا ، واذكاء الحراس على العسكر والتيقظ للغرة والمفاجأة ، وأوصى القائد بالاصغاء للمشيرين النصحاء فنفى بذلك كله أن يقود المعركة مجازف او مجنون ومثلها تماما أن يقودها عاقل مستبد يتصرف كما يشاء .

وأوجب عمر على الجندى المسلم — حتى فى أشد أوقات حرجه وضيقه — أن يضبط نفسه وأن يحاسبها ، فاذا لم يكن بد من الاستشهاد فان غضب الله فى انتظار من يفر من الزحف الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة من فئات المسلمين .

وسرقة الغنائم التى سلمت غلولا حرمت على الجندى والقائد ، ولم يرصد أشد العذاب للجندى الذى يغل الا صيانة للمعركة ذاتها من أن تضطرب وتتلوث ، اذ لن يكون هناك متسع للسرقة الا قبل احصاء الغنائم التى هى حق الجند جميعه وحق المسلمين ، والا حيث يتلهى المحارب عن واجبه فى الاقتحام الى طمعه فى الالتهام ، ولعل درس الهزيمة فى احد كان سببا فى سن هذا العقاب الشديد حيث طمس الطمع آثار الانتصار .

والغلام الذى أهداه رفاعة بن زيد الجذامى لرسول الله وحارب بين يديه فى غزوة وادى القرى فأصابه سهم طائش فقتله لم يرض رسول الله أن يهنئه باستشهاده فقال لهم « أن الشملة التى أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه نارا » . **وما زال تحريم الغلول يتعالى ويشتد فحرم على النبى ذاته فقال تعالى : « وما كان لنبى أن يغل .. »** وذلك حتى يقتدى به القواد وأمراء الفتوح ..

ولم يكثر سراق الغنائم والنهابون الا فى كل زمان مدبر ، ويكثرون فى نكبة القدر حين لا يريد القدر أن يتخذ جسورا لعبوره من أيدى العدو المغير . والقائد المحظوظ فى المعركة هو الذى يتربص لهؤلاء ويقطع ايدى السراق قبل أن تمتد فى حماية الجهل المظلم والشر المبين .

وليس الاهتمام بكتمان السر من كل آحاد المقاتلين والمتصلين بالحرب أقل من الاهتمام بشئون القتال الأخرى . وأمر السر متفاوت فمن أفشى سر نفسه فقد ظلمها ، ومن افشى سر أهله وأصحابه فقد فضحهم وافتضح ، أما من أفشى سر قومه فقد عد خائنا وعدت خيانته الجريمة العظمى التى يستحق عليها أشد العذاب ، وقصة حاطب بن ابى بلتعة وسارة المغنية فى أمر افشاء السر مشهور لولا أن الرسول عفا عن حاطب لانه كان ممن حضر بدرا ورضى النبى اعتذاره للسابقة وصدق الاعتذار .

الحقوق الانسانية :

وأعداء أبى بكر الصديق الذين كانوا أصروا على أن يدعوه دائما بابن أبى قحافة لو كان كشف لهم عن حال العالم اليوم لعلموا أن ابن أبى قحافة الذى صار فى عالمهم القديم سيد العالم ما تزال فكرته فى الحرب أن تسود العالم اذ يتمنى الناس مثلها فلا يستطيعون ..

بل كان حقا لقوة أبى بكر ولامثالها ان تسود العالم ابدا قديمه وحديثه فانها لم تجتنب خلق التدمير وحسب بل جعلت مجانبة التفكير فى التدمير والتعدى شريعة يلتزمها القائد لا محالة والا أصابه العزل مهما كان منتصرا . وما حدث لخالد بن الوليد

مرتين كان تنبيها للمرة الثالثة التى عزل فيها، فقد استغفر له النبى لقسوته فى فتح مكة وفداه ابو بكر من بيت المال فى حروب الردة ثم لم يكن بد من أن يعزله عمر حتى وهو منتصر فى حروب الشام . ومن قبله عزل أبوبكر خالد بن سعيد بعد أن عقد له ، فكره عمر ذلك ، وكلم أبا بكر فى عزله قائلا له :انه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب فعزله الصديق .

ووصية ابى بكر التى أمر فيها يزيد بن ابى سفيان بالابقاء على الزروع والضروع والنخل والثمر وحماية النساء والاطفال وتأمين الرهبان الذين انصرفوا الى العبادة فى الصوامع وترك حرية العبادة ، وحماية المستأمن واللاجىء والوفاء بالعهود والمواثيق كانت تهذيبا للقوة المنطلقة نحو اهداف عليا لتظل أسمى من أن تسترق الاحرار أو تستذل الناس .

وهذه الوصية التى كانت خطوطا للمسلك الحربى الاسلامى واجبة الاتباع يتعلق العالم كله اليوم باهداب قيامها ، ولن ينقذه مما وقع فيه من استعداد خاطىء للحروب الا ان يلجأ الى فكرة الرسول الحكيم فى الاستعداد « فى صانع يحتسب فى صنعته الخير » هذه الفكرة التى كانت قد تاهت ثم وجدت فى قوله صلى الله عليه وسلم فلا يكون صانع الاسلحة محتسبا فى صنعته الشر كصانع النوويات اليوم .

ومن أروع المطابقات أن يتفق ما احدثه العلم اليوم مع ما جاء فى السمعيات التى وصفت الملك صاحب الصور بأنه قد التقمه ثم القى بأذنه الى العرش ليسمع متى يؤمر وكأنما يمثله اليوم حامل قنبلة نووية يصغى بسمعه فى طائرته أو قاعدته الى مذياعه يتعجل يوم القيامة وينفخ فى الصور .

وفيما لو وقع القتال بين طائفتين من المسلمين ، قد بغت احداهما على الاخرى ـ وقد توقع القرآن حدوث ذلك ـ فقد شرع على بن أبى طالب فى ندائه اثر وقعة الجمل وفى وقعة صفين أن لا يجهز على جريح ولا يتبع مول ولا يطعن فى وجه مدبر ولا يقتل أسير ، ولم يأخذ من متاعهم شيئا ، وكان هذا نفسه نداء مؤذن النبى يوم الفتح ، وكان نفسه فى حروب الردة كلها .

وقد فرضت الشريعة الاسلامية للاسرى من الجانبين حقوقا : فأوجبت التعجيل بمفاداة أسرى المسلمين وكان عمر يقول : لان أستنقذ رجلا من المسلمين من أيدى الكفار احب الى من جزيرة العرب . ولعل المنصور العباسى الدوانيقى قد نسى ذلك حينا فلم يفاد أسراه من الروم فصرخ فى أذنه الاوزاعى البيروتى وكتب اليه يعظه بقول الرسول وفعلته فاسرع الى بذل الفداء .

وأما أسرى الاعداء فقد أوجبت الشريعة الاسلامية معاملتهم بالحسنى من الاطعام والالجاء والحماية حتى يحدث المن أو الفداء .

قسم الغنائم :

فيما سمى اليوم بميزانيات الدول تحصل الجيوش ومصانع الاسلحة وعمالها على نسبة ضخمة من المال . وتبلغ الفتنة بالجهال مبلغا كبيرا من التعسف فى نقد ما ينفق على الاستعداد للحرب ، حتى لو احتسب العمال فى صنعتهم الخير . ولكن هذا النقد ما لم يرتفع الى مناصرة السلم العالمى فانه يكون هراء وجعجعة ، ففيما فرض الاسلام للمجاهدين من المال ما يكاد يكون كل المال الذى تملكه الدولة ويملكه الافراد وذلك على ديمة واستمرار ثم يضاف اليه احيانا مايجىء من غنائم الفتوح .

ولم يكن الاستعداد للحرب ممكنا منذ اول الامر الا والدولة تهب له كل القوى وتحشد له الآلات والذخيرة وتطورها وتعد له أكفل

المؤونة ، وكانت المدينة تشهد قبل كل غزوة للنبى ازدحام الخيل والرجال والسلاح بما يورك القادم الغريب لاول وهلة أن معركة توشك أن تدور رحاها اليوم أو غدا ، وقد لا تكون الا بعد عام .

وكان لا بد فى مقابل ما ينفقه المتطوعون من نفوسهم وأموالهم لاعلاء كلمة الدين أن يكون تعويضهم عند الانتصار مجزيا ، ففرض الاسلام لهؤلاء اربعة أخماس الغنائم ، ولايخفى أن هؤلاء المحاربين كانوا فى الغزوات الاولى وحروب الفتوح كل رجال المسلمين وشبانهم، ولم يسمح لاحد بالتخلف عن التطوع الا من عجز أو كان صبيا اذ رد النبى فى غزوة بدر كل من لم يبلغ الحلم ، ولم يجازف باختراق هذا الحد ويجند الصبيان فى الاسلام غير الحجاج بن يوسف فى جيش بلال الضبى الذى سمى جيش « ببى » ومع ذلك فقد تمكن هؤلاء الكشافة من اختراق القلاع والحصون.

ولم يكن لاحد من الجند أن يستولى فى ميدان القتال أو دور الحرب على نصيبه من الغنائم او يبيعه لاحد ، وانما تنقل كلها الى دار الاسلام ثم يستصفى منها ما لا ينقسم لئلا تثور حوله الاطماع فيكون للنبى باختياره قبل القسمة كالسيف والفرس والجارية ولو لم يحضر القتال وكذلك ما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكان يستصفى نصفه للرسول وضعفاء المسلمين كما كان فى فدك أيام الرسول ، ثم تصيب الاخماس الاربعة كل من اتصل بالمعركة بسبب من المحاربين وأهل الديوان وصناع السلاح والخيل التى حاربت تحت الفرسان .. ثم سقط حق الاستصفاء عن كل رئيس بعد الرسول .

والمعروف أن هؤلاء الجند لم تكن لهم مناصب فى الدولة يتقاضون عنها مرتبات ، ولعل الرواتب كانت تغير النظام الذى جرت عليه قسمة الغنائم ولكنهم كانوا جميعا من المطوعة الذين فرض عليهم أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله .

وربما ثبت فى الغنائم حق للمقاتله فى حرب لم يحضرها كما حدث فى الحروب الاولى ذات الدفاع عن العقيدة أو نشرها ، ومثل هؤلاء من نسميهم فى عصرنا بالمحاربين القدماء وابنائهم ، وكانوا يدعون قديما بذى السابقة ، فكان يقسم منها من تجهزوا لمعركة سابقة ثم لم يخوضوها ، وكذلك على الضعفاء الذين شردوا من ديارهم ، ومثل هذا حدث فى غنائم خيبر فانها قسمت الى الف وخمسمائة سهم وثمانين سهما منها لاربعين كانوا مع جعفر بن أبى طالب بأرض الحبشة والباقية للباقين الذين شهدوا بيعة الحديبية وصلحها مع رسول الله .

وخمس الغنائم الذى كان لمن سماهم الله فى كتابه لله ورسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقد صار يتحول فلم يثبت حق الرسول وحق ذوى القربى على حال : فجعل الاول حينا للخلفاء والثانى لذوى قرباهم . ولم يثبت للثلاثة الآخرين ان صارت لهم تجارة أو مال وكذلك اذا قعدوا عن القتال بغير عذر مقبول . وعلى خلاف بين أبى الخطاب وابن عباس أمضى عمر رأيه فى انفاق حق القربى فزوج منه ايامى النساء وقضى حق الغرماء وأخدم الضعفاء ، ثم رده عمر بن عبد العزيز والفقهاء عليهم . ولم يفعل ابن الخطاب ما فعل الا فى آخر سنة من خلافته حين رأى غنى أهل البيت وارتفاعهم عن الحاجة . وحين توالى الخلاف وتفرقت الآراء حول سهم الرسول وذى القربى أجمعوا على أن جعلوها فى الاستعداد والسلاح . وكأنه لم يثبت وجه واحد فى توزيع الغنائم فصرفه رئيس الدولة حسبما كانت الحاجة ووقع الاضطرار ، وما من شك فى ان هذا قد مهد الطريق للرأى ، فاذا تولت الدولة رفع الضيم عن المحاربين بما تفرض من الرواتب والمعونة والهبات والمكافآت حل لها أن تصرف ما يأتى من الغنائم كله الى الاستعداد والسلاح ورواتب الجند ونفقات الديوان .

وحق المؤلفة قلوبهم الذى عطله عمر بن الخطاب فى عهده من الغنائم لم يكن جورا على التشريع وانما كان وضعا له حينا فيما يليق، فاذا بدا للحاكم العدل ان يعيده لضعف اصاب المسلمين فان له ان يعيده ولاخلاف بينه وبين عمر لو أعاده . ولعلنا اليوم نراه من اوجب الواجبات لما صارت اليه حال المسلمين .

الجزية والخراج :

ولسنا نسلك فى بحثنا هذا مسالك الفقه الذى يتتبع الاجزاء والتفاصيل ويهتم بتدوين الفروق والخلاف ، فان ذلك قد دونه الائمة الاقدمون تدوينا بالغ الدقة والصدق ،ولكننا نكتفى بذكر ما يتصل منه بفكر الحضـــارة الاسلامية التى تهدف أن يتبين القارىء ما كان به من تعال وسمو ، وقد لا نجاوز آراء القرآن والحديث وعمل الراشدين الا قليلا مخافة ان يظن أن بعض الانظمة التى سنها بعض ولاة الجور كانت من الاسلام .

واول ما يقرع الظنون ان الجزية والخراج على الرءوس والارضين كانت مضروبة عـلى كل الأوطان التى فتحها الاسلام من قبل فتحة وسواء أكانت محكومة بأهلها كأرض فارس تحت الساسانيين او بالمستعمرين الغـرباء كسورية ومصر تحت الرومان ، ولم تكن الجزية التى فرضها الاسلام على رءوس الذين خضعوا للصلح ولم يسلموا كتلك التى كانت ما قبل وان كان الاسلام قد وسم دافعيهـا بسمة الصغار ، ولعل هـذه التسمية لان الاسلام لم يفرضها على جملة جملة دائما وانما فرض ان يسبقها احصاء الرءوس ودقـة البحث لئلا يفر احد قادر من أهل الذمة منها او يظلم احد غير قادر منهم بوضعها عليـه ، وكان على المحصين ان يدركـوا الآبقين فى الاماكن التى ابقوا اليها ليؤدوا ما صار عليهم فى سنوات الاباق .

ويهود الشام وحمص الذين كانوا أهل ذمة للنصارى يؤدون اليهم الخراج كانوا اكثر فرحا بتأدية الخراج للمسلمين ، ولذا فقد دخلوا معهم فى صلح المسلمين ليرفعوا عن كواهلهم أثقال القديم .

وقد تصـور انزه الكتاب أن رفع جزية الراس عن الذى يسلم كانت من الاسباب فى اقبال الناس أفواجا على الاسلام . وتصور من لم ينصف أن الدخول فى الاسلام كان بالقهر والارغام . ونسى هؤلاء وهؤلاء ان رفع جزية الرءوس عن الضعفاء والمرضى والاطفال والنساء والرهبان ــ الا الذين لجئوا كذبا الى الرهبنة فرارا من جزية الراس ــ انما كان سببا عرفت منه الرحمة فى دين الفاتحين .

وضرب الخراج على الارض ثم على أهـل الكسب فى المدن وتحديد وقته بالحصاد او تمام العام كان لئلا يرهق الخراج ارضا ولا كسبا ولكنه لم يكن ليسقط بالاسلام كمـا تسقط الجزية لانه حق واجب فى المـال تحت اى نظام تتخذه الدولة ، وانما خففـه الاسلام بعض التخفيف .

وما لم يستطع المجند المسـلم ان يحمى النواحى التى يفترض على نفسه حمايتها فى شروط الصلح فقد كان عليه ان يعترف بهذا العجز فيرد ضرائب الجـزية والخراج الى دافعيها لأنه لم يفتح البلاد للنهب وانما فتحها لتستقر فيها العدالة ويأمن الناس .

والحماية كانت حمايتين : حماية من جند المسلمين أنفسهم أن يعتدى أحدهم على منسك من هذه المناسك ، وحماية من عدو مغير يسقط معه لو انتصر كل سلطان للاسلام ، فكان يرد على البلد كل ما كان قد أداه من جزية او خراج .

وقد ردت ضرائب حمص ودمشق الى أهلها حين انتصر هرقل فى بعض حروبه على العرب بينما لم يعفها هرقل قادما أو هاربا ، فكان رد الضرائب جمـلة للاهلين سببا فى انضمام أهل البلدين الى العرب ضد الروم ثم الدخول فى الدين الجديد .

الرغبة فى السلام :

وفى خارج الجزيرة العربية لم يعقد الاسلام صلحا مع الحكام الساسانين والروم لان

الأولين فروا عن أراضيهم والآخرين كانوا غرباء وما جاء الاســـلام الا ليخلص الارض من مستغليها ومستعمريها ، فلم ير ان يمد يده بالصلح الى هؤلاء أو هؤلاء ، فلا شأن لهم ، وانما الشأن لاهل البلاد الاصلاء ، ولذا فقد عقد الاسلام صلحا مع أهل مـــدن فتحت فى الشام ومع القبط أنفسهم فى مصر وعليهم المقوقس القبطى ولم يعقد قط صلحا مع الرومان فى شأن تلك البلدان ، وكان هذا سببا آخر فى اقبال أهل البلاد الأصلاء على الاسلام واستقراره فى بلادهم .

وأهم ما كان يعقب المعركة الحربية الاسلامية المنصورة أو المهزومة انما هو صلات المسلمين بمن حاربوهم أو وقفوا منهم ومن عدوهم على حياد ، أما هؤلاء فقد حرم علـى المسلمين أن يصيبوهم بأذى . ومخافة أن يصيب أهل ذمة الصلح اذى لو كانت منازلهم فى طريق الزحف ، أمر عمر قواده ان لا يأذنوا بدخول ديار هؤلاء الا لمن وثقوا فى امانته ودينـــه ، وذلك لئلا يهيجوا عليهم القلوب ويكـــدروا النفوس .

واما أولئك فان كان الله قد اظفرهم بهم خيروهم بين اثنين : الاسلام أو الجزية ، وان رجعوا عن المعركة منهزمين أنفـــذوا شروط الصلح مهما كانت الشروط مثقلة فلا بد من الوفاء ، وصلح الحديبية أول مثل ضرب فى الاسلام خضع فيه المسلمون لشروط جائرة وكان الصبر عليها كفيلا بالخروج منها من قريب .

واسلام العدو الذى يهبه على الفور كـــل حقوق المسلم كان مثلا للمساواة بين الغالـــب والمغلوب التى تدهش لها عقول من يعرفون شراسة الاضطهادات الدينية التى ارتكبها أهل الاديان الاخرى فى كل العصور . واباء العدو الاسلام لا يكلفه غير الجزية والخراج الا اذا كان من أهل الردة أو من عبدة الأوثان فليس عليه سبى ولا جزية وانما كان القتـــل او الاسلام » .

وقد شوهد أن مجاورة الذمى للمسلم فى البلد المفتوح صلحا أو عنوة ومزاولة التجربة بالرفق وحسن الجوار ومصاهرة العرب لاهل الذمة ، كانت كلها دوافع قوية لاسراع اهل الذمة الى التخلص من حال دافعى الجزية الى الارتفاع الى مكان المسلم فدخلوا فى الاسلام افواجا » .

وقد عمل قانون الجاذبية ـ الذى يعمل عملا ظاهرا فى المادة ـ نفس العمل فى الروح وفى السلوك ، فقد تم لبعض اهل الذمة أن كانوا فى سلوكهم اســـلاميين حين انطبعوا بالجوار على الخـــير والمعروف وبقوا على سلوكهم الشريف ، بل شاركهم الذين تأثروا بالاسلام من بعد بتبادل الدراسات والتجارة والرحلات حين أحسوا بالتسامح الاسلامى الذى يقول فيه « ارنست رنيان » ، لم يظهر قط فاتحون بالغوا فى التسامح والحلم نحو المغلوبين كما صنع العرب ، وليس يطعن فى ذلك الامر بشد الوثاق على الكفار بعد اثخانهم الذى أوصى به القرآن ، اذ لايراد منه الارهاق وانما احكام شروط الصلح ، ولا يكلف فـــوق طاقته عدو مقهور .

وقـــد يظهر غير مقبول لأول وهلة ، ولكن من يرى الدعـــوة للاسلام أو الجزية تسبق القتال ، ويرى الحث علـــى تسكين الهياج ومسالمة المحايدين ، ويرى الاوامر المتكررة فى القرآن بالوفاء بالعهود وعدم نقضها ، ويرى الأمر بالجنوح الى السلم فور جنـــوح العـــدو له ويرى الوصـــايا بالتـــزام جانب الاعتدال والتخفيف من شروط الصلح ـ كل من يرى ذلك تذهب عنه أول وهلة ويستيقن أنه ليس أعطف على السلام من الاسلام ، وقد صارت المدينة حرما آمنا حرمها النبى كمـــا حرم ابراهيـــم مكة لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا يحمل فيها سلاح للقتـــال ، لان فتح المدينة كان أفضل الفتوح : لقد فتحت بالدعوة دون اراقة دم أو لفحة عناد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يفتح من مصر او مدينة عنوة فان المدينـــة فتحت بالقرآن » .

ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين بعض الخلافات حتى تستلفت النظر

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الفصل السابع

بيان بعض أسباب هذه الخلافات

١ - منها غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير النبى - صلى الله عليه وسلم - من التشدد فى الدين ، وعن حثه على التيسير على الناس عملا بقول الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » آية ١٨٥ من سورة البقرة ، و « لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » آية ٢٨٦ البقرة و« وماجعل عليكم فى الدين من حرج » آية ٧٨ من سورة الحج ، وقال صلى الله عليه وسلم فى ذلك : « بعثت بالحنيفية السمحة » وجاء فى البخارى « فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : يسروا ولا تعسروا ، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس » عن أبى موسى الأشعرى قال : لما بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل الى اليمن قال : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا » . وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ، وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : ان أعرابيا بال فى المسجد فثار عليه الناس ليضربوه ، فقال لهم النبى - صلى الله عليه وسلم : « دعوه وصبوا على بوله دلوا من ماء، فانما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين » .

واذا نظرنا الى ما فعلـه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع هذا الأعرابى الجلف الغريب عن آداب الاسلام ، نرى أنه فضلا عما فيه من الرفق برجل لا زالت تغلب عليه البداوة ، فانه أيضا أحفظ للمسجد من أن تنتشر فيه النجاسة لو أزعجوه ، وهو لا يزال يبول .

وروى البخارى أيضا فى « باب الاستعانة فى الصلاة » عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه أنه صلى يوما وكان مع أصحابه فى غزوة ، وكان لجام فرسه فى يده ، فجعلت الفـرس تجذبه الى الأمام ، وجعل هو يتبعها ، فلمـا فرغ من صلاته سألوه عن عمله هـذا فقال : **انى غزوت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبع غزوات ، وشهدت تيسيره ، وانى ان كنت أن أرجع مع دابتى أحب الى من أن أتركها ترجع الى مكانها الذىألفته ، فيشق على رجوعى بدونها .**

ومعنى قول أبى برزة « وانى ان كنت أن أرجع .. الخ » أى وانى ان كنت راجعا الى منزلى مع دابتى فذلك أحب الى من أن أتركها ترجع الى ما ألفته من البيت وأرجع أنا بدونها، فيشق على ذلك .

قال الحافظ بن حجـر فى شرحه لهـذا الحديث ان أبا برزة كان وهو يصلى ممسكا بزمام فرسه ، فنازعته متجهة الى جهة القبلة ببطء ، فكان يلاحقها ، فمشيه معها لم يكن كثيرا ، بل عمـل يسير ليس فيه استدبار للقبلة ، فلا يضر .

ويوضح هذا أن الحسن بن على ـ رضى الله عنهما سئل عن رجل يصلى ودابته بجواره ، فرآها بدأت تتحرك ، فخاف أن تذهب ، فقال الحسن : يتوجه اليها ليحفظها ، فقيل له : أفيتم صلاته ، ولا يعيد ما مضى منها ؟ فقال : اذا ولى ظهره القبلة استأنف صلاة جديدة ، أى واذا لم يستدبر القبلة فانه يتم صـلاته على ما مضى منها .

قال قتادة : اذا كان رجل يصلى ، ورأى رجلا يأخذ ثوبه فانه يترك الصـلاة ويتبـع السارق .

وروى البخارى فى كتاب الحج عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يسأل يوم النحـر بمنى فيقول لكل سائل : لا حرج ، سأل رجل فقال : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : اذبح ولا حرج ، وقال رجل : رميت بعد ما أمسيت ، فقال : لا حرج ..

وعن عبد الله بن عمـرو بن العـاص أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف فى حجة الوداع فجعلوا يسألونه فقال رجل : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : اذبح ولا حرج ، فجاء رجل آخر فقال : نحرت قبل أن أرمى ، فقال : ارم ولا حرج ، فما سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يومئذ عن شىء قدم أو أخر الا قال : افعل ولا حرج ، وعـدد بعضهم الأشياء التى سئل عنها صلى الله عليه وسلم حتى أوصلها الى ٢٤ صـورة : الحلق قبل الرمى ، والحلق قبـل الذبح ، والذبح قبل الرمى ، والافاضة قبل الرمى ، والافاضة قبل الحلق ، والرمى والافاضة معا قبل الحلق ، والافاضة قبل الذبح ، والسعى قبل الطواف.

تنبيه : أليس فى هذا دليل على أن كل فعل طلب من المكلف ولم يرد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شىء يحـدد كيفيته ، أو ترتيب بعضه على بعض ، يكون الأمر فيـه واسعا يفعل كل مكلف ما يغلب على ظنه انه هو المطلوب ، ولا حرج عليه بعد ذلك ، لأنه لو كان غير ذلك لوجب على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبينه للناس .

٢ ـ ومن أسباب هذه الخلافات أيضا عدم عناية المتأخرين بالتحرى عن ظروف كثير من أوامره صلى الله عليه وسلم وارشاداته ، هل المراد منها أن تكون تشريعا عاما دائما ، أو خاصا ببعض الناس دون بعض .. أو ببعض الظروف دون بعض .. وقد يكون لها قيـود وملابسات لا يعمل بها عند عدمها .

من ذلك ما رواه البخارى عن النبى ـ صلى الله وسلم ـ أنه نهى عن ادخار شىء من لحوم الأضاحى أكثر من ثلاثة أيام ، فلما جاء العام الثانى ، وتحدث الناس عن عدم الادخار ، قال

لهم صلى الله عليه وسلم : « كلوا وادخروا ما شئتم ، وانما نهيتكم فى العام الماضى لأنه كان بالناس فيه مجاعة ، فاردت أن تعينوهم فيها» .

وروى البخارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه - أنه نهى فى زمن خلافته عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام ، فظن بعض العلماء أن عليا فعل ذلك ليكون التشريع الدائم هو عدم الادخار ، ورد ذلك الحافظ بن حجر وقال : « انه رضى الله عنه انما نهى لأنه رأى أن بالناس مجاعة فى العام الذى نهى فيه » .

فلاحظ رضى الله عنه المعنى فى نهى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

فاذا حصلت مجاعة حرم الادخار ، بل قال بعض العلماء : اذا لم ترتفع المجاعة الا ببذل لحوم الأضاحى كلها فى يوم أو يومين ، يمتنع الادخار لأكثر من ذلك ، واذا لم تحصل مجاعة جاز الادخار ، وأصبح الناس أحرارا .

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم ، كما أخرجه البخارى ، لمن أراد قضاء الحاجة فى الخلاء من أهل المدينة : « شرقوا أو غربوا » قال الحافظ : حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم هذا على عمومه ، لكل الناس فى كل الجهات ، وهذا خطأ وغفلة عن حكمة هذا الأمر وظروفه ، وسبب هذا الخطأ هو الجهل عن حكمته ، فلذا وقع فى خطأ ظاهر لأنه ارتكب المحظور الذى أراد صلى الله عليه وسلم تفاديه بتوجيه الخطاب لأهل المدينة ومن كان على سمتها ليجتنبوا استقبال القبلة أو استدبارها ، وقت قضاء الحاجة فى الخلاء ، اشعارا لهم باحترام الكعبة ، لأن وضعها بالنسبة لهم فى الجنوب .

فاذا أخذ الأمر على ظاهره من العموم ، وشرق من كان بمصر أو غرب من كان فى نجد مثلا ، فانه يستقبل الكعبة ، وهذا هو الأمر المنهى عنه .

٣ - ومن أسباب الخلاف أيضا غفلة كثير من العلماء عن أنه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يجيب السائل ، أو يأمر الرجل بما يناسب حاله هو ، وقد لا يناسب غيره .

روى البخارى عن أبى أيوب الأنصار أن رجلا قال للنبى - صلى الله عليه وسلم - : أخبرنى عن عمل يدخلنى الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، **وتصل الرحم** » .

وأخرج البخارى فى التاريخ عن رجل من قبيلة قيس يدعى ابن المنتفق ، قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات ، فزاحمت عليه حتى وصلت وأخذت بزمام راحلته وقلت : شيئين أسألك عنهما ، ما ينجينى من النار ؟ وما يدخلنى الجنة ؟ فنظر صلى الله عليه وسلم الى السماء ثم أقبل على بوجهه الكريم ، وقال : « لئن كنت أوجزت المسألة فقد أعظمت وطولت ، فاعقل ما أقول : أعبد الله لا تشرك به شيئا ، وأقم الصلاة المكتوبة ، وأد الزكاة المفروضة ، **وصم رمضان** » .

وورد فى هذا الباب أحاديث كثيرة صحيحة .

سأل رجل النبى - صلى الله عليه وسلم - أى الأعمال أفضل ؟ فقال له : « **الجهاد فى سبيل الله** » . وسأله رجل آخر هذا السؤال نفسه فقال له : « **بر الوالدين** » . وسأله ثالث فقال « **كف الأذى عن الناس** » وقال لآخر « أفضل الأعمال **الصدقة على الفقراء** » .

قال الحافظ بن حجر : ويؤخذ من مثل هذه الأحاديث تخصيص بعض أعمال الخير بالحث عليها بحسب حال المخاطب ، وحاجته للتنبيه اليه أكثر من غيره ، فالذى يخشى عليه من الجبن يوصيه بالجهاد ليحارب فيه الجبن ، والذى يقطع رحمه يوصيه بوصله ، لينقذه من خطيئته ، وهكذا ..

فهو صلى الله عليه وسلم كالطبيب الذى يصف لكل مريض الدواء المناسب لمرضه ، ولكن قصار النظر يأخذون الأمور على عمومها

وظواهرها ، فيقعون فى ورطة من التناقض لا يستطيعون الخروج منها •

ولعل عدم يقظة كثير لما يريده صلى الله عليه وسلم من أوامر وارشادات ، هو السبب فى أن عمر بن الخطاب كان يوصى ولاته بعدم الكثرة من الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم •

فقد جاء فى سيرته أنه كان اذا ولى الولاة يوصيهم قبل سفرهم ، ومما كان يقوله لهم : انى لم استعملكم على أمة محمد لتضربوهم ، أو تذلوهم ، وانما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، أوصيكم بقلة الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم•

يريد رضى الله عنه أن ذلك قد يجر الى خلاف بين الرواة لأن كل راو قد يروى خلاف ما روى غيره ، وليس فى الأقاليم من العلماء الكبار من يرجع اليهم لبيان الصواب(١) •

٤ ــ ومن أسباب هذه الخلافات أيضا اغترار كثير من المتأخرين بما نقل اليهم عمن سبقهم من دعوى الاجماع فى مسائل ليست فى الواقع ــ عند التحرى ــ محل اجماع ، وكان اغترارهم هذا سببا فى تعصب **كل لما نقل اليه وفى** تسهيل العيب فيمن خالفه ، بل ربما طعن فيه بدون حق •

من ذلك ما حكاه الحافظ بن حجر من اختلاف العلماء فى وقت المعراج •

فقيل قبل الهجرة بسنة ، وبذلك جزم النووى ، ونقل ابن حزم **أنه مجمع عليه** •

وذلك مردود بأن فيه خلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال •

منها ما قيل أنه كان قبل الهجرة بثمانية أشهر ، وقيل بستة وقيل بأحد عشر شهرا ، وقيل بسنة وشهرين ، وقيل بسنة وثلاثة أشهر وقيل بسنة وخمسة أشهر •

وقيل قبل الهجرة بخمس سنين الخ •• فكيف بعد هذا الخلاف الواسع يقال أجمع العلماء على أنه كان قبل الهجرة بسنة واحدة •

(١) أنظر ما يأتى فى بند (٦)

ومن ذلك ما رواه البخارى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يرفع يديه حذو منكبيه اذا افتتح الصلاة ، واذا كبر للركوع ، واذا رفع رأسه من الركوع الخ •

قال الحافظ بن حجر قال النووى فى شرحه على مسلم : **أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين** عند تكبيرة الأحرام •

ثم نقل عن داود وأحمد بن سيار من علماء الشافعية أنهما يقولان بوجوب رفع اليدين عند تكبيرة الأحرام ، ونقل عن مالك فى رواية عنه أنه لا يستحب رفع اليدين هذا •

ثم قال الحافظ : ومن العجيب بعد هذا الخلاف الواسع أن يقول النووى فى شرحه على المهذب ، وعلى مسلم أن العلماء **أجمعوا على استحبابه** ، فاين الاجماع على الاستحباب ، وعلى عدم الوجوب مع ثبوت مخالفة هؤلاء العلماء •• ؟

ومن ذلك ادعاء بعض العلماء **الاجماع على أن المأموم** الذى يدرك الامام راكعا تحسب له ركعة ، وقال فى ذلك الحافظ بن حجر فى شرحه على البخارى أن من أدرك الامام راكعا لا تحسب له ركعة ، وهذا هو الذى استقر عليه الاتفاق ، وقال به بعض الصحابة وجماعة من التابعين وغيرهم ، واختاره ابن خزيمة ، وأبو بكر الضبعى ، وغيرهما من محدثى الشافعية ، وقواه تقى الدين السبكى من المتأخرين •

وتمسك هؤلاء بحديث البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة ، ومعنى هذا أن من أدرك أقل من ركعة لا يكون مدركا لها ، وأيضا قراءة الفاتحة من حقيقة الركعة ومقوماتها ، وقد فاتت المأموم •

ثم قال والعجيب ممن يدعى الاجماع على حسبان الركعة لمن يدرك الركوع فقط مع مخالفة مثل هؤلاء العلماء الكبار •

٥ ــ ومن أسباب هذا الخلاف تشديد بعض العلماء فى المندوبات والمواظبة عليها حتى

اعتقد بعض العامة أنها واجبة يأثم الانسان بتركها ، وكثيرا ما ثاروا على من يتركها ، وربما ألحقوا به أذى بدون حق .

قال الحافظ بن حجر فى شرحه على البخارى فى « باب ما يقرأ فى فجر يوم الجمعة » اختلف العلماء فى تعليل كراهة مالك لقراءة « سورة السجدة فى صبح يوم الجمعة » وعللها بعضهم بخشية اعتقاد العوام أنها فرض، وقال ابن دقيق العيد أما القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث ، لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة « أى اعتقاد العوام وجوبها » فينبغى أن تترك أحيانا لتندفع، فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة . ودفع هذه المفسدة يحصل بالترك فى بعض الاوقات ، والى ذلك اشار ابن العربى بقوله : ينبغى أن يفعل المستحب فى الأغلب للقدوة ، ويقطع أحيانا لئلا يظن العامة أنه سنة .

وقال صاحب المحيط من الحنفية : يستحب قراءة سورتى « السجدة .. وهل أتى » فى صبح يوم الجمعة بشرط أن يقرأ غيرهما أحيانا لئلا يظن الجاهل أنه لايجزىء غيرهما.

وقال الشاطبى فى . «الاعتصام » : ان من عيوب المواظبة على المندوب أو المسنون أن يعتقد العامة وجوبه ، وقد حصل ذلك فى بعض البلاد ، فقد حكى القرافى عن بعض العجم اعتقادهم أن صلاة صبح يوم الجمعة ثلاث ركعات ، لأنهم لما رأوا كثيرا من الأئمة يلتزم قراءة السجدة فيها ويحافظ عليها اعتقدوا أنها ركن ، وعدوها ركعة ثالثة ، فصارت السجدة عندهم لازمة فى جزء من صلاة صبح يوم الجمعة ، ووجب أن تبطل الصلاة بتركها ، وهذا خطأ شديد .

ثم قال الشاطبى : وكذا شاع عند بعض العامة فى مصر أن صلاة الصبح ركعتان الا فى يوم الجمعة فانها ثلاث ركعات .

وسبب هذا الخطأ أنهم رأوا الأئمة يواظبون عليها ويسجدون لها ، فاعتقدوا أن تلك ركعة ثالثة واجبة (١) .

ومن هذا القبيل ما قاله الشاطبى من أن الامام مالك كره وصل صيام ستة أيام من شوال برمضان ، بعد يوم العيد مباشرة ، خوف أن يعتقد العامى أنها ملحقة برمضان فى الوجوب ، ويعدها منه .. قال القرافى : ان الذى خشيه مالك وقع ببلاد العجم فصاروا يتركون المسحرين على عاداتهم من ايقاظ الناس للسحور فى ليالى هذه الأيام الست كأيام رمضان تماما الى انقضاء هذه الأيام ، وبعد انتهائها يظهرون شعائر العيد ، وهذا ابتداع فى شرع الله تجب محاربته .

ومن هذا القبيل نهيه صلى الله عليه وسلم عن أن يسبق رمضان مباشرة بصيام يوم أو يومين من شعبان مخافة أن يعدها العامة من جملة رمضان لا يصح صومه الا بصومها .

ومن هذا ما جاء فى البخارى وشرحه لابن حجر فى « باب الانفتال (٢) والانصراف من الصلاة عن اليمين أو الشمال » قال عبد الله ابن مسعود : لا يجعل أحدكم للشيطان شيئا من صلاته ، يرى أن حقا عليه ألا ينصرف الا عن يمينه ، فقد رأيت النبى – صلى الله عليه وسلم – كثيرا ينصرف عن يساره ، قال الحافظ : وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا تارة ، وذاك أخرى ، وانما كره ابن مسعود التزام جهة اليمين مثلا خوف أن يعتقد العامة وجوب ذلك .. قال ابن المنير : والحديث يفيد أن المندوبات قد تنقلب مكروهات اذا رفعت عن رتبتها ، وذلك أن حكم التيامن فى كل شىء أنه مستحب فقط ، ولكن لما خشى ابن مسعود أنه اذا التزم يعتقد الجاهل وجوبه أشار الى كراهته لالتزامه .

---

(١) لا تعجب لقول الشاطبى هذا . فسترى صدقه وآثاره السيئة فى الفصل الثامن وهو الخاص بآثار الخلاف ونتائجه المحزنة .

(٢) قال الزينى بن المنير : جمع البخارى فى الترجمة بين (الانفتال) و (الانصراف) للاشارة الى أنه لا فرق فى الحكم بين الامام الذى يريد المكث فى مكان صلاته . ولكنه أراد أن يتحول بوجهه لاستقبال المأمومين ومن الذى يريد ان ينصرف بعد الصلاة الخاصة . والمعنى انه يجوز للاول ان يدير وجهه الى جهة يساره ، ويجوز للثانى ان ينصرف لحاجة من جهة يساره كذلك .

تعقيبات

عملا بحرية الرأى التى نادت بها « مجلة منبر الاسلام » تواصل نشر ما يرد اليها من رسائل السادة القراء التى تحمل تعليقات أو تعقيبات هادفة على مقالات السادة الكتاب ... وفى هذا الشهر وصلتنا ثلاث رسائل :

الأولى : من فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ردا على تعقيب الاستاذ قطب شلتوت الذى نشر بعدد جمادى الآخرة عام ١٣٨٤ هـ

والثانية من الأستاذ محمد ابراهيم شلتوت تعقيبا على مقال الأستاذ على الجندى « الزارخرافة » الذى نشر بالمجلة بعدد جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ .

والثالثة من الأستاذ عبد اللطيف بدوى تعقيبا على مقال « مالا يجوز فيه الخلاف » للأستاذ عبد الجليل عيسى .

وهذه هى التعقيبات :

السيد الاستاذ رئيس تحرير مجلة منبر الاسلام الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد اطلعت على (تعقيب) أخينا السيد الاستاذ قطب شلتوت على ما نشر من رسالة (ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين) فأحب أن أبين له :

ان هذا الخلاف الذى نشر فى المجلة انما هو فى الفروع لا فى الاصول التى يخشى سيادته الخلاف فيها .

وختاما أقول للأخ الاستاذ قطب شلتوت: مهلا ، مهلا ، فسترى فى الاعداد القادمة ما يريح ضميرك ، ويكشف هذا الغبار الذى نثره على وجه الاسلام الكريم الكثير من المتأخرين على غير قصد ، كما قلت فى المقدمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الجليل عيسى

سيدى الاستاذ الكبير محمد توفيق عويضة

تحياتى القلبية .. واعجابى :

وبعد :

فعملا بحرية الرأى التى تنادون بها من فوق « منبر الاسلام » أرسل لكم هذا التعقيب على موضوع : « هل ابليس من الملائكة أم من الجن ؟ .

لنشره فى مجلتكم ، ردا على مقال استاذنا الكبير (على الجندى) ، وانا على استعداد لمناقشة كل ما جاء فيه ، والرد على من يعترض .. هذا ما أرجوه منكم .

أخيرا .. أهنئكم على مدى النجاح الذى وصلت اليه مجلتكم ، كما أهنئكم على الروح الطيبة التى ناديتم بها وافسحتم صدركم لتقبل كل ما يرد اليكم من نقد ونشره .

والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد ابراهيم شلتوت
مدرس بالمنصورة
وعضو رابطة الشعر بالدقهلية

هل إبليس من الملائكة أم من الجن؟

كتب الاستاذ الكبير (على الجندى) فى مجلة (منبر الاسلام) الغراء ، عدد جمادى الآخرة ، مقالا تحت عنوان : (الزار خرافة)، ذكر فيه بعض التعريفات للجن ، والشياطين، والعفاريت ، ثم تدرج بعد ذلك الى (ابليس) ، ووقف عنده حائرا ، فمرة يقول : (انه من الملائكة ، من طائفة يقال لهم الجن) ، كما ذهب الى ذلك : ابن مسعود، وابن المسيب، وقتادة، وابن جرير ، والزجاج ، وابن الانبارى ، مستندين بقوله تعالى : « الا ابليس كان من الجن » أى من هذه الطائفة من الملائكة التى تدعى الجن ..!

ومرة أخرى يقول : (انه من الجن) مستدلا بقول سعد بن جبير والحسن البصرى : (لم يكن ابليس من الملائكة قط ، وانه أصل الجن ، كما ان آدم أصل الانس ، والاستثناء منقطع ..!

هذا ما نقله استاذنا الكبير عن العلماء فى ابليس واختلافهم فى أصله ،وحجة كل فريق .. لكنه عاد بعد ذلك فرجح الراى الاول حيث يقول : (والصحيح أنه كان من الملائكة . وأن الاستثناء متصل ، لانه لم ينقل أن غير الملائكة أمر بالسجود ، والأصل فى الاستثناء ان يكون من جنس المستثنى منه) ..

لكنه لم يسكت عند هذا الراى بعد ان اقتنعنا بانه لم يؤمر بالسجود غير الملائكة .. وابليس أمر بالسجود ، وعلى هذا فهو من الملائكة ..! بل هدم حجته هدما ، ونقضها نقضا ، حينما قال بعد ذلك : (والمشهور أن جميع الجن من ذريته) ثم يقول :(انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة ، لان الملائكة لا يتناسلون ، وليس فيهم اناث ، قال تعالى ـ ناعيا على الكفار اعتقادهم أنوثية الملائكة : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا، أشهدوا خلقهم ؟؟ » ..

وعلى هذا خرجنا من الموضوع بأن ابليس ليس من الملائكة ، لان الملائكة لا يتناسلون .. وخرجنا كذلك بأن ابليس ليس من الجن ، لانه أمر بالسجود ، ولم يؤمر بالسجود الا الملائكة . ولكل من الرأيين حججه الدامغة !

فمن أين اذن ابليس ؟؟.

هو هذا السؤال الذى لا شك قد حير غيرى من القراء كما حيرنى !

فالمعروف أن الملائكة أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون ، كما أن ابليس خلق من نار ، كما تحكى عنه الآية الكريمة : « خلقتنى من نار وخلقته من طين » وعلى هذا فابليس ليس من الملائكة مهما كانت الادلة والبراهين التى تقول بغير ذلك ، والتى نعتبرها واهية ، زد على ذلك أنه يتناسل وله ذرية والملائكة غير ذلك ، والآيات الدالة على ذلك لا تحصى ، ومنها : « الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟؟ » كما يشير قوله : « كان من الجن » الى انه ليس من الملائكة وان كان فيهم طائفة يقال لها الجن ، وانما هو من صنف آخر غير الملائكة اسمها (الجن) أحد الثقلين : الانس والجن .. والملائكة والجن صنفان مختلفان ، وليسا صنفا واحدا كما يدعى !

أما القول بأنه لم يؤمر بالسجود الا الملائكة، وابليس قد أمر بالسجود فهو من الملائكة ، فقول مردود من أساسه .. وكيف نجزم بأن الملائكة وحدهم هم المأمورون بالسجود ؟؟ أليس من الجائز أيضا أنه لو كانت هناك مخلوقات أخرى آنئذ أن تؤمر بالسجود ؟ .

فالمعروف أنه قبل وجود آدم كانت هناك مخلوقات موجودة ، منهم الملائكة ، وان الجن كانوا موجودين أيضا قبل آدم ، وهذا يفسر أن ابليس من الجن، كما انه من الجائز الا يكون هو الاب لهم ، كما تقول الآية : « الا ابليس كان من الجن » أى كان واحدا من أفراد الجن ، أما ابوهم الاصلى فهو (الجان) كما قال الصحاح : (والجان أبو الجن) ..وهذا

أيضا رد على من يزعم أن ابليس أب للجن ، كما ان آدم أب للانس ..!

ولم نلجأ للتأويل فنقول ان الجن طائفة من الملائكة ، ما دامت الآية صريحة كضوء النهار وتقول بكل قوة : « الا ابليس كان من الجن » الصنف المعروف ..؟

ودليلنا على أنه كانت هناك مخلوقات قبل آدم ، قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » ، وقد قال (النسفى) فى تفسيره ما نصه : (ولما خلق الله الارض أسكن فيها الجن ، واسكن فى السماء الملائكة ، فأفسدت الجن فى الارض، فبعث اليهم طائفة من الملائكة فطردتهم الى جزائر البحار ورءوس الجبال ، وأقاموا مكانهم) ، فالجن كانوا موجودين قبل آدم ، وقد افسدوا فى الارض ، فلما قال الله تعالى للملائكة : انى جاعل فى الارض خليفة وهو (آدم) وذريته ، ظنوا أنهم سيفسدون فيها كما أفسد الذين كانوا قبلهم وهم الجن ، لانهم كانوا معاصرين لهم فى الوجود على هذه الارض ..!

ومن هنا نعلم أن ابليس كان من الجن .. ونعلم انه كان موجودا مع ابناء جنسه من الجن زمن آدم .. بل ربما كان مخلوقا قبل آدم .. ونعلم أنه أمر بالسجود لآدم وان لم يكن من الملائكة ، بوصفه كبيرا فيهم أو رئيسا لهم ينوب عنهم .. وهذا لا يمنع ان يكون الاستثناء منقطعا كما تفيد الآية : « فسجدوا الا ابليس » ..

أما ان الاستثناء لا بد ان يكون من جنس المستثنى منه ، فذلك قول مردود أيضا ولا يقره علماء النحو ، فاذا قلنا : (قام القوم الا حمارا) فان الحمار بالطبع ليس من جنس القوم ، وانما هو صنف آخر من ذوات الأربع

والخلاصة :

١ – ان ابليس ليس من الملائكة لان الملائكة خلقوا من نور .

٢ – أن ابليس من الجن لأنه خلق من نار .

٣ – ان ابليس ليس هو الاب للجن كما ان آدم هو الاب للانس .

٤ – أن الاب للجن هو (الجان) كما قال (الصحاح) وليس ابليس .

٥ – أن ابليس أمر بالسجود بالنيابة عن بنى جنسه (الجن) بوصفه رئيسا لهم او كبيرا فيهم يمثلهم ..

٦ – أن الجن كانوا موجودين مع الملائكة قبل خلق آدم !!.

هذا ما اردت أن أعلق به على ما كتبه أستاذنا الكبير (على الجندى) راجيا أن أكون قد كشفت بعض الغموض ، والقيت بعض الضوء على هذه المسألة ، التى اثارت بعض البلبلة والاضطراب .. ولعلى قد وفقت للصواب .. وما زلت عند تقديرى لاستاذنا الكبير ، وشاعرنا العملاق ، الذى اتخذ ديوانه الشعرى من مكتبى مكانا لائقا ، ومن قلبى محلا ممتازا .. لانى من المعجبين به .. وعضو فى رابطة الشعراء بالدقهلية !

والله أسأل ان يوفقنا الى الصواب ، ويجنبنا الذلل فى كل ما نعمل ، ويقضى على ما فى كتبنا من الخلافات ، انه سميع مجيب .

محمد ابراهيم شلتوت

رأى واحد أحسن... ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

أحب أن أذكر أنى لست دخيلا فى هذا الموضوع ، فقد درست فى الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى ، ودار العلوم ..

وقمت بتدريس التفسير والحديث والفقه فى مدارس المعلمين مدة طويلة ،ولى ثلاثة كتب دينية فى التعليم الابتدائى والاعدادى والتربية الأساسية ، وأمسك عن ذكر أسمائها لئلا يعتبر

ذلك اعلانا لها ، وقد نفدت طبعاتها والحمد لله ..

هذه المجلة ...

أؤكد أنى لا أتملقها حين أقرر أنى وأولادى نترقبها فى مستهل كل شهر عربى ، ونعتبرها سراجا وهاجا ينير لنا الصراط المستقيم ، ونجد فيها غذاء روحيا .. وأعتقد أن آلاف المسلمين يترقبونها فى لهفة وشوق ، وأن أكثر موضوعاتها تترجم الى لغات اجنبية لينتفع بها المسلمون فى أنحاء العالم .. ممن حالت ظروفهم دون القوة فى اللغة العربية .

ما لا يسوغ فيه الخلاف

لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

قرأت هذ االبحث فى عدد الشهر الأسبق ورجحت أن الأستاذ يعرض رءوس مسائل ذاكرا فيها رأيا راجحا ويهمل الآراء الأخرى .

ولكنه ذكر ١٣ موضوعا ترددت فيها الآراء بين الحرام والسنة والمكروه منها ١ - سقوط الركبتين على الأرض قبل باقى الأعضاء عند النزول للسجود ثم وضع المصلى يديه على الأرض ، ثم جبهته ثم أكفه .. وهو وضع قليل الخطر ، فليست الصلاة تمرينات سويدية !.

ثم ذكر عنوانا آخر : ما يبطل العبادة عند قوم ولا يبطلها عند غيرهم ... ذكر تحته ٢٢ موضوعا وذكر آراء الأئمة فيها وراجع العنوان: ما يبطل ... وتصور تأثير هذه الصورة عند المستشرقين الذين يتعقبون أو يتلمسون مواضع النقد فى الفقه الاسلامى ...

وانظر ماقاله الأستاذ تحت الفصل الخامس « أخطر أنواع الخلاف » ثم قال « عمل يتردد الخلاف فيه بين أنه فرض لا تصح العبادة الا به ، أو هو حرام يعاقب على فعله ، أو مناف للعبادة تبطل به .

ولا أعرف ما هو الغرض من عرض هذه الخلافات الشديدة اختلافا غير متقارب أو متناقض متأرجح بين حرام ومطلوب وسنه ومكروه .

والمجلة ليست كتابا متخصصا يغوص فى أعماق الكتب ويقلب الآراء ويبحث العلل والأسباب ... وانما هى غذاء لذيذ الطعم طيب الرائحة ، سهل الهضم يقبل عليه المسلمون فى اغراء وتنسيق ..

الأئمة الأربعة

لا أريد أن أنقص قدرهم ، أو أقلل من جهودهم ، وهم وغيرهم كابن القيم وابن تيميه والأوزاعى .. ممن اجتهدوا ولهم أجورهم على اجتهادهم ، وليس من شك فى ان المسلمين أفادوا فى دينهم من هذا الاجتهاد ..

ولكنى ضد تقديسهم واعتبار آرائهم حجة ملزمة فى الفقه الاسلامى .. ولن امنع الاستفادة بآرائهم مع مناقشتها وترجيح الصالح منها ..

والمعروف أن أبا يوسف صاحب أبى حنيفة غير كثيرا من آرائه ومنها أن نجاسة فى الثوب قدر الكف تمنع الصلاة به .

ولما رأى أهل العراق واختلاطهم بماشيتهم عاد فقرر أن يعفى عن اصابة أقل من ربع الثوب فى جواز الصلاة به .

والامام الشافعى له مذهب قديم ومذهب جديد . والخلاف بينهما كبير ..

وأئمة الفقه ليسوا أعلى مقاما من الخلفاء الراشدين ، فهذا اعرابى يقول لأبى بكر : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف .

وهذا عمر حين يحدد المهور وتعارضه امرأة يقول أخطأ عمر وأصابت العجوز ..

وأنا واثق لو أن أئمة الفقه بعثوا الآن لكونوا مؤتمرا ناقشوا فيه المسائل الفقهية مناقشة تختلف كثيرا عن آرائهم السابقة .

ورحم الله شيخنا محمد مهدى حين سئل من طالب : ما مذهب سيدى الأستاذ ؟ فأجاب : **الكتاب والسنة** .

عبد اللطيف بدوى

استدراك وتصويب

درجات الطلاق في الإسلام

الدكتور احمد الحوفي

تنبهت أخيراً الى سقوط فقرات فى الطباعة من كتابى « سماحة الاسلام » الذى نشره المجلس « الاعلى للشئون الاسلامية » فأرجو تصويبها بالصفحة الثامنة والثلاثين هكذا :

١ - طلاق رجعى

وهو ما كان بعد الدخول حقيقة ، غير مقترن بعوض مالى تدفعه الزوجة ، وليس مكملا للثلاث .

ومن أحكام هذا الطلاق :

أ) ان ينقص عدد الطلقات التى يملكها الزوج ، فاذا طلق زوجته مرة ثم راجعها لم تبق له الا طلقتان ، وان طلقها اثنتين ثم راجعها لم تبق له الاطلقة واحدة ، لان الرجعة لا تمحو ما وقع قبلها من طلاق .

ب) يبقى قيد الزوجية ، وحل الاستمتاع ، لان الطلاق الرجعى يزيل الملك ولا يزيل الحل ما دامت العدة .

جـ) تجب على الزوج نفقة زوجته مادامت فى العدة .

د) يرث أحدهما الآخر ، اذا حدثت الوفاة فى أثناء العدة .

هـ) من حق الزوج أن يراجع زوجته بغير مهر وعقد ، وان لم ترض هى .

والاصل فى هذا قوله تعالى : **« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ، ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحا »** .

ويتبين من الآية الكريمة ان الرجل الذى طلق زوجته مازال يسمى زوجا ، ومعنى هذا أن الزوجية قائمة ، وله أن يستمتع بزوجته ، وأن يراجعها ما دامت فى العدة . وتكون المراجعة بالقول أو بالفعل .

والحكمة فى تيسير المراجعة بعد الطلاق الرجعى أنه قد يكون عن ثورة من الزوج طارئة يعقبها ندم وحنين الى استئناف الحياة الزوجية والى رعاية الاولاد ، أو يكون نتيجة لشغب الزوجة ، يعقبه أسف منها وحسرة وصفح من الزوج ، فصار من حقه ان يراجعها بغير عقد ومهر جديدين ، لعلهما قد اتعظا بالنذير الذى حدث فلا يتكرر الطلاق .

٢ - طلاق بائن صغير

هو ما كان قبل الدخول حقيقة ولو بعد خلوة صحيحة ، أو كان نظير مال تدفعه

الزوجة الى زوجها ، لتتخلص من عصمته ، وهو الذى يسمى خلعا .

ومن أحكامه :

ا) أنه يفصم رباط الزوجية ، ويقطع حل الاستمتاع بالمطلقة عقب وقوعه .

ب) تصير أجنبية عن زوجها ، فلا يرثها ولا ترثه ان مات احدهما فى أثناء العدة .

جـ) للزوج ان يستعيد المطلقة الى عصمته بعقد ومهر جديدين ، بغير حاجة الى زواجها بآخر .

وحينئذ تستأنف حياتها الزوجية معه بما تبقى لها من عدد الطلقات ، فان كان قد طلقها واحدة بقيت له اثنتان ، وان كان قد طلقها طلقتين بقيت له واحدة .

والاصل فى وصف الطلاق قبل الدخول بانه بائن قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا** » .

ونفى العدة يعين أن الطلاق بائن ، لان الرجعة لا تكون الا فى العدة .

على أن العدة التى تكون فى هذا الطلاق قبل الدخول حقيقة ولكن بعد الخلوة مشروعة للاحتياط لا لحل المراجعة .

واما الطلاق على مال فهو بائن لقوله تعالى : « **فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به** » والزوجة لا تفتدى نفسها بمالها الا فى طلاق بائن لا رجعة بعده الا برضاها .

وفى هذا الطلاق تضييق على الزوج اذا اراد مراجعة زوجته ، اذ انه لابد ان يعقد عقدا ، ويقدم مهرا ، فالزواج ناشىء وجديد .

وسبب ذلك ان التطليق قبل الدخول لا يبشر بحياة زوجية وطيدة وسعيدة ، وينبىء عن استخفاف وجرأة ، فكان من الضرورى اشتراط عقد ومهر ، ليتبين رضا الزوجة بهذه العلاقة ، وليكون فى هذا جبر وعلاج لما وقع .

وكذلك التطليق لقاء مال تقدمه الزوجة ويقبله الزوج دليل على ضيقها بعشرته، وعلى رغبتهما معا فى فصم العلاقة التى تربطهما ، فلا بد من عقد ومهر ، لتتضح رغبة الزوجة فى المراجعة ورضاها باستئناف العشرة ، وليرد اليها الزوج ما أخذه منها بعضه أو كله أو أكثر منه .

٣ - طلاق بائن كبير

هو الطلاق المكمل للثلاث :

وحكمه أنه بعد وقوعه يقطع الرابطة الزوجية ، ويزيل حل المراة المطلقة ، ويمنع التوارث بين الرجل ومطلقته . ولا يحل له أن يراجعها الا بشروط :

ا) ان تنقضى عدتها منه .

ب) ان يتزوجها غيره ويدخل بها حقيقة .

جـ) ان يطلقها أو يموت ، وتنقضى عدتها منه .

د) ان يعقد عليها مطلقها الاول عقدا جديدا ، ويقدم لها مهرا .

والاصل فى هذا قوله تعالى : « **فان طلقها - أى المرة الثالثة - فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » .

ولا شك أن التضييق هنا أشد من سابقه، واستعادة الحياة الزوجية هنا أعسر ، لان تكرار الطلاق دليل على تفاقم الخلاف وشدة التنافر ، واضطراب الحياة الزوجية اضطرابا يحتاج الى علاج حاسم .

ثم ان الرجل يأنف من أن يستعيد الى عصمته زوجته بعد ان تزوجها رجل آخر .

ويقتضى هذا أن يضبط نفسه ، ويتدبر امره ، ويفكر طويلا قبل أن يوقع الطلقة الاخيرة .

والعمل الآن بالمحاكم جار على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ الذى جاء بالمادة الخامسة منه : كل طلاق يقع رجعيا ، الا الطلاق المكمل للثلاث ، والطلاق قبل الدخول ، والطلاق على مال ، وما نص على انه بائن فى هذا القانون وفى القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ والذى نص على أنه بائن فى هذا القانون هو تطليق القاضى لسوء العشرة أو للغيبة . وفى القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ هو تطليق القاضى لعيب فى الزوج .

من توجيهات النبوة

دعوا الناس فى غفلاتهم

فضيلة الشيخ

عبد اللطيف السبكى

— ١ —

فى هذا الحديث دعوة للناس الى المسالمة فى رحاب الأمن الاجتماعى ٠٠ والى الحفاظ على مقامات الغير من تجريحها بقالة السوء ٠٠ والكف عن اثارة الظنون لمجرد التشنيع ، أو لغير غاية كريمة ٠

وكذلك فى الحديث توجيه الى ترك الطمأنينة الدينية فى نفوس الافراد والجماعة والابقاء على ما تعارفه الناس من أوضاع صحيحة ألفوها ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا دينيا من الركون اليها بعد أن تلقوها عن العلماء ، أو من مصادرها الوثيقة ٠

وكل محاولة لتحريك الناس من مستقرهم — دون مقتصد صحيح — فالخوف منها أن تكون مثار فتنة ، وان كان القصد منها بريئا فى أولها ٠

ومن أجل ذلك دعانا الرسول — عليه الصلاة والسلام — فى حديثه هذا ، وفى كثير غيره أن نغلق باب الفتنة ، ولو من أبعد مظانها ٠

٢ — ونحن فى مجتمعنا الحاضر نطرق أسماعنا — أحيانا — أحاديث شخصية تثير عند البسطاء قلقا على الأرزاق ، وسخطا على الحظوظ ، وتشاؤما من مستقبلهم المرتقب ٠٠ وهذه لهجات فئة متشائمة ، وطالما كان فى الدنيا متشائمون يعيشون بين القوم كما تعيش النائحة ، يطيب لها أن تثير الأشجان ، وتستأثر بالأسماع فيما يستفز المشاعر المطمئنة ، ولا يستقر خاطرها الا بما يهيج خواطر الغير ويبكيهم ٠

وهذه نزعات هدامة يجب أن نقاومها ، وألا ندع لها سبيلا الى نفوسنا ، لندرأ أثرها ولئلا يكون لها أثر فى بهجتنا بالحياة ، أو تأثير على نشاطنا فى المجال الدنيوى والدينى ٠٠ وقد علمنا الدين أن نكون مبشرين لا منفرين ، ونهانا عن بث روح البأس فى أسماع السامعين ، وحتم علينا ان تكون دعوتنا الى سبيل الله مقرونة بالحكمة ، والموعظة الحسنة فان هذا السخط فى التوجيه ليس رفقا بالناس ، والرفق وسيلة النجاح ٠ ومن قبيل هذا الرفق أن نحفظ على الناس طمأنينتهم الى ما استراحوا اليه من مسالك الخير ، فى ضوء الدين وتعاليمه ، وفى سياق العرف الكريم المستساغ فان من أشأم الشؤم ان تمتد هذه النغمات الشاذة الى ناحية الدعوة الدينية وأن تبذر فيها بذور التشكيك فيما استقر عليه الأمر ، ثم يتلو ذلك اتجاه الى التغيير فى أحكام الشريعة أو التحلل من بعضها طواعية للغرور ، وحب الشهرة ، حتى تطاول الى ذلك سيدات وجدن متسعا للتهريج العلنى فى شأن التشريع الدينى ٠

وقد وجدنا — أكثر من مرة — كتابا ، أو كاتبات — يقحمون أنفسهم فى مجال الفقه الاسلامى ، وهم بعيدون عن أفقه ، ويتورطون

عن جرأة – لا غير – فيعلنون أن الفقه الاسلامي لم يعد ملائما لعصرنا ، ويتبجحون – خاطئين – بأنه كان موضوعا لأزمنة سالفة .. وقياسا على زعمهم هذا نكون بحاجة الى تجديد الفقه الدينى كلما خطونا فى الحياة خطوة زمنية لنستطيع الأخذ بالتقاليد ، دون وقوف عند حدود الدين فيما أباح ، وفيما حرم ، وفيما رضى من أخلاق ، وفيما أنكر .

وفات هؤلاء المجددين ، أو هم يتجاهلون أن الفقه الاسلامى قائم على أصول سماوية من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وأنه وضع لنا متكفلا بكل ما تتكشف عنه الأزمان من تطور ، وان كل ما وردت به شريعة الله ، واشتملته الأدلة هو دستور الحياة الاسلامية فى عامة أحقابها المتنظرة . ولا يقال : ان هذا قديم ، ووراءه تجديد ، بل يتجدد الزمن فى ليله ونهاره ، وشريعة الله بيننا فى أفقها السمح ، وعلى ما عهد الله بها الى عباده .

نعم : فى غضون الزمن أحداث تطالعنا بها الأيام ، ومعاملات تخالف ما وقفنا عنده احيانا فى مفاهيم الأدلة أو فى تطبيقها ، ولكنها تشبه نظائرها المعهودة ، ولا تخرج عن نطاق التشريع العام فى دلائله ..

والمجال العقلى مفتوح أمام أهل العلم القادرين على البحث ، والتطبيق وحينئذ ، لا يضيق بنا السبيل ، ولا تتخلف الشريعة عن الحياة المعاصرة ، وما بعد المعاصرة .. وأصل التشريع – وهو الكتاب ، والسنة – كفيل بهدايتنا الى كل ما تقتضيه الحياة من شئون كما قلنا ، ولا يقال : ان هذا تجديد فى التشريع نجىء به ، وانما هو تطبيق ، دون نقض ، ولا تزمت ، ولا ابتعاد عن دين الله ، أما صيحات المجددين المجترئين على تشريع الله فانها همزات الشياطين ومن ورائها فتنة للبسطاء ، وتشكيك لهم فيما اهتدوا اليه ، وهدم لما استقام عليه تدينهم ولا يسوغ لهم أن يحسبوا تشريع الله كالقانون الوضعى يتغير مع الزمن .

(ج)

٤ – ومن هذه النغمات الفاتنة للناس عن دينهم مانشره – سابقا – عالم أزهرى فى المجلات ، وطبعه فى مؤلف جرىء : من فتواه بان الربا يكون حلالا لغير المضطر .. كمن يريد توسعة تجارته ، أو زراعته ، أو يؤثث بيته ، أو نحو ذلك من الرغبات .

وهذا كلام لم نعهده على لسان مسلم فى القديم ولا فى الحديث ، ولايتصل بشريعة الله من أى ناحية ، وانما هى أكذوبة على الله ، زينها الغرور ، ودفع اليها حب الشهرة .وقد أنكرناها فى حينها ، يوم كان صاحبها حيا ، ويستمد جرأته من سلطان وظيفته .

ولكنه بدلا من رجوعه الى الحق، أخذته عزته وصب علينا غضبه ، ثم لقى ربه بفتواه

وماكنا لنكتب فى هذا .. لولا أن كثيرا من الناس خدعوا بفتوى الشيخ الكبير يوم كان، وهم يترددون علينا بالسؤال عن هذا الحكم الذى ابتدعه من كان يقول به ..

ونحن نؤكد لهم من جديد ، وبشهادة علماء الدين فى الأزهر وفى غيره ، بأن حرام قطعا ، وأن الله سد بابه بنصوص قطعية فى القرآن ، وفى أحاديث الرسول ، واجمعت عليه الأمة الاسلامية ، وصار معلوما بالضرورة من الدين .

ولا يجنح الى الربا الا من يستهين بحكمه ... ونحن نحمد الله ، ونتفاءل خيرا باتجاه الجمهورية العربية الى التخلص منه بالتدريج وبقدر مايمكن من الوسائل المواتية ان شاء الله تعالى ، كما صنعت حكومتنا فى التعامل مع البنك الزراعى .

(د)

٥ – نقرأ فى مجلة منبر الاسلام فصولا شيقة ينشرها فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى وهى شذرات من كتاب تحت يده بعنوان « مالايجوز الخلاف فيه بين المسلمين » وهذا موضوع طريف جدير بالنظر فيه ..

ولا أريد تجريحا لفكرته ، ولا الحاقا لحديثه بما انكرته ، ففضيلة الأستاذ يذكر جمهرة من أمثلة الخلاف بين الفقهاء المجتهدين ، ويعتبر تلك الأمثلة ونحوها مما لايجوز الخلاف فيه بين المسلمين .

ونحن مع فضيلته فى أن الخلاف فى ذاته

غير محبب الى النفس ، وخاصة فيما يشعب الطريق على الناس فى عبادتهم .

غير أنا نقف من الأستاذ موقف الاستفهام فى هذا الباب ، لنطمئن الى مزيد من الصواب خاصة أن فضيلته اختار عنوانه « ما لايجوز الخلاف فيه بين المسلمين » وهو عنوان يشعرنا بخطأ داهم ، وقع فيه الفقهاء ،ووقعنا فيه وراءهم بالتقليد .

٦ - فمن الأمثلة أمور ذكرها الشيخ على انها مكروهة فى مذهب ، وهى سنة فى مذهب آخر ، كرفع اليدين عند تكبيرات الانتقال فى الصلاة .. وقراءة المأموم مايتيسر من القرآن بعد قراءته للفاتحة ، بل هذه حرام عند الحنفية .. وجلسة الاستراحة بعد السجدة الثانية فى الركعة الأولى ، والثالثة ، والتلفظ بنية الصلاة جهرا قبل تكبيرة الاحرام ... والصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام ، فى التشهد الأول .. والتعوذ قبل الفاتحة فى الركعة الأولى .. الخ .

وأمثلة ثانية ، تبطل الصلاة عند قوم ولا تبطلها عند آخرين : كالدعاء بعد التشهد الأخير بشىء من متاع الدنيا .. وتقدم المأموم على الامام .. وترك التشهد الأخير فى الصلاة والتسليمة الثانية من الصلاة .. وصلاة الجمعة قبل الزوال .. الخ .

وأمثلة ثالثة - تعتبر فرضا تتوقف على فعله صحة العبادة كما يحكى الشيخ : مثل رفع اليدين عند الركوع ، والرفع منه ... وقراءة المأموم للفاتحة خلف الامام فى السرية والجهرية .. الخ .

وهكذا من خلافيات كثيرة ذكرها فضيلة الشيخ عبد الجليل ، ووعد بايراد غيرها من أبواب الكتاب وبنوده فى مقالات آتية :

٧ .. ونحن نحمد الله على أن الخلاف بين الفقهاء لم يكن فى العقائد ولا فى أصول الأحكام التى ثبتت بالأدلة القطعية .. وانما كان فى فروع اجتهادية ، وردت بها ادلة ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة ، فتعلق بها اجتهاد المجتهدين لاستنباط الحكم من بين الاحتمالات المتعددة

فمثلا : اذا ورد نص ايجابى يقيد الوجوب أو الندب كالأمر بتوثيق الدين والاشهاد على البيع : وجدت بعض الفقهاء يأخذ بظاهره فيحتم كتابة الدين ، ووجدت غيره يعتبر الأمر للندب فلا يحتم التوثيق .. والصفة قابلة لكلا المدلولين .

واذا ثبتت قراءة المأموم خلف الامام بحديث صح عند امام مجتهد فأصبح عمله باجتهاده لزاما عليه ، واذا ثبت النهى عن قراءة المأموم بحديث صح عند غير الامام الأول صار عمله باجتهاده لزاما عليه .

ومن اجل ذلك اختلف الاجتهاد فى شىء واحد لاختلاف الدليل .

وهكذا .. تختلف الأحكام لاختلاف الأدلة ثبوتا ونفيا ، وايجابا وسلبا أو لاختلافها مفهوما بسبب احتمالات الألفاظ كلفظ القرء فى باب الحيض ، فامام مجتهد يفهم أنه هو الحيض نفسه .. وامام يفهم أنه زمن الحيض لا الحيض : تبعا لاختلاف المدلول اللغوى .. وهكذا فى مجال الاجتهاد الواسع كما هو معهود ، فلا يكون اختلاف الفقهاء اختياريا .

٨ - ونحن نعلم أن كل مجتهد مطالب فى عمله وفتواه بما ثبت لديه من الدليل ، أو ترجح عنده على كلام غيره ، ولايتسع له عمل بقول غيره لئلا يكون عاملا بغير مايراه صحيحا فكيف يتحاشى المجتهد خلافه مع غيره ... والخلاف اضطرارى كما اسلفنا ؟

أو كيف يعمل فى دينه بما لايراه مستساغا وكيف يفتى الناس بما لا يدين به فى نفسه ؟

انا لا نستطيع طرح الدليلين المتعارضين ، لثبوت كل منهما عند صاحبه ، وفى طرحهما ترك للعمل كله ، ولا يمكن ان نقنع احد المجتهدين بغير ما صح عنده فالمحتم أن يعمل بما هو الفقة الثابت لديه ، وهذا قولهم اذا صح الحديث فهو مذهبى ، وهكذا يسير المقلد الذى لايتاح له الاجتهاد ، فيأخذ بما يطمئن اليه من كلام الائمة ، ويتابع من يفتيه بحكم الله من أهل العلم ..وهذاقولهم :مذهب المقلد مذهب مفتيه .

٩ - يتساءل فضيلة الشيخ عبد الجليل ازاء موقفه من الخلافيات : ماذا يفعل المصلى فى شىء ان فعله عوقب ؟ وان تركه عوقب ؟

وهذا سؤال ينم - حقيقة - عن الحيرة بين حكمين متعارضين : كراهة ، وسنة ، أو وجوب وحرمة ، أو بطلان وصحة ..أو عقاب

على الفعل ، وعقاب على الترك ، كالقراءة خلف الامام ؟ واحسب الأمر أهون من ذلك .... وليس فيه حيرة ، ولا شبه حيرة .

فان المطلوب من المجتهد أو غيره أن يعمل بما اقتنع به من الحكمين حسب الدليل المفيد له ، ولا يمكن ان يقتنع المرء بشيء ، ونقيضه ، اذ العقل لايجمع بين تصديقه بالوجوب والحرمة فى شيء واحد ، ولا بين الجواز والبطلان فى عمل واحد .

وانما هو فى جانب دون جانب ، وحينما يعمل المرء — مثلا — بقراءة الفاتحة خلف الامام يكون مقتنعا بهذا فقط . وحينما يترك القراءة يكون مقتنعا بالترك فقط .. فليس حائرا ، وهذا متابعة للاجتهاد الباحث وراء الحكم من كلا المجتهدين .

وليس على المجتهد أكثر من العمل بما اتيح له ، وان كان فى واقعه غير مصيب لما هو معلوم عند الله ، وبسبب هذا أجمعوا على أن المجتهد مأجور على اجتهاده بأجرين ان صادف الصواب المستور عنه ، ومأجور بأجر واحد ان كان غير مصيب ، ومع هذا فعمله مقبول فضلا عن كونه مثابا .

١٠ — وانا أجنح الى الايجاز فى حديثى هذا واشير فى صراحة الى أن ذلك الخلاف فى الفقهيات من باب التيسير فى الدين ، والترفق بالناس فى قبول اجتهادهم وأعمالهم ، والله تعالى يقول : « **فاتقوا الله ما استطعتم** » ويقول « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « **يسروا ولا تعسروا** » ويقول : « **اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم** » والاجتهاد فى الحكم غاية مايستطاع من جانب الفقيه .

وقد كان أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — مع قربهم منه ، وحرصهم على الأخذ عنه يختلفون أحيانا فى قراءة قرآن ، أو فى حكم فقهى ، فيروى كل منهم ماسمعه وعرفه ، ثم يرجعون الى النبى للتحرى عن الحق ، فيجيز كلا منهم على ماذكر ، حيث يكون التعدد صوابا ، وصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وتحدث كل من الصحابة بما عرفه شخصيا عن النبى ولم يكن قد عرف ما ذكره غيره وفى سبيل ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وفى ضوء ذلك الواقع يكون اختلاف الأئمة فى القراءة خلف الامام راجعا الى تعدد الرواية ، أو الى اختلاف الأئمة فى فهم العبارات اللفظية المنقولة عن الصحابة حسبما وصل اليهم من تعدد الروايات ، مثلا .

فلا يكون حتما أن ينقل كل حكم فقهى بالتواتر عن الرسول كما فرض الشيخ عبد الجليل فى حكم القراءة خلف الامام .

ونحن على علم بأن الصحابة انفسهم تركوا لنا فتاوى مختلفا فيها بينهم حسب حضورهم لمجلس النبى أو تخلفهم عنه أحيانا ، ولو كان النقل متواترا دائما أو غالبا ، لكانت الأحكام أو اكثرها قطعيا ، ولضاقت دائرة الاجتهاد والاختلاف .

١١ — ونشهد القرآن ينادينا أن نرد الأمر حين الخلاف بيننا الى الله ورسوله « فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » أى : ردوا الخلاف بينكم الى حكم القرآن والسنة بقدر مايتاح لكم .

والرجوع الى الكتاب والسنة لا يستلزم العثور على حكم واحد .. بل : قد نجد فيهما وجهين أو أكثر من وجوه التشريع : تبعا لمدلول النصوص فى سياق اللغة ، وليس هذا تنازعا بعد ، وانما هو تضييق لدائرة الخلاف وبعد عن هوى العصبيات ، واحتكام الى الدين وان تعدد الاحتمال .. فهذا هو الامتثال المطلوب .

وذلك كله من محاسن الفقه الاسلامى ، ومن سماحة الاسلام فى تكاليفه وتوجيهاته الخالدة فاذا أردنا أن نطرح الخلافيات ظهريا وحاولنا أن نجمع الفقهاء على رأى واحد أو نقف بالناس عند كلمة « نعم » فقط أو كلمة « لا » فقط فقد ضيقنا واسعا ، وعسرنا على أنفسنا مايسر الله لنا .

وموجز القول : أن نترفق بأصحاب الخلاف وأن ندع الناس على ماوثقوا به من جهود الائمة فذلك خير لهم من التشكيك ، ولعل رأينا يعجب فضيلة الشيخ ، أو يتفضل علينا بما يراه جوابا شافيا لنا وللناس فيما نحن بسبيله .

الوحدانية
في بعض
الديانات القديمة
(٢)
اخناتون

الأستاذ
محمود كمال

> إن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من قربان الرجل الظالم ؟
>
> أحد فراعنة القرن ٢٣ ق.م

- ٢ -

الاسلام الغراء ، بالعدد ٥ لسنة ٢٢ الصادر فى جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ ، ٧ سبتمبر سنة ١٩٦٤ - تكلمت عن الوحدانية ... وكيف أنها تتأتى فى الأذهان والافهام ، دون ارشاد اليها ، لأنها تحمل برهانها فى ذاتها .. من الكون بمن فيه ومافيه ، وأتيت بدليل على صحة هذا النظر مستمد من الكيفية التى أدت الى نشأة بعض ديانات الشرق الاقصى فى الهند والصين وماجاورهما .

وفى مقال اليوم استدلال آخر من الكيفية التى نشأت بها ديانة أخرى عريقة فى القدم مؤسسة على الوحدانية ، هى ديانة (اخناتون) أحد فراعنة مصر لعهد الأسرة الثامنة عشرة والذى دام حكمه فى سنة ١٣٧٠ الى سنة ١٣٥٣ قبل الميلاد على ماحققته دائرتا المعارف الامريكية والبريطانية .

ومن الضرورى - لكى يكون هذا الاستدلال مفهوما تمام الفهم - أن نقوم له بشرح موجز قدر الامكان عن الديانة المصرية القديمة ، وعن عقيدة كل من جد اخناتون وأبيه باعتبار انها مقدمة لمبدأ وحدانيته .

وسنعتمد فى هذا الشرح على مؤلفات بعض مؤرخى الديانة المصرية القديمة ، من مصريين واجانب ، وهى كثيرة ، وكلها قد عنيت أيما عناية برسم صور واضحة لها فى اصولها وتطوراتها من البداية الى النهاية .

ويمكن أيجاز مفهوم ماورد فى تلك المؤلفات فى أن تلك الديانة كانت - كما يقول الدكتور **نجيب ميخائيل ابراهيم** تختلف كثيرا عن الديانات المعروفة فى الأزمان الحاضرة لأن دياناتنا هى عبارة عن مجموعة من المعتقدات يرتبط بعضها ببعض ويتسق بعضها مع بعض والايمان بها هو اعتناق لها ، أما الديانة

المصرية القديمة فلم يكن الايمان أساسا لها بل لقد كانت عبارة عن مجرد عبادة لآلهة كانو يقدمون لها القرابين أبتغاء منفعة أو خشية مضرة ، وكان للكهنة لاهوت وفلسفة خاصة ، كما كانت للشعب اساطيره ، وقد كان اللاهوت والأساطير يسيران جنبا الى جنب فى وقت واحد •

ويقول ول ديورانت ان الالهة المصرية كانت من الكثرة والتعدد الى الدرجة التى لانجدلها مثيلا عند الأمم الأخرى الا قليلا •

وكانت بداية الخلق عندهم هى الى (نون) عبارة عن هوة عظيمة لاقرار لها مملوءة بماء ازلى ومنها خرج الاله الخالق اله الشمس (رع) فى مذهب هليوبوليس (عين شمس) و (بتاح) فى مذهب منف (اتون) فى الاشمونين •

وقد ظلت الشمس (رع) • والنيل (مظهر من مظاهر الاله اوزير) أكبر الارباب فى تلك الأزمان •

وفضلا عن ذلك فقدعبدوا ــ غير رع واوزير ــ كل صورة أخرى من صور الحياة ممثلة احيانا فى الاجرام السماوية كالقمر ، واحيانا أخرى فى النبات والحيوان • وعندهم أن أرواح اسلافهم كانت تتجسد فى تلك الحيوانات التى يعبدونها ، وكانت عبادة الارواح من العبادات الاساسية •

ثم تحولت مع الزمن صور الآلهة الى «صورة آدمية تقريبا للاذهان وأن احتفظت برأس الحيوان أو برمز يذكر بأصل المعبود ، ولكن بعض هذه الآلهة أخذت صورة آدمية خالصة» مثال ذلك الاله (آمون) الذى كان يمثل فى صورة انسان تعلو رأسه ريشتا أوزه ، والاله (رع) الذى كان يمثل فى صورة آدمى برأس صقر تحمل قرص الشمس محوطا بالحية المقدسة •

وكانت الآلهة أول أمرها خاصة باسرة او قبيلة او اقليم بحيث تنفرد بعبادتها الاسرة او القبيلة أو الاقليم ، ثم يأخذ بعض هذه الآلهة المحلية فى الترقى درجات لسبب أو لآخر حتى يصل الى مراتب من التقديس لم تكن له من قبل • مثال ذلك الاله (آمون) الذى وصل فى نهاية أمره ، وبعد أن اضفى عليه أيضا لقب اله الشمس (رع) فسمى (آمون رع) الى اعتباره أكبر آلهة الامبراطورية بل ملك تلك الآلهة ، ثم أمتد نفوذه خارج حدودها بسبب فتوحات فراعنة الاسرة الثامنة عشرة وأتساع ملك الدولة المصرية •

وكان المصريون يعتنقون فكرة الخلود ، بمعنى انهم كانوا يعتقدون أنه « فى مقدور الانسان أن يعود الى الحياة بعد موته • وكان بقاء أجسام الموتى سليمة بصورة تسترعى النظر فى ارض مصر الجافة مما ساعد على تثبيت تلك العقيدة التى ظلت مسيطرة على الديانة المصرية آلاف السنين

وكان فرعون نفسه الها كما كان هو الرئيس الدينى الأعلى • وكان كهنة (آمون) هم القوامين على النظام الاجتماعى •

وآمن المصريون بالثواب والعقاب بعد الموت وبأن (أوزير) سوف يحاسبهم على القليل والكثير ، فكانوا يتمسكون بالاخلاق بدافع من ضمائرهم

واذ وجد اخناتون الحالة على ما وصفنا • ثار على هذه الديانات والاوضاع ونبذها كلها نبذ النواة ، وآمن باله واحد لاشريك له •

ولم تكن وحدانيته تلك بنت يوم وليلة ، ولكنها كانت مسبوقة بمقدمات ومؤثرات ذات صفة فعالة فى تمهيد السبيل أمامه وتهذيب أفكاره وتكوين مبادىء عقيدته ثم اعتناقها كدين والاصرار عليها ، والاشادة بها ، ونشرها فى طول البلاد وعرضها ، ومحو كل ديانة أخرى غيرها •

وبمعنى آخر فقد كان من تلك المقدمات والمؤثرات ماهو خارجى استوحاه من غيره ومنها ماهو أصيل عن وحى نفسه •

فاما الأولى فمرجعها الى جده تحوتمس الرابع) والى ابيه (امنحوتب الثالث) •

فاما عن جده فان لتحويله عن عقيدة (آمون) الى عقيدة (رع) قصة ، تلك هى ان كهنة (رع) قد حاولوا التأثير فى قلوب بعض أمراء البيت المالك واستمالتهم نحو معبودهم عساهم يسترجعون بذلك بعض سلطانهم الذى طغى عليه كهنة (آمون) • وقد وجدوا استجابة من لدن (تحوتمس) قبل ولايته العرش ، وتقص لوحة كبيرة بين ذراعى أبى الهول قصة هذا الامير مع (رع) التى انتهت بارتقاء الامير عرش الامبراطورية مع أنه لم يكن هو الاحق به من اخوته ، ومنذاك أخذ (تحوتمس) فى التحول من (آمون) الى (رع) كما أخذ يشيد بذلك الاله متغاضيا عن (آمون) ، وقد أثبت كل من الدكتورين عبد المنعم أبو بكر ، ونجيب ميخائيل ابراهيم هذه القصة وآثارها من حيث اعتبارها بشارة بقرب ظهور مذهب جديد • كما كان (تحوتمس) هو أول من صور قرص الشمس ، ممتدة منه ذراعان تنتهيان بيدين بشريتين تحيطان بالملك وتغدقان عليه النعم • وهذه الصورة هى التى أختارها اخناتون فيما بعد الالهة الجديد (أتون) مع تحوير يلائم عقيدته فى الوحدانية •

وقد جاء فيما أورده الدكتور نجيب ان « حركة (أخ أن أتون) ليست انتقالا مفاجئا •••• واحلال عبادة جديدة محلها وانما كانت •••• نتيجة لتطور بدأ على الأقل منذ عهد تحوتمس الرابع»

هذا عن جده ، أما عن ابيه ، فيقول الدكتور أبو بكر أن شرر الثورة الدينية الذى « كان قد بدأ يتطاير منذ أيام تحوتمس الرابع قد وجد مناصرة قوية فى عهد أبنه امنحوتب الثالث ومن أدلة ذلك اطلاق اسم « بهاء أتون » على الزورق الملكى الذى اهداه لزوجته وتقليده ابنه تحوتمس الذى مات خلال حياته منصب كبير كهنة (بتاح) رب منف والسماح له باحياء العاصمة القديمة وبعث عقائدها الدينية • كل هذا يدل على ان (اتون) كان معترفا به فى عصر امنحوتب الثالث وانه كان له معبد فى طيبة قبل ثورة العمارنة »

وأما ماكان من تلك المؤثرات من وحى اخناتون نفسه ، فأنه يرجع الى نشأته وتعليمه وأخلاقه وفلسفته المستمدة من تأملاته الذاتية فى الوجود والكائنات • فقد نشأ فى طيبه مقر الملك حينذاك ولكنه ــ على ما يبدو ــ قد أوفد فيما بعد الى (ارمنت) القريبة منها لتلقى العلم ، والتعمق فى اللاهوت على يد كهنة (رع) اله الشمس ، ومن هنا يبدو أيضا أنه قد راودته ــ منذ حداثة سنه ــ أفكار « عن علاقة المرأ بالألوهية » كما ذكر الدكتور نجيب •

وهناك اتفاق على أنه نشأ ضعيف البنية • عليلا سقيما ، وقد لازمه سقمه طول حياته ولكنه رغم ذلك ، كان « خير من انجبت مصر فى تاريخها كله اذا نحن نظرنا اليه من زاوية معينة ••• والمتفق عليه • أنه يحتل مكانة بين عظماء الرجال فى العالم »

وكما كان (اخناتون) فيلسوفا ، مفكرا ، مستمسكا بالحقيقة المطلقة فى أدق مظاهرها طامعا فى أن يعيش الناس على الحق وللحق وبالحق ، أول داعية للسلام فى العالم ، مثاليا فى حياته الخاصة والعامة على سواء ، يمقت الكذب وينشد الصدق والعدالة فى كل شىء كان ، فى الوقت نفسه ، شاعرا ، مرهف الحس ، صافى النفس ، رقيق الحاشية ، ذكى الفؤاد ، واسع الخيال محبا للطبيعة المجردة •

وفى رأينا أن دلائل عظمته ليست محصورة فى نطاق وحدانيته التى هى اقدم وحدانية ظهرت فى عالم الوجود ، ولكن أيضا فى تعبيراته الأدبية الرائعة فى أنشودتيه المشهورتين عن معانى القوة والعظمة فى الخالق الأوحد ، وفى توجيهاته للفنانين فى (تل العمارنة) التى

اقلبت أوضاع فن النحت والتصوير السائدة قبله رأسا على عقب أذ اتجه الفن بذلك الى الأسلوب التعبيرى بتمثيل الاشياء والانسان فى هيئتهما المنطبقة على الحقيقة المجردة دون زيف أو تعديل وتبديل لأنه كان يدين للحقيقة فى شتى صورها سواءفى الوجود أوالموجودات والمخلوقات •

وقد قلنا أن ذلك العاهل العظيم ثار على تلك الاخلاط من الآلهة المعودة الى حين ارتقائه عرش آبائه واجداده ، وعلى تلك الفوضى فى الأوضاع الدينية التى كانت سائدة حينذاك •

كما قد ثار على الكهنة الذين كانوا يتجرون فى السحر والرقى ويستخدمونها للضغط على الأفكار ونشر الفساد باسم الدين •

وكانت أقوال الكهنة على حد تعبيره هو نفسه « أشد اثما من كل ما سمعت .. ومما سمعه الملك أمنحوتب الثالث «

ونقول أيضا أن الثورة الفكرية الكامنة فى دخيلته منذ حداثة سنه قد بدأت ـ متأثرة بالعوامل والتطورات السالف بيانها ـ تؤتى أكلها وتعمل عملها ، فلم يلبث ـ بعد أن تولى العرش منفردا ـ أن اشعل نار الحرب على (آمون) وكهنته ، وبدأ بأن غير اسمه الملكى من (امنحوتب) ومعناه (آمون راض) الى (اخناتون) ومعناه (اتون راض) ثم اسرع باغلاق معابد (آمون) وتحريم عبادته ومحو اسمه من الآثار جميعا ومن تماثيل آبائه واجداده • كما محا كلمة (آلهة) لأن الاله واحد لا يتعدد »

وقد أعلن فى شجاعة أن هاتيك الالهة وجميع مافى الدين من احتفالات وطقوس كلها وثنية منحطة وأنه ليس للعالم غير اله واحد هو (اتون) وحرم على الفنانين رسم صور (لاتون) لأن الاله الحق فى اعتباره لا صورة له •

وقد فسر بعض المؤرخين ـ مثل زيته Sethe وبيت Peet ـ ديانة اخناتون على أنها انما تشير الى قرص الشمس نفسه ، وليس الى القوة الكامنة خلفه ، وهى تلك الخالقةللوجود والتى تتصف عند اخناتون بالوحدانية •

وهذا التفسير مردود ، ولا شك ، لأنه لو كان الأمر على مايصفون، فعلام اذن، كانت تلك الضجة التى اشتعلت نار الحرب من جرائها • وعلام كان قيام (اخناتون) بمحو اسماء الآلهة الأخرى من الآثار واستبقاء اسم (اتون) وحده دون غيره •

ودليل آخر شاهد على فساد هذا التفسير ، ذلك أن أخناتون قد حرم رسم صور لآتون لأن الاله الحق عنده لاصورة له فهل قرص الشمس لاصورة له ؟

ولم يعد يعنينا ، بصددبحثنا وراءالوحدانية التى تتأتى بمحض التفكير السليم ، غيرالاشادة بالانشودتين اللتين نظمهما أخناتون نفسه ، وهما ناطقتان ، فى كل فقرة فيهما ، بأنه يؤمن بالوحدانية ، وبأن الهه اله واحد لاشريك له ، خالق ، يتحلى بصفات الخلود ، وليس كمثله شىء فى الوجود •

ونرى أن نذكر فيما يلى أمثلة مختارة من هاتين الانشودتين ، تحمل معانى سامية من معانى الآيات القرآنية الكريمة ، نشير اليها ايضا ، لا على سبيل المقارنة ، ولكن على سبيل المقابلة .»

(١) : أنت الاله لاوحد • ولا شبيه لك •

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ••• ولم يكن له كفوا أحد »

و« ليس كمثله شىء »

(٢) لقد خلقت الارض حسبما تهوى انت وحدك •

خلقتها ولا شريك لك •

خلقتها مع الانسان والحيوان كبيرة وصغيرة•
خلقتها وكل مايسعى على قدميه فوق الأرض
وكل ما يحلق بجناحيه فى السماء •

« الله الذى خلق السموات والارض •• »

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »

و « الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن الا الله •• »

(٣) : دبرت لكل انسان مايحتاج اليه •

« وفى السماء رزقكم وماتوعدون »

و « ومــا من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »

(٤) : جعلت لكل منهم اياما معدودة •

« لكل أجل كتاب »

(٥) : أنت تعطى الحياة للجنين فى احشاء النساء •

وانك تصنع من النطفة الرجال •

« هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء •• »

« الله يعلم ما تحمل كل انثى ومــا تغيض الارحام وما تزداد »

و » أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين •• »

(٦) : حينما تغيب فى افق السماء

أظلمت الأرض وأصبحت تبدو وكأنها ميتة ••• الخ

واذا أصبح الصباح تشرق متالقا فى الافق ••• الخ

ويصحو الناس ويقفون على أقدامهم ••• الخ

ثم ينتشرون فى الارض يباشر كل منهـم عمله •

« وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهارمعاشا»

و« وهو الذى يتوفاكم بالليـل ويعلـم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه • »

(٧) : لقد جعلت نيلا يهبط اليهم من السماء

ما أعظم تدبيرك ياسيد الابدية

وهبت نيل السماء لشعوب الجبال

فأحييت حيواناتها وكل من يسعى فوق اقدامه •

« وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء •• »

« انزل من السماء ماء فسالت اودية •»

و « الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخــرج به من الثمرات رزقا لكم »

ومن هنا تتجلى فكرة الوحدانية فى ذلك العصر الموغل فى القدم فى أبهى صورهـا ، وأكمل مظاهرها ، وانها لم تكن منبعثة من شىء آخر سوى مظاهر الكون •• عن فيــه وما فيه ، واذا كان اخناتون قد يجد الشمس فى انشوديته فقد كان يعنى أنها مصدر بارز من مصادر الحياة للكائنات •

وكما أهتدى جماعــة من الشرق الاقصى الى حقائق الكون والحياة وانشأوا ديانات مؤسسة على الوحدانية ، فقد اهتدى اخناتون من قبلهم الى تلك الحقائق وانشأ ديانة نبذت الاصنام وقضت على الطقوس القديمة لأنها رجس يجب أن تمحى آثاره وتندثر ، واعترف بوحدانيـة اله لاشريك له •

الجوانية

في نظرة العقاد الى تعاليم المسيح

الدكتور عثمان أمين

روحية العقاد :

لقد كان فقيدنا الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد مفكرا من طراز فريد فى هذا العصر : كان أديبا فيلسوفا ، جوانيا على الاصالة ، متفكرا فى ملكوت الله، متبتلا فى محراب الفكر، متقنتا فى رحاب الكون . كان يرى الاشخاص والاشياء بعيون الروح ، ويؤثر الجوهر الباقى على العرض الفانى ، ويحيا أدبه وأفكاره ، ويفلسف حياته واعماله . وحياة العقاد — رحمه الله — حياة مثالية . ومصدر الالهام فى هذه الحياة مصدر مثالى أصيل : يقظة الوعى وحرية الضمير ، ولا عبرة بعد ذلك بالنتائج ، ولا رعاية للمكاسب أوا الخسائر : ذلك أن الحساب عنده حساب جوانى غير برانى ، والزمان فى حياته حساب كيفى ، لا امتداد مكانى .

العقاد — كما عرفناه — رجل مخلص مع نفسه ، صادق مع الناس ، عاكف على رعاية القيم العليا ، دائم الطلب للحق والخير والجمال ، غير عابىء بما يبذل فى هذه الغاية من جهد أو وقت أو مال . والعقاد — كما

يحكى عن نفسه – هو « الرجل الذى قضى حياته يحارب الاضداد ، ولا يبالى خسارة تصيبه من هذه الحرب التى لا هوادة فيها » .

بهذه الروح كان نظر العقاد الى أصحاب الرسالات من قادة ودعاة الديانات . وكانت نظرته الى الدين نظرة جوانية عميقة ذات قرابة وثيقة بنظرة الامام محمد عبده ونظرة الصفوة من أنصار مدرسته : الدين فى جوهره واحد لا يتغير ، انه فى صميمه دعوة أخلاقية وتغيير روحى فى الفكر والشعور ، ينفذ الى الجوهر واللباب ، ولا يقف عند القشور والأعراض .

ومن كانت له مثل هذه النظرة الفلسفية الواعية فما أحراه أن يصحب السيد المسيح صحبة روحية طويلة كان من ثمراتها الناضرات اليانعات هذه التحفة الجميلة – « عبقرية المسيح » – التى يحلو لى الآن – بعد ان غاب عنا شخص العقاد – أن أقبس منها قبسات نافعات .

« عبقرية المسيح » :

وعبقرية المسيح كتاب « جوانى » من أوله الى آخره ، يحس القارىء أن مؤلفه العربى المسلم قد فطن الى جوهر العقيدة المسيحية فطنة لعلها لم تتيسر للكثيرين ممن تصدوا فى جلبة وعلانية ، للكلام عن تعاليم السيد المسيح .

وأشهد انى على كثرة ما قرأت فى اللغات الغربية عن تعاليم المسيحية ، لم أظفر فيها بما يرضينى كل الرضى مثل ما ظفرت به فى كتاب العقاد . ولعل فى هذا أيضا دليلا جديدا على ما تميزت به لغة القرآن من خصائص جوانية . ومهما يكن الرأى فى الكتب الكثيرة التى نشرت عن العقيدة المسيحية ، فالذى لا شك فيه ان « عبقرية المسيح » كتاب ممتاز نادر ،وان مؤلفه قد صدق مع نفسه ومع القراء حين قال :

« ولا أجد فى فهم نصوص السيد المسيح صعوبة على الاطلاق ، اذا انكرنا الجمود على الحروف والنصوص » .

القشور والأشكال :

والحديث عن فن العقاد والمعيته ، فى السلسلة الحافلة من سيره وعبقرياته ، حديث ممتع شائق، أرجو أن تتاح لى متابعته فى فرصة قريبة . وقد حان الوقت لان نستمع للفقيد الكبير يحدثنا عن الحياة البرانية « حياة القشور » التى كان الناس يحيونها قبيل ميلاد المسيح عليه السلام : « تحجرت الاشكال والاوضاع ، وغلبت المظاهر على كل شىء ، وتهافت الناس على حياة القشور دون حياة اللباب : فكل مغانم الحياة عندهم سمت وزينة وأبهة ومحافل وشارات . وانتقلت الحضارة من الداخل الى الخارج ، أو من النفس الى البدن .. وتحجر نظام فأصبح أشكالا ومراسم خلوا من المعنى والغاية ... وتحجرت معه الشرائع والقوانين ، فلم يكن غريبا ان تنقش على حجارة ، وان يرتفع ميزانها فى يدى عدالة معصوبة العينين ، وأن تفرغ الكفتان، فتستويان لانهما فارغتان » . وتحجرت العقائد الوثنية والاسرائيلية ، واصبحت التقوى علما بالنصوص ، وبحثا عن مراسم الشريعة ، وغلب المظهر على المتشبثين بالنصوص والمتصرفين فيها . أشكال وقشور ولا جوهر هناك ولا لباب . دنيا آفتها الترف ومظاهر العقيدة ، ومن وراء ذلك باطن هواء وضمير خواء » .

نعم أشكال وقشور ولا جوهر هناك .. ألم تكن كلمات السيد المسيح ، فى موعظته على الجبل ، صورة القوم فى صلاتهم وصيامهم وصدقاتهم واحسانهم : « ومتى صليتم فلا تكونوا كالمرائين ، فانهم يحبون أن يصلوا قياما فى المجامع وفى زوايا الشوارع ، لكى يظهروا للناس .. » . « ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين : فانهم يغيرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين » . « واحترزوا من ان تصنعوا بركم قدام الناس ، لكى ينظروكم ، والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات . وأما أنت اذا صنعت صدقة فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء » . « واحذروا الأنبياء الكاذبين الذين يأتونكم بثياب

الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة : من ثمارهم تعرفونهم . هل تجتنى من الشوك عنب ؟ » .

وكذلك يبين الاستاذ العقاد غلبة البرانية على المرائين والضالين فى تمسكهم بالاشكال والمظاهر ، وقلة التفاتهم الى المعنى الجوانى من وراء الشعائر والرسوم ، وكيف كانت حاجة العصر ماسة اذ ذاك الى عقيدة حب ونقاء ، عقيدة توقظ الوعى ، وتنشد نبل القصد ، وتبغى غلبة الجوانى على البرانى ، فيقول : « فلا جرم يكون خلاصها فى عقيدة لا تؤمن بشىء كما تؤمن ببساطة الضمير ، ولا تعرض من شىء كما تعرض عن المظاهر ، ولا تضيق بخلاف كما تضيق بالخلاف على النصوص والحروف وفوارق الشعرة بين هذا التأويل وذاك التحليل » .

جوهر المسيحية :

.. وينفذ العقاد الى جوهر العقيدة المسيحية ، فيصفها بانها « عقيدة قوامها أن الانسان خاسر اذا ملك العالم باسره وفقد نفسه ، وان ملكوت السماء فى الضمير وليس فى القصور والعروش ، وأن المرء بما يضمره ويفكر فيه ، وليس بما يأكله وما يشربه ، وما يلبسه ، وما يقيمه من صروح المعابد والمحاريب ، « فقد كان بلاء الناس انهم أخربوا باطنهم ، وعمروا ظاهرهم .. فجاءهم الرجاء الذى يصلح لذلك البلاء ، بشارة لا تبالى أن يخرب ظاهر الدنيا كله اذا سلم للانسان باطن الضمير » .

ورسالة المسيح عليه السلام صريحة فى نقض شريعة الاشكال والظواهر ، واقامة شريعة الحب ، الحب الذى هو عطاء بغير حساب ، أو شريعة الضمير الذى يقوم فى دخيلة الانسان ، مخترقا حجب الزمان والمكان : « وكل ما هنالك أن تصبح الفضيلة وحى نفس وحساب ضمير ، ولا يصبح قصارها وحى القانون وحساب الصكوك والشروط ، وأساليب الروغان من السطور والحروف » .

وما من شك فى ان الطريق الذى يرسمه السيد المسيح طريق شاق ، لان فيه مجاهدة للنفس وقمعا لشهواتها .. وما يقوى على سلوك هذا الطريق الا الجوانيون المخلصون : « فلا جرم كانت شريعة الحب والضمير اشد وأحرج من شريعة الظواهر والاشكال : لان الضمير موكل بالنيات والخواطر قبل الافعال والوقائع ، ولانه يحاسب صاحبه على همساته ووساوسه » .

تغيير المحور

ودعوة السيد المسيح دعوة جوانية فى ماهيتها ولبابها : فقد كان همه الشاغل صلاح النفوس ، ولن يتم هذا الاصلاح بتغيير الاشكال الخارجية وانما يتم بتغيير البواعث النفسية . وليس هذا التغيير تغييرا فى الكم والمقدار ، بل هو « انتقال القبلة » أو « تغيير المحور » .

« ولا قيمة للمسافات ولا للأبعاد اذا كان افتعال المحور هو المقصود » . فاننا اذا نقلنا القبلة ، أو نقلنا « المحور » انتقل كل شىء ، وتغير اللباب الاصيل من كل شريعة وكل قانون : « واذا تغير المحور فمسافة الفرسخ والميل كمسافة الشبر والقيراط . واذا بقى المحور فالبعيد كالقريب والقريب كالبعيد » .

واذن فتغيير المحور فى الآداب والاخلاق هو التغيير الجوانى الذى عناه السيد المسيح فى دعوته الجديدة : لان الحساب هنا حساب جوانى ، مداره النفس والضمير ، لا حساب برانى ، قوامه المسافات والمقادير . وما كان الاصلاح الحقيقى ولن يكون قط اصلاحا برانيا يحدث تغييرا فى الظاهر والعيان ولا اثر له فى القلوب والاذهان ، وانما كان على الدوام مسألة محور ينتقل أو مسألة باعث يتغير ، وعلى الدنيا بعد ذلك أن تعرف شأنها فى مسافاتها ومقاديرها حتى يبلغ بها الانحراف غايته ، فتعود أو يعاد بها الى محورها الذى انحرفت عنه أو الى محور جديد » .

ويختتم أديبنا الفيلسوف عرضه الرائع بكلمة جامعة تصلح شعارا أخاذا لدعوة السيد المسيح وما جرى مجراها من دعوات روحية خالدة .

رحمة الله على صاحب « عبقرية المسيح » وسلامه على رسول الحب والسلام .

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

حقوق العاملين وواجباتهم فى الشريعة الإسلامية

مقارنة بالقوانين الاشتراكية .

المستشار على على منصور

تحدثنا فى المقالين السابقين عن مفهوم كلمة العامل والعمل فى الاسلام ، وذكرنا أن ذلك يتفق مع ما ذهبت اليه اللوائح والقوانين اخيرا من اطلاق لفظ العامل على كل من يتولى عملا ما فى الدولة ، ثم أوردنا ما يدل على أن الاسلام يحض على العمل ويعتبره شرفا مهما كان نوعه كما يعتبره واجبا على كل قادر ، وهو حق له أيضا يجب على الدولة أن توفره له والا فنفقته ونفقة عياله فى بيت المال . ثم تكلمنا عن واجبات العاملين وأولها احسان العمل وثانيها الامانة فيه وها نحن ناتى فى هذا المقال عن بقية الواجبات ثم نتبعها ببيان حقوق العامل على رب العمل .

٣ ـ أما ثالث واجبات العامل أن يكون ذا ذمة فلا يقبل رشوة مقابل أن يفرط فى عمله او أن يعطى لواحد ما ليس له بحق. وقد نهانا ربنا عن ذلك فى القرآن الكريم بقوله : **« ولاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ». وفى الحديث الشريف: « اياكم والرشا فانها اهلكت من قبلكم من الامم » .**

والهدية من قبيل الرشوة اذا قدمت اليك ممن لم تهاديه ، وكذا اذا قدمت لصاحب سلطان كالوالى والموظف ومن أروع ما يساق فى هذا الصدد حادث ابن اللتبية وهو من الازد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقة أى عينه عاملا لجمع الزكاة من الاعراب ، فلما عاد جنب بعض المال عن بعض ، وقال للرسول هذا لكم وهذا أهدى الى ، فغضب الرسول غضبا شديدا وقام فخطب الناس وقال : **« أما بعد فانى أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولانى الله فياتى أحدكم ويقول هذا لكم وهذه هدية أهديت الى ، فهلا جلس فى بيت أبيه أو أمه فينظر أيهدى اليه أم لا . والذى نفسى بيده لا يأخذ أحدكم منه شيئا الا جاء يحمله على ظهره يوم القيامة »** فترك ابن اللتبية ما اهدى اليه .

أما عمر بن عبد العزيز فلم يقبل هدية تفاح كان قد أحضرها له عامله على الشام

وكانت له به صلة قرابة ، فلما قال له أن رسول الله كان يقبل الهدية فقال عمر هى لرسول الله هدية ولنا رشوة .

٤ ـ أما الواجب الرابع على كل عامل فهو أن لا يغل أى لا يخفى شيئا من نتاج ما أؤتمن عليه وفى ذلك يقول الله: «**ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة**» ويدخل فى عموم معنى الآية ان لا يحل لصاحب الوظيفة ان يستغل سلطانه أو نفوذه فى كسب أبدا ،حتى ولو عن طريق الاتجار بماله ـ ولقد تشدد عمر ابن الخطاب فى تطبيق هذا المبدأ على الولاة والعمال بل طبقه على ابنه ، وذلك أنه كانت لعبد الله نياقا كان يراها عمر قبل خلافته هزيلة ، فلما استخلف مر عليها فعدها فوجدها لم تزد ، الا أنه وجدها مكتنزة باللحم والشحم تتهادى كل منها كالبختية فاخذ نصفها لبيت المال قائلا لابنه ان الناس يتركونها ترعى فى مراعيهم لكونك ابن الخليفة.

وكان عمر يقول لعماله :« لايحل لوال أن يتجر فى سلطانه » وهى عبارة من جوامع الكلم تحرم استغلال النفوذ بجميع صوره ، كما تحرم على الوالى أن يتجر ولو بماله فى المصر الذى يعمل فيه ، ومن فعل منهم شيئا قاسم ماله أو صادره لبيت المال .

فعل عمر ذلك مع سعد بن ابى وقاص عامله على الكوفة وشاطره ماله .

وفعل ذلك مع عمرو بن العاص عامله على مصر ، على الرغم من أنه هو فاتح مصر للمسلمين ، والكتب التى تبودلت بين الطرفين مثال يحتذى لتحديد ما يحرم على الوالى . كتب عمر الى عمرو يقول : انه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر فمن أين لك هذا » . فرد عليه من عمرو بن العاص يقول : « ان ارضنا أرض مزرع ومتجر ونحن نصيب من ذلك فضلا عما تحتاج اليه نفقتنا » فكتب اليه الخليفة يقول : « لا يحل لوال ان يتجر فى سلطانه ، وانى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك الى كتاب من أقلقه الاخذ بالحق ، وقد سئت بك ظنا ووجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فاطلعه واطعه واخرج اليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك فانه برح الخفاء » فأذعن عمرو للامر وقدم لمحمد بن مسلمة كل ما طلبه من بيانات عن أصل ما له وعن مصادر الزيادة التى طرأت عليه ، ونزل على حكمه حين قضى بأن يضم الى بيت المال شطر ما كسب اى نصفه.

وفعل مثل ذلك مع أبى هريرة فانه بعد أن ولاه العمالة على البحرين بلغه أنه اثرى أثناء ولايته فاحصى ثروته وصادر جميع ما شك فى مصدره والحقه ببيت المال ، وقد جرى بينهما نقاش طريف يدل على مبلغ حرص عمر بن الخطاب على مراقبة عماله وتفتيشهم ، فكان مما قاله عمر الى ابى هريرة « **انى قد استعملتك على البحرين وليس لك نعلين** » فرد ابو هريرة قائلا « **جاءت لنا أفراس وعطايا تلاحقت** » يقصد ان عطاءه من بيت المال لقاء عمله كان متتاليا وكان يفيض عن حاجته وأن افراسه توالدت فقال له عمر « **قد حسبت لك رزقك اى عطاك وحسبت لك مئونتك وما زاد فهو فضل فاده** » قيل فعارض أبو هريرة فى ذلك فهم عمر أن يضربه بالدرة وقيل ضربه حتى أوجعه ، فقال أبو هريرة سأؤديها كما أمرت واحتسبها عند الله . فقال عمر :« ذلك لو كنت اختزنتها من حلال وأديتها طائعا ، لقد كنت فى البحرين تجبى الناس لك لا لله ولا لبيت مال المسلمين. ولو ارجعتك الى اميمة ـ أم ابى هريرة ـ ما رجعت الا لرعية الحمر » .

٥ ـ اما خامس واجبات العامل ان يطيع رؤساءه ما لم يؤمر بمعصية ففى الحديث « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . فان أمرك رئيسك ان تسرق أو أن تغش فلا تطيعه ففى الحديث « من غشنا فليس منا » كما نهى الله فى كتابه عن اطاعة المرءوسين للسادة والكبراء فيما يغضب الله . وانهم ان فعلوا ذلك فلا منجاة لهم من العقاب والحساب « وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا

السبيلا » ــ أما فى غير المعاصى فللرئيس على مرءوسيه حق الطاعة فى كل ما يتصل بالعمل وتحسينه وتنظيمه وطريقة ادائه فالله يقول « أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » وفى حديث الرسول « اسمعوا واطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشي راسه كالزبيبة » ولقد ولى الرسول اسامة بن زيد قيادة جيش مؤتة وفيه جلة الصحابة .

اود بمناسبة هذا الحديث أن أشير الى ان مصلحة العمل وحسن القيام عليه وتدبيره ، قد تستدعى من الرئيس الاعلى ان ينـزع الرئاسة فيـه من شخص ويعطيها آخر ، فالطاعة فى ذلك واجبة ، فهذا عمر بن الخطاب ينزع خالد بن الوليد وهو فى عنفوان انتصاراته ضد الروم من أمارة الجيش ويوليها أبا عبيدة ابن الجراح ، فصدع خالد للأمر وعمل تحت امرة ابى عبيدة جنديا عاديا ، لم يخالف أمر الخليفة ولم يجادل فيه ولم يتعال عن العمل كجندى بعد أن كانت له القيادة . وهكذا النفوس التى اطمانت الى الايمان والى عدالة الخليفة تستمر على الجهاد فى المنشط والمكره، لأنها تعلم أن الجهاد فى سبيل الله لا فى سبيل الرئاسة أو السلطان . ويحضرنى فى ذلك خطاب أبى بكر لخالد حين ولاه القيادة لجيوش المسلمين بالشام بعد ان استقدمه من العراق حيث قال له « امض على بركة الله واياك ان تذل بعمل فان الله هو ولى النعم » .

وحينما ولى عمر سـعد بن ابى وقاص عاملا على الكوفة قال له على رءوس الاشهاد « ما وليتك لقرابة أو نسب، ولايغرنك ان يقال خال رسول الله ، فان الله ليس له بأحد قرابة ولا نسب » ولما عزله لما رآه فى ذلك من مصلحة قال لمن حوله من الصحابة « اشهدكم انى لم اعزله لريبة وانما اردت رجلا اقوى من رجل » .

حقوق العاملين على الدولة

أ ــ العمل حق لكل قادر عليه والدولة مسئولة عن تكافؤ الفرص للجميع :

تجنح المذاهب العصرية الى ان العمل حق يجب ان توفره الدولة لجميع القادرين عليه ، أو على الاقل تهيىء الفرص المتكافئة لجميع القادرين ليتنافسوا للحصول عليه . ويذهب الاسلام الى ابعد من ذلك فيجعل لمن لا يجد عملا وافتقر أو مرض الحق فيما يعيشه من بيت مال المسلمين ، فله فى خزانة الدولة ما يكفيه ويكفى عياله وليس هذا الحق قاصرا على المسلمين بل هو لكل من فى دار الاسلام ولو كان يهوديا أو نصرانيا .

وفى هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب : **« والله ما من أحد أحق بهذا المال من أحد ولئن عشت الى مثل يومى من العام القابل ، ليصلن راعى الغنم فى صنعاء حظه من هذا المال » .**

وهو الذى مر يوما فوجد يهوديا يسأل الناس الصدقة فقال له ما الجاك الى هذا ، قال الهرم والحاجة ، فاخذه بيده الى خازن بيت المال وأعطاه ما يصلح شانه ، وأمر الخازن بان يرفع الجزية عنه وعن ضربائه وجعل له راتبا يكفيه قائلا « ما انصفناه ان أكلنا شبيبته وخذلناه فى هرمه .

اما عمر بن عبد العزيز الملقب بخامس الخلفاء الراشدين فكتب الى الامصار ان يرفعوا اليه اسم كل اعمى أو مقعد او به زمانة او فالج أو أى مرض يحول بينه وبين الصلاة . ثم أمر لكل أعمى بقائد ولكل اثنين من الزمنى بخادم ، واجرى على كل يتيم لا عائل له رزقا، وأمر لكل خمسة منهم بخادم . ثم فرض للعوانس الفقيرات رزقا فى بيت المال ، وكان لا يفرض للمولود حتى يفطم فتعجلت الامهات الفطام ، فنادى مناديه أن لا تعجلوا أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام . وعمر هو الذى جعل حد الكفاية لكل مسلم بالمسكن والفراش والدابة ، فان كان مدينا فى غير فساد فهو غارم يؤدى عنه بيت المال دينه .

٢ ــ العدالة بين جميع العاملين : يجب على الدولة ممثلة فى حكامها من وزراء ورؤساء

مصالح أن يعدلوا بين العاملين ، بحيث يولى كل عامل فى العمل الذى يصلح له دون اهدار حق ولا محاباة ، وعلى أن يراعى الأكفأ فالاكفأ أى الأمثل فالأمثل عند الاختيار والترقية . وولاية امور الناس أمانة وكل صاحب سلطان محاسب على عمله يو م القيامة، وكل كبيرة تغفر الا الظلم ففى الحديث القدسى « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى فلا تظالموا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا » . ويقول سبحانه وتعالى فى الكتاب العزيز « اعدلوا ولو كان ذا قربى » ويقول « ولا تتبعوا الهوى » ويقول « ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما » .

وفى الحض على عدم المحاباة يقول الرسول « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى أحدا عليه محاباة فعليه اللعنة الى يوم القيامة لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا » وذهب العباس ابن عبد المطلب عم الرسول الذى دافع عنه بلسانه ويده وشهد معظم الغزوات بعد بدر . ذهب اليه يساله ان يوليه ولاية ، فنظر الرسول فوجده غير أهل لها أو هناك من هو اقوى منه عليها فقال له : « يا عم انها لأمانة وانها يوم القيامة لخزى وندامة الا من اخذها بحقها ووفى الذى عليه فيها » .

أما عمر بن الخطاب فكان يتحرى فى عماله الكفاية ولا يكتفى منهم بالتقوى ويراقبهم للتحقق من اماناتهم ويقول فى هذا الشأن : « العامل الضعيف التقى ضعفه على المسلمين وفضله لنفسه ، والمسلم القوى الشداد قوته للمسلمين وشداده على نفسه » . وعزل عمر شرحبيل بن حسنة من ولاية الشام واستعمل بدله معاوية واعتذر على رءوس الاشهاد انه لم يعزله عن شيء هجنه ، بل اراد رجلا أقوى واكفأ من رجل . وكان كثيرا ما يستعمل قوما ويدع من هو أفضل منهم ليبصرهم بالعمل الذى سيولونه . وكان عمر لا يولى أحدا لقرابة أو نسب تأسيا بما فعل الرسول اذ لما ولى عمر سعد بن ابى وقاص قال له أمام الناس ما وليتك لنسب فلا يغرنك ان قيل خال رسول الله فانه ليس بين الله وبين أحد نسب.

ولما كثر المال فى بيت مال المسلمين أحصى عمر القبائل ، وأحصى منهم من جاهد فى سبيل الله وميز بينهم فى العطاء ، وبدأ بأهل بدر وما بعدها ثم بأهل الحديبية وبيعة الرضوان ثم لمن بعدهم ثم لاهل القادسية واليرموك ، وكان يعطى الرجل بقدر عياله وبقدر حاجته ، فلما اعترض البعض وكانوا يريدون أن يكون القسم بالسوية قال : **« والله لا أسوى بين من حارب الرسول ومن حارب مع الرسول فالرجل وبلاؤه والرجل وقدمه والرجل وغناؤه والرجل وحاجته »**. ولعمر الحق .. تلك أحدث ما وصلت اليه نظريات فقهاء القانون الادارى فى العصر الحاضر . وعمر يضع اسس الاختبار واسس تقدير المرتبات فراعى أولا سابقة الرجل فى البلاء وقدم العامل فى عمله اى أقدميته مع مراعاة عدد من يعولهم وغير ذلك من وسائل تقدير حاجته . ويشرح الامام الماوردى تقدير العطاء بقوله « ان تقدير العطاء معتبر بالكفاية والقدم ويقول أن تقدير ما يكفى الشخص جميع طلباته معتبر من ثلاثة أوجه أحدها عدد من يعوله من الذرارى والمماليك ، والثانى عدد ما يرتبطه من الخيل ، والثالث البلد الذى يحل فيه من حيث الغلاء والرخص ».

وعمر بن الخطاب واضع هذه المبادىء ما كان ياخذ لنفسه ولعياله الا ما يقيتهم وكسوته وكسوتهم صيفا وشتاء ودابة لجهاده وأخرى لحوائجه وصلاته وحجه . أما عماله فكان يرى ان الراتب حق لكل منهم ياخذه ولو كان غنيا ثم يتصدق به ، وهذا ما فعله مع عبد الله بن عمر السعدى . وكان يختبر الناس ليعرف مدى كفاءتهم وذلك بوسائل عدة منها أنه كانت تاتيه القضية فيعرضها على جلسائه من الصحابة ليتعرف على أقضاهم وأفقههم فيوليه القضاء . ومن أقواله « اجعلوا الناس عندكم سواء قريبكم كبعيدكم ، وبعيدكم كقريبكم . اياكم والرشا وايقاع الهوى وان تاخذوا الناس عند الغضب » .

مواقيت الصلاة

الأيام	رجب ١٣٨٤	نوفمبر ١٩٦٤	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الخميس	١	٥	٤٤	٤	١٢	٦	٣٩	١١	٤٣	٢	٥	٥	٢٤	٦
الجمعة	٢	٦	٤٤	٤	١٣	٦	٣٩	١١	٤٢	٢	٥	٥	٢٤	٦
السبت	٣	٧	٤٥	٤	١٤	٦	٣٩	١١	٤٢	٢	٤	٥	٢٣	٦
الأحد	٤	٨	٤٥	٤	١٤	٦	٣٩	١١	٤١	٢	٣	٥	٢٢	٦
الاثنين	٥	٩	٤٦	٤	١٥	٦	٣٩	١١	٤١	٢	٣	٥	٢٢	٦
الثلاثاء	٦	١٠	٤٧	٤	١٦	٦	٣٩	١١	٤١	٢	٢	٥	٢٢	٦
الأربعاء	٧	١١	٤٨	٤	١٧	٦	٣٩	١١	٤٠	٢	١	٥	٢١	٦
الخميس	٨	١٢	٤٨	٤	١٧	٦	٣٩	١١	٣٩	٢	١	٥	٢١	٦
الجمعة	٩	١٣	٤٩	٤	١٨	٦	٣٩	١١	٣٩	٢	-	٥	٢٠	٦
السبت	١٠	١٤	٥٠	٤	١٩	٦	٣٩	١١	٣٩	٢	-	٥	٢٠	٦
الأحد	١١	١٥	٥١	٤	٢٠	٦	٤٠	١١	٣٩	٢	٥٩	٤	١٩	٦
الاثنين	١٢	١٦	٥١	٤	٢١	٦	٤٠	١١	٣٨	٢	٥٩	٤	١٩	٦
الثلاثاء	١٣	١٧	٥٢	٤	٢٢	٦	٤٠	١١	٣٨	٢	٥٨	٤	١٩	٦
الأربعاء	١٤	١٨	٥٢	٤	٢٢	٦	٤٠	١١	٣٧	٢	٥٨	٤	١٩	٦
الخميس	١٥	١٩	٥٣	٤	٢٣	٦	٤٠	١١	٣٧	٢	٥٧	٤	١٨	٦
الجمعة	١٦	٢٠	٥٤	٤	٢٤	٦	٤٠	١١	٣٧	٢	٥٧	٤	١٨	٦
السبت	١٧	٢١	٥٥	٤	٢٥	٦	٤١	١١	٣٧	٢	٥٧	٤	١٨	٦
الأحد	١٨	٢٢	٥٦	٤	٢٦	٦	٤١	١١	٣٧	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الاثنين	١٩	٢٣	٥٦	٤	٢٧	٦	٤١	١١	٣٦	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الثلاثاء	٢٠	٢٤	٥٧	٤	٢٧	٦	٤١	١١	٣٦	٢	٥٦	٤	١٨	٦
الأربعاء	٢١	٢٥	٥٨	٤	٢٨	٦	٤٢	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الخميس	٢٢	٢٦	٥٨	٤	٢٩	٦	٤٢	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الجمعة	٢٣	٢٧	٥٩	٤	٣٠	٦	٤٢	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
السبت	٢٤	٢٨	٥٩	٤	٣١	٦	٤٣	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأحد	٢٥	٢٩	-	٥	٣١	٦	٤٣	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الاثنين	٢٦	٣٠	١	٥	٣٢	٦	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الثلاثاء	٢٧	ديسمبر ١	٢	٥	٣٣	٦	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الأربعاء	٢٨	٢	٢	٥	٣٤	٦	٤٤	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الخميس	٢٩	٣	٣	٥	٣٥	٦	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦
الجمعة	٣٠	٤	٣	٥	٣٦	٦	٤٥	١١	٣٦	٢	٥٥	٤	١٧	٦

مظهران من نزول

المرأة المصرية

إلى ميادين الكفاح فى الحياة

١ – اما احد هذين المظهرين فيتمثل فى اشتراك المراة الريفية مع زوجها وافراد أسرتها فى شئون الانتاج وفيما تتطلبه حياة الاسرة من أعمال . فهى تقوم بشئون التدبير المنزلى ، وجلب المياه واعداد الغذاء لأهل بيتها ، وصناعة الخبز فى مختلف ادوارها من تنقية الغلال وطحنها وعجنها وخبزها ، والاشراف على الأنعام ، وصناعة الالبان بمختلف فروعها ، واستخراج السماد العضوى ، وتربية الطيور والدواجن ، وخزن الغلال والوقود ، وحفظ المأكولات ، وتساعد زوجها ورجال أسرتها أحيانا فى الحقل نفسه بأداء بعض الاعمال الزراعية ، كما تقوم بعمليات الاستبدال والتجارة ، فتحمل الى سوق القرية ما يزيد عن حاجة بيتها من منتجاته لتستبدل به ما يحتاج اليه اهلها من غذاء وكساء ، أو لتدخر ثمنه أو بعض ثمنه للانتفاع به فى حاجيات الأسرة أو فى شراء أنعام أو عقار ، هذا الى ما تحمله من اعباء الحضانة وتربية الاولاد .

الدكتور على عبد الواحد وافى

ولا شك أن هذه الاعمال وما اليها تضطرها فى كثير من الاحيان الى الاختلاط بالرجال . ولكن هذا الاختلاط يتم فى حشمة ووقار ، وفى صورة بعيدة عن مظان الفتنة . فتخرج المراة الريفية فى الغالب مع رفيقات لها من قريباتها أو مع جاراتها أو مع ذوى رحم محرم لها ، وتخرج فى ثياب محتشمة تغطى جميع أجزاء جسمها ما عدا

الاجزاء التى يتعذر اخفاؤهـــا . وتلبس فى الغالب فى هذه الاحـــوال ثوبا أسود او ملاءة سوداء لتخفى من تحته أو من تحتها الثياب الملونة التى تجذب الانظـــار . وتضـع على راسها خمارا تجذبه على صدرهـــا لتخفى رقبتها وجزءا من وجههــــا اذا صادفت فى طريقها رجلا اجنبيا عنها او تحدثت مع رجل اجنبى . وتحدث الرجال فى قضائهـــــا لمصالحها بحديث طبيعى لا تكسر فيه ولا ليونة ولا خضوع . ولا تضع على وجهها ولا على يديها أصباغا ومساحيق . ولا تعنى بزينتهـــا الا بعد ان تنتهى من اعمالها فى الخارج وتستكن فى منزلها مع زوجها واولادها . فللخـــارج الجلباب الاسود والوجه المجرد من الزينـــة ، وللداخل الجلباب الملون الجميل والزينـــة الكاملة .

وفى هذا الاطار الوقور تنزل المراة الريفية الى ميادين الكدح فى الحياة ، وتحقق لاسرتها منافع اقتصادية ذات بال ، وتساير النشاط العـام فى البيت الريفى . وذلك أن من اهم مميزات هذا البيت أن طبيعة الحيـاة فيه تبعث على الكد والعمل ، ولا تحتمل كسلا ولا بطالة ، وتقتضى التعاون التام من جميـــع أعضائه لتحقيق منافعه وسد حاجاته . فهو بيت سليم البنيان ، قوى الدعائم ، لا مجال فيه للهو ولا للعبث ولا للمجون ، ولا مكان فيه للاه ولا عابث ولا ماجن . يشتغل جميع افراده من طلوع الشمس ، بل من قبـــل طلوع الشمس الى ما بعد الغروب ، وتوزع أعماله على اعضائه توزيعا عادلا دقيقا يتفق مـــع طبيعة كل منهم واستعداده ومدى قدرته . فبينما تقوم المراة بالاعمال السابق ذكرها ، يقوم كبار رجاله وشبابه باشق الاعمـــال واكثرها انتاجا وهى اعمال الحقل ، ويقـــوم الاطفال انفسهم بمساعدة الكبار كل بحسب طاقته واستعداداته ، ويؤخذون بذلك بمجرد قدرتهم على العمل ، حتى فى طفولتهم الاولـى نفسها : فيقوم البنات بمساعدة امهاتهن فى الاعمال السابق ذكرها ، ويقوم الاطفال الذكور بمساعدة آبائهم وكبار اخوتهم فى الحقول ، وهكذا تمثل هذه الاسرة خلية نحل لا تفتر لها حركة ، ولا يخمد لها نشاط ، ولا تقع العين فيها الا على مكافح فى سبيل سعادة المجموع .

ومن هذا يتبين ان هذا الضرب من الكدح النسائى تقتضيه شئون الحيـاة فى البيت الريفى ، ويحقق التعاون بين افراده ، ويساعد على سد حاجته ورفع مستواه الاقتصادى . وهو مع هذا لا يخرج بالمراة عن نطاق اسرتها ولا يضطرها الى العمل تحت سيطرة اجنبية ، ولا يكلفها ما لا طاقة لها به ، ولا يحملها اعمالا تتنافر مع طبيعتها وما خلقت له ، ولا يزج بها فيمـــا يـــؤدى الى ضرر اجتماعى أو خلقى . فهو نشاط طبيعى ينبثق من طبيعة الحياة فى البيت الريفى وتستلزمه حاجاته . وهو مصدر خير عميم من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية وهو محوط بضمانات تصون المراة عن الابتذال والخضوع للغير ، وتحفظ لها كرامتهـــــا واستقلالها وحريتها ، وتحترم طبيعتهـــا النسوية واستعدادها ، وتنأى بها عن مظاهر العنت والارهاق . وهو مع هذا كله لا ينحرف قيد شعرة عن تقاليد الشعب المصرى ، وما تواضع عليه من قواعـد للاخلاق والسلوك . والشريعة الاسلامية ترحب بهذا الضرب من التعاون الكريم الذى يجرى فى حدود ما سنته من احكام ، ويتفق مع ما جرى عليه العمل فى العصور الاسلامية الاولـــى . فما تزاوله المراة الريفية المصرية فى الوقت الحـــاضر لا يختلف فى جوهره عما كانت تقوم به نساء المسلمين فى صدر الاسلام . فقد كانت أسماء بنت ابى بكر الصديق (وهى اخت السيدة عائشة أم المؤمنين وزوجـــة الزبير) تصف أعمالها فتقـــول : « كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرســه واعلفه واحتش له ، واخرز الدلو ، واسقى المـاء ، واحمل النوى على راسى من أرض لـــه على ثلثى فرسخ » .

٢ ـ وأما المظهر الآخر فهو دخيل فى مصر ويتمثل فى اشتغال الفتاة المصرية والمـراة المصرية بالاعمال اليدوية فى المصانع والمتاجر. فقد شقت الفتاة والمراة فى مصر منذ عهد غير بعيد طريقهما الى جانب الرجل فى هـذه الأعمال ، وانخرط فيها عدد كبير من فتيات الطبقة الدنيا ونسائها فى المدن المصرية ، وخاصة المدن التى تنشط فيها شئون الصناعة والتجارة ، حتى اضطرت الدولة الى التدخل لحماية المراة العاملة عن طريق التشريع . فصدر القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٣ بوضع نظام لتشغيل النساء فى الصناعة والتجارة ، ثم عدل بالمرسوم رقم ٢٢ لسـنة ١٩٣٦ وبقوانين اخرى صدرت بعد ذلك .

ويظهر لنا أن ليس ثمة مقتض اجتماعى أو اقتصادى جدى لنزول الفتاة والمـراة المصريتين الى هذا النوع من ميادين الكفاح فى الحياة . فميادين الاعمال العامة وميادين الانتاج لم تتسع بعد فى مصر الى حد يحتاج الى جهود المراة فى هذا النطاق الواسـع الذى اخذت فتياتنا تتجهن اليه ، بل يظهر انها لم تستوعب بعد جميع جهود الرجال .

ويظهر لنا كذلك أن نزول الفتيات والنساء المصريات الى هذه الميادين ، وما يصحبهن من تعدد الفرص لاختلاطهن بالرجال من العمال وغيرهم ، وانقطاع الصلة بينهن وبين بيوتهن فى معظم فترات النهار واحيانا فى قسم من الليل ، وضعف الرقابة عليهن ، يظهر لنا ان كل ذلك ينطـوى على اضرار بليغـة من الناحيتين الخلقية والاجتماعية ، كما يشهد بذلك المشرفـون علـى ادارة المؤسسـات الصناعية التى يشتغل فيها الفتيات ، حتى لقد بلغنى عن بعض هؤلاء المشرفين أن كثيرا من الفتيات اللائى يشتغلن فى مؤسسته قد ظهر عليهن آثار السقوط والعلاقات غير المشروعة.

ويظهر لنا كذلك أن هذه الاعمال كثيرا ما يترتب عليهـا ارهاق المراة وتكليفها من الاعمال فوق ما تطيق ، وكثيرا ما تضطر المراة المتزوجة الى اهمالها لشئون زوجها واولادها وبيتها . ولا يخفى ما يترتب على هذا الاهمال من اضطراب فى حياة الاسرة ، وتقويض لاهم مقوماتها ، ونقص فى تربيـة (الاولاد) واضعاف لروح الترابط العائلى .

هذا ، وقد يتبادر الى أذهان بعض الناس من ملاحظتهم لتطور المجتمعات الاوربية وتطور اعمال المراة فيها أن التقدم الصناعى يستتبع بالضرورة اشتغال المراة بهذه الاعمـال ـ والحقيقـة أن ليس ثمـة تلازم بين التقدم الصناعى واقبال المراة على مزاولة هـذه الاعمال . فمن الممكن ان يصل هذا التقدم الى ذروته بـدون أن يقتضى اشتراك المراة فى أعمـاله . وباستقراء تاريخ الصناعة فى العصور الحديثة وما قبلها نرى انها قد ازدهرت فى كثير من الامم بدون أن يستتبع ازدهارها العمل النسائى . وما دامت حركة الصناعة واعمال المهن تجد كفايتها فى الرجال، فليس ثمة ضرورة اقتصادية لاقتحام المراة هذه الميادين .

واما ما لوحظ من اتجاه المراة الى مزاولة المهن فى بعض البلاد الصناعية الأوروبية فلا يرجع سببه فى كثير من الاحيان الى التقدم الصناعى فى ذاته ، وانما مرده الى أمور أخرى تتصل فى الغالب بأزمات عارضة يتبعهـا انحـلال الاسرة ، وضعف الوازع الخلقى ، وارتخاء قبضة التقاليد . واليك مثلا الامة الفرنسية : فان هذه الظاهرة وهى اقتحام المراة لميادين العمل اليدوى فى المصانع لم تنتشر فيها انتشارا كبيرا الا فى أعقاب الحرب العالمية الاولى ولاسباب لاصلة لها مطلقا بالتقدم الصناعى . وذلك أن معظم الرجال القادرين على حمل السلاح او على العمل قد جندوا فى أثناء هذه الحرب للعمل فى جبهات القتال نفسها أو فى المصانع الحربية وملحقاتهـا فى مناطق بعيدة عن بلادهم . فلم يبق فى كل بلد من رجاله الا الشيوخ والمرضى وغير القادرين

على العمل . فخلت البيوت من القوامين عليه وضعفت الرقابة على الاسرة ، واخذ الانحلال ينفذ اليها من جميع الجهات . وساعد على تفاقم هذه الحال طول المدة التى استغرقتها الحرب ، وما كانت تعانيه البلاد من ازمات اقتصادية عنيفة نجمت عن استنزاف هذه الحرب لمعظم موارد الدولة والدخل القومى . وزاد البلاء ضغثا على ابالة دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب منضمة الى الحلفاء . فقد نزلت جيوشها البلاد الفرنسية ، وهى تكاد تكون صفرا من رجالها ، حاملة معها بجانب وسائل الانقاذ الحربى كثيرا من وسائل الفساد والاغراء المادى وعوامل الانحلال الخلقى . كل ذلك قد قذف بالمراة الفرنسية فى كثير من الطبقات المتوسطة والدنيا الى خارج منزلها لسد الفراغ الذى خلفه تجنيد الرجال ولابتغاء الرزق ولمآرب اخر . ومن ثم اعتادت السعى فى مناكب الارض ، والفت العمل فى المصانع ودور التجارة والمكاتب .. وما الى ذلك . وتأصلت هذه العادة لديها لطول العهد ، فلم تستطع الاقلاع عنها ، حتى بعد ان وضعت الحرب أوزارها وعادت الحياة الى مجراها الطبيعى . وكان ذلك من اهم الاسباب التى ادت الى انخفاض الاجور وانتشار ازمات البطالة بين العمال وما عانته فرنسا ولا تزال تعانيه من اضطراب اقتصادى وانحلال اجتماعى وخلقى .

وقد يتبادر الى اذهان بعض الناس ان فى اقتصار الفتيات والنساء المصريات فى هذه الطبقات على شئون المنازل وعدم نزولهن الى أعمال المصانع تعطيلا لجهودهن وكفاياتهن ، وأن ذلك يؤدى الى ضعف الانتاج العام وضآلة الدخل القومى . والحقيقة أن نطاق الاعمال المنزلية ليس ضعيفا الى الحد الذى يتصوره هؤلاء . فبجانب شئون التدبير المنزلى بمختلف فروعه ، تشمل هذه الاعمال حضانة الاولاد والاشتراك بقسط كبير من الجهود فى تربيتهم واعدادهم اعدادا سليما للحياة المستقبلة من النواحى الجسمية والعقلية والاجتماعية والخلقية ، كما تشمل كثيرا من الاعمال الزراعية والصناعية التى يمكن ان تقوم بها الفتاة فى داخل منزلها وتحت اشراف أسرتها ويمكن أن تقوم بها المراة وحدها او بمساعدة زوجها وأولادها بدون أن تضطر الى هجر منزلها وبدون ان يعوقها ذلك عن رعاية شئونه وشئون زوجها واولادها . وهذا هو ما يعنيه علماء الاقتصاد اذ يحثون على تصنيع البيت المصرى .

وغنى عن البيان أن أعمالا هذا شانها وهذه سعة نطاقها لا تقل فى اهميتها ولا فى قيمتها الانتاجية عن الاعمال التى يقوم بها الرجل فى الوظائف والمصانع .. بل ان تقديرا دقيقا لقيمة هذه الاعمال من الناحية الاقتصادية ، اذا اديت على وجه صحيح ، وعملت الدولة على تشجيعها وتقديم ما يحتاج اليه بعضها من مواد أولية وتسويق لمنتجاته ، ليتبين منه رجحان كفتها على أعمال الرجال .

وليس فى اقتصار المراة على هذه الشئون تعطيل لجهودها وكفايتها ولا اضعاف للانتاج العام والدخل القومى . لأن قيام المراة بهذه الاعمال على الوجه الكامل كفيل بأن يستنفد جميع جهودها ، ويستغل معظم مظاهر كفايتها واستعدادها ، كما انه كفيل بزيادة الانتاج العام ورفع مستوى الدخل القومى . هذا الى ما يحققه للاسرة نفسها من سعادة واستقرار وتوثيق للروابط وصيانة للاخلاق

بل ان ما تضطر الاسرة نفسها وتضطر الدولة الى انفاقه لسد بعض نواحى الفراغ الذى يسببه انصراف المراة عن اعمال بيتها وأسرتها واشتغالها فى المصانع وما اليها ليزيد زيادة كبيرة فى كثير من الاحوال عما تجنيه المراة من كسب عملها فى خارج المنزل . فاشتغال المراة فى المصانع وما اليها هو اذن الذى يؤدى فى كثير من مظاهره الى ضعف الانتاج وضآلة الدخل القومى .

تنمية العقلية الاشتراكية

الدكتور

محمود البسيوني

ان تربية الأطفال لم تعد مسالة عارضة لا يحسب لها حساب ، فالأمم الراقية تخطط لمستقبلها بتخطيطها لتربية أطفالها ورعاية نموهم ، وكلما كانت الرعاية شاملة من النواحى : العقليـة ، والجسمانية ، والوجدانية ، والاجتماعية ، أدى ذلك بلا ريب الى تحسين فى مستقبل الأمة . فكلما ربينا أطفالناعلى استغلال مواهبهم واعتمادهم على أنفسهم ، ونمينا قدرتهم على مجابهة المواقف ، ساعد ذلك على تأكيد ايجابيتهم وبالتالى خلق فيهم الحوافز الكفيلة بتطوير المجتمع والنهـوض به . وقد وصل تخطيط شئون التربية فى بعض الأمم ، ليس فقط أن يجد كل طفل مكانه عند بلوغه السن القـانونية فى المدرسة الابتدائية ، بل ان الحد الأدنى للتعليم قد وصل منذ عشرات السـنين الى سن ١٨ سنة فى بعض الحالات ووضعت قوانين ضد تشغيل الأحداث ، كما أنشئت دور الحضانة بكثرة لتحل مشكلة رعاية الطفل منذ سن سنتين وبخاصة فى الأحوال التى تعمـل فيها الوالدة ولا يجد الطفل من يرعاه فى المنزل . كما أوجدت بعض الدول رقابة على وسائل النشر ومنها السـينما ، لكى تضمن أن ما يستمتع به الأطفال والمراهقون فى أوقات فراغهم لا يؤدى الى انحرافهم ، بل الى تكوينهم تكوينا سليما يتفق مع ما ينشده المجتمع من أهداف . ومن الأمم من أخضعت اللبن ـ وهو الغذاء الهام للأطفال ، لتسعيرة جبرية حتى لا يحرم طفل من شربه حين يكون ذلك ضرورة لبنـاء جسمه ، أما اقامة النوادى وانشاء الحـدائق وتزويدها بوسائل الترفيه من أراجيح وألعـاب مختلفة ، وتنظيم مصايف الأطفال ، فكلها قليل من كثير مما تلجـأ اليه الدول فى تخطيطها لاعداد الجيل الجديد اعـدادا يتسم بالصحة العقلية ، والنفسية ، والجسمية ، والوجدانية.

ونحن فى الجمهورية العربية المتحدة قد خطونا شوطا بعيدا فى تحطيم الوسائل المعرقلة لنمو أطفالنا ، المعوقة لتطوير المجتمع ، والتى كانت تحد من تكوين جيـل انسانى ناهض يستطيع أن يؤدى دوره الايجابى بين أمم العالم .

وعلى الرغم من تحطيم قلاع الاسـتعمار والتبعية والرأسمالية المستغلة ، ووضع الخطوط العريضة لمجتمع اشتراكى ، الا أن هناك فجوة يجب أن نحسب لها كل حساب ، وهى تكوين العقليـة الاشتراكية التى تساند المبادىء والأهداف التى رسمها المجتمع وحدد معالمها قادته. فقد ورثنا من الماضى ميراث التخلف والتواكل ، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ، واتخـاذ المحسوبية والانتهازية وسيلة لتحقيق المآرب ، وبقيت رواسب التردد والسـلبية واللجوء الى الطرق الملتوية المضيعة للوقت وللمصلحة فى نفوس هذا الجيل تقاوم للخروج ، وتعرقل التطور ، وتصعب كل أمر هين ، وتعقد كل ما تيسر من كل أمر ، على أساس الشك فى مآرب الانسان وعدم الثقة فى سلوكه ـ وليس من السـهل التخلص من الأمراض النفسـية ذات الطابع الاجتماعى العام ، وحتى اذا حاول النـاس أن يغيروا ما بأنفسهم ليسايروا التطور ويدفعوه قدما الى الأمام ، اصطدموا بمجموعة من القوانين القديمة البالية التى ما زالت تحد من حرية الانسان وتشكك فى سلوكه ، وهكذا كأننا فى دائرة مفرغة . ان اعداد الجيل الجديد اعدادا سليما يقتضى اعادة التفكير فى كل الظروف والملابسات الاجتماعية وفى كل القوانين التى تنظم السـلوك وتحدد العلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم وبعض . وأهم تغيير حتمى هو الذى يوفق بين المصلحة الفردية ومصلحة الجماعة ،

فحينما يلوح بوضوح للافراد أن مصلحة الجماعة هي مصلحتهم ، وانه لا يوجد ثمة تناقض في السلوك على المستوى الفردي أو الجماعي ، دل ذلك على نضج أكيد في تطور المجتمع . ولكن الفجوة هي في التضارب الظاهر بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ، بين احساس الفرد بأن عمله الذي يعمله ليس له قيمته وتأثيره في رفاهية الجماعة ، وبين تسلط الجماعة على الفرد وحرمانه حرية الحركة والتصرف وزيادة الرقابة الشكلية . اليك أمثلة قليلة للتدليل على هذا التضارب . ان تأميم البنوك والشركات لا ريب يهدف مصلحة الجماعة ، ويحد من حرية الفرد المتطرفة في استغلال غيره ، ويجعل الخير العام شركة بين الناس ، انه وسيلة من وسائل التوفيق بين المصلحة العامة والمصلحة الفردية ، ومحاولة لمحو التناقض بينهما . ولكن العقلية التي ورثناها في كثير من الاحيان لا تساير التطور ولا تحقق روحه فبعض الشركات التي أممت لم يحسن أفرادها سلوكهم ليزيدوا الانتاج ويرتفعوا بمستواه ، بل انتهز بعضهم الفرصة وأخذ يقلد موظفي دواوين الحكومة في سلوكهم ، وساد احساس بأن المال الذي أصبح صاحبه رمزا بعد أن كانت شخصيته لها كيانها وشكيمتها ، لا يدعو الى الخوف أو الحرص على الاجتهاد ، بل على النوم والتسويف ، وليس هناك من يحاسب . ومن هنا ينخفض مستوى جدية الانتاج كما تقل كميته ، وتؤثر النتيجة على الاقتصاد العام .

ويتساءل الانسان متحيرا . حينما نؤمم أي شركة فهل المفروض أنها تؤدي خدماتها الى الجمهور بدون استغلال ، أم يزداد استغلالها له ؟ وهل يفرض عند التأميم أن يتضاعف جهد العامل والموظف نتيجة احساسه أنه أصبح يعمل على رفاهية الجماعة وهو أحد أفرادها ، بدل أن كان جهده موجها لرفعة فرد واحد ، أم ينخفض مستوى الانتاج نتيجة احساسه بأن رقابة صاحب المال الأولى لم يكن لها وجود . وعلى ذلك عليه أن ينعس في مكان عمله ، ولا يهتم بواجباته ، فسوف لا يكون هناك من يهمه الأمر ليلومه أو يعاقبه أو يفصله من عمله ؟ ان طمأنينة الفرد الزائدة عن الحد تنتهي عادة بالاستهتار .

ان المشكلة التي نناقشها مشكلة انسانية عامة ، وكل تغيير اجتماعي يصطدم بالضرورة بفئة من المتخلفين ، لا يدركون أهمية التغير ولا يساعدون على نجاحه ، ومن ثم يعاني هذا التغير من مثل هذه العقليات المتخلفة . وكثيرا ما تفشل الثورات لعدم قدرة الأفراد على الارتقاء بأنفسهم لادراك مغزى العمل الثوري .. تفشل لعدم امكانهم تعديل نفوسهم وايمانهم بحيث يصبح التعديل الجديد مسايرا للتغير الثوري بل ودافعا له .

وقد تكشف شيخ المربين جون ديوي منذ سنوات عدة « أن كل اصلاح يعتمد فقط على سن قانون ، أو خوف من عقاب ، أو تغيير ظاهري في الأنظمة الاجتماعية ، ان هو الا اصلاح مؤقت عديم الفائدة ، والاصلاح الحقيقي لا يتم الا بالتربية » ومعنى ذلك أن الجيل الجديد لكي يعد لتبعات المستقبل ومطالبه ، يجب أن يربى تربية اشتراكية أساسها التساند والتآزر ، والعمل للصالح العام ، والتدرب على التضحية لخير الجماعة ورفاهيتها . وهذه الأمور يجب أن يعمل لها كل حساب في المناهج الدراسية وطرق التدريس وأساليبه ، وفي سائر انواع النشاط داخل المدرسة وخارجها . ولكي نصوغ عقلية المواطن لكي تصبح عقلية اشتراكية ، وجب أن تعد البيئة داخل المدرسة اعدادا اشتراكيا كاملا منذ اللحظة الأولى التي تطأ فيها أرجل الطفل المدرسة حتى خروجه منها ، بل لعل المنزل أيضا يصبح بيئة اشتراكية لا طبقية فيه ، والمجتمع بالمثل يزيل الفوارق بين الطبقات وأصحاب المهن حتى لا يؤدي التناقض الطبقي الى تعويض في النمو الاشتراكي الشامل للمجتمع .

وأهم تغيير يجب أن يحدث هو في أسلوب التعامل ؛ فالتعامل الجديد يجب أن ينبني على السماحة ، وعلى الأخذ والعطاء ، وعلى الاحساس بأن الفرد مجند لخدمة غيره ، وهذه الخدمة — في اطار المجتمع الاشتراكي ، ستعود عليه حتما بالنفع اذا ما حسن الآخر أسلوب معاملته ، وأدرك عواقب سلوكه . والتعامل كان من أهم المبادىء التي حض عليها الدين ، وقد حدد معنى الدين في أسمى حالاته بالمعاملة . والواقع أن كلمة « معاملة » تتبع الاطار الفلسفي والاجتماعي الذي يسير في اتجاهه المجتمع ، فالمعاملة التي تسود في مجتمع راسمالي متطرف متناقضة ، فهناك تضارب بين الحاكم والمحكوم ، بين صاحب رأس المال والعامل ، بين الشرطي وأفراد الجمهور ، بين المدرس والتلميذ ، حتى بين الوالد وابنه ، لأن المعاملة تزكي نوعا من الفردية المتطرفة ، والتي يحاول فيها الانسان أن يلتقي بذاته ويمركز كل شيء حولها ، ويغمض عينيه عن كل شيء لا يؤدي الى زيادة دخله ، أو تحكمه . أما المعاملة في اطار المجتمع الاشتراكي الذي أساسه الكفاية والعدل ، فتستند الى الاخاء والى المساواة في الحقوق والواجبات العامة ، كما تستند الى فكرة صحيحة عن العدالة وهي أن ما يصيب الفرد من خير أو شر ، يصيب بقية الأفراد ، فالآدمي كعضو في الجماعة الانسانية يشبه أي عضو في جسم الانسان اذا اشتكى ، تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .. ولكن في المجتمعات المتطرفة فان العلاقة التي تسود غير انسانية وهي أشبه بعلاقة صاحب العربة بالجواد الذي يجرها . فالجواد يجر العربة لا رغبة في جرها ، وانما يجرها مضطرا نظير العلف الذي يحصل عليه من صاحبه ، ان هذا الجواد لا يقاسم صاحب العربة مكسبه الذي يحصل عليه ، كما أنه لا يبدي رأيه في أي اتجاه سيجر العربة فيه ، ولذلك فان العلاقة التي تسود في هذا الموقف أساسها استغلال تحكمي ، يحاول صاحب العربة فيه أن يستخدم الجواد في تحقيق مآربه — ولكن في صلة الفرد بالفرد في المجتمع الاشتراكي فان العلاقة التي تسود ليست قائمة على استغلال أحدهما للآخر ، ولكنها قائمة على ادراك كل منهما للأهداف المشتركة ، كما أن كلا منهما عضو فعال في تخطيط الوسائل المحققة لتلك الأهداف ، وهو أحد المنفذين لتلك الوسائل ، ويستطيع أن يعدل نفسه بنفسه لكي يضمن في مجاله الخاص أن يحقق الأهداف المنشودة وفق ما يرتضيه المجتمع ويحقق آماله .

ان هذه المناقشة ولو أنها سليمة من الناحيتين النظرية والفلسفية ، الا أن تطبيقها في مجتمع متحول كمجتمعنا وسائر المجتمعات العربية ، غاية في الصعوبة . فان هذا الأمر في تغيير أسلوب المعاملة بين الأفراد بعضهم ببعض ، فلن يهن بين الجماعات والمصالح والمؤسسات القائمة ، لأن تخطيطها بني في الأصل في عهد نظام اقطاعي متخلف ، ولذلك يجب كما قال الرئيس أن تهز نفسها هزا حتى نضمن التعاون وتبديل أسلوب المعاملة بين تلك المؤسسات والمصالح بعضها وبعض بما يكفل تحقيق الأهداف والمبادىء الاشتراكية .

دعوة الميثاق الوطني

من دعوة الإسلام

الا تستحق النفس بعد كل فترة زمنية من حياة المسلم أن تراجع أعمالها • لتحدد موضعها من رضاء الخالق فى ضوء علاقاتها مع الناس • ومعاملاتها اليومية الحية • أم ترى يترك الانسان نفسه تتجاذبه الأحداث وتطويه الحياة الدنيا • وتجرفه ماديات مصالحه • فيذهب أمره فرطا •• ويصبح من عداد من قال فيهم الله تبارك وتعالى « ••• من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا •• » صدق الله العظيم ••

فالمواطن المسلم والمؤمن •• تدفعه قوته • وايمانه الى نبذ سياسة الجهل بالله والجهالة بالدين فالدين الاسلامى الحنيف • أوجب أن يعرف الكل أبعاده السمحة البهية • وأخلاقياته التى استقرت فى نفوس الملايين من البشر واصبح أصلها ثابتا فى قلوبهم • وفرعها فى السماء • وأصبحت هذه القيم تنبع من الدين الاسلامى •• تملك كل الضوابط التى تتحكم فى كافة مسالك بنى الانسان وعلاقاتهم على أسس العدل والحق •• مضيئة لهم طريق الحياة •• مستقرة كالبقاء نفسه •• ولو كره الكارهون •• فتنظيم المجتمع • وتقييم معاملاته هو هدف من أهداف الدين •• وهو

الأستاذ حسنى عبد المجيد

أمل كل مسلم أخلص قلبه لله •• حتى امتلأ بالايمان • وأصبح عن احساس ويقين • عضوا ضروريا فى حركة مجتمع بأسره أخذ يستجمع قواه ليقوم باقتحام عنيد فى ثورة عنيدة لكل العوائق والموانع التى تعترض طريق حياته كما يأملها ويتصورها • لتنتقل بالمجتمع المسلم • من مرحلة الجمود الى آفاق العمل الخلاق جاء فى الميثاق فى الباب الخامس (أن قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها وبمدى ما تعبر به عن الجماهير وبمدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل وبمدى ما

يمكن أن توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة ..)

وهنا يقول تعالى ((يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم)) كما يقول تبارك وعلا فى آياته ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم))

فالايمان يولد أصلا فى المواطن الثقة .. والايجابية . والاسهام فى كل ما يحيط به فى معاشه .. وينقله من مرحلة الجمود كما أوردنا الى مرحلة العمل والعلم . والعلم النابع عن العمل هو فى واقعه خلاصة التجربة والممارسة .. والنتيجة الحتمية لكل هذا أن المجتمع المسلم . بكماله وأخلاقياته هو هدف من أهداف الدعوة الاسلامية التى تجل وترفع الانسان وتضعه فى مراتب السمو والامل .. حتى يشعر بقيمته الحقيقية . ومن أن هذه الحياة لم تخلق الا لهدف . حيث يقول تعالى ((افحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق ..))

ونحن اذا حاولنا البحث عن القيمة الحقيقية للانسان الحر . الذى شرفه الله تبارك وتعالى بفيض من نور رسالاته السماوية المتعاقبة حتى أعزه بالاسلام وأبعاده الروحية التى جمعت كل ضرب من ضروب الحياة . علما واجتماعا . وسياسة واقتصادا وتوجيها .. نحن اذا حاولنا أن نبحث - كما نقول - عن جوهر القيمة الحقيقية للانسان المسلم لم نجدها فى مجرد اقامته لشعائر الدين فحسب .. بل فيما يقدمه من عمل واسهام ومشاركة لبناء المجتمع الاسلامى من وحى ما أراده الله تبارك وتعالى وفى ظل تعاليم كتابه . ومن توجيه ما أوصانا به اكرم الخلق فى سنته وأحاديثه الصادقة ..

والعمل والاسهام . والمشاركة هى سمة من سمات الوجود ، وهى عنوان للحياة . والمسلم العامل الواعى لا يحترم مجتمعه فحسب بل يعكس أخلاقياته على المجتمعات الاخرى . أما المسلم القاعد الذى قنع بما قسمه هو لنفسه وقبل الجبر والهوان . وعاش أيامه قانعا وهو قادر على العمل والبناء لايمكن أن - يمنحه الاسلام شرف عضويته . الا اسما ومظهرا والنتيجة معروفة واضحة فهو القاعد العاطل .. وهو الذى سيجنى أشواك الحياة . بعزوفه عن المشاركة فيها بغرض التكسب والعرق الحلال . وهو الذى - سيفقد حريته . وسيفقد كرامته . وهنا يقول الميثاق ((أن كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحه بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر . ولا يرضى الدين بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .))

والقرآن الكريم حينما يقول فى سورة البقرة ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . ان الله على كل شىء قدير)) حينما نتلو هذه الآيات البينات نشعر من أعماقنا أنها تتسع لمعان عديدة . منها أن لكل انسان مذهبا .. فى حياته يذهب اليه . ومنهجا يعيش له . وبه . طبقا لما وجده فى دفين أعماقه من ميول خاصة . تلح عليه . وتفرض عليه منهجا معينا .. فالانسان اذن ليس جسدا بقد ما هو مجموعة كبيرة من الاحاسيس والنوازع والاتجاهات العاطفية . وهى كلها تشكل الخصائص التى ينفرد بها المسلم عن أخيه . فالله تبارك وتعالى . حينما نتلوا فى كتابه الكريم ((ولكل وجهة هو موليها)) فان التفسير التالى . الوارد فى المجلد السابع ((الامام القرطبى - الجامع لاحكام القرآن . ((ينص على ما معناه أن لكل انسان طابعا خاصا .. وشخصية متفردة وهو أنه فى تفرده بهذه الخاصية انما يمتلك ناحية نفسه ويسيطر على ذاته . وأن عاش فى اطارها يحميها من النزوات والشطحات وعرف حقوقها حق المعرفة .. وتعرف على حدودها تمام المعرفة وعاش فى رحاب رضاء الله . وهو أن لم يعرف لنفسه حقها ومضى يقلد هذا أو ذاك وجرفه

تيار الحياة ومظاهرها .. خرج عن هذه السجية وجانب سنة مولاه . وبالتالى يكون قد أهدر شخصيته وساعد فى تغيير خلق الله الذى آثره به ..وبهذا يكون قد ضل ضلالا بعيدا ..

أذن فالله تبارك وتعالى . يقرر حرية الرأى لكل انسان أتجاه معين فى حياته فى أطار من تعاليم الله وسنة رسوله .. والله تعالى بهذا انما يمنح الانسان كل أبعاد الحرية .. فى الاختيار والانطلاق .. فى الطريق السوى . طريق البناء والتشييد والحرية فى الميثاق « هى وحدها القادرة على تحريك الانسان الى ملاحقة التقدم ودفعه « الباب السابع ».

« أن حرية كل فرد – فى صنع مستقبله وفى تحديد مكانه من المجتمع وفى التعبير عن رأيه وفى اسهامه الايجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكرة وتجربة وأمله حقوق أساسية للانسان »

ونحن اذا وقفنا قليلا أمام .. ماجاء بالفقرة السابقة من الميثاق لوجدنا أن حرية كل فرد فى هذا المجتمع – أصبحت حقا أساسيا له .. ولم يكتف الميثاق بترك الحرية على اطلاقها .. بل حدد مفهومها بأنها الحرية – حرية الفرد . فى صنع مستقبله بالكيفية التى تناسبه وتناسب طاقاته وتتمشى مع أحاسيسه ودوافعه فيما ينبغى له أن يكونه .. وبالتالى يصبح المواطن قادرا عن ايمان وعقيدة على تحديد مكانه فى المجتمع الذى يضمه ..

وذلك بعد أن مهد المجتمع له الفرصة ... ومنحها أياه دون ما تقصير أو اهمال . الى الحد الذى لمس فيه المواطن أن التعبير عن رأيه مكفول .. وله أن يدلى بدلوه ما يشاء . وفى هذا أعظم الاسهام – والمشاركة فى قيادة وتوجيه المجتمع الى الوجهة الصحيحة .. فكان .. كل مواطن . له وجهته فى حرية تامة مكفولة . وحسبما تدفعه مؤهلاته لذلك ..وكأن المواطن أصبح الطريق أمامه مفتوحا بكافة مداخله ومخارجه . وعليه أن يختار منها ما يشاء وما يناسبه . وما تطمئن اليه نفسه ...

وبعد كل هذا نلمح فى الميثاق وفى هذه الفقرة . أنه بتقريره منح المواطن حريته كحق أساسى انما يستلهم كل مافيه من أعزاز للقيم .. وتكريم للانسان . يستلهمها كلها من كتاب الله عز وجل .. « ولكل وجهة . هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا . ان الله على كل شىء قدير .. » صدق الله العظيم .

واذا كان الميثاق قد أورد نصا فى بابه السابع قائلا « ينبغى لنا أن نذكر دائما أن حرية الانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال .. » فنريد أن نسأل أنفسنا ... السؤال الحتمى التالى .. النضال ضد من .. ما هى أبعاد النضال وطرائفه والتى يوصى بها الميثاق . لتكون الدروب والمسالك أمام حرية الانسان .. والاجابة على هذا التساؤل واضحة .. فالنضال أولا نضال النفس ضد نوازعها ومن أقدر على تقويم النفس من المسلم الحر . الابى . والنضال ثانيا نضال الكسب والتكسب فى بيئة حية زودها الاسلام بكافة قواعد المعاملات . وأرسى فيها أكرم العلاقات ومنح كل جوانبها أخلاقيات كفيلة بأن تصلح كل اعوجاج فيها .. وينبغى أن ندرك هنا أنه لا حرية للفرد بغير تحريره من براثن الاستغلال .. ولا حرية ولا أمل فى أن يشارك الفرد المسلم المؤمن مالم يبادر المجتمع فى منحه الفرصة المتكافئة لكى يسهم بما يملك من ملكات وطاقات . فتظهر قدراته النضالية فى سبيل عيشه وتأمن أولاده . وخلاصة القول اذن .. أن لا حياة للمجتمع المسلم مالم يتكافل ويتعاون لخلق البيئة الصحيحة للعمل والكد برضاء وعن اقتناع بأن المسلم القوى الحر – هو هدف الاسلام فى المجتمع المسلم . **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « على كل مسلم صدقة . قالوا يانبى الله فمن لم يجد ؟ قال يعمل بيده فينفع الناس . ويتصدق . قالوا فان لم يجد . قال يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا فان لم يجد . قال . فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فأنها صدقة – صدق رسول الله . رواه البخارى ومرة ثانية** لدينا سؤال . كيف يعمل المسلم بالمعروف

ويمسك عن الشر • وهو ضائع لا يكاد يجد قوت يومه وعياله •• كيف يعمل المسلم والعجز عن العمل يخنقان طاقاته • كيف يشعر المسلم بحريته • والاستغلال يخنقه والفقر يحاصره ويحاصر كل رغبة له ولأولاده •• كيف يتجه المسلم المؤمن الى عمله راضيا •• ممسكا عن الشر • وحوله ومحيط به استغلال وطبقة وسيطرة جماعة • ما هى نظرة الفقير المعدم الى القيم والاخلاقيات التى تسود مجتمعه الذى يضم أولاده وعشيرته ثم لا يكاد يسمح لهم بلقمة عيش أو مأوى أو ملبس لائق •• لا شك أن القضاء على الاستغلال ولا شك أن التمكين للحق الطبيعى فى الفرصة المتكافئة • ولا شك أن تذويب الفوارق بين الطبقات وانهاء سيطرة الطبقة الواحدة • ولا شك أن ازالة التصادم الطبقى الذى يهدد الحرية للانسان المواطن • بل يهدد الحرية للوطن كله ••

لا شك أن ازالة هذه العقبات • هى فى جوهرها نابعة من رسالات السماء فهى ثورات انسانية لا تستهدف غير شرف الانسان وسعادته • دون ما تصادم مع حقائق الحياة •• فالاديان واعظمها وأجلها وأعمقها الدين دائما أبدا حق الانسان فى حريته • وحقه فى الحياة •• وليست الحياة التى يعنيها الدين الاسلامى ان هو الا رسالة تقدمية هى أن يعيش الملايين من المواطنين المسلمين فى ظروف أقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع •• وليست الحياة التى يريدها الدين الاسلامى أن يكون عمل الملايين من غير ضمان أو تقييم •• وليست الحياة التى يريدها الدين أن تطحن الملايين من المسلمين بين ثنايا الاقطاع والاحتكار والاستغلال دون ما رحمة أو شفقة • ثم نطالب المسلم أن يكون مسلما قويا ••

والمجتمع الاشتراكى بأبعاده التى أوضحها الميثاق • وبقيمه وأخلاقياته • وبالاطار الانسانى الذى حطه لاول مرة امام أعين الملايين • والمجتمع الاشتراكى بأصراره •• وعزمه على انتشال الانسان المسلم المؤمن •• من كل ما يعوقه ويعطله عن القيام بشعائره وعباداته •• هو السبيل الوحيد • بل الحتمى •• فى خلق البيئة الصالحة • التى تدفع المسلم المؤمن الى رحاب التقوى • التقوى فى الله وفى عمله •• وفى مجتمعه •• وفى بقائه وتطوره •

من دعاة الإصلاح

الفتح مدرسة إسلامية

الأستاذ أنور الجندى

من خلال ثمانين عاما تبرز صورة «الصحافة الاسلامية» واضحة عندما أصدر جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى باريس جريدة « العروة الوثقى » عام ١٨٨٤ ، فكانت الحجر الاول فى بناء الصحافة الاسلامية فى العالم الاسلامى تحمل طابع الدفاع عن الاسلام وتحرير بلاد المسلمين ، أو على حد تعبير السيد محب الدين الخطيب « الدفاع عن حقائق الاسلام وحقوق المسلمين » ولكن العروة الوثقى لم تستمر طويلا فقد توقفت بعد أن أصدرت ثمانى عشر عددا حيث واجهها الاستعمار بحرب عنيفة ومقاومة ضخمة فى كل أنحاء العالم الاسلامى وفرض على من توجد عنده غرامة كبيرة . ولكن «العروة الوثقى» كانت البذرة الأولى لهذا اللون من الصحافة الاسلامية الذى امتد الى يومنا هذا .

فقد تأثر بها « محمد رشيد رضا » الشاب السورى الذى هاجر الى القاهرة من بعد وصحب الشيخ محمد عبده وأصدر المنار أكثر من ٣٨ عاما ، منذ ١٨٨٩ تقريبا الى عام ١٩٣٧ فكان بذلك أضخم الصحف الاسلامية أثرا وأطولها عمرا .

وفى ظل « المنار » صدرت مجلات اسلامية عديدة كان ابرزها مجلتى الزهراء والفتح للسيد محب الدين الخطيب ، أما الفتح - موضع دراستنا اليوم - فتمتاز بانها كانت صحيفة اسلامية أسبوعية استمرت فى الصدور ربع قرن وتركت حصيلة ضخمة من الثقافة والفكر ما تزال موردا للباحثين .

وقد صدرت صحف اسلامية عديد فى خلال هذه الفترة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى منها « التمدن الاسلامى » فى دمشق « و شمس الاسلام » فى تونس والبصائر فى الجزائر و « البشرى » فى حيفا و « أم القرى » فى مكة و « الاعتصام » فى حلب و « المرشد » فى بغداد و « مرآة المحمدية » فى جاكارتا و « الهدى » فى ماليزيا و « منبر الاسلام » و « الازهر » فى مصر .

ومع ذلك فقد ظلت الفتح ما بين ١٩٢٦ - ١٩٥١ أبرز هذه الصحف وأقواها وابعدها أثرا فى العالم الاسلامى واقدرها انتشارا فى مختلف الأقطار .

ويرجع ذلك الى منهجها الذى يختلف عن منهج « المنار » ، ولكونها تصدر أسبوعية وليست شهرية ، مما حقق لها مقارعة الأحداث قرعا مقاربا ، وأتاح لها مصافحة القارىء المسلم على مدار الاسبوع ، فضلا عن اهتمامها الواسع بالفكر الاسلامى أكثر من السياسة وتنشئة جيل ضخم من كتاب العالم الاسلامى بينما كانت المنار تقتصر على كتابات صاحبها وقليل جدا من اصدقائه .

وفى مراجعة شاملة لصحيفة الفتح تبرز حقيقتان كبيرتان :

الأولى : ان ما من قضية كبرى من قضايا العالم الاسلامى ظهرت فى تلك الفترة الا وكانت « الفتح » مشاركة فيها على المدى الواسع والعميق .

الثانية : انه ما من كاتب معروف الآن فى العالم العربى أو الاسلامى الا وقد كتب فى « الفتح » فى مطالع شبابه

وقد حاول السيد محب الدين الخطيب ان يصون هدف صحيفة « الفتح » فكتب فى العدد الاول من السنة التاسعة « ١٣٥٣ هـ » يقول :

ان الفتح « انشئت لماشاة الحركة الفكرية الاسلامية وتسجيل أطوارها ، وليد الحاجة الى حاد يترنم بحقائق الاسلام » مستهدفا تثقيف النشء الاسلامى وصبغه بصبغة اسلامية أصيلة تظهر اثرها فى عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم ، وحماية الميراث التاريخى الذى وصلت أمانته الى هـذا الجيل من الأجيال الاسلامية التى تقدمته .

وعقيدته فى ذلك أن المسلمين امة واحدة ، نفوسهم تتصل بآصرة واحدة ، وعقولهم تشترك فى عقيدة واحدة، وقلوبهم تتحرك بامنية واحدة .

وكانت دعوته الى التشريع الاسلامى « فهو ارحم وأعدل من كل تشريع تقدمه أو جاء بعده ، ومن الخير لحضارة الغرب القائمة الآن أن يقوم الى جانبها حضارة اسلامية تذوق بها الانسانية لونا آخر من ألوان التعـاون الانسانى »

والواقع أن « الفتح » قد صدرت فى خلال فترة عصيبة من تاريخ أمتنا السياسى والثقافى فان سنوات الثلاثينات والأربعينات كانت أقسى السنوات على العالم الاسلامى والفكر الاسلامى من ناحية محاولات التدمير والتغريب الضخمة التى حمل لوائها النفوذ الغربى لتثبيت كيانه وهدم صرح القوة الفكرية والروحية فى هذه الامة .

وهذا هو العمل الحقيقى الذى تصدت له الفتح وحملت لواءه ،ومن هنا لم تكن الفتح صحيفـة ، وانما كانت مدرسـة ، فان محب الدين الخطيب الذى جميع اليه كتاب العالم الاسلامى حيث كانت صحيفته منبرا لهم ، لم يلبث أن جمع اليه قادة الفكر فى مصر ليقيم « جمعية الشبان المسلمين » لتقف فى وجه الحملات الضخمة الموجهة الى الاسلام ، وقد سارت الفتح والشبان فى طريق واحد ، ونحو هدف واحد ، تستمد من ايمان هذا الرجل وحماسته وصدقه : القوة ، وهو طاقة كبيرة ما تزال حية تعمل حتى الآن فى مجال خدمة الفكر الاسلامى وهو على وشك أن يكمل الثمانين من الاعوام أطال الله عمره .

وقد واجهت الفتح قضايا التغريب والالحاد وحملت على القاديامته فى الهند ولم تترك الفتح كلمة تنشر فى الصحف المصرية أو العالم الاسلامى فيها اتهام للاسلام وقدم كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » حيث كشف عن مؤامرات التبشير .

وكانت أمانته للشـمال الافريقى كبيرة ، فقد حمل لواء الجهاد مع هذه الأقطار على نحو باهر ، حروب محمد عبد الكريم الخطابى فى الريف المغربى ، مقاومة الظهير البربرى فى المغرب ، مؤامرات التجنيس فى تونس ، وقد حفلت الفتح بكتابات المغاربة حتى يمكن أن تكون الفتح مرجعا هاما لكل باحث عن قضايا الفكر والثقافة فى المغرب العربى فى هذه الفترة .

اما بالنسبة للعالم الاسلامى فانت تقرأ لمحمد مكين الصينى ، وخالد شلدريك رئيس الجمعية الاسلامية فى لندن واخبار المسلمين فى البوسنة والهرسك ودراسة حالة المسلمين فى مليبار ، والاسلام فى شرق أفريقيا ، وقضية فلسطين ، وتعليم اللغة العربية فى الهند ومشكلة المسلمين فى الحبشة وعرب زنجبار والاسلام فى اندونيسيا وعن مسلمى بولونيـا وكتابات أبو عبدالله الزنجانى من ايران ، ومقالات مطولة عن حاضر مسلمى الهنـد وغابرهم وعن ايطاليـا والمعاهد فى طرابلس وبرقـة

وبالجملة ، تجد موسوعة عامة لتطورات الفكر والسياسة فى العالم الاسلامى كله من اقلام : شكيب ارسلان الذى يكتب اسبوعيا تقريبـا من جنيف ، مستعرضا كل ما يكتب عن الاسلام فى اوربا ، واسماعيل الندوى وشبلى النعمانى ومسـعود عالم الندولى فى الهند ، وتواشغر بهجت الأثرى عالم العـراق الكبير وديوان مجد الاسلام للشاعر أحمد محرم نشرت أول فصوله فى الفتح ، ومحمد تقى الدين الهلالى .والشاعر محمد النجمى والشيخ مصطفى الرفاعى اللبان وعمر الدسوقى ، ومن المغرب احمد بلافريج وعبد الرشيد أبرهم تلميذ جمال الدين ، والدكتور على مظهر ، وعجاج نويبهض « نابلس » والمرحوم مصطفى السباعى «دمشق» والدكتور محيى الدرديرى ومحمد كامل القصاب ومحمد الهيهاوى .

وآراء السيد محب الدين الخطيب واضحة صريحة وأسلوبه مشرق مضيء ، « أنا اعرف نفسى منذ طفولتى أننى من أنصـار الاصلاح الاسلامى وكنت ولا ازال أفهم من هذه الكلمة الاصطلاحية ، أن الاسلام الذى كان عليه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه كما فهمه منهم التابعون ، فالاصلاح الاسلامى هو تجديد الاسلام من البدع الطارئة عليه وتخليصه من الدخيـل الذى يحسب الجاهلون أنه منه ، وما هو منه ، ومن الاصلاح الاسلامى بث روح النشاط بين المسلمين لاحياء مقاصد دينهم وتحقيق أغراضه وحسن التعبير عنه من الدعوة اليه وتاليف الكتب عن حقائقه وأحكامه وتاريخه » .

وهو يدعو المسلمين الى العمل الايجابى من اجل اللحاق بركب النهضة حتى لا يتخلفوا عنه ، داعيا الى اعداد رجال يقتبسون الصناعات ويتخصصون فى العلوم اللازمة لها والاكثار من اهل المعرفة فى فنون القوة .

وعنده أن الاسلام ليس دين عقيدة وعبادة وحسب، بل الاسلام ثقافة طبيعية لأرواح الفته ، وعاشت به وكان مبعث قوتها ، وسبب اعتلائها ، والاسلام فوق ذلك تاريخ أمجاد تحسدنا عليها جميع الامم وأمجاد العروبة لا ينفك تاريخها من تاريخ الاسلام بحال ، فاذا حيل بين الاسلام والعروبة كانت العروبة جسما بلا روح ، وكان الاسلام روحا بلا جسم ، وهذا تاريخنا العربى من بدايته الى اليوم لا نراه ازدهر وانتعش ، وكان مظهر العز والقـوة الا فى الادوار التى كان الاسلام يزدهر فيها وينتعش ، ويأخذ نصيبه من العز والقوة ، ويكذب من يظن أن العرب تنمو عزتهم بروح أجنبية غير روح الاسلام »

ولست اعرف كاتبا كان أوضح رأيا فى ربط الاسلام بالعروبة على النحو الذى يحقق فلسفة حقيقية لليقظة ، وبناء النهضة ، كما يفعـل السيد محب الدين الخطيب منذ سنوات طويلة ، فهو مؤمن بامتزاجهما واستحـالة انفصامهما وهذه عباراته :

« ان العروبة ظئر الاسلام ، وان العروبة والاسلام كلاهما من كنوز الانسانية وينابيع سعادتها اذا عرف

اهلهما قيمتهما ، واذا أتيحت لهما أسباب الظهور للناس على حقيقتهما. واذا ذلت العرب ذل الاسلام» ويقول : انا عرب قبل أن نكون مسلمين وهذا حق ، ولكن لم نكن شيئا قبل الاسلام » .

ولقد عاش السيد محب الدين الخطيب حياته يدعو الشباب الى التخصص فى دراسة الفكر الاسلامى وتخليصه من الكتب القديمة وعرضه على النحو العصرى الحديث الذى يتيح للمثقفين الانتفاع به ويرد عنه عادية خصومه حين يتهمونه بالضعف او الاضطراب « أنا منذ بضعة عشر عاما الى الآن أدعو شبابنا المثقف الى التخصص فى دراسة نواحى هذا الميراث المجيد ، وتنظيمه على النحو الذى يفعله المستشرقون والمستغربون، ولكن بنية غير نيتهم فهم ينظرون اليه بعين الأم الى بناتها ، أما المستشرقون فيدرسونه ليستعينوا به على استعمار أوطاننا . ونحن ندعو شبابنا أن يدرسوه ليصلوا به آتينا بماضينا ويتخذوا من قوته حصنا يجمع شتاتنا ويحمى حمانا » كما يدعو الى اعادة النظر فى علوم الاسلام وتاريخ أهله ، بعرض الحوادث الخطيرة فى تاريخنا على نحو جديد .

ويؤمن السيد محب الدين الخطيب بالتربية ، فالعلم وحده ـ عنده ـ لا ينهض بالأمم ، فلابد من التربية .

ويصور أزمة العالم الاسلامى فى افتتاحية مجلة « الزهراء » عام ١٩٢٤ وهى مجلة ممتازة استمرت حتى عام ١٩٣٠ يقول :

« تاصل فى نفسى منذ اعوام كثيرة أن الناطقين بالضاد لا تثبت لهم نهضة ما لم تكن قائمة على دعامتين :

١ ـ المرونة فى الاقتباس من حضارات الأمم الأجنبية فى وسائل القوة .

٢ ـ الاحتفاظ بتقاليدنا التاريخية وأوضاعنا الوطنية ولساننا الأصيل . وقد قص علينا التاريخ أن الأقوام الذين جمدوا عند تقاليدهم فلم يدعموا كيانهم القومى بدعامة الارتقاء والتجديد ضرب على قلوبهم بالانسداد فتصرف فيهم وفى أوطانهم اهل القوة والحياة ، كما انبانا التاريخ أن الاقوام الذين استهواهم تلقيد الاغيار من اهل القوة فيما ينافى كيانهم القومى فانسلخوا من سجاياهم وفرطوا فى تقاليدهم وتركوا حدود لغتهم مباحة لاحتلال اللغات الاخرى لم ترحمهم الامم الاجنبية التى ذابوا فيها فاهتضمتهم حتى لم يبق لكيانهم الاجتماعى من باقية » .

وهو يركز دعوته فى الاصلاح على هدفين ، المدرسة والصحافة فيقول :

« انما اتينا من جانب المدرسة والصحافة فهما اللتان كونتا رجالنا وجماهيرنا كما نرى ، ولن نتقى شر الاحتلال الذى نتوقع أن ينزل بنا ما لم تكن لنا مدارس وصحفا مؤسسة على جلاميد من الايمان بالهداية المحمدية لا تزعزعها الزلازل وعلى دعائم من الوفاء للتاريخ العربى يفنى الزمان ولا تفنى »

وفى حدود هذه المفاهيم الواضحة للاصلاح فى مجال الثقافة والفكر مضى قلم السيد محب الدين الخطيب يكتب فى خلال خمسين عاما ، وكانت انصع فتراته « صحيفة الفتح » التى تكون الآن أكثر من ٢٥ مجلدا تضم ٣٠ ألف صفحة قوامها :

١ ـ الدفاع عن حقائق الاسلام .

٢ ـ وحقوق المسلمين .

٣ ـ مقاومة تيار الالحاد .

٤ ـ الرد على خصوم الاسلام .

٥ ـ حماية اللغة العربية .

٦ ـ بعث الأمجاد والمفاخر الاسلامية .

٧ ـ احياء التراث الاسلامى .

٨ ـ تصحيح التاريخ الاسلامى .

٩ ـ امتزاج العروبة بالاسلام .

١٠ـ السلفية النقية فى العودة الى منابع الاسلام الاولى

وقد واجهت الفتح متاعب كثيرة حيث كانت تطارد من السلطات الاستعمارية فى المغرب العربى بالذات .. فكانت تهرب فى جيوب الناس واسنمة الجمال ، وتغير كليشهاتها باسم صحف اخرى كالمنهاج والأخلاق ، حتى تستطيع أن تصل الى الناس . يقول « كاتب الفتح قبل نشوب الحرب ـ الكبرى الثانية ـ تطوى أنحاء العالم الفسيح وتعلم أهله ما يجب عليهم لدينهم ووطنهم ، فلما شبت نار الحرب اقفلت الطرق وامتنع على الفتح أن تجتاز مسالك الجهاد فى معظم جهات العالم » .

وهى التى ورثت المنار بعد وفاةرشيد رضا وشاركت معمجلة نور الاسلام والازهر فىالدعوة الاسلاميةواعترف الدكتور كمبفماير المستشرق الالمانى بدورها الهام وأثرها الواضح .

ولم تكن الفتح هى قصارى جهد هذا العلامة الكبير

فلا شك ان تاريخ السيد محب الدين الخطيب حافل باعمال أخرى منذ مطالع شبابه ، حيث اتجه الىتاليف الجمعيات الوطنية السرية فى دمشق ، هذه البذرة القوية التى حققت من بعد بروز القومية العربية على نحو حقق للعرب القدرة على ابراز كيانهم ومقاومة عوامل افنائهم فى الدعوة الطورانية التى حملت لوائها تركيا .

وكانت مطالعات الشباب هى الأسس الأولى فى تكوين شخصيته ، فقد قرأ مؤلفات « ابن تيميه » ودعوته الى معرفة الاسلام من ينابيعه الصافية .

وهو فى خلال اقامته فى دمشق واستانبول كان حفيا بأن يعمل من أجل تثقيف جيل وانشاء طلائع مؤمنة بالعروبة والاسلام معا ، وظل دائبا على هذا العمل مع أصدقاء شبابه عارف الشهابى وصلاح القاسمى وصالح قنبار ولطفى الحفار وزكى الخطيب ورشدى الحكيم . وكان لأبيه الروحى الشيخ طاهر الجزائرى أثر وفضل ، فقد اتسع له مجال القراءة والاطلاع فى دار الكتب الظاهرية ، ومجال ترجمة المقالات من اللغة التركية بنشرها فى مجلة ثمرات الفنون ، وينشىء حلقته الصغيرة ويقرأ الكواكبى ، ثم يدرس فى بيروت بعد دمشق ، وفى استانبول عام ١٩٠٥ يلتحق بكليتى الحقوق والآداب ويجمع شباب العرب هنالك فى ندوة تقرأ فيها قصاصات الصحف العربية ، ويعلم مع صديقه عارف الشهابى اللغة العربية والتاريخ العربى ، مكاشفا اصحابه بان هذا العمل نهضة .

فلما عاد الى دمشق اتخذ من قهوة محمد آغا مكانا لدعوته .

وفى اليمن حيث عمل مترجما ، مضى فى انشاء فروع لجمعية النهضة العربية ، واستطاع فى مطالع شبابه أن يصلح بين الامام يحيى وبين العثمانيين .

فلما عاد الى دمشق فى ظل حكم الاتحاديين هاجمهم بالكلمة والكاريكاتير ، حتى أثارت مجلة « طار الخرج » ضجة كبرى لعنف الهجوم ، مما اضطره الى الهجرة الى بيروت ، فاستانبول ، فالقاهرة حيث وصلها فى فى أغسطس سنة ١٩٠٩ .

ومنذ ذلك اليوم استقر المجاهد فى ارض الكنانة ليبدأ صفحة جديدة من الجهاد فى مجال الفكر والثقافة الاسلامية عن طريق القلم ، والصحيفة والمطبعة ، فاسس المكتبة والمطبعة السلفية ، والتحق بتحرير المؤيد ،وعمل مع على يوسف أستاذه الأول فى الصحافة المصرية وعرف احمد تيمور صديقه الكبير فى مجال العمل الاسلامى . وكان من أساتذة مدرسة دار الدعوة والارشاد التى أسسها ١٩١٣ الشيخ رشيد رضا ، يدرس علم الجيولوجيا ، وسرائر الله فى الكون .

ولم يترك العمل السياسى فى مجال العروبة خلال هذه الفترة حيث انتدب فى أوائل الحرب العالمية الأولى لمفاوضة أمراء العرب ابن سعود والامام يحيى والادريسى باسم جماعة الوحدة العربية ، وهنالك فى البصرةاعتقله الانجليز « اكتوبر ١٩١٤ حيث امضى سبعة أشهر يقرأ فى السجن تاريخ الكامل لابن الاثير ومروج الذهب للمسعودى .

ثم اختير لتحرير جريدة القبلة عام ١٩١٦ حيث اعلن شريف مكة الثورة العربية ، وكان مع كامل القصاب مستشارين للأمة العربية لدى الشريف ، فامضى ثلاث سنوات أحس بعدها انه لا سبيل الى توجيه هذا العاهل نحو آمال الامة العربية ، وهذه عبارته :

« كان الحسين وأولاده يعيشون بعقلية عصور الاقطاع التى تعتبر الأوطان مزارع للملوك » .

ويرى السيد محب الدين أن الحسين بن على لم يقم لاجل أن تكون للعرب دولة بل قام لان الاتراك كانوا على نية ابطال اشرافية مكة « فتغذى بهم قبل أن يتعشوا به »

فلما انتهت الحرب ، دخل دمشق وعمل مع جمعية العربية الفتاة ، واشرف على صحيفتها العاصمة ، ثم تحول وجه الامر بالنسبة لفيصل واستسلم للحلفاء ، وضاق بجهاد العربية الفتاة ، ووافق على انذار غورو باحتلال دمشق ، وسافر سرا ليلة الغزو ، حيث هرع السوريون فى موقعة ميسلون التى انتهت بدخول الفرنسيين دمشق ، هنالك ركب السيد محب الدين مع اقاربه تجار الجمال برا فى الابل من دمشق الى القاهرة بوصفه تاجر جمال عربى ، حتى وصل يافا ، ومنها استخرج جواز سفر باسم « عبد الله ابو الفتح» سافر به من يافا الى القاهرة ، حيث التحق بتحرير جريدة الاهرام « ١٩٢٠ - ١٩٢٥ » حيث عاد الىانشاء المكتبة السلفية واصدار الزهراء سنة ١٩٢٤ ثم أسس الفتح « مايو ١٩٢٦ »

واتيح له فى هذه الفترة أن يقوم بعمل ضخم ، لا ينسب اليه الآن ولا يذكر أثره فى اعداده وانشائه وهو جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٧ مع صديقه الشيخ محمد الخضر حسين واحمد تيمور باشا واثنا عشر شابا وفريق من أهل الفضل .

يقول السيد محب الدين : كان الداعى الى تأسيسها استفحال حركة التبشير من جهة ونشاط حركة الالحاد باسم التجديد ،وذلك على اثر تنكر الكماليين فى تركيا للاسلام ، وقد كتم خبرها عن الصحف حتى بلغ أعضاءها ٣٠٠ عضو .

ويقول : كنت انا واحمد تيمور باشا والسيد محمد الخضر حسين حريصين على أن تكون هذه المؤسسة الاولى للاسلام فى مصر قائمة على تقوى من الله واخلاص وكنا حريصين على أن يتولى ادارتها رجال يعرفون كيف يصمدون لتيار الالحاد الجارف ، بعد ان استولى على ادوات الثقافة والنشر فى العالم الاسلامى وفىمصر على الخصوص ...

ويقول : وكان الجمعية حدثا كبيرامن احداثالحركة الاسلامية لان دعاة الالحاد والتحلل كان قد استفحل امرهم ، وظنوا ان قيادة الامة قد افلتت من ايدىممثلى الاسلام وانتظمت الى ايديهم » .

وقد اخذ خصوم الفكرة يتربصون الدوائر بصاحب الفكرة حتى نشر مقاله عن أمان الله خان وكمال أتاتورك فقدم للمحاكمة على أنه هاجم ملكين فقبض عليه واودع السجن وحقق معه ، وحكم عليه بالسجن شهرا واحدا مع ايقاف التنفيذ .

ولم يتوقف السيد محب الدين الخطيب عن عمله فى مجال خدمة الاسلام والفكر الاسلامى فقد ظل يصدر صحفه ، واصدر عددا من المؤلفات والآثارابرزها: اتجاه الموجات فى جزيرة العرب والرعيل الاول فىالاسلام موسوعة الحديقة فى ١٣ جزءا فضلا عن مئات المقالات والابحاث فى مختلف الصحف أهمها تحريره لمجلة الأزهر ست سنوات « ١٩٥٢ - ١٩٥٨ » .

وبعد .. فماذا فعل السيد محب الدين بعد ذلك منذ ذلك التاريخ ، هل آثر الاعتكاف فى مكتبته الضخمة التى فاقت مكتبتى أحمد زكى باشا وأحمد تيمور باشا فبلغت ١٨ الف مجلة حتى الآن . هل استراح الرجل وهو فى حدود الثمانين ، انه بدأ عملا جديدا ضخما بعيد الأثر فى الفكر الاسلامى .

فقد أجرى تحقيقا علميا لاكبر كتاب فى السنة هو « الجامع الصحيح للبخارى » حيث يجرى طبعه الآن فى ثمان مجلدات كبار باسم « توضيح الجامع الصحيح للبخارى » مع اضافات وتحقيقات للاعلام وربطالاحاديث البخارى المجزاة على ابواب الفقه حتى يستطيع من ينتفع به أن يلم الماما كاملا على النحو الاصلى لها قبل تجزئتها ، وما يزال كل مار فى شارع الفتح حيث يسكن السيد محب الدين فى ارض الفسطاط ، أول بقعة عرفها العرب والاسلام فى القاهرة ، يراه فى جلبابه الابيض وراء زجاج مكتبته عاملا لا يمل ، وساهرا لا ينام ، يريد أن يختم حياته الطويلة باذن الله والمباركة العريضة بعمل نافع وكبير ، ولكن السيد محب الدين ما يزال يطمع فى أن يقدم اعمالا اخرى أهمها تأليف كتاب « الايمان الاسلامى » وكتاب « ذكريات جيلى » وتنظيم وطبع مقالاته وتحديد آلاتالمطبعة السلفية واكمالوتنظيم وفهرست مكتبته العظيمة ، كتب الله له التوفيق .

العلاج بالاعشاب

لو فرضنا انك شعرت بآلام وتوعك ، وحسبت ان خطورة مرض مجهول قد ألمت بك ، وفكرت أن تذهب الى طبيب حاذق نطاسي ، وفحصك باجهزته ثم قال لك : ان علاجك فى « بصلة » تطعمها ، أو تشرب ماءها ، فماذا يجول فى خاطرك « حينذاك » ؟! لا شك أنك تقول ان هذا الطبيب غير متمرس فى مهنته ، أو لم يدرس الطب كما يجب ان يكون ، او شيخ يريد ان يحيل الأدوية الى خرافات ودجل وشعوذة .

اعرف بعض العائلات التى بسط الله لها الرزق وسعة العيش عندما يمرض احد افرادها يجتمعون فى مؤتمر كالقمة يناقشون الآراء حول مهرة الأطباء فى نظرهم هم الذين يغالون فى قيمة « الزيارة » وفى قيمة الوصفة الطبية « الروشتة » ..

وربما يقترح أحد أفراد العائلة طبيبا معينا سمع عنه انه ماهر فى فنه ، ولكن هذا الاقتراح يرفض باجماع الآراء لأنه ياخذ أجرا بسيطا ؟!!

لعلي اكون قد جاوزت القول ، او تحدثت حديث خرافة لا يمكن حدوثه ، ولكنى أؤيد رايى بقول الدكتور « أمين رويحه » فى كتابه التداوى بالأعشاب عندماتحدث وقال ما ملخصه قد أهمل الطب استعمال أكثر الأعشاب الطبية واستعاضوا عنها بأدوية الصيدليات الصناعية لأن ذلك أدعى الى ثقة المريض ورضاه وأنه لو خيرنا أى مريض فى عصرنا الحاضر بين علاج يشتريه من الصيدلية ويدخل جسمه بوخز ابر الحقن وبين الاستعاضة عن ذلك مثلا ببصلة يجدها مهملة فى مطبخه ، ولا تكلفه شيئا لاختار الاول ، واستهزأ بنا عندما نطلب منه أن يختار الثانى (انتهى)

* *

والمعروف ان فى النباتات علاجا بجانب كونها غذاء وأوجد الله سبحانه وتعالى فى بعض نباتات معينة علاج أمراض معينة ..

وأعطى الله ايضا الهاما الى الحيوانات يجعلها عندما تحس وعكة او مرض أن تطلب الدواء من علف معين ، وتترك تناول أطعمة ترى أنها تفسد علاجها وتبعد برءها .

يقول أحد السياح : لقد رأيت كلبا يبحث فى مزرعة وهو ينبح بصوت خفيض فتتبعته لأرى ماذا يريد فاذا به يرى نبتة معينة فينقض عليها وياكلها ، فيبلى من الألم الذى كان به ، ويبطل عواؤه المنهمر ..

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه) والأمشاج هى الأخلاط وقوامها يعدل مزاج الشخص وهذا يكون باستعمال النافع من الاغذية وتجنب الضار منها فانها تحفظ للجسم صحته وترد على العليل سلامته .

وقصة التداوى بالأعشاب ابتدأت بعد حادثة معينة فى مدينة « ليما » عاصمة بيرو بأمريكا الجنوبية .

فقد خيم السكون على قصر المركيزة (فرانسيسكان) لأن الطب عجز نهائيا عن شفائها وذلك سنة ١٦٣٠ ، وهم ينتظرون فى حزن عميق وعد الأطباء بأنها ستموت لامحالة بعد ثلاثة أيام ، ولكن المركيز زوجها لم يفقد الأمل وسمع أن شيخا زاهدا ياوى الى صومعة فى جبل « الأنديز » وانه يداوى مرضاه بالأعشاب فطلبه فحضر ، وقال له « لو شفيتها لأعطيتك كل ما تتمناه »

الدكتور
عبدالكريم دهينة

فاجابه الفقير المتقشف : مهلا يا سيدى ساشفيها لوجه الله تعالى . ولا اريد منك اى أجر سوى أن أذهب الى صومعتى بعيدا فى الجبل كما كنت فيها دائما ، وراح الشيخ ذو الثياب الرثة يفتش فى كيسه الممتلىء بمختلف أنواع الأعشاب حتى أخرج منها قشور « لحاء » جافة فغلاها بالماء واستخرج منها شرابا خضه وصفاه ثم أعطاه للعليلة جرعة وراء جرعة ، وكانت تشعر بامتعاض وهى تشربه ولا تكاد تسيغه انه شديد المرارة ، ثم نامت فى استرخاء حسب من بجوارها أنها فى طريق الفناء .. ولكنه أكد لهم أنها شفيت .. وكان ما قاله صحيحا ..

وقال الشيخ للأطباء ان هذا الشراب الذى أعددته من لحاء شجرة مأخوذة من جذعها ، ولقد تعرفت عليها من سكان الجبل نفسه .

واسم الشجرة « سنكونالدجريانا » أو قشور الكينا ومنها استخرج فيما بعد « الكينين » الذى ظل طيلة ٣٠٠ سنة يشفى من حمى الملاريا .

وتاريخ التطبيب بالأعشاب قديم جدا ، وتداوله المصريون القدماء ، والأشوريون ، والبابليون والاغريق ، والعرب . واحتكره الرهبان فى أوربا حتى ان الراهبة « هيلد كارد » الفت كتابها المعروف .. بالفيزياء » فى هذا الباب .

وفى ظهور القرن التاسع عشر وبعد أن ازدهرت البحوث الكيماوية بدأ التداوى بالاعشاب ينطوى فى عالم الاهمال ليحل مكانه التداوى بالمساحيق والأقراص والأتربة المستخلصة من الأجزاء الفعالة فى الأعشاب أو من المواد الكيماوية غير العضوية .

وقد لاقى هذا الانقلاب الطبى معارضة كبيرة لا زال صداها يرن بين حين وآخر فيمن يريدون العلاج « بالطبيعة » فقط .

ومن يقولون ان الأدوية سموم فتاكة مهما كانت فائدتها ملموسة ..

وارى ان فى ذلك نوعا من المغالاة ، ولعلهم يقصدون الا يكون الدواء المستحضر دائما هو المقصد الذى يريده المريض ، ما دام ثمة مندوحة عنه ..

ويضربون كذلك مثلا بدواء « الديجيتال » وأنه علاج سام يستعمل فى مداواة امراض القلب وهو مستخرج من نبات خاص ، والكمية السامة منه تسمم القلب اذا اعطيت من المستخلص من النبتة ولا تسبب أى أعراض تسمم اذا أعطيت بكميات أكبر بوريقة « النبتة ذاتها »

ولعل القارىء الكريم يظن أننى أريد أن نستغنى عن الطبيب ونقبل على النباتات والأعشاب نتداوى بها ، ولكنى أقول : من غير الطبيب يصف لنا علتنا ؟!

ومن غيره ايضا يوجهنا الى العشب النافع المداوى لها اذا طلبنا منه ذلك ؟!

وبعد ان وصلت الى هذا القدر من ضرورة العلاج بالأعشاب لما فيها من تكاليف لا تكاد تزهق النفس ، وربما نجدها بابخس الأثمان ، وتكون اسعافا فى بعض الأحيان حتى يحضر الطبيب ليوجهنا التوجيه الصحيح . بعد ذلك كله ..

اعود الى الكتابة فى نبتة تراها كل يوم فى احدى جوانب مطبخك مهملة ، ولا تصدقنى « طبعا » حينما أقول لك ان من هذه النبتة « البصلة » يمكن عمل صيدلية ، اليك بعض ماوصلت اليه فى أبحاثى : ولدى المراجع كاملة :

١ - ان البصلة تحتوى على نوع من انواع (الفرمنت) وهو العامل الهاضم للغذاء فى عصارات المعدة والأمعاء .

٢ - انها تحتوى أيضا على مادة « الكلوكوكين » التى لها ما للانسولين المعروف من قدرة على تنظيم عملية خزن المواد السكرية فى الجسم وفى استهلاكها .

٣ - انها تحتوى زيتا عطريا وهو مطهر قوى المفعول يقتل جراثيم التقيح بانواعها وجراثيم التيفود والجمرة والدمامل أو انه على الأقل يفقدها كثيرا من أضرارها .

٤ - وفيها أملاح تقوى الأعصاب وتريحها وتجلب النوم .

٥ - وفيها مواد أخرى : تقى الشرايين من التصلب وتراكم الكلس فى الشيخوخة وتحسن الدورة الدموية بما فى ذلك الشريان التاجى مصدر الذبحة الصدرية .

٦ - وفيها مواد تغذى بصيلات الشعر وتحول دون سقوطه ومواد أيضا تزيد القوى الجنسية ..

٧ - ولو قطعنا البصيلة الى شرائح مستديرة وسخناها تسخينا جافا بدون أن يصفر لونها وتستعمل كلبخة فوق الصدر لمعالجة السعال الديكى وفوق الصدر والظهر لمعالجة التهاب الرئة وفوق موضع الكلى والمثانة لمعالجة انحباس البول وفوق مؤخرة الرأس لمعالجة التهاب السحايا ، وحول الرقبة لمعالجة التهاب اللوزتين والخناق (الدفتريا) واختفاء الصوت (بحة) وفوق أصابع القدمين لمعالجة الاحتقان فيهما ، ولاعدام التاكيل « الكالو » فى الرجل .

٨ - يمكن أن نستعمل عصير البصل لمعالجة الاورام وتسكين آلام الأطراف المبتورة بطليها بالعصير الطازج .

٩ - لتحسين الهضم وطرد الغازات المعوية وتليين الباطن يمكن تناول بصلة متوسطة الحجم فى اليوم .

١٠ - يمكن طرد الديدان المعوية عند الأطفال بتنقيع بعض شرائح من البصل الفض فى قليل من الماء طيلة الليل ويصفى فى الصباح ويعطى للطفل بعد تحليته بالعسل ويستمر فى ذلك يوميا الى أن يتم طرد الديدان من الأمعاء .

١١ - لمعالجة ادرار البول والضباب السوائل فى تجاويف الجسم (الاستسقاء) يغلى ثلاث أو اربع بصلات لمدة عشر دقائق فى ربع لتر من الماء وتشرب على جرعات متعددة فى اليوم .

١٢ - تعالج نوبات السعال الديكى وغيرها بمعقود البصل وذلك بطبخ شرائح منه فى سكر نبات لعمل شراب يعطى منه ملعقة كبيرة كل ساعتين .

١٣ - تعالج نوبات الربو (اسثما) باعطاء ملعقة صغيرة كل ثلاث ساعات من مزيج عصير البصل مع عسل لعمل شراب يعطى منه ملعقة كبيرة كل ساعتين . كما أن أكل بصلة يوميا متوسطة الحجم تخفض كمية السكر فى دم المصابين به ويقلل جفاف الفم والشعور بالعطش ويساعد على تطهير الجسم من أملاح الطعام ويعيق نمو الجراثيم بجميع أنواعها .

١٤ - لطرد الديدان المعوية الشديدة ومعالجة البواسير تستعمل أيضا حقن البصل الشرجية وذلك بغلى نصف بصلة متوسطة الحجم لمدة ثلاث دقائق فى لتر من الماء وتصفيته بعد ذلك لحقنه فاترا فى الشرج .

١٥ - يوصى الأطباء بالا يخلو طعام المصابين بالسرطان من البصل فى جميع الوجبات .

واختم هذا البحث بحكمة قرأتها .. مما جاء فى كتاب الطب النبوى أن معاوية أولم لوفد زاره وليمة فيها بصل وقال كلوا من هذا الفحل حتى لا يضركم ماء هذه الأرض ..

وما قيل فى أضرار البصل من أنه يصدع ويظلم البصر ويفسد كثيره العقل فان ذلك يرجع الى عدم معرفة القدر الواجب تناوله ..

وقد وجد ان هذه المضار تبعد اذا أكل وهو مطبوخ .

حديث السيف

بطولات عربية

سلمى ☆ أبو محجن ☆ والقادسية

الأستاذ محمد فرج

من مفاخر الاسلام هذا الدور الكبير الذى كانت تشارك به المرأة المسلمة رجلها المسلم فى جهاده وكفاحه من أجل رفعة الاسلام ومجده .. ولا يختلف اثنان فى تقدير الجهد الكبير الذى قامت به المرأة العربية المسلمة فى جميع عصور الاسلام وفى مختلف أدواره .. أيام بدأ وأيام انتشر وأيام أصبح دين الله فى الارض تؤمن به الملايين وتوحد برب العالمين .

وموقف المرأة المسلمة لم يقتصر على مجالات السلم وانما امتد الي مجال الحرب وكانت لها فى هذا المجال صفحات ناصعة مشرقة لا تخلو من البطولات فقد حملت المرأة المسلمة السلاح وخاضت المعارك وشاركت الرجل المسلم فى نضاله وقاسمته شرف الجهاد وشرف الاستشهاد وأتت فى الميدان بأعظم الاعمال شأنها فى ذلك شان أعاظم الرجال .

ولقد تناول هذا الدور البطولى بالحديث مؤرخون مختلفون بعضهم عربي كالطبرى وابن الاثير وبعضهم غربي ويأتى فى مقدمتهم أدوارد جيبون صاحب كتاب « تاريخ الامبراطورية الشرقية » .. وكل هؤلاء أفاضوا فى ذكر فضائل المرأة المسلمة وجهادها البطولى العظيم بجانب رجلها فى المعارك المتعددة التى خاضها من أجل تثبيت أركان الدين ودعمه .

ولا يستطيع مؤرخ أن ينكر فضل خديجة بنت خويلد أول امرأة مسلمة وقفت بجانب زوجها تؤيده بقوة وتدعم مكانته وتمده بالعون الروحي وتبذل من ذات نفسها من أجل الوصول بدعوته الى قلوب الناس وتهيىء له المجال الصالح الذى يستطيع فيه أن يدعو الى عبادة الله الواحد القهار وتقف بجانبه تهون عليه ما يلقاه من ظلم الناس وعنتهم وكفرهم .

ولا يستطيع مؤرخ أن ينسى فضل أروى بنت الحارث ابن كلده طبيب العرب المشهور التى كان لها دور كبير ايجابي فى معركة ميسان حققت به للمسلمين نصرا عظيما فقد جمعت زميلاتها من المسلمات فى كتيبة واتخذن جميعا من خمرهن رايات وخرجت بهن الى أرض المعركة حيث ظنهن العدو مددا أتى المسلمين ففر من الميدان وكان النصر حليف المسلمين بفضل همة وشجاعة المسلمات المؤمنات الظافرات .

وقصص البطولة النسائية فى المعارك كثيرة متعددة يجب أن نذكرها كل حين وأن نبرزها للاجيال المتعاقبة من النساء المسلمات لتكون نورا يهديهن الي خير طريق وحافزا يدفع بهن الى الوقوف بجانب المسلمين فيما يتعرضن له من مخاطر ومثلا يحتذى يضربن على منواله ويسلكن سبيله .

ومن النساء المسلمات ذات المواقف البطولية التاريخية هذه المرأة التي نفرد لها هذا المقال ونعنى بها سلمى بنت حفصة التيمية .

تزوجت سلمى فى الجاهلية من المثني بن حارثة الشيباني وعاشت حياتها معه زوجا وفيا وشريكة مخلصة فلما انفتح قلبه للاسلام انفتح قلبها أيضا وصاحبته الي رسول الله تعلن ايمانها بالدين الجديد وبذلك

كانت فى مقدمة النساء اللاتى انفتح قلبهن للاسـلام اذ آمنت به عن صدق وعقيدة وايمان .

يقول المؤرخون ان سلمى كانت صاحبة دور ايجابي بعد اسلامها فقد وقفت فى وجه الردة وشاركت زوجهـا فى حروبها وقاومت المرتدين كما أنها عاشت مع زوجها معاركه المتعددة فى العراق ، خاضت معه هـذه المعارك وذاقت مرها وتحملت أهوالهـا وبنت معه صرح الاسلام فى ربوع العـراق وأقامت الايمان فى أرض كان أهلهـا يعيشون فى مظالم كثيرة واضطرابات متكررة ومخـاوف لا حصر لها وحقد على الولاة والحكام وفقر لا مثيل له وحياة مزعزعة الاركان مهلهلة الجوانب لا ضابط فيها ولا رابط ولا منظم للشئون تعمها الفوضى والمهانة .

وظلت سلمي الى جانب زوجها خاضت معه كل معاركه واجهت معه قوات الفرس لم تضعفها هزيمة ولم يهن انكسار من عزمها ولم يقعدها طول الجهاد بل ظلت على ايمانها وقدراتها ودينها تسعى مع الساعين وتدفع مع الدافعين وتصد عن الدين فى اصرار لا يلين ..

ومات زوجها المثني والقائد العربى سعد بن أبي‌وقاص يستعد لمعركة فاصلة مع الفرس فسارت سـلمى الى شراف حيث كان سعد وابلغته نبأ وفاة زوجها وحملت اليه وصـيته قبل موته وكان المثنى قد أوصـاها بان تحملها الي سعد ليعمل بها عند لقائه لاعدائه وأوصى سعدا خيرا بسلمى ثم أراد لها أن تعيش فى مثل عزها وكرامتها فى حياة زوجها الاول واراد أيضا ان يكـرم المثنى بعد وفاته فخطب سلمي لنفسه وتزوجها كما كانت عادة العرب .

وعاشت سلمى زوجا وفيا لسعد وكما شاركت زوجها الاول فى المعركة امتد دورها الي حياتها مع سعد فشاركته حياته العسكرية وظلت الى جانبه تشد من أزره وتعاونه فى اخلاص وود ولم تهجر أرض المعركة وانمـا عاشت فوقها تؤدى دورها فى الدفاع عن الاسلام ويتفق المؤرخون على أن سلمى كان لها دور كبير في موقعة القادسية .

فقد حدث فى خلال هذه المعركة أن أصيب سـعد بمرض منعه من الركوب ومع بداية القتال ظل سعد مكبا على وجهه فى صدره وسادة يعتمد عليها ويشرف علي الناس من بعيد يرمى اليهم بالرقـاع فيها امره ونهيه وحجزه المرض عن كل حركة الا ان بعض المسلمين برموا به وتندروا بمرضه حتى أنهم رددوا :

نقـاتل حتى أنزل الله نصـره
وسـعد ببـاب القادسية معصم

فابنـا وقد آمت نسـاء كثيرة
ونسوة سـعد ليس فيهن آيم

وعندما سمعت ذلك سلمى تذكرت ما كان لزوجها الاول المثنى بن حارثة من مواقف فى مثل هذه الايام فصاحت : « وامثناه .. ولا مثنى اليوم للخليل » وسمعها سعد فغضب ولطمها قائلا : « ويلك أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى ؟ » فاشاحت بوجهها وقالت : « أغيرة وجبنا » فقال : « والله ما يعذرنى أحد اذا لم تعذرينى وأنت ترين ما بى » وعرف الناس بهذا الحديث بين سعد وسلمى فاكبروا للبدوية الجريئة ولم يبق فى الناس شاعر الا اعتد بها وذكر فضلها فى أشعاره .

ولسلمى موقف آخر فى القاسية يذكر لها بالفضل فقد كان ضمن جنود زوجها أبو محجن الثقفى وهو فارس عربى مشهور الا أنه أولع فى الجاهلية بالخمر حتى أنه قال :

اذا مت فادفنى الى جنب كرمـة
تروى عظامى بعد موتى عروقهـا

ولا تدفننى فى الفـلاة لاننى
أخاف اذا ما مت ألا أذوقهـا

ولما جاء الاسلام امتنع أبو محجن عن الخمر نزولا على حكمه ولكنه عاد فضعف أمام اغرائها فكان يحتسى ما يبرد غليله وعلم بذلك الخليفة عمر بن الخطاب فنفاه الـى القادسية فى وقت كان المسلمون يستعدون لخوض غمار معركتهم الكبرى ضد الفرس فأمر سعد بسجنه .

وبدأت معركة القاسية وسمع أبو محجن وهو فى سجنه صليل السيوف وضجيج المعركة وصهيل الجياد وصيحات الحرب فتاقت نفسه الى الجهاد وأخذ ينشد :

كفي حزنا أن ترتوى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا علـى وثاقيـا

اذا قمت عنـانى الحديد وأغلقت
مصاريع دوني قد تصم المنـاديا

وقد كنت ذا مال كثير واخـوة
فقد تركونى واحـدا لا أخا ليـا

وقد شف جسمى انني كل شارق
أعالج كبـلا مصمتا قد برانيا

حسبنا عن الحرب العوان وقد بدت
وأعمال غيرى يوم ذاك العواليا

فلله عهد لا أخيس بعهـده
اذا فرجت ألا أزور الخواليـا

وسمعته سلمى ثم أبصرته مقبلا عليها زاحفا طالبا ان تطلق سراحه وأن تفك قيده فقد ازداد حنينه الي المعركة واشتدت رغبته الى خوض غمارها والاخذ بنصيبه فيها وقال لها : « أناشدك الله أن تخليني ولك لله علي عهد ان سلمت أن أجيء فاضع رجلي فى القيـد وان قتلت استرحتم منى » وأحست سلمى بصدق قوله وبحقيقة مشاعره فأستجابت لدعوته وقالت : « انى استخرت الله ورضيت بعهدك » ثم اطلقت سراحه وأعطته السلاح وفرس زوجها وكانت تسمي البلقاء .

وانطلق أبو محجن الى المعركة سيفه فى يده يقصف به الاعداء قصفا منكرا لا يلتقى باحدهم الا قتله ولا يحمل على ناحية الا هزمت حتي قال الناس « ما هذا والله الا ملك » وشهده سعد من موضعه فقال : « الضبر ضبر البلقاء والظفر ظفر أبى محجن وأبو محجن فى القيد » .

وانتهت المعركة وانتصر المسلمون وهزم الفرس وعـاد أبو محجن الى سلمي فوضعته فى القيد .. ثم جاء سعد وقال لها وهو يصف المعركة « لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلا على فرس أبلق لولا أني تركت أبا محجن فى القيد لظننت أنها بعض شمائل أبى محجن » فقالت له : « والله انه لأبو محجن » ثم روت له ما حـدث فأسرع سعد الى حيث أبو محجن ففك قيده وأطلق سراحه قائلا : « والله لا أجد اليوم رجلا أبلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم على يديك » .

هذا موقف تاريخي رائع لامرأة مسلمة مناضلة نقدمه لقارئاتنا الفضليات راجين ان يجدن فيه المثل فيقدرن دورها ويفعلن فعلها ويسرن على طريقها فينالهن والاسلام والمسلمين الخير والمجد والفلاح .

إفريقيا السوداء والدعوة الاسلامية

الاستاذ محمد محمد خليفة

منذ خمسة قرون خرج المسلمون من الأندلس تطاردهم أسياف المسيحية ، وتتكل بمقدساتهم وآثارهم وفنونهم وعلومهم وحشية اعادت صورها وحشية التقاء .

وقد جنى الاختلاف والتناحر على الجاه الزائف على ذلك الملك الواسع الذى أرخص الأجداد فى سبيله الدماء ، وصانه الأبناء للاسلام ثمانية قرون حتى دب فيهم ما قضى عليهم .

وافتقد المسلمون بخروجهم من الاندلس ملكا كانت له حضارات وكانت له فى بعض العهود صولات ، وكانت تضم مدنه وقراه أكثر من سبعة آلاف محراب ، وأكثر من سبعة آلاف منبر للدعوة الاسلامية ، وأكثر من سبعة آلاف مسجد ومعهد لدراسة علوم الاسلام ولغة القرآن ، وما وصل اليهم آنئذ من العلوم والفنون من حضارات الفرس واليونان والرومان عن الشرق العربى ، وما وصلوا هم اليه بعد الدراسة والبحث والتجارب .

وشاء الله بعد خمسة قرون من تلك المأساة التى جنت على حضارة العرب فى الأندلس أن يهيىء للاسلام آفاقا جديدة فى افريقيا ليسترد بها ما فقد فى أوروبا .

لقد تفتحت أمام الاسلام أبواب الأسوار الأفريقية التى أوصدها الاستعمار فى وجه الدعوة الاسلامية طويلا وجال وراء الأسوار بماله ووسائله وكل امكانياته ينشر المسيحية ، ويغرى بوسائله الشعوب المتخلفة للايمان بها ، وتوغلت عشرات الألوف من المبشرين بين الأدغال والغابات والجبال والوديان بدعوتهم ومشافيهم ومدارسهم وأموالهم ، وهيأ لهم الاستعمار كل ما يريدون لأن حياته بين هذه المستعمرات تستقر وتمتد فى كنف المسيحية ، ومن ثم عزل هذه البلاد عن البلاد الاسلامية ، وضحى باليسير من المال الذى امتصه منها ليخدم بها الدين الذى يخدم بقاءه فيها ، وصد الدعوة الاسلامية عن هذه الآفاق ، وعاق اشعاعاتها عن التسرب اليها حتى لا تخلق الدعوة فى النفوس القوة التى تهدد ذلك الملك وتبدد ذلك السلطان .

وأخيرا انطلقت ثورات المكبوتين فدمرت المعسكرات والقواعد ، واجتاحت عواصفها كل سلطان ، ومحت من سبيلها قوى الشر التى عزلتها عن كل تقدم يمدها بأسباب الحياة .

وقد كلل جهود تلك الثورات بالنجاح ، واستقلت الشعوب التى طالما أنهكها ثقل القيود واخذت اليوم مكانها بين الشعوب الحرة تبنى بايمانها واخلاصها مجدها ، وترسى قوى الخير الخالص قواعد ملكها .

وان بناء النفوس فى هذه الفترة من حياة تلك الشعوب أقسى وأشق على القادة من بناء المصانع والقلاع والقواعد الحربية وليس ثمت أقدر على بنائها من الاسلام بمبادئه الفعالة فى بناء المجتمعات فهو الذى يجعل من كل نفس لبنة قوية فى كيان مجتمعها الذى تعيش فيه تشد مع غيرها قواعده وتعلى من سواها قمته فهى بايمانها المستمد من روح الاسلام تعمل وهى بقوته الموجهة تتفاعل مع مجتمعها تعطى وتأخذ بل تعطى أكثر مما تأخذ فالأخــوة الاسلامية خير رباط يربط بين الأفراد وهى خير رباط يربط بين المجتمعات الاسلاميـة جميعها ، ويؤلف منها قوة متساندة تصون المكاسب وتحميها من عبث الاستعمار ومحاولاته ولن يجد الحكام والملوك والرؤسـاء الذين استقلت بلادهم وتحررت غير الاسلام قوة حامية تعين على الأمن الداخلى ، وتصد عدوان العبث الخارجى . ولن يوصد هؤلاء الملوك والرؤسـاء أبواب دولهم فى وجه الدعـوة الاسلامية لأنها دعوة الخير والحق دعـوة التعمير والبناء دعوة ترسم لتلك الشعوب طريق مستقبلها وتضع المبادىء السليمة على جوانبه مشاعل تهدى من يعبرون بنفوسهم دروب القارة السوداء والماضى الأسـود الى الحياة الطيبة المتألقة

لقد خرج الاستعمار من تلك البلاد وترك وراءه المبشرين يعيشون فى قـواعد أنكى من القواعد الحربية قواعد تنفث وتوجه وتنحرف بمن توجههم عن العمل لشعوبهم وتصنع منهم أسلحة عليها لا لها ، وتغرس فى قلوبهم حب الغرب ، وتقدير تضحياته فى سبيل اسعادهم ، وتبغضهم فى الشرق الذى يعيشون بين أحضانه بل فى أوطانهم التى استهانوا بالموت فى سبيلها فخليق بالمسلمين ان يرسلوا مواكب الدعـوة الاسلامية الى تلك الدول تقيم هنالك المنابر والمحاريب وتشيد معاهد الحق للحق وتخلق فى الأجيال هداة يوجهون الى الخير ويدرءون الشر.

ولسوف يجد الاسلام فى هذه الآفاق نفوسا خصيبة تتلقاه ثم يعيش فيها بروحه ويسرى كما تسرى العصارة الحية فى العـود اليابس فتمده بالحياة ويعود الى الايراق والنضارة .

ان فى الصـومال ونيجيريا ومالى وغانا وغينيا والكونغو ومـوريتانيا والسـنغال وسيراليون وأوغندا وتشاد وكينيا وأثيوبيا وغيرها نفوسـا أقدر على الانطلاق وبعث الأجيال لو أنها عبئت فى المصنع الذى عبىء فيه المسلمون الأولون الذين كتبوا للتاريخ أروع ما عرف من الصفحات وهو (مصنع الاسلام) .

وسـوف يجد هؤلاء فى الاسلام دينا لا يفرق بين الأبيض والأسود والعربى والعجمى دينا سوى بين بلال وخالد بن الوليد وبين سلمان الفارسى وعمر بن الخطاب .

وسـوف يخلق من هذه القوى التى يغذيها وتصقلها تعاليمه قوة عاملة مع القوى الاسلامية فى القارة وفى القارات الأخرى على خلق حضارات قوية فى ظلال هذا الدين تعيد الى الدنيا مكانة حضارة المسلمين فى الأندلس من حضارات العالم آنئذ .

ان هذه الملايين التى سيهاجر اليها الاسلام سوف تعيد الى الوجود الصـفحات التى انطوت صفحات الحفاة الصابرين الذين دوى صوتهم فى الماضى الأبعد بين جنبات ايـوان كسرى : الله أكبر الله أكبر .

وصفحات الفدائيين الذين قادهم فى الماضى البعيد طارق بن زياد وكسر بهم شـوكة الطغيان فى الأندلس ولسوف تشهد الدنيا هذه القارة وقد استعادت لكل من فيها كرامـة الانسان التى افتقدت وعزته التى سلبت .

لقد دقت طبـول البعث الأفريقى ، ودق الأفريقيون السمر أبواب التاريخ ، وسـوف يدخلون باب التاريخ الاسلامى بنفوس فيهـا طهر السحاب ورسوخ الجبال ، ورب أشعث أغبر له روح ملائكية تهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، وتحارب كل عوامل الانحلال التى تهدد الشعوب

وبعد .. فماذا أعد المسلمون للدعـوة الاسلامية فى هذه الآفاق الخصيبة »

وهل سـيلقى العبء على الجمهورية العربية وحدها ؟

ان الأمر أحوج ما يكون الى منظمة تشرف على شئون الدعوة ، وترسـم الخطط بعد

« البقية صفحة ٨٨ »

أسمار خرافة

الأستاذ على الجندى

فى المقال السابق تكلمنا عن الجن والشياطين والعفاريت كما ورد فى القرن الكريم ، والسنة النبوية مما لا يسع مؤمنا انكاره !

والان نتكلم عن بقية « الخوافى » وهى اشياء اختلطت فيها الحقائق بالاساطير ، ومزاعم العرب ، ولكنها لا تخلومن معارف دينية ولغوية وعلمية وادبية لاينبغى لمثقف أن يجهلها .

الغيلان :

قال الجوهرى فى الصحاح : الغول من السعالى . أغوال وغيلان - بكسر الغين -

وكل ما اغتال الانسان فاهلكه فهو غول !

وغالته غول : اذا وقع فى مهلكة !

ومن حكمهم : الغضب غول الحلم .

والتغول : التلون ، وتغولت المرأة : اذا تلونت ، قال كعب بن زهير من قصيدته « بانت سعاد » :

فمـــا تدوم على حال تكون بهـــا
كما تلـــون فى اثوابهـــا الغـــول

وقال الفيروزابادى فى القاموس : غاله : أهلكه كاغتاله ، واخذه من حيث لا يدرى .

والغول - بضم الغين - السعلاة - بكسر السين - وساحرة الجن ، وشيطان يأكل الناس ، أو دابة راتها العرب وعرفتها ، وقتلها « تابط شراء » الشاعر ، ومن يتلون ألوانا من السحرة والجن ، أو كل ما زال به العقـــل .

ومن معانى الغول أيضا : الداهية والهلكة والحية والمنية .

وقال « الدميرى » فى حيـــاة الحيوان : الغيلان : جنس من الجن والشياطين ، وهم سحرتهم . وذهب قول الى أن الغول : اسم لكل شخص من الجن يعرض للسفار . ويتلون فى ضروب من الصور والثياب .

والغول فى اعتقادهم تكون ذكر او تكون أنثى ، قال العنبرى :

وحـــالفت الـــوحوش وحـــالفتنى
وتحـــت عهـــودهن ، وبالبعـــاد
وغـــولا قفـــرة : ذكـــر وانثى
كان عليهمـــا قطـــع البجـــاد

والبجاد : - بكر الباء - كساء مخطط ، ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبى - صلى عليه وسلم -

وقال : جبيهاء الأشجعى فجعلها انثى فقط :

وتزوجـت فى الشـــبيبة غـــولا
كغـــزال ، وصـــدقتى زق خمـــر

الصدقة كغرفة وصدمة ، وبضم الدال وفتح القاف وبضمتين وبفتحتين وككتاب وسحاب : مهر المرأة .

وقال عبيد بن أيوب من قصيدة - حينما اشتد خوفه ، وطال تردده ، وابعد فى الهرب :

فلله در الغـــول اى رفيقـــة
لصـــاحب قفـــر خائف يتنفـــر
ارنت بلحـــن بعد لحن واوقـــدت
حـــوالى نيـــرانا تلوح وتزهـــر

وكان عبيد من الجوالين فى مجاهل الارض .

قالوا : واذا تعرضت الجنيـــة وتلونت وعبثت فهى شيطانة ثم غول .

وقال الجاحظ : تزعم العـــامة : أن الله - تعالى - قد ملك الجن والشياطين والعمـــار - بوزن رمان - والغيلان ان يتحولوا فى أى صـــورة شاءوا الا الغـــول فانها تتصور فى أحسن الصور ، وفى جميع صور المراة ولباســـها ، الا رجليـــها ، فلابد ان تكونا رجـــل حمـــار !

ويزعم بعضهم : ان رجليها رجلا عنز ، قال بعضهم :

وحافر العنز فى ســـاق مدملجـــة
وجفن عين حـــلاف الانس بالطـــول

اى ان جفن عينها مشقوق بالطـــول بخلاف الانس . والمدملجة : المدرجة الملساء .

يقول المسعودى فى مروج الـــذهب : للعـــرب فى الغيلان وتلونها اخبـــار طريفة ، فيزعمون: ان الغول تتغول لهم فى الخلوات ، وتظهر لخواصهم فى انواع من

الصور ، فيخاطبونها وربما ضيفوها ، وقد أكثروا من ذلك فى أشعارهم فمنها قول تابط شرا :

فاصبحت والغـول لى جـارة
كما اجتابت الكاعب الخيعـلا
فاصبحت والغـول لى جـارة
فيا جـارتى أنت ما اهـولا !
وطالبتهـا بضـعها فالتـوت
بوجـه تغـول فاسـتغولا
فمن كـان يسـأل عن جـارتى
فـان لهـا باللـوى منـزلا

الخيعـل كصيقل : الفرو : أو درع يخاط أحد شقيه دون الآخر تلبسه المرأة كالقميص ، أو قميص لا كم لـه .

والبضع ـ بضم فسكون ـ من معانيه : الوقاع .

وكـانوا اذا اعترضتهم فى الفيافى والقفار يرتجزون بقولهم :

يا رجـل عنـز انهقى نهيقـا
لن تنـزلى السـبيل والطـريقا

وذلك : انها كانت تتـراءى لهم فى الليالى ، وأوقات النهار ، فيتوهمون انهـا انسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التى هم عليها وتتيههم ، وكان ذلك قد اشـتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عما كانوا عليه من القصد ، فاذا صيح بها على وصفنا ، شردت منهـم فى بطون الاودية ورءوس الجبال !

وقالـوا : انهـا توقـد بالليـل النيران للعبث والتخيـل ، واختـلال السابلة ، فاذا قصدها انسان أضلته واهلكته !

وحكى بعض المتفلسـفين : ان الغـول حيوان شاذ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعـة ، وانه لما خرج منفردا فى نفسه وهيئته توحش عن مسكنه ، فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان البهيمى فى الشكل !

ويقول العلامة المغفور له احمد تيمور فى كتابه خيال الظل .. كان بعض العـرب يتخذون حمالات الازيار من التماثيـل على صورة سـلحفاة براس أو براسـين . ويزخرفونهـا بالـكتابات الكوفيـة وصور من الحيوانات الخيالية .

ثم يقول : وكان من غرائبـها تمثال « غول » اتخذ مقرعة للباب الكبير بمسجد قجماس الاسحاقى بالقاهرة المعروفة اليوم بجامع « أبوحريبة »

السعالى :

فى اللغة : السعلاة ـ بكسر السين ـ والسعلاء ـ بالمد والقصر ـ : اخبث الغيلان ، أو ساحرة الجـن ، والجمع : السعالى ـ بفتح السين واللام ـ

ويقول الجاحظ فى « الحيوان » : السعلاة : اسـم لواحدة من نساء الجن ، تتغـول ـ تتلون ـ لتفتـن السـفار !

قالوا : وانما هذا منها على وجه العبث ! أو لعلهـا أن تفزع انسانا فيتغير عقلـه عند ذلك ، لانهم لـم يسلطوا على الصحيح العقل ، ولو كان ذلك لبـدءوا بعلى بن أبى طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وأبى بكر وعمر فى زمانهمـا ، وبغيلان بن جرير ، والحسـن البصرى فى دهرهما ، وبواصـل بن عطاء ، وعروة بن الزبير فى أيامهما !

ويقولون : استسعلت المـرأة : صارت سـعلاة : اى صخابة بذيئة ، قال الشاعر :

لقـد رأيت عجبـا مـذ أمسـا
عجـائزا مثـل السـعالى خمسـا
يأكلن ما أصـنع همسـا همسـا
لا تـرك اللـه لهـن ضرسـا !

ويقول الدميرى : قالوا : أكثر ما توجد السعلاة فى الغياض ، وهى اذا ظفرت بانسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأرة !

وربما اصطادها الذئب بالليـل فأكلها ، واذا أخذ يفترسها ترفـع صـوتها وتقول : أدركونى فان الذئب قد أكلنى ! وربما تقـول : من يخلصنى ومعى ألف دينار يأخذها ! والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد ! فيأكلها الذئب !

ويلاحظ من وصف السعلاة : انهـا والغول توءمتان ولكنهم يفرقون بينهما ، قال القزوينى : السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول ، بدليل قول عبيد بن أيوب فيهما :

وسـاخرة منى ولو أن عينهـا
رأت ما الاقيـه من الهـول جنت
ابيت وسـعلاة وغـول بقفـزة
اذا الليـل وارى الجـن فيه أرنت

فذكرهما معا .

ويقول السهيلى : السعلاة : ما يتراءى للناس بالنهار والغول مايتراءى لهم بالليل .

اقوال للعرب فى ذلك .

كان العرب اذ راوا الفتاة حديدة الطرف والذهن ، سريعة الحركة ، ممشوقة مخصرة ، قالوا سعلاة ، وعليه قول الأعشى :

ونسـاء كأنهن السعالى

ويقولون شيطان الحماطة ، وغـول القفـرة ، وجان العشرة .

والحماطة كبلاطة : شجر شبيه بالتين ، أحب شجر الى الحيات ، أو التين الجبلى ، أو الاسود الصغير أو الجميز .

والعشرة ـ بضم العين وفتح الشين ـ : واحدة العشر كصرد ، شجر فيه حراق ـ كـرماد ـ لم يقتدح الناس فى أجود منه ، ويحشى فى المخاد ، ويخرج من زهرة وشعبه سكر .

ويقولون لمن به لقـوة أو شر ـ اذ سبوه ـ لطيم الشيطان !

ولما قتل عبد الملك بن مروان عمر بن سعيد الاشدق ـ حين خرج عليه ـ قال عبد الله بن الزبير : ان أبا الذبان ، قتل لطيم الشيطان !

واللقوة بوزن فروة : داء فى الوجه . والشتر كسبب : انقلاب فى جفن العين .

والذبان ـ بكسر الذال : جمع ذباب كغـراب وغربان وقد كان عبد الملك يدمى فمـه فيسقط عليه الذباب ، فيعيره بذلك !

ويقولون للمفرط فى الطول : ظل النعامة ! وللمتكبر الضخم : ظل الشيطان !

ومن ذلك قول الحجـاج لمحمد بن سعد بن أبى وقاص ـ حينما احترف التعليم ـ : بينما أنت يا ظل الشيطان أشد الناس كبرا ، اذ صرت مؤدبا لفلان ! اى معلما .

ويقولون فى التقبيح : هو أقبح من الغول ! ومن زوال النعم ! ومن قول بلا فعل !

وقد يسـمون الكبر والطغيان والخزوانة والغضب الشديد شيطانا على التشبيه ، قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : والله لانزعن نعرته ، ولأضربنه حتى انزع شيطانه من نخوته !

ومن كـلامهم : والله لاضربنه حتى انزل من راسـه شيطانه !

ويقول منظور من دواحة :

لمـا أتانى ما يقـول تقلصـت
شـياطين راسى وانتشين من الخمر

وكانوا اذا راوا بنيانا عجبا ، وجهلوا موضع الحيلة فيه ، أضافوه الى الجن ولم يعانوه بالفكر .

ويقول الاصمعي : السيوف المأثورة هى التى يقال : انها من عمـل الشـياطين لسليمان بن داود - عليه السلام - فأما القوارير والحمامات فذلك مالاشك فيه .

وفى تشبيه الانس بالجن يقول أبو الجريرة العبدى :

انس اذا أمنـوا جن اذا فزعـوا
مرزءون بهـا ليل اذا حشـدوا

وانشدوا :

وقلـت واللـه لترحلنـا
فـلا تصـاحبن بهن جنـا

والفتاة الرائعة الحسن ينسبونها الى الجن ، فيقول المقنع الكندى :

وفى الظعـائن والاحـداج أملح من
حـل العـراق وحل الشام واليمنـا
جنيـة من نسـاء الانس أملح من
شمس النهـار وبدر الليل قد قرنا

وجاء المتنبى فقفى على آثارهم فقال :

لجنيـة أم غـادة رفـع السجف
لوحشـية لا مالوحشـية شـنف

ويقول الجندى فى رسـامة فارغة :

فهى فى وسـمها تعـد ملاكا
وهن فى رسـمها ترى جنيـة

وهكذا كل شىء يبهر الانسان العربى ويشعره بعجزه عن صنعه ينسبه الى هذه القوة الخفية وقد أشـار الى ذلك أبو العلاء المعرى فى قوله :

وقـد كان أرباب الفصـاحة كلما
راوا حسـنا عدوه من صنعة الجن

آراء فى الغول وما اليهـا :

ذهب بعض العلماء : الى ان الغول شىء يخـوف به ولا وجود له ، كما قال الشاعر :

فعلمت أن المسـتحيل ثلاثـة
الغـول والعنقـاء والخـل الوفى

وكقول الآخر :

الغـول والخـل والعنقاء ثالثـة
أسـماء أشـياء لم توجـد ولم تـكن

ولذلك سموا الغول : « خيتعورا » . والخيتعورا : كل شىء لا يدوم على حال ويضمحل كالسراب .

وكالـذى ينزل من السكوى فى شدة الحر كنسج العنكبوت ، قال الشاعر :

كل أنثى وان بـدا لك منهـا
آيـة الحـب ، حبهـا خيتعـور

ويقول النظام من رءوس المعتـزلة فى تعليل ذلك :

تكون فى النهار ساعات يرى فيها الشخص الصـغير فى تلك المهامه عظيما والصوت الخفيض رفيعا ... ويوجد فى أوساط الفيافى والقفار والرمال والحـرار فى انتصـاف النهار مثـل الـدوى ..

فعند النظام ان ما يرى من شخوص كبيرة ، وما يسمع من أصوات عالية ، مرده الى الصـمت العميق . وفرط السـكون فى أجواز القفار التى يسيطر عليها الفراغ الهائل المخيف !

ويقول فى الـذى تذكره الاعراب من عزيف الجنان وتغول الغيـلان ما خلاصته : ان القوم لما نزلوا ببلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ، وأن من ينفـرد ويطول مقامه فى الخـلاء بعيدا عن الانس مع قـلة الاشـتغال وقطع الايام بالمنى أو بالتفكير يبلى بالوسوسة ، وتنتقض اخلاطه فيـرى ما لا يرضى ويسمع مالا يسمع ويتوهم مالا يكون ، وقد يكون فى طبيعته الـكذب والتهويل ، فيقول فى ذلك شـعرا على حسب هذه الصفة ، فيحدث انه راى الغول وكلم السـعلاة ، ثم يتجاوز ذلك الى قتلها ، ثم يتجاوزه الى مرافقتها ، ثم يتجاوزه الى الزواج بها ، ومما اغراهم بذلك ومد لهم فيه انهم يلقون بهذه الاشعار وهاتيك الاخبار من يتلقاها بالتسليم والقبول والتصـديق من اعرابى مثلهم ، أو راوية شـعر أو صاحب خبر لا يسلك سـبيل التـوقف والتثبت والتمحيص .

وكلما كان الاعرابى اكـذب فى شعره ، كان أظرف عنـدهم ، وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكذب .

ويقول المسعودى : وقد تنـازع الناس فى الهواتف والجان ، فذكر فريق منهـم : أن ماتذكره العرب من ذلك ، انما يعـرض لها من قبل التوحد فى القفار ، والتفرد فى الاودية ، والسلوك فى المهامة الموحشة ، لأن الانسان اذا صار فى مثـل هذه الاماكن ، يوجد له تفكير ووجل وجبن ، واذا هو جبـن داخلته الظنـون الكاذبة ، والاوهام المـؤذية ، والسوداوية الفاسـدة ، فصـورت له الاشـخاص ، وأوهمته المحـال بنحو مايعرض لذى الوسواس ، وقطب ذلك وأسه سوء التفكير وخروجه على غير نظام قوى ، أو طريق مستقيم سليم ، لأن المنفرد فى القفار ، والمتوحش فى المروات ، مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف ، متوقع للحتـوف ، لقـوة الظنون الفاسدة على فكره ، وانغراسها فى نفسـه ، فتوهم مايحكيه من هتف الهـواتف به ، واعتراض الجان له .

وهذا الرأى قريب من رأى النظام أو هو نفسـه مختصرا .

الآثار الواردة فى ذلك :

فى دلائل النبوة للبهيقى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال « اذا تغولت لأحدكم الغيلان فليـؤذن فان ذلك لا يضره » .

وروى الطبرانى فى الدعوات والبزار برجال ثقـات من حديث سـهيل بن ابى صـالح عن أبيه عن أبى هريرة : أن النبى - صلى الله عليـه وسلم - قال : « اذا توغلت لكم الغيلان فنادوا بالاذان ، فان الشيطان اذا سمع النداء أدبر وله حصاص » .

الحصاص بضم الحاء : من معانيه : شدة العدو .

قال النووى فى اذكار : انه حديث حسن صحيح ، أرشد - صلى الله عليه وسلم - الى دفع ضررها بذكر الله - تعالى - ورواه النسائى فى آخر سننه الكبرى من حـديث الحسـن عن جابر بن عبد الله بلفظ أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ، فاذا تغولت لكم الغيـلان فبادروا بالأذان » .

قال النووى : ولذلك ينبغى أن يؤذن أذان الصلاة اذا عرض للانسان شيطان

والدلجة كغرفة وضربه : السير من أول الليل . ومعنى طى الارض للمسـافر ليلا : سهولة السير ، وعـدم الشـعور بالمشقة ، وهو معـروف بالتجربة والممارسة .

وروى الترمذى والحاكم عن ابى أيوب الأنصارى انه قال : كانت لى سهوة فيها تمر ، فكانت تجىء الغـول كهيئة السنور ، فتاخذ منها ! فشكوت ذلك الى رسول الله ـ صـلى الله عليـه وسلم ، فقال : اذهب فاذا رأيتها فقـل : باسم الله ، أجيبى رسـول الله . قال : فاخذها فحلفت الا تعود فارسلها ، وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مافعل أسيرك ؟ قال : حلفت الا تعـود ! قال صلى الله عليه وسلم : كذبت وهى معاودة للكذب » !

قال : فاخـذها مرة أخرى فحلفت الا تعود فارسلها ! ثم جاء الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كذبت وهى معاودة للكذب ! »

قال : فاخذها وقال : ما أنا بتـاركك حتى أذهب بك الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : انى ذاكرة لك شيئا ، آية الكرسى اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره .

فجاء الى النبى ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فقال : مافعل أسيرك ؟ فاخبره بما قالت .

فقال ـ صلى اللـه عليـه وسلم ـ « صدقت وهى كذوب »

والسهوة فى حديث ابى ايوب بوز ثورة من معانيها : المخدوع بين بيتين ، أو شبه الرف ، والطاق يوضع فيه الشىء أو بيت صغير يشبه الخزانة الصغيرة .

والحديث المتقدم روى مثـله البخارى ، فقال : قال عثمان بن الهيثم : حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة ، قال : وكلنى رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، وذكر القصـة وفيها فقلت : يا رسول الله ، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سـبيله ! فقال ـ صلى عليه وسلم . ما هى ؟ قال : اذا أويت الى فراشك ، فاقرأ آية الكرسى كلها ، فانه لا يزال عليـك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم : « اما انه صدقك وهو كذوب » « أتعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ » قال : لا . قال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ذلك الشيطان »

وروى الحـاكم فى المستدرك وابن حبان عن ابى كعب : أنه كان له جـرين تمر وكان يجده ينقص ! فحرسه ليلة فاذا هو بمثـل الغلال المحتلم ! قال : فسلمت فرد على السلام ، فقلت : من انت ؟ ناولنى يدك . فناولنى فاذا يد كلب وشعر كلب ! فقلت : أجنى أم انسى ؟ قـال : جنى ! فقلـت : انى أراك ضئيل الخلقة أهكذا خلـق الجن ؟ قال : لقـد علمت الجن اما مافيهم أشد منى !

فقلت : ما حملك على ماصنعت ؟ قال : بلغنى أنك رجل تحب الصـدقة فاحببت ان اصيب من طعامك ! فقلت : فما يجيرنا منكم ؟ قال : تقرأ آية الكرسى ، فانك ان قرأتهـا غدوة أجرت منا حتى تمسى ، وان قرأتها حين تمسى أجرت منا حتى تصبح .

قال : فغدوت الى رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاخبرته ، فقال « صدقك الخبيث »

قال الحاكم : وهو صحيح الاسناد .

ويقول القزوينى : رأى الغول جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب حين سـافر الى الشام قبل الاسلام فضربها بالسيف !

وهذه الاحاديث تخالف مايراه أبو اسحاق النظام ، والمعروف : أن الجهمية وبعض المعتزلة ـ وعلى رأسهم النظام ينكرون وجود الجن كما سنبينه .

« يتبع »

بقية مقال « افريقيا السمراء »

دراسة الأساليب المجدية فى كل دولة ، ثم تجمع هذه المنظمة المال من البلاد الاسلاميـة لاقامة المساجد والمشافى والمعاهد الدينية فى تلك البلاد .

ان اليوم الذى تظفر فيه بتلك المنظمـة ثم اليوم الذى تأخذ فيه الدعوة طريقها الى الغابات والأدغال والسهول والوديان والأكواخ والكهوف ، ثم اليوم الذى تفتح فيه المعاهـد الدينية فى تلك البلاد أبوابها لتحفيظ الناس القرآن وافهامهم علوم الدين ولغـة القرآن ستكون هذه الأيام كلهـا من أجل الأعيـاد الاسلامية .

وسترى الدنيا عندئذ أن الله قد عـوض الاسلام عن عشرات الألوف التى فقـدها فى الأندلس عشرات الملايين من أطهار الافريقيين .

هذه آمال تراود نفوس الملايين من المسلمين فى العـالم فهل تستجيب الحـكومات والشعوب ليتحقق الأمل ؟

حياة المقر الشهابى

بن فضل الله العمرى مؤلف أكبر موسوعة عربية اسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والادب

محمد عبد الجواد الاصمعى

تتمة وصف « مسجد دمشق » أو « المسجد الأموى »

مشاهد الخلفاء الراشدين :

وقد جعل فى اركان المسجد الأربعة اربعة مشاهد اتخذت على أسماء الصحابة الأربعة . فالشرقى بقبله مشهد على اسم أبى بكر ، وبه عدة خزائن كتب وقف . وشاميه مشهد على اسم على. والغربى بقبله مشهد على اسم عمر . ويعرف الآن (عصر ابن فضل الله العمرى): بمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل ،وعدة خزائن كتب وقف . وجنوبيه مشهد على اسم عثمان . وبه يصلى نائب السلطان فى شباكه ، والحاكم الشافعى الى جانبه .

وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة ، كأنه كرسى ملك له .

مجلس الحاكم الشرعى والحكام الأربعة :

وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التى لا ينفرد بها حاكم . فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون فى تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم .

سجن زين العابدين :

وداخل مشهد على ، مشهد لطيف يعرف «بالسجن» يقال : انه سجن به « زين العابدين » حين اقدم على يزيد . وجواره فى زاوية الرواق الشامى - شرق الباب النافذ الى الكاملية - مقصورة قد جاور بها جماعة من الفقراء ، وتعرف « بالحلبية » . وبها خزانة كتب وقف . وفى كل من ذلك امام يؤتم به ، ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ .

يلاحظ مما ذكرناه فى السطور السابقة أن هذا المسجد العظيم كان يشتمل فى عدة أماكن منه على خزائن كتب موقوفة من العصور الاسلامية السابقة ، وهى تراث الفكر العربى الاسلامى منذ بناه الخليفة الأموى « الوليد بن عبد الملك » ، وهى بلا شك من أنفس ذخائر المخطوطات العربية الاسلامية ، النادرة المثال ، القليلة الوجود ، لا سيما وأنها بلا أدنى ريب بخطوط مؤلفيها أعلام الاسلام ، وقادة الفكر العربى ، البارزين فى شتى أنواع العلوم والفنون والآداب والمعرفة .ونتساءل ، هل لا تزال موجودة فى أماكنها حتى الآن فى عصرنا الحاضر ؟ أم امتدت اليها أيدى المغيرين على القطر الشقيق بعد ما استولوا عليه من النهب والسلب .

ونرجو الاجابة على هذا السؤال من السادةالعلماء والباحثين المقيمين بدمشق احدى مدن القطر الشقيق. وأخص بالذكر السادةالدكاترة أساتذة « جامعة دمشق » ومنهم صديقنا الفاضل العالم الباحث المحقق « الدكتور سامى الدهان » - أبقاه الله - لخدمة العلم والأدب والتاريخ . وتكون الاجابة على صفحات « منبر الاسلام » لأنه تراث عربى نفيس لا يقدر بمال .

شأنها فى ذلك شأن الكتب الجليلة التى سطا عليها السلطان سليم : بعد الفتح العثمانى المشئوم لمصر سنة ٩٢١ هـ ، وكانت المكتبات العربية وخزائن مساجدها زاخرةبنفائس المخطوطات ، والذخائر الثمينة ، فنهب ما فى هذه المكتبات من الدرر الفوالى ، واللآلىء النفيسة ، أخذها معه حين خروجه من مصر ، ولم يكتف بما سلبه من تلك المخطوطات التى لا تقدر بمال ، بل أخذ معه مهرة الصناع ، والعباقرة فى كل فن من العرب المصريين معه الى الآستانة .

وقد أشرنا الى هذا فى عدد محرم سنة ١٣٨٣ هـ (يونية سنة ١٩٦٣ م) من مجلة « منبر الاسلام » فى المقال الذى نشرناه عن أكبر الموسوعة العربية الاسلامية (مسالك الأبصار) للمقر الشهابى « ابن فضل الله العمرى » الذى نكتب حياتهالعلمية والأدبية والاجتماعية على صفحات هذه المجلة العربية الاسلامية التى تؤدى رسالتها فى العالم الاسلامى لنشر الوعى الثقافىالدينى الاسلامى على الوجه الأكمل . بفضل رافع لوائها ، ورئيس تحريرها ، الأستاذ « محمد توفيق عويضة » السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، - أبقاه الله وأدامه لخدمة الاسلام والمسلمين ، بصفة خاصة ، والعروبة بصفة عامة - .

العمارات والمدارس التى انضمت اليه :

وفى هذا المسجد زيادات فى شماله اتسع بها فناؤه ، وتفسحت أرجاؤه . منها : « الزاوية الحلبية » المذكورة فى أول حده الشمالى من الشرق ، ثم « التربة الكاملية » ، ولها مسجد له امام ومؤذن ، و «الكلاسة» وبها امامان ومؤذنان ، وفى شامها ، « الأشرفية » و « المدرسة العزيزية » ينفذ اليهما ، ولكل منهما امام ومؤذن . وجوار المدرسة العزيزية : « التربة الصلاحية » من غربها . هذا الى عدة أئمة تقوم فيه احتسابا .

فرشه بالمرمر وعمده وعضائده بالرخام المذهب :

وقد فرش المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون والمنقوش المذهب .

فساقى الماء :

وكذلك عملت عضائده وذهبت قواعد عمده ورؤوسها وأجرى الماء فى صحن عقدت عليه قبة فى صحنه ، وفى

صحن فى ركن النسر من داخل الرواق ، وفى جميع مشاهده وزياداته ، وفى ميضاة اتخذت أسفل المئذنة الشرقية منه . هـذا الى ما فى حضرة باب البريد والزيادة وتحت الساعات من ميـاه جارية ، واسواق قائمة ،وسرج تتقد ليلا كالأنجم ، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم .

عود الى وصف القبة :

فأما القبة فما لا يجول مثلها فى ظن ، ولا يدور فى فكر ، قد تعلق رفرفها بالغمام عابثا ، وحلق طائـرها الى أخويه النسرين يبغى أن يكون لهما ثالثا . قد بنيت على قناطر ، ممتدة على قناطر ، بعقود محكمة ، وقطع صخور منظمة ، الى سقوف مذهبه ، ومحاسن موجزه مسهبة .

طول هلال القبة :

وعلى رأس القبة هلال عال فى أنبوبة ، طول الرمح . قد غلفت هى وكل الأسطحة بالرصاص . وحكمت ميازيبه ، وجمع فيه من كل حسن غريبه .

وصف ساعة المسجد :

قال أبو محمـد بن زير القاضي : سمى باب الساعات لأنه عمل هناك بيكار الساعات ، يعلم بها كل ساعة تمضى . عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس ، وغراب من نحاس . فاذا تمت السـاعة خرجت الحية ، وصفرت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة فى الطست .

كتب أستاذنا العالم الباحث المحقق المدقق المرحوم احمد زكى باشا تعليقا على كلمة « بيكار » فقال : هكذا فى الأصل . وصوابه « بنكار » وهى الساعة المائية التى وصفها ابن جبير الأندلسى فى رحلته .

أما الساعة التى أشار اليها المرحوم زكى باشا فى تعليقه فهى كما وصفها ابن جبير المذكور : « صورة بازين مصورين من صفر كانا يسـقطان من فميهما صنجتين كلما انقضت ساعة من النهـار فيسمع لهما دوى ، فاذا كان الليل عرفت الساعات بمصباح يدور به الماء على اثنتى عشرة طاقة فيها زجاجات يفيض من كل واحدة نوره اذا مر عليها » . ملاحظة : وما ذكر من وصف ساعة المسجد يعد من ابدع الفنون الجميـلة وأروعها .

طلسمات الجامع قبل حريقه :

وكان فى الجامع قبـل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة فى السـقف فوق البطائن . ولم يكن يوجد فى الجامع شىء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات ، وجدت . ومما كان فيـه طلسـم للصنونات لا تعشش فيه . ولا يدخله غراب . وطلسم للفار ، وطلسم للحيات والعقارب . وما الناس فيه من هذا شيئا . وفيه طلسم للعنكبوت .

وكتب أيضا استاذنا المرحوم زكى باشا تعليقا على كلمة « الصنونات » فقال : هو الطائر المعروف باسم « ستونو » عند العرب . وباسم « عصـفور الجنة » عند عامة مصر .

**

ملاحظة : ولما كان الشىء بالشىء يذكر بمناسبة تلك « الطلسمات » ، فنحن وطلاب « الجامع الأزهـر الشريف » نسمع أن فى هذا الجامع العظيم « طلسم » لمنع دخول الذباب . وحقيقة كنا وجميع الطلبة نفترش صحنه الشاسع وبواكيه الفسيحة لتناول طعام الافطار بعد تلقى الدروس الصباحية ، ونحن وجميع الطلبة فى حلقات دائرية متعددة فى الصحن الشاسع الداخلى ، نجلس على الحصير ، وفضيلة الأستاذ الشيخ المحاضر المختص لشرح ، الدرس يجلس على مقعد مربـع من الخشب لالقاء درسه فى المادة المقررة لنا .

وكان كل منا فى يده « الملزمة الصفراء » من الكتاب المقرر قراءته ، وكانت الكتب المطبوعة من هذا النوع ، رديئة الطبع ، مشوهة الحروف تكاد تعمى الأبصـار . ونحن مضطرون الى اقتنائها لرخص ثمنها ، لأن أمثالنا من الطلبة الفقراء لا يسـتطيعون شراءها من طبعة « المطبعة الاميرية » ببـولاق ، اللهم الا الأثرياء منا ـ وقليل ما هم ـ فكانوا يشترونها مهما غلا الثمن .

وبعد الانتهاء من تلقى تلك الدروس الصـباحية نتعرف لأخذ « الجراية » المقررة لنا أخذها من الاروقة ، أو الحارات المقيدة فيها الأسماء ، ونصيب كل واحد منها . وكان اسمنا مقيدا « بحارة العفيفى » وشيخها فى ذلك العهد فضيلة الأستاذ الجليل المرحوم « الشيخ عبد المعطى السقا » رحمه الله تعالى ، وأسكنه فسيح جناته .

وبعد استلامنا لتلك « الجراية » نعـود لشراء ما يلزم من الأطعمـة الشعبية . كالفـول المدمس ، والطعمية ، والفول النابت . والمحلات المشهورة لبيعها فى ذلك العهد هى : الحلوجى بقـرب الجامع الأزهر ، والحاج على بشارع الصنادقية ، والمعلم مهيا أمـام « باب المزينين » وهو أحد أبواب الجامع الأزهر . فمنا من يدخل احدى تلك المحلات ليتناول فطوره ، ومنا ، وهم الأغلبية الساحقة ،نعود الى الجامع فنفترش صحنه الشاسع ، ومواكبه الفسيحة . وتنتشر فى هذا الصحن الوان تلك الأطعمة لا سيما ما يحضره بعضنا من بلدته « الجبنة القديمة والمش » وتفح ريحتها فتملأ صـحن الجامع ، أو « الفطير » و « القرص » وأنواع مختلفة من الحلوى : كالعسـل الأسـمر ، والعجوة ، والحلاوة الطحينية ، وغيرها ، وهى تجلب الغمام من الذباب . ومع هذا لم نجد ذبابة واحدة تعلو فوقنا . فسالنا أهل الذكر عن هذه الظاهرة العجيبة الغريبة . فقيل لنا : ان بهذا الجامع « طلسم » يمنع الذباب من دخوله . وهذا يؤيد ما ذكره « ابن فضـل الله العمرى » عن « الطلسمات » الموجودة « بمسجد دمشق » .

حريق الجامع سنة ٤٦١ هـ وسببه :

وكان حريق الجامع فى نصف شعبان سنة احدى وستين وأربعمائة . وكان سـببه أن أمين الجيوش بدر الجمـالى » ورد من مصر الى دمشق فى هـذه السنة . فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان ، وقع القتال بين المشارقة والمغـاربة . فضربوا دارا كانت مجاورة للجامع بالنار ، فبادرت الى الجامع . وكانت العامة تعاون المغاربة . فتركوا القتال وقصدوا اطفاء النار من الجامع . فجل الأمر وعظم ، فجعلوا يبكـون ويتضرعون .

وصف العماد الكاتب لهذا الحريق :

ووصف العماد الكاتب هذا الحريق فى كتـابه . فقال :

« وفى النصف من شعبان هذه السنة ، احترق جامع دمشق . ففجع الاسلام بمصابه ، وصلت النار النار فى محرابه ، واشتعل رأس القبة شيبا بماشيت ، وأكلت النار أم الليالى منها ماربت ، وطار النسر بجناح

الضرام ، وكاد يحترق عليه بيت الله الحرام ، فكان الجحيم استجارت به فتمسكت بذيله ، وكان النهار ذكر ثارا عنده فعطف على ليله ، فواها له ! من مسجد احرقته نفحات أنفاس الساجدين ، وعلقت فيه نفحات قلوب الواجدين ، ثم تداركه الله بالألطاف والاطفاء ، وأتاه بالشفاء بعد الاشتفاء ، وقال : حسبه اصطلاء واصطلاما ، وحقق فيه قوله : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما » .

أبيات فى ذلك الحريق :

وقال ابن العين زربى فى الحريق المذكور :

لهف نفسى على دمشق التى كا
نت جمال الآفاق والأقطار !
وعلى ما أصاب « جامعها » الجا
مع للمعجبات والآثار !
اذ أتته النيران طولا وعرضا
عن يمين من قطره ويسار ؛
ثم مرت على حدائق نخل
فاذا الجمر موضع الجمار !

الفوارات التى به وتواريخ انشائها وسقوط عمدها وما فوقها :

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أقيمت القبة الرخام التى فيها فوارة الماء فى سنة تسع وستين وثلثمائة . قال :

« وقرأت بخط ابراهيم بن محمد الحنائى : انشئت الفوارة المنحدرة فى وسط جيرون سنة ست عشرة واربعمائة . وأمر بجر القصعة من ظاهر قصر حجاج الى جيرون ، وأجرى ماءها الشريف فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسينى » .

وتحته بخط ابن أبى نصر الحميدى : « وسقطت فى صفر سنة سبع وخمسين واربعمائة ، من جمال تحاكت بها . فانشئت كرة أخرى » .

قال ابن عساكر : ثم سقطت عمدها وما عليها فى حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

عمل الشاذروان بعد سنة ٦١٠ هـ :

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى : ثم عمل لها الشاذروان ، فى آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة .

وصف الحافظ الذهبى لقصعة الفوارة الكبرى وما بنى عوضا عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هـ :

قال : « ورأيت القصعة ،وهى أكبر من التى فى وسط طهارة جيرون . وفى زنارها الأوسط ست أنابيب صفار ، تفور حول الفوارة . وعليها درابزينات . فلما احترقت اللبادين سنة احدى وثمانين وستمائة ، تلفت هذه القصعة وبنى عوضها هذه البركة المثمنة . وينبع الماء فى هذه البركة من قناة دفنت اليها من مكان مرتفع . فيعلو بها الماء نحو قامة ، وسمعة الفوارة أعظم من مرآها ، واسمها أجل من معناها » .

حريق سنة ٧٤٠ هـ وتجديد المنارة على أجل مثال :

(قلت) : ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفيين وتشعث وجه الجدار الذى للمشهد المعروف « بأبى بكر » وتعلت شرر النار حتى وصلت الى دائر المنارة الشرقية وشرعوا فى اصلاح ماوهى من ذلك ، وجدوا أعاليها متداعية ، وحجارتها مفخرة مفطرة . فوقف عليها الحكام ، وقامت البينة بالضرورة الداعية الى نقض المنارة وتجديد بنائها . فنقضت جدرها الى حد أوتار الرواق القبلى ، ونقض الجدار القبلى والجدار الشرقى الى الأرض ، وحفر ما بين الجدران فى وسط المنارة عدة قامات . وبنى ذلك لبنة واحدة ، وبنيت المنارة بنيانا جليلا لم يبن من زمن الوليد أجل منه ولا أوثق .

مقامة الصفدى فى وصف الحريق سنة ٧٤٠ هـ :-

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصفدى من مقامة أنشأها فى الحريق المذكور ، من فصل يتعلق بالجامع :

« فسألت الخبر ، ممن غبر ، فقال : ان الحريق وقع قريبا من الجامع ، وانظرالى شبح الجو كيف انتشرت فيه عقائق اللهب اللامع ! فبادرت الى صحنه والناس فيه قطعة لحم ، والقلوب ذائبة بتلك النار كما يذوب الشحم ، ورأيت النار ، وقد نشرت فى حداد الظلام معصفرات ذوائبها ، وصعدت الى السماء عذبات ذوائبها :

ذوائب لجت فى علو كأنما
تحاول ثارا عند بعض الكواكب

وعلت فى الجو كأنها أعلام ملائكة النصر ، وكان الواقف فى الميدان يراها وهى « ترمى بشرر كالقصر » ، فكم « زمر » « أضحت » لذلك « الدخان » « جاثية » . وكم نفس كانت فى « النازعات » وهى تتلو « هل أتاك حديث الغاشية » . ولم تزل النار تأكل ما يليها ، وتفنى ما يستفلها ويعتليها ، الى أن ارتفعت الى المنارة الشرقية ،ولعبت السنتها المسودة فى أعراض أخشابها النفيسة ، وثارت اليها من الأرض لأخذ الثار ، وأصبح صخرها كما قالت الخنساء : « كأنه علم فى رأسه نار » فنكست وكانت للتوحيدسبابة ، ولمعبدها المطرب شبابة ، وابتلى رأسها من الهدم والنار بشقيقه ، وأدار الحريق على دائرها رحيقه :

وبالأرض من حبها صفرة ؛
فما تنبت الأرض الا البهارا

وأصبح « باب الساعات » وهو من آيات الساعة ، وخلت مصاطب الشهود من السنة والجماعه ، وعادت الدهشة ، وقد آل أمرها الى الوحشه ،وحسنها البديع وقد ثلت النار عرشه . كأن لم أر بها سميرا ، ولا شاهدت من بنائها وقماشها « جنة وحريرا » .

وصف ابن غانم هذا الحريق :

وقال جمال الدين عبد الله بن غانم ، من كتاب عن كافل الشام ، تنكز (رحمه الله) الى نائب طرابلس فى هذه الواقعة :

« وأضحى « فم الفوارة » يصعد جمرات أنفاس ، و « سوق النحاسين » ير سل الى سور الجامع « شواظ من نار ونحاس » وأقعد « بيت الساعات » الى قيام الساعة ، ودخل الى باب الجامع لكن لغير طاعه ، وكاد يصلى من به يصلى ، ويقبل على صف العابدين فيولى . واهتزت المأذنة بحمى نافض ، وتشعث المشهد الأبى بكرى ، فكأنما أصابته عين الروافض ، وترقرقت عيون العابدين من الألم ، ورق صحن الجامع لمأتم هداة الساجدين من المأذنة بنار على علم ، وما زالت مرآة اللهب حتى خربت المنار ، وصف بعد ذلك فى صحن الجامع ما فضل من أكل النار » .

« للترجمة بقية »

دور ثورة ٢٣ يوليو فى أفريقيا

الأستاذ/
عبده بدوى

من الحقائق المعروفة عن مصر انها لم تكن تكف عن التحديق الى افريقية ، ولقد كانت تحمل دائما فى عينيها « النظرة الرحيمة » التى لا يمكن لاحد ان يذكر أنها كانت ـ الا اذا كان مغرضة ـ شرهة ، أو طامعة فى التسلط ، واستنزاف الشعوب الاخرى :

فلقد كان تحولها الى الجنوب بحكمة فى الغالب محاولة محافظتها على النيل وتامين وصول مياهه اليها ، والتجارة الحرة المفتوحة القائمة على العرض والاختيار ، ثم اخيرا الخوف من التحركات الأجنبية الأخرى والرغبة فى نشر المعرفة فى أكبر مساحة ممكنة

ومهما يكن من شىء فلقد كانت لمصر دائما حدود ثقافية تختلف عن الحدود السياسية ، ولقد كانت الحدود الثقافية دائما أبعد مدى فى افريقية

فالحضارة الفرعونية شقت طريقها الى رقعة كبيرة من افريقية ، واذا كانت اثار هذه الحضارة الاجتماعية قد اندثرت فى حياتنا ، فان بعض هذه الحضارة لا يزال موجودا الى الان فى كثير من مناطق افريقية مثل تعويج قرون الماشية فى جنوب السودان ، وتوجيه السهام فى الحفلات الى الجهات الاربع فى أوغندا والتى كان يكنى بها الى صيد الامم فى مصر القديمة ، ومحاولات التحنيط فى الكونغو وبقايا الكلمات الهيروغليفية فى الصومال .. وليس معنى هذا ان افريقية كما ذكر « سيمبل » قد نسيت الانسانية ان تنمو على أرضها ، ولكن معناه ان الحضارة الفرعونية كانت حبيبة الى افريقية ، ولعل خير من عبر عن هذا شعرا الشاعر الفانى « ميشيل دى اناتج »

.. ثم ان مصر حملت الحضارة العربية الى افريقية ، فقد كان وصولها عن طريق الجنوب ميسرا ، كما كانت الوفود تصل اليها قبل ان تواصل السير ثم تصطدم بالمحيط الاطلسى ، ثم تنتشر على هيئة « مروحة » فى منطقة الغرب الافريقية ، ولم يكن دورها قاصرا على الوصول الى اكبر مساحة ممكنة

من افريقية ، لأن دورها كان يتعدى ذلك فى فتح قلبها للافريقيين السائرين الى الحج والعائدين منه ، وللذين كانوا يقصدونها رغبة فى التجارة ، ثم انها فى آخر الامر كانت « القلعة الثقافية » التى تستقبل الطلاب الأفريقيين ، ثم تملأهم بنور المعرفة الاسلامية ثم تتركهم ليواصلوا « رسالة النور » الى أفريقية .

.. ثم كانت عملية وصول أخرى أتاح لها العصر أن تكون عميقة وعملية فى الوقت نفسه فقد صحت أفريقية كلها على ثورة ٢٣ يوليو ثم ازدادت هذه الصحوة وهى تطرد الانجليز ، ثم تحولت الصحوة الى اعجاب بعد « معركة السويس » ولعل أغرب ما حدث فى هذه الفترة ، أن بعض القبائل فى الغرب الأفريقى قد اسلمت حين عرفت أن مصر تدين بالاسلام . وانها قد استطاعت أن توقف انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وأن تدفع بهم جميعا عن أرضها

ويمكن أن يقال أن الأثر المباشر لثورة ٢٣ يوليو فى افريقية انها زلزلت مكانة « الرجل الأبيض » فى أفريقية ، فقد كان هذا الرجل فى بعض المناطق ينظر اليه بما يشبه القداسة وينظر اليه على انه غير قابل للهزيمة .. صحيح ان هذه الثقة قد زلزلت حين رأوه فى حومة صراع الحرب العالمية الأولى والثانية ، ولكن هذه الثقة قد انهارت تماما حين رأوه يتلقى الضربات من دولة تقف فى شمال القارة .

ثم ان انتصارات مصر كان يتلقاها الرجل الأفريقى فى المدينة والقرية والغابة بفضل هذا الشىء الصغير المسمى « الاريل » الذى كما يمكن ان تراه فى المدينة، تراه معلقا على شجرة فى غابة ، أو على صدر راع يعانق السماء والاخضرار وأفريقية والانسانية من خلال هذا الجهاز الصغير

ولقد كان دور مصر واضحا وجليا فى كافة القضايا الافريقية ، ففى الخارج كان صوتها فى كل مؤتمر هو صوت الحرية لكل أفريقية، وفى الداخل كانت تعلن مساندتها لكل محاولة يقوم بها أى شعب من أجل « عيون الحرية »

وهى كما نشرت مجموعة كبيرة من خبرة أبنائها على « الخريطة الأفريقية .. للمشاركة فى التعليم ، والاسهام فى عديد من المشروعات فانها فتحت ذراعيها لكل القادمين من أفريقية .. للزعماء الذين يريدون أن يتخذوا من القاهرة مكانا لمواصلة النضال ، وللرؤساء الذين يريدون أن يخططوا لمستقبل القارة ، وللطلاب الذين يريدون ان يكونوا أمل أمتهم فى الغد .

.. ومن هنا نرى أن الأمل كبير فى عملية الالتقاءات بين شعب الجمهورية العربية المتحدة وبين افريقية ، لقد قلت مرة فى مجلة « نهضة أفريقية » .. وليس حلما حينما يتصور الانسان العرب وقد خلى بينهم وبين اخوانهم الأفريقيين ، وساروا جنبا الى جنب ينقبون عن الثروات ، ويدقون فى قلب المناجم ويشقون الصحراء عن البترول ، والغابة عن الثمار .. انه بلا شك لو تم هذا ابتداء من الزمان الذى عقد فيه العربى ساعده بساعد الافريقى ، لما كان هناك فى افريقية اليوم جائع أو مريض أو منهار أو جاهل

وان كانت ستوجد نضارة فى وجه الطفل ، وحماسة فى وجه الشاب ، وعزمة فى ملامح الرجل ، وطمأنينة فى غضون الشيخ ، وسلام يرفرف على الجميع فيسعدهم ، ويهب على القارات الأخرى بالحب والرفاهية والرغبة الاكيدة فى بناء الحياة .. »

واليوم نرجو ان يتحقق هذا الحلم .. ان يتحقق هذا الامل الذى نرى فيه التقاء شعب الجمهورية العربية المتحدة بشعوب افريقية على اساس من الحب ، والعمل ، والرغبة فى حياة افضل !

انها مرحلة لابد منها ، بل انا سائرون اليها فعلا ، ولكن يجب دائما ان نذكر أن عملية الالتقاء البناءة التى تتم كل يوم .. كانت من ورائها الثورة فى بلادنا ، وان عملية الالتقاء هذه من أعظم الأعمال التى قامت بها ثورة ٢٣ يوليو ، لانها اعطتنا بقية الجسم !

لأنها أعطتنا أنفسنا !

الإسلام

ومبادئ الاشتراكية

الأستاذ محمد محمود عبد الله

الفكر الاشتراكى ظهر منذ القديم فقد ظهرت بعض الاقطار الاشتراكية فى كتابات الفلاسفة الاغريق ولكنها لم تظهر كنظريات اقتصادية وسياسية الا منذ عهد قريب ولعل سبب ظهورها الحقيقى هو ماشوهد من قيام المجتمع الاوربى على نظام الطبقات . ظهر ذلك أولا عند ما كان يسودها الاقتصاد الزراعى فكان هناك مالك الارض وعبيد من الفلاحين ثم ظهر - بعد تطور الصناعة - واتساع التجارة وتضخم رءوس الاموال فظهر الخلاف بين أصحاب المال والعمال كل له مصالح يدافع عنها ويذود فى سبيل تحقيق مصالح شخصية كما ان نظام الاقتصاد الحرارى الى زيادة كبيرة فى بعض نواحى الانتاج كانت نتيجتها الطبيعية اضطرار بعض رجال الاعمال الى اعدام بعض انتاجهم فى سبيل المحافظة على ارباحهم .

كل ذلك أدى الى ان ينادى دعاة الاشتراكية واصحاب مذاهبها الى ان النظام الراسمالى ادى ويؤدى الى صراع بين الطبقات وضياع لبعض رءوس الأموال الأمر الذى استدعى اصحاب هذه النظريات الى ضرورة قيام تنظيم جديد يقوم على منع هذا الصراع والى توجيه الانتاج وتخطيط الاقتصاد تنظيما وتخطيطا يحقق الصالح العام للمجموع ، والمتطرفون من هؤلاء هم دعاة الشيوعيين والمعتدلون هم الاشتراكيون . وقد اختلف الكتاب والباحثون فى تقديرهم اقتصاديهم وسياسييهم حول هذه المذاهب لما صاحب قيام أول دولة اشتراكية على سفك الدماء . وبالرغم من كل ذلك وبالرغم من احتدام الصراع بين النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى وما ادى اليه من أقتسام العالم الى كتل متقاربة من النظم الاقتصادية فان النظام الاشتراكى يقوم على الاسس التالية .

١ - ازالة طبقة الرأسماليين ونفوذهم .
٢ - مصلحة الجماعة فوق مصلحة الافراد
٣ - تغيير نظام الملكية الخاصة الى الملكية الجماعية .
٤ - رفع مستوى المعيشة لعامة الشعب .
٥ - القضاء على الاقطاع الزراعى .
٦ - كفالة الفرص لجميع أفراد المجتمع دون تميز طبقى .
٧ - هيمنة النظام المركزى على الانتاج وتخطيطه .

ولكن هذا النظام واسسه كنظرية من النظريات الاقتصادية السياسية لا يمكن تطبيقه بصورة واحدة فى جميع الدول لتباين الظروف والمجتمعات فالشيوعية الروسية فى التطبيق تختلف عنها كنظريات علمية بحتة

ولذلك قام الاختلاف فى التطبيق بينها وبين الشيوعية الصينية وكذلك نجد أن الدول الاشتراكية جميعها تختلف فى النظم المطبقة لديها لاختلاف ظروفها الاقتصادية والتاريخية والجغرافية والدينية .

الا اننا نستطيع أن نقول ان هذه النظريات جميعها .. وما بينها من صراع انما قام فى الدول الاوربية اولا وذلك بسبب فصل الدين عن ان يسمو بمبادئه فوق جميع المبادىء بحيث يكون النبراس الذى يستضاء به فى كل ما ينظم شئون الدنيا ، الامر الذى ادى الى قيام الحضارة الاوبية والغربية على أساس مادى بحت ، فانقطعت الروابط وتفتتت المبادىء وأصبح كل فرد كل همه توفير ما يراه محققا لرفاهيته دون نظر الى قيم روحية سامية ومبادىء الهية هادية ، وبسبب نشأ عندهم ما قيل من صراع بين الطبقات وتناحر على الثروة المادية .

وبالرغم من كل ذلك فاننا نستطيع أن نقول أن القصد من الاشتراكية فى معناها هو السعى لتحقيق رفاهية الافراد والمجتمعات بعد ان تبين فساد النظام الذى كان قائما ومطبقا فى المجتمع الاوربى بأسره .

اذا انتقلنا بعد ذلك الى المجتمع الاسلامى نجده مجتمعا قام على أسس ارساها الحق فى كتابه والنبى صلى الله عليه وسلم فى سنته فكانت هديا سماويا قائما على الروحية السامية والانسانية الكاملة : « **وماارسلناك الا رحمة للعالمين** » فالاسلام دين ودولة وضعت مبادئه الأساسية لتحكم المجتمع بأسره والذى يميز الاسلام أن كل عمل الانسان الدنيوى والدينى يجب أن يكون خالصا للحق « **انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض** » فتصرفات الانسان محسوبة عليه بنيته يجازيه الله عليها ان كانت خيرا أو شرا ومن هناك كانت رابطة المجتمع اقوى رابطة يجب ان يعمل الفرد للمجموع لا لنفسه « **مثل المسلم للمسلم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى** »

والمبادىء الاسلامية فى قواعدها الاصولية تصلح لكل زمان ومكان فهى سياسة دين وسياسة تدين تحكمها الشورى « **وشاوروهم فى الأمر** » وتحكمها الرحمة والمودة بين الناس والسواسية بين المحكومين لا فرق بين المسلم وغيره فى هذا الخصوص ، فبيت المال فيه نفقة المحتاج والعاطل والضعيف والمسن الذى لا يستطيع الكسب ، والغنى فى ماله حق للمحروم وهى الزكاة وهى فرض من فروض الدين اذا منعها المسلم اقتضاها الحاكم منه بالسلطان ، والاستغلال الطبقى منبوذ فالناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، فالعبد كالسيد انسان له كرامته وله فضله اذا تمسك بالدين وبالخلق القويم وقد كان على كرم الله وجهه يلبس خادمه أحسن مما يلبس .

وعلى ذلك فان الدين الاسلامى ليس فيه ما يمنع من اصلاح المجتمع الانسانى بل انه هو وسيلة لهذا الاصلاح ومطلب من مطالبه ولذلك فانه لا يتعارض مع كل دعوة من دعاوى الاصلاح ما دامت لا تختلف مع تلك المبادىء الاساسية والخطوط العريضة التى وضعها واختطها ، وحاكم الدولة هو الامين على تلك الاسس وله ان يختار فى نطاقها من التعريفات والمبادىء ما يكون فيه صلاح المجموع ، وقد تأثرت اشتراكيتنا بهذا التراث فهى لم تذهب الى الغاء الملكية كما تنادى هذه النظريات وانما جعلت اساسها احترامها كأصل من الاصول ونظمتها كوظيفة اجتماعية تصل بها الى خير المجموع من غير تضييع لحق الفرد . أما بقية الاسس التى قام عليها النظام الاشتراكى فهى أسس لا تتعارض مع مبادىء الدين فى الحكم والاقتصاد .

واذا كان الامر كما تقدم فاننا نستطيع أن نقرر ان الدين الاسلامى كنظام حكم وسياسة وعبادة لا يقف حجر فى سبيل أصلاح المجتمع لذلك يجب أن نتخذه نبراسا يضىء لنا معالم الطريق وينير لنا ماالحلك من فجاجها فاذا اهميت الروحية الدينية على المادية هذبتها وشذبتها وكان الواحة فى هذا البحر الخضم نستروح فيها روح الراحة والأمن اذا اظلمت الدنيا واشتد الخطب .

والله الهادى الى سواء السبيل .

بين قصص المعجزات والفلسفة والعلم الحديث

تجمع هذه الكلمة فى نسق بين معجزة نبى مرسل ، وقصة فلسفية ، وعلم حديث ، وجهنى الى الكتابة فى موضوعها ماقرأته فى الصحف اليومية من أن عالما ايطاليا أوجد العلقة - وهى أول تكوين الجنين - فى أنابيب اختبار ، بخلط ماء الرجل ببويضة المرأة فى الانبوبة ، ثم يضع هذا المخلوط فى رحم ميكانيكى حتى يتماسك ثم ينقله الى رحم أنثى ، أى بعد أن يصير مضغة ،فينمو فى بطنها نموا طبيعيا ، الى أن يصير جنينا ، وقد نجح بهذه الطريقة فى ايجاد سبعة وعشرين طفلا ، تتراوح أعمارهم بين بضعة شهور وخمس سنوات ، وهم يعيشون فى صحة جيدة ، ويتصرفون تصرفات عادية .

عند قراءتى هذا الخبر رجعت بى ذاكرتى الى قصتين تقتربان من صنع هذا العالم ، هما قصة خلق المسيح عيسى عليه السلام ، وقصة سلامان وأبسال التى نص عليها على بن سينا فى كتابه « الاشارات » ، وأقول تقتربان لأن القصص الثلاث تتحد فى الظاهر فى أن العلقة تخلق دون مباشرة الرجل للمرأة ، وتفترق فى أن معجزة السماء للمسيح عيسى عليه السلام هى دون مباشرة ، ودون ماء أيضا ، هى من صنع الخلاق العظيم ، أما القصتان الأخريان فان العلقة فيهما قد خلقت من ماء الرجل ولكن دون مباشرة وبطرق صناعية .

أما قصة خلق المسيح عليه السلام فبحسبى فيها ماقاله القرآن الكريم « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ... » والى هنا انتهى ما أردته من سياق الآية ، وهو كيفية تكوين عيسى فى بطن أمه ، أما بقية قصة المسيح ، وكذلك معجزاته التىأجراها الله على يديه فليست من موضوع هذه الكلمة .

قرأت كثيرا عن فجر القصة ، وابتداء وضعها ، مثل قصة الف ليلة ، وقصة كليلة ودمنة ، ولكنى لم أقرأ عن قصة سلامان وأبسال المجهولة النسب من واضعها ،لانه ظهر لى من قراءة ترجمتها من اللغة اليونانية الى اللغة العربية أنها موضوعة باليونانية ، لما قبل التاريخ الميلادى بكثير ، كما أشير الى ذلك قريبا فى موضعه ، وان الذى ترجمها من اليونانية الى العربية هو حنين بن اسحاق فى عصر نهضة الخليفة المأمون فى الترجمة والتأليف .

أشار بن سينا فى كتابه « الاشارات » الى هذه القصة بقوله : « فاذا قرع سمعك فيما يقرعه ، وسرد عليك فيما تسمعه - قصة لسلامان وأبسال ، فاعلم أن سلامان مثل قد ضرب لك ، وأن ابسال مثل ضرب لدرجتك فى العرفان ان كنت من أهله ، ثم حل الرمز اذا أطقت » .

والرمز الذى ذكره ابن سينا يريد به انك بعد قراءة ترجمة القصة تعرف مقصود واضعها وأغراضه منوضعها ويقول أحد شارحى كتاب « الاشارات » : نصير الدين الطوسى فى ذلك مانصه : « .. فسلامان وأبسال ليسا مما وضعهما الشيخ « ابن سينا » على بعض الأمور ، وكلف غيره معرفة ماوضعه ، بل ذكر أنك ان سمعتتلك القصة فافهم من لفظتى سلامان وابسال .. نفسك ودرجة عرفانك ، ثم اشتغل بحل الرمز وهى سياقة القصة ، تجدها مطابقة لأحوال العارفين ، فاذا الأمر بحل الرمز ليس تكليفا بمعرفة الغيب ، انما هو موقوف على استماع القصة .. » .

الأستاذ حسن الشيخة

ثم لخص الطوسى ترجمة حنين بن اسحاق للقصة ، لانها طويلة جدا ، وأنا أكتفى باثبات هذا التلخيص ، قال الطوسى :

« .. انه كان فى قديم الدهر ملك لليونان والروم ومصر وكان يصادقه حكيم فتح بتدبيره له جميع الاقاليم ،وكان الملك يريد أن يكون له ابن يقوم مقامه من غير أن يباشر امرأة ، فدبر الحكيم تدبيرا حتى تولد من نطفة الملك ابن من غير رحم امرأة (ويلاحظ أن هذا شبيه بما قام به العالم الايطالى) ، وسماه سلامان ، وأرضعته امرأة اسمها أبسال ، وربته ، وهو عند بلوغه عشقها ، ولازمها، وهى دعته الى نفسها ، والى الالتذاذ بمعاشرتها ، ونهاه أبوه عنها ، وأمره بمفارقتها ، فلم يطعه . فهربا معا الى ماوراء بحر المغرب ، وكان للملك آلة يطلع بها على الأقاليم ومافيها ، فيتصرف فيها ، فاطلع بها عليهما ، فرق لهما ، وأعطاهما ماعاشا به ، ثم أهملهما مدة ، ثم غضب من تمادى سلامان فى ملازمة أبسال ، فجعلهما بحيث يشتاق كل الى صاحبه ، ولا يصل اليه ، مع انه يراه ، فتعذبا بذلك برهة ، وفطن سلامان ، ورجع الى أبيه معتذرا ، ونبهه أبوه الى أنه لايصل الى الملك الذى رشح له مع عشق أبسال الفاجرة .. ففهم ذلك سلامان ، فوضع يده فى يد ابسال ، وألقيا بنفسيهما فى البحر ، فخلصته روحانية الماء بأمر الملك ، بعد أن أشرف سلامان على الهلاك ، وغرقت أبسال ، فاغتم سلامان لغرقها ، ففزع الملك الى الحكيم فى أمره ، فدعا الحكيم سلامان ، وقال له أطعنى أوصل أبسال اليك ، فأطاعه ، فكان يريه صورتها فيتسلى بذلك ، الى أن صار مستعدا لمشاهدة صورة الزهرة ، فأراها له الحكيم ، فشغفه حبا ،وبقيت

صورتها معه أبدا ، ونفر من تخيله صورة ابسال ، واستعد للملك بسبب مفارقتها ، وجلس على سرير الملك ، وبنى الحكيم هرمين باعانة الملك ، فأخذ الملك واحدا لنفسه ووضعت هذه القصة فى أحدهما ، ولم يتمكن أحد من اخراجها غير أرسطو الفيلسوف ، بتعليم أستاذه افلاطون له ، وسد الباب ، وانتشرت القصة ، ونقلها حنين بن اسحاق من اليونانى الى العربى .. » .

هذا هو تلخيص القصة كما رآه نصير الدين الطوسى وقد سقت هذا التلخيص ليكون حل رموزها الذى أراده ابن سينا مبنيا على أصل موجود ، لأن حل المعدوم لايصح عقلا ولا واقعا ، وحل الرموز كما رآها الفيلسوف الطوسى يتلخص فى أن واضع هذه القصة الخيالية أراد بالملك العقل الفعال ، وأراد بالحكيم الذى يفيض عليه ، وسلامان هو النفس الناطقة ، فانه أفاضها من غير تعلق بالجسمانيات ، وابسال هى القوة الحيوانية البدنية التى تألفها النفس ، وعشق سلامان لأبسال هو الميل الى اللذات البدنية ، وهربهما الى ماوراء بحر المغرب هو انغماسهما فى الأمور الفانية البعيدة عن الحق ، واهمالهما مدة ، وتعذيبهما بالشوق مع الحرمان ، وهما متلاقيان هو بقاء ميل النفس الى أفعالها بعد فتور القوى ، وسن الانحطاط ورجوع سلامان الى أبيه هو التفطن للكمال ، والندامة على الاشتغال بالباطل ، والقاء نفسيهما فى البحر تورطهما فى الهلاك ، وخلاص سلامان من الغرق هو بقاء النفس بعد البدن ، واطلاعه على صورة الزهرة هو التذاذ بالكمالات العقلية ، وجلوسه على سرير الملك هو تمكنه من الكمال الحقيقى والهرمان هما المادة (الهيولى) والصورة ...

غير أن الطوسى لاحظ أن فى هذا الحل الرمزى مطابقة سلامان لما أراد الشيخ الرئيس ، أما ابسال فالحل غير مطابق ، لأنه مما يعوق عن العرفان ، لا أنه نعرف به درجة العرفان ، ولذلك ذكر حلولا أخرى أنا فى غنى عن اثباتها مادام قد سلم عندى أساس البناء القصصى ، وهو ايجاد العلقة ثم المضغة بلا مباشرة ، وهو ماضربت له الأمثال فى هذا المقال ، كما أن الرياضة العقلية التى تحدثها قراءة هذه القصة هى موجودة على اى حل من حلول الرموز .

بقى أن أختم المقال بكلمة وجيزة عن ابن سينا فى أنه كان يميل دائما الى غموض الألفاظ ، وتغريب المعانى فى كل مايقول ، حتى أنه عرف بذلك ، بل بأكثر منه ، هو أنه كان يريد الاستئثار وحده بالعلم النافع فى وقته ، ومن ذلك ماقاله ابن خلكان فى ترجمته له لما اتصل بالأمير نوح بن نصر السامانى ، صاحب خراسان ، وقد نجح فى علاجه من مرضه ، فسلمه الأمير مكتبته التى وصفها المؤرخون بأنها كانت أعظم مكتبة مملوءة من الذخائر والنفائس ، فشرب ابن سينا منها حتى امتلأ علما واطلاعا وكان نادرة زمانه فى الحفظ والاختزان ، والفهم والذكاء ، ويقال أنه بعد هذه الاستفادة الواسعة توصل الى احراق المكتبة ، ليتفرد بمعرفة ماحصله مما احتوته من معارف وعلوم .

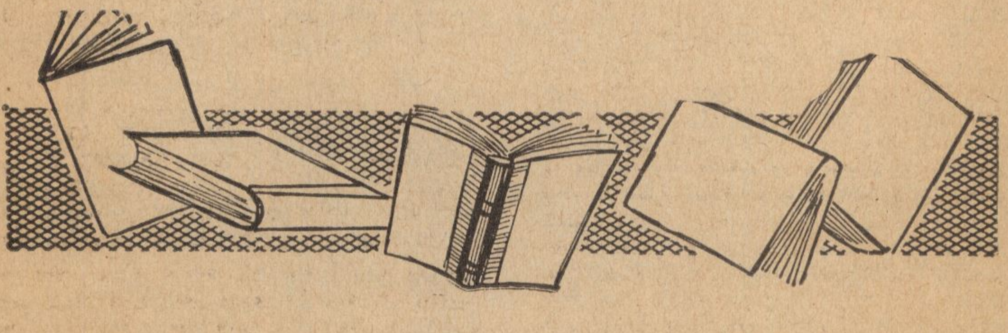

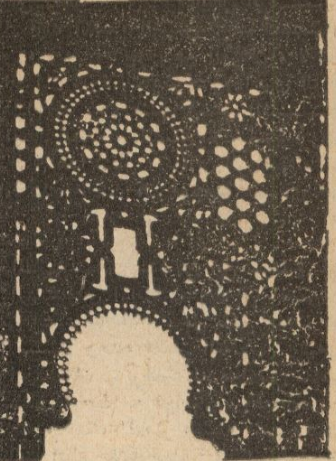

الحضارة الإسلامية

الدكتور محمد مطر سعيد

الى الذين اسلموا ، ولم يدخل الاسلام قلوبهم ،فنسوا أو تناسوا حضارتهم الاسلامية العريقة ، ومثلها السامية ومبادئها القويمة ، وبهرتهم مظاهر المدنية الغربية الطريفة وماتقوم عليه ، وتدعو اليه ، من متع حسية ، وترف مادى .... أكتب هذا المقال مستمدا الحجة من أقـــوال المستشرقين الغربيين ، وغنى عن البيان أن معظم هؤلاء المستشرقين من رجال الدين والعلماء والأدباء ، واللغويين والمؤرخين ، الذين نفترض فيهم دقة البحث وأمانة العلم، ولكنهم يضمرون فى نفوسهم كراهية عميقة للاســـلام والعروبة ، فهم اما أتباع متعصبون لليهودية والمسيحية ، أو صنائع ماجورون للاستعمار والامبريالية . وقد اخترت نخبة مختارة من أقوالهم وآرائهم التى تزخر بها مؤلفات الغرب من تراث الاسلام وتاريخ العروبة ، والفضـــل ماشهدت به الأعداء . أما الذين اعتنقوا الاسلام بعد تفهم واقتناع وآمنوا به وبحضارته عن يقين ، فهم بهـــذه الحقائق عالمون ، ولا أزعم انى آتيهم فيها بجديد .

(وابدأ بتحديد مفهوم كل من الحضارة والمدنية) .

فالحضارة بمفهومها الواضح البسيط ، هى جمـــاع العادات القومية والآداب العامة والتقاليد الموروثة والقيم الخلقية والدينية التى يقوم عليها بناء المجتمع ، عقليـــا ونفسيا وروحيا ، أما المدنية ، فهى عوامل الانتاج والكسب والرفاهية والعمران التى يقوم عليها بناء المجتمع ماديا .

وللشرق حضارة روحية اصيلة قوامها التأمل فى الكون وخالقه ، ورياضة النفس ، وكبح جماحها ، عن متعـــة الشهوة المنحطة وعرض الدنيا الزائل حتى تتطهـــر ، وتصبح أهلا لما ينتظرها من سعادة ونعيم مقيم فى الدار الآخرة .

وللغرب حضـــارة مادية ، تقوم على القـــوة والبطش ، والاستعمار والاستعباد ، والتكالب على الكسب والثراء والاستغلال والاستمتاع بكل مافى الحياة من متعة وترف .

وحضارة الشرق اصيلة ثابتة مستقرة ، لأنها روحية خلقية ، أما مدنية الغرب فقلقة حائرة ، لاتكاد تستقر على حال ، بل هى تجارب مرتجلة تحمل فى ثناياها أســـباب فشلها ، ومبادىء مادية تبطن فى أحشائها عوامل هدمها . وقد بدأت هيلينية ـ رومانية ، ثم لاتينية ، فجرمانية ، أو سكسونية ، وأخيرا أمريكية ، ومن يدرى فلعلها فى طريقها الى الالحاد والوجودية .

والتاريخ ينبئنا بما كان للحضارة الشرقية من فضل كبير فى نشر الديانات السماوية والمبادىء الروحيـــــة الخلقية ، وتحقيق العدل والسلام ، وما أحدثته المدنية الغربية من حروب مدمرة وكوارث مهلكة ومبادىء هدامة تصيب الدين والخلق فى الصميم ، رغم سلطان الكنيسة وجبروت العلم الحديث .

فأين تقع حضارتنا الاسلامية من هذين الطرفين ، انها درب أرقى بلا شك تجمع بين الحسنيين ، بين روحيـــة الشرق الخلقية ومادية الغرب الخيرة . فهى تأمر المسلم بأن يتعلم من العلم مايحصل به رزقه ، ويعد نفســـه للجهاد فى سبيل الله ، ويسعى لخيره ، وخير الناس ، ويعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، والى جانب هذا يعمل بأوامر الدين ونواهيه ، ويتقى الله سرا وعلانية ، ويعـــد نفسه بالتقوى والعمل الصالح ، كأنه يموت غدا .

لهذا لم يسع المستشرقون الغربيون الا أن يعترفوا بعظمة الحضارة الاسلامية وكما لها بالقياس الى غيرها من المدنيات .

فيقول دورفه : المسلمون كانوا رجـــالا اكمــــل من المسيحيين ، وأحفظ منهم للعهد ، وأكثر رحمة بالمغلوبين وهم قلمـــا ارتكبوا فى تاريخهم الطويل من الوحشية مارتكبه المسيحيون عندما فتحوا بيت المقدس . وللعالم الاسلامى آثار منوعة بالغة فى العالم المسيحى ، فقد نقلت أوروبا عنه نظام الطعام والشراب والعقاقير والأدوية ، والأسلحة وشارات الدروع والروائع الفنية والتحف ، والمصنوعات الدقيقة والسلع التجارية والتشريعـــات وآلات الموسيقى والأساليب الحربية ، البرية والبحرية.

وقال جب : لم تضارع أمة حضارة من الحضارات فى اى عصر من العصور الحضارة الاسلامية ، فى عدد علمائها وادبائها وشعرائها ، وخاصة فى عهد الدولة العباسية .

وقال لينى بول : لم تنعم الاندلس طوال تاريخها بحكم رحيم عادل كما نعمت به أيام الفاتحين العرب . وأضاف دورنى : وما من شك فى أن حكمهم كان أفضل من حكم من سبقوهم من القوط الغربيين . وكانوا أقدر أهل زمانهم على تصريف الشئون السياسية وأمور الحكم ، التى تقوم على العدل والرحمة .

ويضيف جويوم : وكانت الضرائب معتدلة اذا قورنت بما كانت تفرضه روما أو بيزنطا . وبلغت ايرادات الدولة أيام عبد الرحمن مايفوق ايرادات حكومات البلاد المسيحية اللاتينية مجتمعة .

ويقرر تشابمان : أن مصدر هذه الايرادات لم يكن الضرائب العالية ، وانما كان أثرا من آثار الحكم الصالح وتقدم الزراعة والصناعة وازدهار التجارة ، وكان حكم العرب نعمة وبركة على الزراع من أهل البلاد ، فقد حرروهم من نظام الرق الذى ظل سائدا فى أوربا المسيحية طوال القرون .

وأضاف دورنى : وخصص خلفاء قرطبه نصف غلات أرضهم للفقراء ، ولذا كثيرا ما كان المسيحيون يفضلون حكم المسلمين .. وكانت بلاد الاندلس بفضل العرب أعظم البلاد حضارة ، لا فى أوربا وحدها ، بل فى العالم أجمع .

وكانت قرطبة فى ذلك الوقت أعظم مدن العالم مدنية ، كما كانت القاهرة أغنى مدن العالم ، وكان فى قرطبة أيام المنصور مائتا ألف منزل وستون الف قصر وستمائة مسجد ، وسبعمائة حمام .

وكانت الطرق مرصوفة ، وبكل منها طواران على الجانبين ، وتضاء ليلا فيستطيع الانسان أن يسير فى الليل عشرة اميال على ضوء مصابيحها وبين ضيعتين لا ينقطعان من المبانى . وقال عن صقلية ، اتخذت الثقافة الصقلية بعد فتح العرب لها ، طابعا اسلاميا ، ابهى واعظم من طابعها القديم ، ولا زال ما تمتاز به ، من فنون وصنائع أثرا فى التراث العربى ، فقد تلقت العلم والثقافة الفنية الراقية على يد خير امة ، وافضل دين .

وقد صدق ، فالدين هو اساس هذه الحضارة الاسلامية ، التى استحدث مقوماتها من تعاليم هذا الدين ودستور القران الكريم وسنة الرسول واحكام الشريعة .

وقد ظل الاسلام هدفا لمطاعن الكثير من غلاة المتعصبين ، ولا سند لهم من منطق سليم أو برهان صحيح . ولكن المنصفين من الغربيين لم يسعهم الا ان يشيدوا به ، كما شادوا بما انبثق عنه من حضارة ومدنية .

فيقول العالم الطبيعى والمؤلف الروائى هـ . ح . ولز عن الاسلام : انه الدين الوحيد الذى لم يترك بين ثنايا تعاليمه فرجة كسم الخيط ، يدخل منها الكاهن ، بتاجه وطيلسانه وحليه ونواقيسه وأجراسه وبخوره وموسيقاه واناشيده وطقوسه ليفسد تعاليم هذا الدين . وقال جب : ولد محمد فى اقليم معظم ارضه صحراء جرداء قليلة السكان ، واهله من قبائل البدو والرحل ، الفقراء الذين اذا جمعت ثرواتهم كلها وقتئذ ، فانها لم تكن تكفى لبناء كنيسة أيا صوفيا ..

ولم يكن أحد يحلم أنه لن يمضى قرن واحد من الزمان ، حتى يكون أولئك البدو ، قد فتحوا نصف املاك الدولة البيزنطية وجميع بلاد الفرس ومصر ومعظم شمال افريقية ، واخذوا طريقهم الى اسبانيا وايطاليا ثم فرنسا ، وفى الحق أن هذا الحادث الجليل الذى تمخضت عنه جزيرة العرب ، الذى اعقبه استيلاء العرب على نصف عالم البحر المتوسط لمن اعجب الظواهر فى العصور الوسطى .

ولكن لا عجب فقوتهم من قوة الاسلام الذى اعتنقوه وآمنوا به واستشهدوا فى سبيله . والمعجزة الكبرى ليست فى هذا الفتح السريع ، وانما فى الدين ذاته . فالاسلام عقيدة نبيلة سامية الفت بين قلوب الأمم المتباينة المنتشرة فى جميع القارات ، فجعلت منها شعبا واحدا . ويلوح أن الثغرة التى لابد من وجودها بين التطورات المجردة والأفعال الواقعية كانت أضيق فى الاسلام منها فى سائر الأديان .

وأخلاق الاسلام تليق بالرجال ، فهى تؤكد فضائل الرجولة فى السعى والجهاد ، كما تؤكد المسيحية فضائل الأنوثة فى التواكل والاستسلام . وليس هناك فى التاريخ دين غير الاسلام يدعو أتباعه على الدوام لان يكونوا أعزة أقوياء . ولم يفلح فى هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الاسلام .

والقرآن يشكل أخلاق الناس على نحو قويم ، ويشحذ همم الملايين من الرجال ، ويبث فى النفوس السليمة الفطرة ، أسهل العقائد وأقلها غموضا ، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس ، وأكثرها تحررا من الوثنية والكهنوتية . وقد كان له أكبر الأثر فى رفع مستوى المسلمين الأخلاقى والثقافى . وهو الذى أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعى والوحدة الأخلاقية ، وحضهم على اتباع السلوك السوى . والى جانب هذا حرر عقولهم من الخرافات والأوهام ، وجنبهم الظلم والقسوة ، وحضهم على الرحمة والاحسان للفقراء والمعوزين واليتامى والارقاء وبث فى نفوس الأذلاء العزة والكرامة ، وبفضله وصل المسلمون الى درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لايوجد لها نظير فى أية بقعة من بقاع الأرض يسكنها الرجل الأبيض .

وقد عرف القرآن مبادىء الاسلام وتعاليمه ، وحددها تحديدا بحيث لايجد المسيحى ولا اليهودى صحيح العقيدة مايمنعه من قبوله . والدين الاسلامى على وجه العموم هو أبسط الأديان وأوضحها . وقد استبدل وحدة الايمان والعقيدة كأساس للمجتمع الجديد بوحدة الدم البدائية . وبعد هدم أسس التعصب القبلى والجنسى والعنصرى تحت المساواة بين جميع المسلمين وتكافات الحقوق والواجبات .

واصبح المؤمنون جميعا اخوة متحابين تجمعهم أسرة جديدة واحدة . وعلى أساس الأخوة يقوم مبدأ المساواة أمام الله والمجتمع ، والقانون ، سياسيا وأخلاقيا ومدنيا . فالحكم لله ، وبيت المال لله ، والعاملون يعملون لله ، وليس هناك من وسيط بين الخالق والمخلوق . وبعبارة أخرى يسلم المؤمن نفسه لله ، ليكون مسلما .

ويمتاز الاسلام بالسماحة والعدل والعفو ومراعاة ضعف الطبيعة البشرية ، فى حين أن اليهودية تمتاز بالقسوة ، والمسيحية بالخضوع المطلق لسلطان الكنيسة المستبدة ، فهو دين يسر لا عسر ، يحض على العمل لكسب العيش أيا كان نوعه مادام شريفا ، ويقدس الحرية فى حدود الصالح العام ، ويضع الحدود الواضحة بين المحرم الضار والحلال المباح النافع . والشريعة الاسلامية

الهية فى مصدرها ، انسانية فى موضوعها ، وليس لها من هدف الا خير البشرية .

واللغة العربية الفصحى هى بالضرورة من مقومات الدين ، فبها تنزل القرآن وبها تحدث الرسول الكريم ، وقد يعجب الناس من أمر هذه اللغة الدخيلة على الشعوب غير العربية التى اعتنقت الاسلام وكانت لها لغات قديمة تعتز بها ، كيف هانت عليهم لغاتهم ،فنبذوها واتخذوا العربية لسانا ، به يتخاطبون ويكتبون ويقرأون فلم تلبث لغاتهم القديمة أن تزول وتنقرض -والجواب عند المستشرقين .

ان المرونة العجيبة للغة العربية ووفرة الفاظها وتعدد الوانها ودقة معانيها ، تمكنها من اختيار اللفظ المضبوط المناسب ، الذى يتطلبه التعبير الدقيق فى العلوم الحديثة والفنون ، واستيعاب جميع الأفكار ، دون افتعال أو اقتباس ، أو نحت فى لغات أخرى ، كما تفعل اللغات الأوروبية ومن ثم يمكن فى يسر تعديلها للتعبير عن جميع المصطلحات المستخدمة بكلمات عربية فصيحة أصيلة .. والعالم الغربى مدين للغة العربية بالكثير من الكلمات والمصطلحات ، فمعظم اسماء الأدوات والأشياء والأماكن فى اللغات الأسبانية والبرتغالية لازالت عربية . ويقول بيكر: ان الثقافة التى أخذها الغرب من اللغة العربية والعرب كانت نعمة وبركة .

وبفضل اللغة العربية ، نسب بعض الكتاب الالمان كل نهضة العصور الوسطى فى أوربا للعرب . فقد نقل الأسبان عن العرب والصليبيون فى الشرق الكثير من التعابير العربية المتصلة بالأمور الانسانية والاجتماعية والاقتصادية كالمساواة بين الطبقات ، وحرية الفلاحين ، وروابط الحرف ، وأمور التجارة والصناعة ، والتشريع المدون المقنن . ولو كان العرب برابرة متوحشين كالمغول او اليهود القوط لتأخر عصر النهضة الأوروبية عدة قرون . وقد بلغ من تأثر أدباء وشعراء أسبانيا باللغة العربية التى تعلموها انهم كانوا أحيانا يكتبون الألفاظ الأسبانية بحروف عربية .

والأدب هو المظهر الجمالى للغة والذوق الفنى لأهلها وفى أدبنا العربى يقول المستشرقون .

لم يكن للعرب قبل فتوحاتهم فن ادبى سوى الشعر ، ولكنهم باختلاطهم بالاغريق والفرس والهنود اكتسبوا أشكالا فنية جديدة تمتاز بالرقة والسلاسة ، ولم تكن النتيجة تقليدا محضا ، بل تركيبا مبتكرا بارعا . وطرزا وأساليب جديدة متنوعة ، تعبر عن الروح الانسانية والعاطفة الجياشة والحس المرهف بأناقة ورقة فياضة ، لم يفقها شىء من نوعها فى ذلك الوقت ، ولم تفقهم اية أمة أخرى فى عدد الأدباء والشعراء ووفرة الأدب عامة والشعر خاصة ، فى عهد الدولة العباسية . وبلغ الشعر ذروته عند المتنبى والمعرى ، الذى وضع ١٥٩٢ قصيدة تعرف باللزوميات ، ولم يتطرق فيها لذكر الخمر والنساء

وقد عرفت أوروبا الأدب العربى أول ماعرفته وتذوقته عن طريق أسبانيا . وكان تسرب الأدب العربى فى القرون الوسطى مظهر الحركة فكرية جديدة فى أوروبا . فقد ضاقت ذرعا بأدبها اللاتينى العنيف الفقير الذى لا أصالة له ، وبحضارة العصور المظلمة ، وتقاليد الكنيسة الصارمة ، فاتجهوا الى أدب الاسلام ، وأدركوا بحق أن المسلمين يفوقونهم عقيدة وسيرة . وفى القرن الثانى عشر الميلادى وصل نفوذ الأدب العربى فى أوروبا الى القمة الى حد أن الفونسو ملك أسبانيا أمر بترجمة معظم كتب الأدب العربية . وهكذا عرف الغرب لأول مرة كليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ورباعيات الخيام ، وسرت بعدئذ موجة ترجمة الشعر والأغانى والزجل والموشحات .. وبتأثير الأدب العربى الأندلسى ، ظهر فى فرنسا فى القرن السابع عشر الميلادى ، نوع جديد من الشعر ، يتميز بتنوع الموضوعات النفسية والاجتماعية الجديدة . واقتبست أغانى الحب من أزجال ابن قزمان الأندلسى . كما تأثر الكتاب بأسلوب النثر العربى ، وانتقل شعر الحماسة والفروسية العربى من الأندلس الى فرنسا ، ومن صقلية الى ايطاليا .

ويرى نقاد الأدب ومؤرخوه أن قصة الدون كيشوت للروائى الأسبانى المشهور ، مقتبسة من اصل عربى .. ولعل لأوصاف الجنة والجحيم فى رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى نصيب كبير فى الملهاة الالهية لشاعر ايطاليا الكبير دانتى . وحتى بعد أن طرد الأسبان العرب من الأندلس . ودفعهم التعصب الأعمى للقضاء على كل اثر عربى ، لم يجدوا فى الأدب الغربى السائد وقتئذ من الحرارة والحماسة مايغذى روحهم الوثابة فعادوا للأدب العربى مرة أخرى .

هذا قليل من كثير مما تذخر به كتب المستشرقين ، والأدباء والمترجمين والمؤرخين والنقاد الغربيين ، تشهد بما للحضارة الاسلامية من مكانة سامية . ومالدى الاسلام من الفضل كل الفضل فى بناء هذه الحضارة . ولنا عودة فى الفلسفة والعلوم والفنون عما قريب .

التأمين والإسلام

الأستاذ البهي الخولي

– ١ –

هل التامين تكافل اجتماعي ؟

تلك دعوى الذين أجازوا التامين ، فقد قالوا : انه تكافل اجتماعي شرعه الله ، فهو حلال لا شائبة فيه ..

وقد ناقشنا فى مقالنا السابق تلك الدعوى مطبقة على عقد التامين نفسه ، وتبين أن ذلك التامين ، شيء لايمت بأى صلة للتكافل الذى تقرره اللغة ، وتطمح اليه الفطرة ، وليس فى بواعثه وأهدافه وحقيقته الا ما ينكره الاسلام ويحرمه .. ويبقى أن نوجز القول فى حقيقة التكافل الذى شرعه الله تعالى ، ليدرك القارىء مدى مباينته لما سموه تامينا ، وليدرك تبعا لذلك مدى خطأ الفتوى التى أجازت ذلك التأمين على انه تكافل .

– ٢ –

والتكافل فى اللغة تفاعل بين طرفين ، كل منهما يكفل الآخر .. ومن معانى الكفالة القيام على انسان ، أو مال بالانفاق والرعاية التى تصونه وتحفظه من الضيعة ، قال فى لسان العرب : «الكافل هو الذى يكفل انسانا : يعوله وينفق عليه » وقال : « تكفلت بالشيء ، ألزمته نفسى ، وأزلت عنه الضيعة والذهاب » وقال فى أساس البلاغة : « أكفلنى ماله ، ضمه الى ، وجعلنى القائم به » .. فالتكافل – على هذا – ان يقوم القوم كل منهم للآخر بالرعاية التى تحفظ نفسه ، وتصون ماله من الضيعة والذهاب .

والتكافل فى الاسلام ليس فكرة طارئة ، اذا أخذنا بها ، فبها ونعمت ، واذا لم نأخذ ، لا ينقصنا بتركها شيء .. وليس هو مذهبا اجتماعيا ، يتحمس له قوم ويرفضه آخرون ، دون أن يعالج القبول أو الرفض شيئا مما يجد الفريقان من قلق ، الا تباينهما فى أسلوب الحياة ومظهر المحنة .. انما التكافل « حقيقة ازلية » من حقائق عالم المعنى ، تتبدى للنظر الفطرى حين يتامل تأمل الاستبصار فى صلة الناس بثمار هذه الأرض ، ومدى حقوقهم فيها ، فيتبين له فى جلاء ، كانما يقرأ فى كتاب مسطور : أن الله لم يخلق الارض لأمة دون أخرى ، ولم يجعل فيها امتيازا لفرد ما على سواه ، فهى للناس جميعا ، لكل منهم فيها حظه ، أو حقه الذى تقوم به حياته ولا بد .. ويلتقى ما تقرؤه الفطرة من ذلك مع ما جاء فى قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » .

واذا كان لكل منهم حظه فيها – بما تنطق به الفطرة ، ويقرره الأمر الالهى – فانه لاترجمة لذلك ، ولا مرادف له ، الا ان « الارض شركة بين الجميع » وان ليس للناس من صلة « أساسية » تجمعهم على اقتصادها – اى ثرواتها العامة – الا صلة هذه الشركة ، فهى

لهم جميعا فى حالتى الرخاء والشدة ، واليسر والعسر ، فان كان رخاء عاد على الجميع جدواه ، وان كانت شدة احس الجميع وطأتها .. وذلك هو الاصل الكبير « لاشتراكية الاسلام » وما ينبثق منها من حقائق ، واسس ، واصول .. وأظهر تلك الحقائق وابينها وجود

واصول .. وأظهر تلك الحقائق وأبينها وجودا

فى عالم الواقع ، هو « التكافل » على النحو الذى سنوضحه فيما يأتى :

– ٣ –

وواضح مما قدمنا من حقيقة تلك الشركة، انها تتضمن الحقائق الآتية :

١ – أن أعضاءها هم أفراد الجماعة – أو أفراد المجتمع – قاطبة ، فردا ، فردا ، لايستثنى منهم صغير ولا كبير .

٢ – أن سهم كل منهم فى هذه الشركة هو حظه ، أو حقه الازلى ، الذى لا فضل فيه لاحد من أعضاء الجماعة على أحد ، وهو الحظ الذى تقوم به حياته ولا بد .

٣ – وبما ان الناس لا يخلقون الثروات والخيرات فى الأرض ، انما تخلقها لهم الطبيعة بقدرة الله وعلمه وارادته ، فان حقوق المجتمع فى تلك الثروات تنقسم قسمين :

الأول : قسم عام – أى حقوق عامة – ومنشؤه الموارد التى تستغل على طبيعتها بدون معاناة أو بذل جهد ، كالملح فى الملاحة ، والعشب فى منابته المباحة ، والماء فى عيونه الدافقة ، والحطب – ونحوه – فى غاباته ومطارحه . وحكمه أنه ملك عام ، لا يجوز ان يمتلكه فرد أو جماعة من دون أهل البيئة ، اذ هو قائم على أصل الشركة العامة ، وفيه جاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء فى ثلاثة : الكلأ ، والماء ، والنار » – والمراد بالنار مواد الوقود كالحطب ونحوه – وذلك أصل « الملكية العامة » فى الاسلام ..

والقسم الثانى : قسم يختلط فيه الحق العام بالحق الخاص ، ومنشؤه الموارد والمواد التى تحتاج فى استغلالها واستهلاكها الى جهد خاص بالاحياء ، والعمارة ، والتقطيع ، والسبك ، والطرق ، ونحوه .. فان تلك الموارد والمواد ، هى من صنع الطبيعة ابتداء ، ولا أثر للانسان فى خلقها من العدم البتة ،فهى على هذ محتفظة بصفتها الازلية ، صفة الشركة العامة .. ولكن جهد الافراد فى استغلالها ، واعدادها للاستهلاك ، والاستعمال ينشىء لكل عامل فيها حقا آخر ، هو : حيازة ما صنعه أو أحياه، دون زيادة أو نقص «وأن ليس للانسان الا ما سعى » .. وأن يكون له مستوى خاص من المعيشة تتقرر الكفاية فيه على حسب حاله من الكسب والسعة ، دون نظر الى من فوقه أو من دونه : « لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه ، فلينفق مما آتاه الله » .. وأن يكون حقه فى تلك الكفاية مقدما على « الحق الازلى » المقرر للجماعة فيما لديه ..

وعلى هذا فكل ما يحوزه أى فرد من تلك الثروة بحق عمله وجهده ، فيه حقان اثنان : الاول ، حق الجماعة الازلى .. والثانى حقه الخاص الذى اكتسبه بعمله .. وذلك هو حقيقة « الملكية الخاصة » فى الاسلام ،وعلى هذه الحقيقة وبهذا المفهوم جاء مثل قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه ، والمسكين وابن السبيل » وفى أموالهم حق « معلوم » للسائل والمحروم » «وآتوا حقه يوم حصاده» فنصيب المجتمع فى تلك الاموال والزروع ، ليس تطوعا ، ولا ضريبة يبتكرها حاكم ، انما هو « حق » على المعنى الازلى الذى قدمنا .

٤ – ان رخاء الافراد – بناء على ما تقدم – هو رخاء المجتمع ، لارتباط كل منهما بالآخر واختلاطه به .. وان اجتهاد المرء فى العمل ، هو اجتهاد فى المصلحة العامة – أى مصلحة الجماعة – كما هو اجتهاد فى مصلحته .. ولما كان ذلك كله مرتبطا ب « العمل » أى مترتبا عليه وقائما به لا ينفك عنه بحال ، فان كل من الفرد والمجتمع **صاحب مصلحة أساسية فى العمل** ، وبعبارة أوضح صاحب مصلحة أساسية فى استمرار طاقات العمل – على اختلاف مستوياتها ، وتنوع مواهبها – قائمة دائبة . جاهدة فى ميادين الانتاج .

*

وهذه المصلحة لا تتحقق على سوائها الطبيعى الا بأمرين يبرزهما منطق الفطرة

الذي صحبناه منذ بدء هذا الحديث، ويوجبها الله تعالى في كتابه العزيز .

الأمر الاول : ان العمل « حق » شخصي لكل فرد ،باعتبار العمل هو الوسيلة الطبيعية التي يحصل بها المرء على ضرورات الحياة ، كما هو الوسيلة الطبيعية التي يحقق بها لنفسه ما يستطيع من مستوى الرفاهية .. ويقابل ذلك مسئولية المجتمع عن هذا الحق ، ووجوب تدبيره للعامل بحكم المصلحة المشتركة بينهما في العمل ، وارتباط رخاء كل منهما بالآخر ، فهي اذ ترعى ذلك الحق له ، انما ترعى مصلحتها .. وذلك لون من التفاعل ، او التكافل الذي تقرره أحكام الاسلام ، ويسعه مفهوم اللغة .

الامر الثاني : ان العمل اذا كان حقا للعامل يجب على الجماعة أن ترعاه له ، فهو من ناحية أخرى « حق لها » يجب على الفرد أن يؤديه، لأن عمل الافراد هو الوسيلة الطبيعية لحفظ كيان الجماعة وتوفير رخائها ..

وليس هذا الوجوب عبئا جديدا تنشئه الجماعة ، وتلقيه على الفرد فوق ما على كاهله من الاعباء، فان الجماعة هي الافراد ، واجتهاد كل منهم في حفظها انما هو اجتهاد في حفظ كيان نفسه ، وسعى كل منهم في مصلحته الخاصة ، انما هو سعى في مصلحتها .. فهو اذ يرعى ذلك الحق لها ، انما يرعى حق نفسه .. وذلك لون آخر من التكافل ، أو « التفاعل » غير الذي قررناه في الامر الاول ، يأمر به الاسلام ، ويتضمنه مفهوم اللغة ..

واذا كان أداء ذلك الواجب هو نفس أداء واجب المرء نحو نفسه ، أى أن السعى في أداء هذا مختلط بالسعى في أداء ذاك ، فصورة العمل للاثنين واحدة ، وليس ثمت ما يميز أحد العملين عن الآخر في الظاهر - كان من الضرورى ، أو كان من الواجب أن يكون لكل من الواجبين نية خاصة به في الضمير ، فتكون نية الاهتمام بصالح الجماعة قائمة فيه متميزة من نية الاهتمام بالصالح الخاص . وأن يكون تفكير المرء في كلا الحقين - حق الجماعة ، وحق نفسه - قائما في ذهنه كل على حدته حين العمل .. فذلك هو الحق الذى نقيم به ضمائرنا على واقع فطرة الله ، وتنظيمها به على سنن الوجود ، وبه يكون التكافل الذى أوضحنا نتيجة محتومة ، وثمرة طبيعية لا حول عنها .. فاذا نسى الضمير ذلك الواجب أهملنا التفكير فيه ، فهو سبيل الانحراف ، وسبب ما تعانيه الانسانية من تفكك ، وأنانية، وفساد ..

ولا ندرى هل دارت تلك الحقائق الاسلامية الأصيلة بخلد السادة الذين قالوا : ان التأمين هو تكافل اجتماعى شرعه الاسلام ، أم لم تدر .. فاذا كانت قد دارت بأفكارهم وبنوا فتواهم عليها فليدلونا على موضع تلك الحقيقة فيما أفتوا .. نعم فليدلونا على مكان الاشتراكية في عقد التأمين .. وليدلونا فيه على مكان الارتباط التضامنى التلقائى بين رخاء الجماعة كافة ، والرخاء الشخصى لكل فرد .. وليدلونا فيه على ذلك « التفاعل » الذى تتبادل فيه المسؤوليات عن الحق والواجب بين الفرد والجماعة على النحو الوثيق الذى أردنا في تكافل الاسلام .. وليدلونا في ذلك العقد الذى أوجبوا احترامه ، على مكان الضمير الصالح الذى أقامه صاحبه على واقع فطرة الله ، وسنن الوجود ، فقد لا ينسى حق الجماعة الى جانب صالحه الخاص ، فكان « التأمين » نتيجته الطبيعية ، وثمرته المباركة واذا لم تكن تلك الحقائق قد دارت بأذهانهم حين الفتوى ، فان قولهم بأن التأمين هو التكافل المشروع ، قول لا يقوم على أساس .

*

ويبقى بعد ذلك من الاصول التى يتم بها التكافل ، ولا قيام لحقيقته ولاتمام الا بها ، عدة أصول ، يتعلق بالمقام منها أصلان :

الاصل الاول : ضمان الحق الازلى للضرورات التى تقوم بها حياة الفقير ، وقد أوجب الله تعالى ذلك الاصل بآية الصدقات، بقوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء » ، وهؤلاء الفقراء صنفان :

الصنف الاول ، صنف قادر على العمل ، فهو يعمل ، ولكن مواهبه البدنية ، أو الفكرية محدودة الامكان ، عليلة الحيلة لا يبلغ بها أن

يحصل كل ضروراته .. فهذا يقوم « حقه الازلى » بتغطية ، أو تكملة تلك الضرورات ، دون فضل او منة لاحد .. وهذا الصنف هو الذى أطلق عليه وصف « المحروم » فى قوله تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » فقد قال القرطبى فى تفسيره : « وعن عائشة رضى الله عنها : المحروم هو المحارف الذى لا يتيسر له مكسبه .. يقال : رجل محارف ـ بفتح الراء ـ اى محدود محروم ، وهو خلاف قولك مبارك . وقد حورف كسب فلان ، اذا شدد عليه فى معاشه ، كأنه ميل برزقه عنه » فهذا الصنف المحدود الرزق داخل بنص الآية فيمن يكفلهم المجتمع بالحق الازلى المقرر فى أموال القادرين ...

والصنف الثانى من هؤلاء الفقراء ، صنف غير قادر على العمل ، لاسباب خارجة عن ارادته ، كالشيخوخة ، والاصابات ، أوالعاهات المقعدة عن العمل ، وصغر اليتيم ، ونحوه ، فحقه الازلى فى كفاية المعيشة ، موفر له على ما قرر الاسلام فى الآيات الواردة بحقوق ومصارف التكافل الاجتماعى ...

وهذه الكفاية المقررة لهذين الصنفين ، هى كفالة الطعام ، واللباس ، والمسكن ، قال الامام ابن حزم فى المحلى : « وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد ، أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ، ان لم تقم الزكوات بهم ، ولا فىء سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة » .

والاصل الثانى : لا يتعلق بفقر و فقير ، انما يتعلق بتدبير ضائقة أهل القدرةوالمواهب المغنية المجدية حين يعرض لمستواهم المالى من الاحداث ما يذهلهم عن مواصلة جدهم فى الصالح العام والصالح الخاص جميعا .. وهو أصل فرضه الله تعالى فى آية الصدقات بقوله « والغارمين » .. والغارمون همالذين ذهب السيل ، أو الحريق ، او الاوبئة ، أو العوارض السماوية او نحوها بمالهم من زرع ، أو ماشية ، أو تجارة أو مسكن ، أو أمتعة ، أو نحوها من ضروب المال ، أو غرموا مالهم فيما يجلب خيرا للمجتمع ، أو يدفع شرا عنه، أو استدانوا فى ذلك ، روى الطبرى فى تفسير « الغارمين » عن مجاهد : « ان الغارم هو الذى يذهب السيل أو الحريق ببيته ، أو متاعه ، أو ماله ، وادان على عياله » يروى الطبرى ـ أيضا ـ عن قتادة : « أن الغارمين قوم غرقتهم الديون فى غير املاق ، ولا تبذير، ولا فساد » أى هم عناصر صالحة ، ليسوا من الفقراء الملقين ، ولا من المبذرين والمفسدين ، فيجب شرعا أن يعانوا من الدولة ـ اى المجتمع ـ بما يردهم الى شأنهم الاول .. ويقول القرطبى فى ذلك : « من له مال ، وعليه دين محيط به، يعطى ما يقضى به دينه» أي يعطى ما يسد به دينه ليبقى له ماله على حاله .. وذكر ابو عبيد فى الاقوال ، أن عمر ابن عبد العزيز كان يأمر عماله ـ أى رجال ماليته ـ بأن يسددوا ديون الغارمين ، فكتب اليه أحدهم : « انا نجد الرجل مسكنا ، وخادما ، وفرسا ، وأثاثا ، افنقضى عنه دينه ؟ فكتب اليه عمر يزجره بقوله : نعم ، فأقضوا عنه فانه غارم » .

وواضح أن الاسلام اذ قرر هذا الاصل ، وكفل لاولئك المجدين هذا المستوى ، لم يكن محابيا لهم ، بل لحظ انه هو مستوى كفايتهم وجدهم فى تحصيل الحلال ، وانه بذلك انما يأخذ بأيدى تلك الكفايات الجادة المثمرة لتواصل جدها فى دعم الثروة العامة ، لان ما يحرزه المسلم من ثروة ، انما يتضمن حقا للجماعة الى جانب ما يتضمن من حقه الخاص .. والاسلام بتقرير ذلك الحق العجيب الرائع ، يلتقى مع منطق الفطرة الذى قررناه فيما مضى من ذلك المقال ، من أن الجماعة « صاحبة مصلحة أساسية فى استمرار طاقات العمل ـ على اختلاف مستوياتها ، وتنوع مواهبها ، قائمة ، دائبة ، جاهدة فى ميادين الانتاج » .

*

وبتقرير هذين الاصلين الجليلين نسأل لسادة أصحاب الفتوى : أين وجوه الشبه التى جعلتهم يقررون أن التأمين هو التكافل الذى شرعه الله ؟..

* ان التكافل حقيقة أصيلة فى واقع الازل، كالشمس والقمر ، أى ناموس اجتماعى يمد المجتمعات بالعافية ونور الحقيقة ، ولا قيام لها بدونه على سواء الصحة .. أما عقد التأمين « فعملية مالية » يبتكرها من ينشدون الربح من أى طريق ، دون تفكير فى صحة مجتمع أو مرضه .. وهى بهذا الاعتبار عارض طارىء على المجتمع ، اذا اختلفنا على أن وجوده دليل على اختلال المجتمع ووهن كيانه ، فلا اختلاف على أنه أمر لا أصالة فيه .. فهذان أمران متعارضان ، فهل يمكن أن نعتبرهما وجه شبه بين التأمين والتكافل ؟

* والتكافل هو مظهر طبيعى لوحدة المصلحة بين الفرد والمجتمع ، وارتبط وجود كل منهما بالآخر ، فكل مواطن هو طرف فى هذا التكافل ، بحكم عضويته فى المجتمع .. ومن المحقق أن التأمين ليس فى شىء من ذلك قليل أو كثير .. فهل يمكن أن يعتبر ذلك صفة جامعة بينهما ؟.

* والكفالة – باعتبارها مقتضى التكافل – حق لكل مواطن تحل به الظروف والاسباب التى توجبها .. ولا وجود لشىء من ذلك اطلاقا لدى من يحترفون التأمين ، ويجعلونه أساس علاقتهم بالناس .. ذلك الى ان الظروف التى تجب بها كفالة المواطن هى عجزه عن كفالة نفسه بمرض أو نحوه ، على حين تجد محترفى التأمين يرون المرض والعوز مسوغا اساسيا لرفض التعاقد مع ذويهما .. هذا وحق المواطن فى الكفالة ، يقوم على « حقه الازلى » الذى قرره الله له فى الثروة العامة ، وليس عليه أن يتكلف فى مقابلهما أى عبء مالى ، قل أو كثر ، أما فى التأمين ، فانه لا حق لاحد فيه الا اذا قام بالتزاماته نحو المبلغ الذى تعاقد – مقدما – مع الشركة على دفعة ذلك فضلا عن ان حق المواطن فى الكفالة يحل بمجرد حلول أسباب حاجته ، أما عقد التأمين فلا يدفع درهما واحدا للمستأمن – مهما تكن ظروف عوزه – الا بعد مرور مدة التأمين ، أو اختطفه الموت قبل مضى هذه المدة ، فيدفع المبلغ لمن له حق الولاية فى قبضه .. ونلاحظ علاوة على ماتقدم ان كفالة الاسلام تكفل للمواطن كافة ضرورات معيشته – من طعام ، وملبس ، ومسكن – ما دام فى ظروف عوزه ، طالت تلك الظروف أم قصرت ، أما مبلغ التأمين فلا شأن لدافعيه بظروف المستأمن ، ولا اعتبار لديهم لما يعرض له من استغناء أو عوز .. فتلك وجوه سبعة من التعارض بين التأمين والتكافل ، لا يمكن ان يجد فيها المنصف وجها واحدا يحملها على وصف واحد من التماثل ، ولا يمكن أن يرى فى تضافرها جميعا على المباعدة بينها الا ان التأمين يبعد من التكافل بعد النقيض من نقيضه ، وان القول بأن التأمين هو التكافل الذى شرعه الله ، بعيد من الصحة مدموغ بالدلالات الحاسمة الماثلة فى تلك الوجوه .

*

ومن الامور الخطيرة التى يجب ان تتقرر فى هذا المقام ، أن الاسلام يجعل من مقومات متجمعة : ان يؤمن أرباب الأموال على مستواهم الذى بلغوه بجدهم فى الحلال ، فقد أمن كلا منهم على ما له من مسكن حسن ، أو اثاث ، أو مال فى التجارة أو غير التجارة ضد الحريق والآفات العارضة ، على النحو الذى اوردنا .. وان يؤمن كل فقير على نفسه ، وعلى من يعول حال حياته ، وبعد موته بكفاية الطعام والملبس ، والسكن ... وقرر ذلك كله فى آية الصدقات : للاغنياء قوله تعالى : «والغارمين» على المعنى الذى اوردنا من شرح الأئمة ، وللفقراء قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » وقد قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله فى الحديث الصحيح : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا أو ضياعا، فالى وعلى» والضياع هم الضعاف الذين لا يقدرون على الكسب ، وليس لهم ما يقوم بهم ..

فذلك التأمين بنوعيه أصل اسلامى فى تكافل المجتمع ، جاءت به آية الصدقات ، وآية الصدقات فريضة مجمع على فرضيتها، وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فريضة أيضا . وقد اسند الرسول رعاية ذلك الى الدولة بقوله عليه السلام : »فالى ،

وعلى » لانه هو ممثل الدولة الاول فى الاسلام، وكلامه دستور لكل من ولى أمر المسلمين من بعده فاذا دارت الدوائر بمجتمعات الاسلام ، فتعطل فيها ما شرع الله من أصول التأمين والتكافل ، وغدا بعض الافراد على شيء من القلق على ذريته أو ماله ،فالحل الوحيد فى فقه الاسلام لذلك ان نبادر الى تصحيح الاوضاع فى مجتمعنا ، باحياء ما تعطل من شرائع ديننا .. أما ان نغذى الخوف فى صدور القلقين ، ونوهمهم ان شركات السحت والاستغلال هى المنقذ المسعد لهم ونزيد فنبارك عمل تلك الشركات بالفتاوى التى نصدرها بتحليله ، فمعناه الواضح اننا نرضى بتعطيل ما فرض الله ، وأننا نرضى بما شرع الغرب وشركاته من ربا وغرر ، بديلا عما شرع سبحانه لنا .. وليس ذلك محرما فى الاسلام فحسب ، بل هو الخروج الصريح منه .

*

ولما قامت فى مصر ثورة سنة ١٩٥٢ وشرعت فى تحرير الاقتصاد المصرى من تغلغل النفوذ الاجنبى فيه ، الغت فيما الغت هذا التامين ، بتاميم شركاته اذ جعلتها ملكا للامة ، واصبح ما تمارسه الدولة منه الآن يخالف ما كان جاريا منه من قبل ، من حيث انه يجرى باسم الدولة لمصلحة الامة بأسرها ، لا باسم الشركات لمصلحة افراد معينين .. وصارت مكاتب تلك الشركات أجهزة للدولة تملكها الحكومة كما تملك اى ديوان آخر ..

وفى رايى ان التامين الذى تزاوله الدولة الآن انما هو ضرورة اقتضتها فترة الانتقال ، وسيذوب تدريجيا خلال تلك الفترة ، وينتهى الى لا شيء .. فاننا ما زلنا فى ثورة ، والاوضاع لم تستقر بعد ، وكل ثورة لا بد لها من عبور مسافة بين أوضاع فاسدة مخربة ، وبين ما تامله من أوضاع فى الطمانينة والرخاء .. وهذه المسافة – عادة – فراغ هائل فى الوعى ، والضمير ، والاقتصاد ، ولا بد فى اجتيازها من مراعاة الحكمة فى التهيئة النفسية والجد فى الانتاج ... ومحاولة عبور تلك المسافة ، هو ما سميناه فترة الانتقال ، ويهمنا من شانها ان الابقاء على التامين الذى ورثته الثورة من الشركات البائدة ضرورة اقتضتها المشروعات الكبيرة الكثيرة التى اسست من قبل بأموالها ،ورتب امتدادها والتوسع فيها على اقساطه الباقية ،وعملياته المنتظرة ، فاذا الغته الدولة بجرة قلم ، فمعناه انه تتقوض تلك المشروعات فجأة ،لانه يقتضى توقف دفع الاقساط ، ورد ما دفع منها الى اربابه وهو ملايين ضخمة .. وذلك على استحالته عمليا ، تخريب مؤكد لاقتصاد الامة .. فاذا كانت قواعد الدين تقرر ان درء المفاسد مقدم على جلب المنافع وان الضرورات تبيح المحظورات ، ففترة الانتقال أولى بأن تسعها تلك القواعد .

فاذا أضفنا الى ذلك أن ضروب التامين التى استحدثتها الدولة خرجت عن نطاق تلك الاجهزة الحكومية القائمة بعمليات التامين الموروث ، وتولتها « مؤسسة التامينات الاجتماعية » ، وصارت تشمل التامين ضد البطالة ، والشيخوخة ، والاصابات المقعدة عن العمل ، وضد المرض ، وقد أخذت دائرتها تتسع لتشمل جماهير العمال فى شتى انحاء الجمهورية ، زراعيين وغير زراعيين – اذا لاحظنا ذلك كله ، مع اطراد السير فى نفس الاتجاه تبين لنا أن بقاء التامين الذى ورثته الدولة ، يفقد موارده بالتدريج ، وأن موجة التامين العام ستظل فى مدها تدور به ، وتعلو قمته ، حتى يفقد الناس حاجاتهم اليه ، ويذوب ذوبانه الطبيعى الى لا شيء .. وان البوادر الطيبة التى نرى بها الدولة تيسر على العاملين فى الزراعة باقراضهم مبالغ بدون ربا، مع اعطائهم – فى الصحراء الغربية – «شتلات» اشجار الجوز واللوز والفاكهة ، وآبار الرى ، ومراوح الهوا بالمجان ، هذه البوادر مع تنوعها كل آن ، واتساع دائرتها شيئا كل يوم تدل على أن الدولة تسير نحو دعم الافراد ، وتوفير رخائهم ، وامدادهم بكل معونة ، واغنائهم عن مستغلى الضرورات ، وهو اتجاه لا يتنفس فيه التامين المعروف الا عوامل القضاء عليه ، والاستراحة منه الى الابد ..

حقق الله الآمال ، وهدانا سواء السبيل .

مقارنة الأديان

اليهودية

الدكتور أحمد شلبى

مقدمة :

تعتبر دراسة اليهودية ذات شأن كبير فى حياتنا الحاضرة ، فلقد اقتحم اليهود الصهاينة علينا ارضنا، وشتتوا جماعات من اخوتنا العرب ، واتخذوا الدين سلاحا من اسلحتهم ، فاوهموا بعض الناس أنهم -باسم الدين- يسعون لارض الميعاد ، فمن واجبنا أن نحق الحق ، وأن ننشر على الناس دراسات علمية عميقة المصادر تضع أيديهم على حقائق الامور .

ودراسة اليهودية أشق أنواع الدراسة فى علم « مقارنة الاديان » وذلك لتحريف مصادرها وانحراف وسائلها ، فبعض المصادر يعترف به اليهود وبعضها يسرونه ، فاذا ظهر شيء منه أنكروه ، وسنرى فى دراسة التلمود وقرارات حكماء صهيون ما يثير الدهشة ، ويبعث على الفزع ، وهم يتخذون وسائل عجيبة لتحقيق مآربهم ، فالماسونية والاغتيال والمال والجمال وسائل نفاذة عندهم، بل انهم استطاعوا أن يسيطروا على بعض المذاهب التى قال بها مسلمون منحرفون وذلك كالبابية والبهائية .

واكثر المراجع عن اليهودية كتبها يهود متعصبون ، فبذلوا أكبر العناية لابراز أنهم شعب الله المختار ، وأن دينهم أسمى الاديان أو أبو الاديان ، واذا كتب باحث منصف شيئا عن اليهودية ، وذكر بعض ما بها من انحرافات حاصر اليهود مؤلفه وقتلوه بما لهم من سلطان على دور النشر والتوزيع .

ومع هذه الصعوبات فقد استطعت أن أجمع أكثر المصادر التى أريدها لابدأ فى الكتابة عن اليهودية ، وسابذل أقصى الجهد لاجعلها كتابة علمية عميقة الجذور ، والله المستعان أن يهبنا التوفيق والرشاد .

المنطقة وسكانها :

ان المنطقة التى ستدور حولها دراستنا تقع على ضفتى نهر الاردن والى الجنوب من البحر الميت حتى قمة خليج العقبة وينبغى أن نتعرف على طبيعة هذه المنطقة ، ومن هم سكانها فى هذه العصور السحيقة التى ستبدأ عندها أبحاثنا ، وينبغى كذلك أن يمتد بحثنا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى تكون صورة واضحة عن فلسطين ، وعن الدول المحيطة بها والتى كان لها أثر فيها ، وستفيدنا هذه الدراسات طوال هذا البحث ، فتمدنا بعناصر خطيرة تشرح لنا كثيرا من الظواهر ذات الاثر الفعال فى مجريات الامور .

وهذه المنطقة أشبه بشريط ضيق ينتهى من الجنوب بمثلث رأسه الى الجنوب وقاعدته الى الشمال ، ويلتقى بطرف خليج العقبة ، وتمتد قاعدته من البحر الميت الى البحر الابيض المتوسط .

ومساحة هذه المنطقة ليست واسعة فهى حوالى ٢٧ الف كيلو متر مربع ، أى أقل من ثلث مساحة سيناء ، فمساحة سيناء حوالى ٨٢ الف كيلو متر مربع .

وهذه المنطقة ليست واسعة الغنى ، وتتركز الثروة بها فى المعادن الراسبة بقاع البحر الميت ، وأهمها كلورات البوتاسيوم ، وكلورات الصوديوم ، وكلورات المغنسيوم ، أما الثروة الزراعية فتشمل البرتقال بالسهل الساحلى والحبوب بمرج ابن عامر ووادى الاردن ، والزيتون بالمنطقة الجبلية ، أما منطقة النقب فترتبط الزراعة بها بكمية الامطار التى تسقط عليها ومساحة منطقة النقب حوالى نصف مساحة المنطقة كلها .

وعلى هذا فاهمية هذه المنطقةليست لاتساعها ولا ثرائها ولكن لموقعها الفذ بين مناطق الشرق الاوسط، فهي بالنسبة لخريطة العالم حلقة اتصال بين اوربا وآسيا وافريقية ، وهي مع صغر مساحتها متصلة بالبحر الابيض والبحر الاحمر ، وعن طريقهما تتصل بالمحيط الاطلانطي والمحيط الهندي ، وهي بالنسبة للعالم العربي تعتبر المنطقة الوحيدة التي تتصل باكبر عدد من دول العالم العربي ، فهي تتصل بلبنان وسوريا والاردن والسعودية ثم الجمهورية العربية المتحدة ، وهذا ما لا يتوافر لسواها من دول هذه المنطقة .

ثم هي حاجز أو حلقة اتصال بين الدول العربية بآسيا والدول العربية بافريقيا . ومن هنا كانت عروبة هذه المنطقة وحسن صلتها بجيرانها ضرورة حيوية ما لها من محيد .

اهمية موقع فلسطين

ولنعد الى الالف الثالث قبل الميلاد لنرى افواجا من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية الى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء ، ويقول Charles Foster Kent ان الفينيقيين كانوا أسبق هذه الجماعات المهاجرة .

وقد وجدوا على شاطىء البحر المتوسط مستقرا لهم فاقاموا به ،وكان مقرهم شريطا ساحليا ضيقا يحده البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقي المنطقة ، ومن هنا اتجه هؤلاء الى البحر فركبوه ، واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق التجارة ، وسرعان ما اصبح هؤلاء جنسا شهيرا في سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فاصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم .

والى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل الكنعانيين حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م واستقرت على ضفة الاردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط ، ولذلك سميت هذه المنطقة « ارض كنعان » وهو الاسم الذي يكثر وروده في التوراة . وحوالي سنة ١٢٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر الابيض جماعات من جزيرة كريت « أقريطش » وكانت هذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلسطين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتم بين هؤلاء واولئك مزيج غلب عليه الدم العربي والاسم الوافد من كريت ، فاصبحت هذه البلاد العربية تعرف بفلسطين .

وفي الشمال الشرقي لنهر الاردن كانت تعيش قبائل الاراميين الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية خلال العصور المتتالية ، وهذه القبائل هي المعروفة في الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها وكانت هذه القبائل تعمل في الزراعة ، ولكن موقعها دفعها للعمل في التجارة البرية ، فاذا اشتهر الفينيقيون بركوب البحر متاجرين فانالسوريينركبوا البر منافسين لهم في النشاط التجاري ، والاراميون كانوا قريبين جدا من الكنعانيين في لغتهم ودياناتهم وعنصرهم .

والى الشرق من نهر الاردن ثم الى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاثة امون ومؤاب وادوم ، وسكانها ينحدرون كالاراميين من سهل الفرات وتربطهم بهم روابط نسب ، كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والافكار الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض وكانت لغتها لهجة من الكنعانيين ، وتعتبر مؤاب أكثرها حضارة اذ كانت اسرعها في التحول من نظام البدو الى عالم الحضر ، ويبدو أن خصب موقعها ساعد على سرعة التحول فاستقرت واشتغلت بالزراعة وبنت المدن العظيمة .

أما مملكة أدوم فكانت تمتد الى خليج العقبة ، وأهم ما كانت تشتغل به هو رعي الانعام في السهول الفسيحة التي تتبعها ، ومن أجل هذا كانت اقل الممالك الثلاثة حضارة ومدنية ، وكانت أمون في الشمال من مؤاب - تعمل في الزراعة والرعي ، فبعض بطونها استقر وبنى المدن واشتغل بالزراعة ، والبعض الآخر ظل يتجول ويرعى الغنم والماشية ، وهي لهذا تعد من جهة المدنية وسطا بين مؤاب التي اتجهت للاستقرار والزراعة وبين ادوم التي ظلت تعيش عيشة البادية .

المناطق المحيطة :

هذه هي المناطق ذات الصلة الوثيقة بدراستنا عن اليهود ، وبقي علينا بعد ذلك أن نتكلم كلمة عن الدول المحيطة بهذه المناطق ونعني بها مدين في الجنوب الشرقي ، ومصر في الجنوب الغربي ، وبابل وآشور في الشمال والشمال الشرقي ، وطبيعي أن اليهود عرفوا هذه الدول واتصلوا بها مسالمين حينا ومحاربين حينا ، وتاثروا كثيرا بافكار السكان ومعتقداتهم ، فتعرفنا على هذه الدول هنا يعد أساسا من أسس هذه الدراسة .

تقع مدين في الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وكانت لها صلة وثيقة بالجزيرة العربية وبمصر وبارض كنعان ، وسنرى ان موسى لجأ اليها عقب هربه من مصر، وتعتبر مدين معبرا بين الصحراء العربية وبين فلسطين وما حولها .

على أن مصر وبابل كانتا أكثر تأثيرا في ارض كنعان فان أرض كنعان وقعت بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين ازدهرت فيهما أرقى حضارة في العصور القديمة، وكانت هناك حروب ومنافسات لا تنقطع بين هاتين الدولتين ، وكانت ارض كنعان ميدانا لهذه الحروب كما كانت تتأثر بنتائجها ، فالغالب منهما يسيطر على ارض كنعان وتكون له السيادة على سكانها ، ولذلك يقول ول ديورانت : ان موقع فلسطين جاءها بالغنى والحرب .

وتدل الآثار البابلية على أن بابل كان لها السلطان على أرض كنعان في الالف الثالث قبل الميلاد ، وكانت حضارة الكنعانيين شديدة التأثر بحضارة بابل ، وساعد على تقدم بابل تغلب الرعاة الهكسوس على مصر ، وهؤلاء الرعاة ينحدرون من أصل عربي ، وقد اجتاحوا أرض مصر مدفوعين بالقحط الذي كان قد أصاب الجزيرة العربية وسوريا ، وقد انتهز الهكسوس فرصة انحلال الاسرة الثالثة عشرة الفرعونية فاستولوا على السلطة بمصر ، وكونوا لهم أربع أسر من الاسر القديمة التي حكمت مصر ، واستمر حكمهم من حوالي سنة ٢٠٩٨ الى سنة ١٥٨٧ قبل الميلاد ، وكانت هذه الفترة فترة نضال بين الهكسوس الذين سلبوا السلطان وبين أمراء طيبة المصريين الذين يصارعون لاستعادة سلطانهم وطرد المعتدين ، وقد تمكن البطل أحمس في النهاية من النصر وطرد الهكسوس وأسس الاسرة الثامنة عشرة المصرية ، ومن اشهر الملوك المصريين الذين أكملوا انتصارات أحمس الملك تحتمس الثاني الفاتح العظيم الذي دانت له فلسطين وامتد سلطانه لسوريا ، فتوارى أمامهسلطان بابل في تلك البقاع . كما خضع له الحيثيون بالشمال وسنرى أن في عهد الهكسوس عاش اليهود بمصر ، فلما سيطر الحكم الوطني بها اضطرب موقف اليهود ، ولذلك يرى Maspero أن سيطرة الساميين على مصر أتاحت للهنود بعض الحماية

« للحديث بقية »

معجزات في الحديث الشريف

الدكتور

محمود دياب

قال الله فى كتابه الكريم : ((**والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى**))

ان المعجزات التى أتت فى القرآن الكريم والتى سبق بها العلم الحديث بألف ومئات من السنين تدل دلالة قاطعة على أنه من عند الله وانه ما كان لمحمد النبى الامى أن يعلم ما ثبت يقينا بآخر ابحاث علمية مؤكدة أنه لا ينطق عن الهوى وكذلك ما جاء على لسان النبى من أحاديث صحيحة فلقد جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((اذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها)).

سبق هذا الحديث ما جاء فى أحدث كتب علم الاجنة من أنه ثبت أنه قبل الاثنين والاربعين يوما الاولى لا يمكن تمييز معالم الجنين ، وجاء بالتحديد أنه فى الأسبوع السادس تكون معالم الجنين قد تكونت وهذا هو المقصود بتصوير النطفة على شكل انسان وجاء فى كتاب التشريح النمائى عن الانسان ما يلى :

فى الاسبوع السادس يكون قد ظهر فى الجنين ما يلى :

١ ـ أعضاء الحس .

٢ ـ تلتئم حلقات العضلات فى عملية مستمرة حتى تتكون تجمعاتها فى الاطراف والصدر وحول العين وهذا هو المقصود بتكوين اللحم .

٣ ـ تظهر الوان الشبكية وتنفصل العدسة ويظهر الجسم الزجاجى والمشيمة أى الطبقة الوعائية الثانية وهذا يؤيد ما جاء فى الحديث عن تكوين النظر وهو المقصود بالبصر .

٤ ـ تشكيل الاذن الخارجة والوسطى والداخلة فى اطار واحد وهذا هو المقصود بالسمع .

٥ ـ بدء أول ظهور فى مراكز التغضرف أى فى التحول الى نسيج غضروفى يتحول الى عظام بعد التكلس وهذا هو المقصود بعظامها وفى نفس الوقت تبدأ بعض علامات الذكورة والانوثة وتتحرك المعدة الى مكانها وتلتوى الامعاء الدقيقة وتتميز الكبد الى قسميها الايمن والأيسر وتنفتح فتحة الشرج ويأخذ القلب شكله المحدد وتأخذ الاطراف شكلها الحالى ويظهر الراس وبمعنى ادق يأخذ الجنين معالم الانسان فى بطن أمه بعد ٤٢ يوما .

وبذلك يكون النبى الكريم قد سبق فى حديثه آخر ما أثبته علم الاجنة فى ابحاث مؤكدة يمكن مناظرتها فى كتاب «التشريح التطورى أو النمائى» الطبعة السادسة صفحة ١٦٠ (ليسلى أرى)

وهذا يقطع أن الاسلام حق وأن القرآن الكريم حق وأن النبى عليه السلام لا ينطق عن الهوى .

حول
الإسراء والمعراج

الأستاذ عبد الحميد بلبع

ان الله اصطفى من بنى آدم طائفة من رجالهم ـ اختارهم بنفسه • واصطنعهم على عينه • وهيأهم ليكونوا رسله يدعون الخلق الى الحق والى طريق مستقيم ـ «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » وقد جرت عادة الله مع هؤلاء الرسل ـ اذ كذبهم قومهم أو عارضهم أحد ممن بعثوا اليهم ـ أن يجرى الله على أيديهم أحداثا لا تخضع لقوانين الطبيعة ولا تدخل فى اطار السنن المعتادة ولا تنطبق عليها المقاييس المنطقية • يحادون بها من كذبهم ويلجمون بها من عارضهم « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم » ومن بديع الحكمة ودقة الحجة أن كانت هذه الأحداث من نوع ما اشتهر فى زمن كل رسول من علم وفن امعانا فى التعجيز • واظهارا للضعف لتنبثق الحجة قوية ويتضح عجز المعارضين ولتكون هذه الأحداث بمثابة قول الله فى حديثه : « صدق عبدى فى كل ما يبلغ عنى » فها هو ذا سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ وقد اشتهر الطب فى زمنه ـ كان يبرىء الاكمة والأبرص ويحيى الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ـ وها هو ذا سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ وقد اشتهر السحر فى زمنه ـ كان يلقى عصاه على ما ألقى السحرة من حبال وعصى يسحرون بها أعين الناس فيخيل اليهم من سحرهم أنها تسعى فتلقف عصى موسى ما يأفك هؤلاء الساحرون فيقع السحرة ساجدين قائلين « آمنا برب العالمين رب موسى وهرون » وها هو ذا سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد عمت

رسالته جميع البشر فى أطراف المعمورة كلها وامتدت دعوته عبـر الزمن الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وقد اشتهر فى زمنه وفى بيئته خاصة صناعة الكلام فأيده الله بالقرآن الكريم الذى أنزله عليه بلسان عربى مبين لا يجارى ولا يبارى تحدى به مكذبيه ومعارضيه فحير أهل الصناعة أسلوبه • ووقف بالمبرزين فكرته وأهدافه وتنظيمه وأعجـز المصلحين محاكاته ومجاراته « **قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهـيرا** » ومع هذاالقرآن الخالد على الزمن والذى تحدى به أهل الصياغة والصناعة والذى هو معجزته الباقية ما بقيت دعوته مع هذاالقرآن اجرى الله على يديه أحداثا أخرى بهرت من ليس له بصناعة الكلام دراية ، لم يتحدى بها كمـا تحدى بالقرآن وذلك كحادث الاسراء وحادث المعراج أما الاسراء فقد أسرى به ربه من المسـجد الحرام الى المسجد الأقصى بالشام – وأما المعراج فقد عرج به من بيت المقدس الى السماء السابعة الى سدرة المنتهى فهما رحلتان – احداهمـا أرضية والأخرى سماوية ابتدأها من مكة وعاد منهما الى مكة حيث بدأ فى ليلة واحدة بل فى جزء من ليلة وسبحان من لا يعجزه شىء وهو بكل شىء عليم وعلى كل شىء قدير وكان حصول هذين الحادثين فى العام العاشر للبعثة تقريبا حينما تألب عليه قومه فأهانوه وضيقوا الخناق على من اتبعوه وخاصة بعد أن توفيت زوجـه خديجة وبعد أن توفى عمه أبو طالب اللذان كانا له عونا وحماية بمالهما وجاهها اذ لم يجرؤ أحد من عظماء قريش أن يؤذى محمدا أو يخدش كرامته خشية أبى طالب وبموت أبى طالب أصبحت قريش لاتهاب احدا فى محمد حتى قال الرسول « **ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب** » وبموت خديجـة نكب الرسول فى حياته الخاصة وبموت أبى طالب وبتأليب قريش على الرسول وعلى من اتبعـه نكب الرسول فى حياته العامة كذلك ، فحزن الرسول لذلك وسمى هذا العام عام الحزن وقد شاء الله أن لا يترك رسوله فى هذا الموقف بل أراد أن يسرى عنه ما لقيه فى حياته العـامة والخاصة كما شاء أن يزيده ثقة بوعده • ايمانا بمستقبل دعوته وأن النصر له فأسرى به الى بيت المقدس • وعرج به الى السماء ليريه من آياته الكبرى ما يجعله يستهين بما يواجهه به معارضوه ولا يضيق صدرا بما يفعلـه معه مكذبوه ويزيده ايمانا بأن المسـتقبل له وأن النصر حليف دعوته •

وبالتأمل فى الاسراء والمعراج والتحقق فى وقائعهما – ولا يغيب عن القراء تفاصيل هذه الوقائع فلسنا فى حاجة الى ذكرها – بالتامل فى الحادثين نرى أنهما حادثان عجيبان خارقان للعادة لايخضعان لنواميس الطبيعة ولا تجرى عليهما قوانين الأحداث الجارية بين الناس من أسباب ومسببات وليس فى مقـدور بشر الاتيان بمثلهما بل هما نسيج قدرة الله وارادة الله وقدرة الله وارادته لا يحـدان بحد ولا يقيدان بقيد « انما أمرنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » •

وقد اختلف الناس جميعا فى الحـادثين ففريق أنكرهما برمتهما وعارض فى صحـة وقوعهما وشهر برسول الله عند ما أخبـر الناس بهما وهؤلاء هم المشركون فى عهد رسول الله وليس ذلك بدعا منهم فنشأتهم المكابرة • وديدنهم الحقد والأثرة يحبون أن لا يفضلهم أحد وما يعنينا من أمرهم شىء فتلك سنة الله فيهم – وكفاؤهم على الله – وفريق آخر صدق الحادثين وآمن بوقوعهما ولكنهم اختلفوا فى تصوير حقيقتهما والحال التى وقعا عليها فمنهم من يرى أن الاسراء والمعراج كانا بروح رسول الله لا بجسمه وكان ذلك فى النوم فهى عندهم رؤيا منامية – ومنهم من يرى أن الاسراء كان بالروح والجسد معا وأن المعراج كان بالروح فقط – ومنهم من يرى أن الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معا يقظة وهناك رأى مستحدث غريب فى ذاته هو أن الاسراء والمعراج كانا معا بالروح فقط يقظة – هذه مجموعة الآراء التى قيلت فى تصوير حقيقة الاسراء والمعـراج – وأكبر الظن أن الذى دفع الى هذا الخـلاف المضطرب ما روى عن السيدة عائشة أنهاقالت متحدثة عن الاسراء والمعراج « ما فقدت جسد

رسول الله صلى الله عليه وسلم » فان ظاهر هذا الكلام الصادر من زوجة رسول الله يدل على أن الرسول لم ينتقل جسده من مكانه ليلة الاسراء كما يدل على أن السيدة عائشة تذهب الى أن الاسراء كان رؤيا منامية - عزز هؤلاء المخالفون رأيهم بالآية الكريمة « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » زاعمين أنها رؤيا الاسراء والمعراج • ولكن بالرجوع الى التفسير نرى ان المفسرين قالوا ان الصحيح أنها رؤيا رآها رسول الله قبيل صلح الحديبية رأى أنه يدخل هو وقومه مكة آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين • وبالرجوع الى التاريخ الصحيح نرى أن عائشة - رضى الله عنها - لم تكن زوجا لرسول الله ليلة الاسراء والمعراج وان بناء الرسول بها كان بعد الهجرة فكيف يتأتى قولها « ما فقدت جسد رسول الله » كما يفيدنا التاريخ كذلك أن السيدة عائشة لم تخالف الصحابة فيما اتفقوا عليه من أن الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معا ، وبهذا ظهر أن ما اتخذه المخالفون سندا

لهم اما مكذوب أو ضعيف على الأقل وكلاهما لا يصلح الاستدلال به على حكم أو حدوث أمر - والله يعلم أن فى النفس من هذا الخلاف حاجات • وفى العقل منه وقفة أو وقفات لأنه يحدث بلبلة فى الفكر ويولد ضعف الثقة فيما لرسول الله من معجزة ويدعو الى انصراف الناس عن الاستماع لمثل هذه الأحداث

فيعرضون عن الاقبال عليها وعن الالتفاف حول الداعين بها ولا يلتفتون ليد صنعتها فيحدث ذلك بينهم وبين الدين فجوة قد تتسع ولا يتاح التغلب عليها لذلك لاينبغى الخلاف فى تصوير حادث الاسراء والمعراج لأنه حادث له فى تاريخ النبوة قداسته • وفى نظر المنصفين جلاله وأهميته وليس هناك ما يدعو الى التعسف فى تأويل نصوصه ولا تصيد الضعيف من رواياته ولا التقيد بمجريات الأحداث والنظر الى الأسباب والمسببات فى تصويره ما دمنا نعلم أن الحادث من صنع الله الذى أتقن كل شيء مدبر الكون ذى الحول والطول واسع العلم تام القدرة « اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » ولا شك أن هناك فرقا بين ما يفعله

الله القدير وما يفعله العبد محدود القوى والقدر فالله القدير شاء أن يطلع رسوله على عجائب ملكه وملكوته ليريه من آياته الكبرى ما يجابه به الكفار والمعارضين فأراه ما شاء فى أى صورة شاء وعلى أى حال شاء لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير • وأظن أن هذا وحده كاف فى أن لا يطرأ على الذهن خلاف فى تصوير هذا الحادث الذى هو من صنع الله ويعزز هذا ما يستفاد من قوله الله ((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » فان سياق الآية الكريمة على هذا النحو فى أسلوبها القوى الرائع وما قاله المفسرون فى بيانها يؤيد أن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسم معا ولا يحتمل غيره - بيان ذلك :

أولا : ابتدأ الله سبحانه الآية بلفظ «سبحان» وهو لفظ يقال عادة عند ذكر أو رؤية الشيء العجيب المستغرب يراه الرائى أو يسمعه السامع فيقلب يديه ويهز رأسه ويقول « سبحان الله » وهو لفظ يفيد كذلك تنزيه الله عن كل نقص واتصافه بكل كمال - وفى تصدير الآية به تنويه بغرابة الحادث الذى تصوره فأسلوب الآية يلفت النظر الى أن الاسراء وقع على غير ما يألف الناس وأنه غير خاضع لقانون الطبيعة ولو كان الاسراء مناما كما يزعمون ما جاء الحديث عنه بهذا الأسلوب القوى بل ما كان الله ليتحدث عنه فان الرؤى المنامية شيء عادى يشترك فيه الناس جميعا خاصتهم وعامتهم مؤمنهم وكافرهم على سواء واذا كان فى الرؤيا شيء غريب لا يثير دهشة ولا يحدث ضجة ولا يدعو لمعارضة لأنه أمر عادى •

ثانيا : الاسراء المستفاد من قوله فى الآية أسرى معناه المشى ليلا والمشى حركة حسية وهى من خصائص الجسم ينتقل بها من مكان الى مكان والروح ليس حسيا ولا يحتاج الى ما يحتاجه الجسم من خصائص أو مقومات فلو كان الاسراء بالروح فقط كما يزعمون لكان التعبير بأسرى فى الآية فى غير وضعه المناسب - تعالى الله عن ذلك •

ثالثا : تصرح الآية بوقت الرحلة فتقول « أسرى بعبده ليلا » وأن كان مفهوما من لفظ أسرى ومعلوم أن تحديد الوقت وتعيينه من خصائص الجسد لا الروح التى لا ليل عندها ولا نهار والزمن لديها سواء .

رابعا : لفظ بعبده فى قوله تعالى أسرى بعبده يفيد أن الاسراء كان بالجسم والروح فهو مدلول لفظ عبد فانه مجموع الأمرين معا .

خامسا : أثبت التاريخ الصحيح قيام ضجة كبرى ومعارضة عنيفة من المشركين صبيحة ليلة الاسراء والمعراج عندما أخبر الرسول الناس خبرهما ويؤيد التاريخ فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى استنكر هذه المعارضة ووبخهم على هذه الضجة اذ يقول « أفتمارونه على ما يرى » كما أثبت التاريخ كذلك أنه ارتد بعض حديثى العهد بالاسلام عن اسلامهم ورجعوا الى شركهم القديم عند ما سمعوا بحادث الاسراء والمعراج من الرسول فلم تحدث هذه الضجة ولم تكون هذه المعارضة ولم أرتد من ارتد من المسلمين ؟ ألأن الاسراء كان مناما - بديهى لا - لأن الرؤيا المنامية تحصل كل يوم بين الناس ولم تحدث شيئا من هذا اذ لا غرابة فيها ويستمع اليها الناس استماعا عاديا هادئا انما الذى أثار كل هذا هو علمهم بأن ذلك حصل يقظة للروح والجسم معا لذلك ثاروا .

وكل الذى أرجوه تضييق شقة هذا الخلاف وحصره فى الأوساط العلمية وعدم التوسع فيه وخاصة بين يدى العامة حفظا لجلال النبوة وحرصا على مكانة النبى وتأييدا لرفعة شأنه ولعل الأيام تحد من هذا الخلاف وينفرد القول بأن الاسراء والمعراج كانا بالروح والجسم معا والله على ذلك قدير وهو ولى التوفيق .

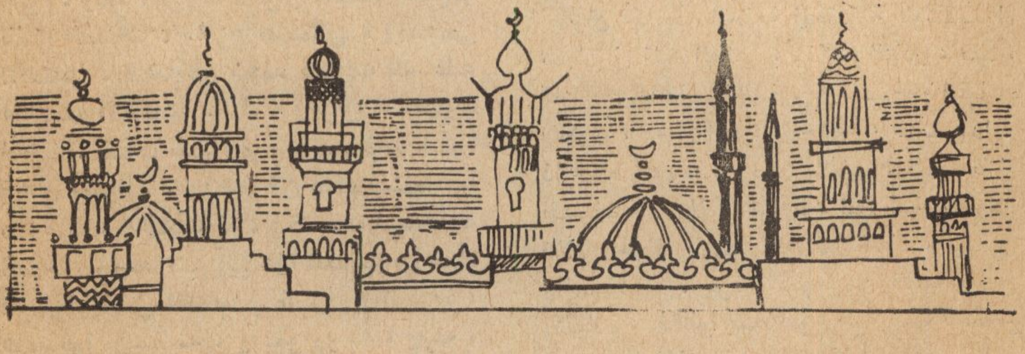

محمد
المثل الأعلى للعظمة الإنسانية

الأستاذ محمد عطية الإبراشى

العظمة الحقيقية والانسانية الرحيمة فى حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – منبع فياض دافق دائم الجرى ، لا ينضب معينه ، ولا يمكن لبيان – مهما سمت قدرته فى التعبير والافصاح – ان يجلو هذه الناحية ، فهى اليوم ، وبعد اليوم – لا تزال مصدرا غنيا بأنبل الصفات ، واكرم الشمائل ، وأسمى الفضائل . فلقد كان محمد صلوات الله عليه معلم الانسانية الأول ، ومربى الشعوب قاطبة . اهاب بأمة العرب وهى ذات قوة وبأس وصرامة . ودعاها لان تخلع نفسها مما هى عليه ، فانقادت له ، وخضعت لسلطانه الروحى . وقد تنبه الى هذا الجانب من حياة الرسول أفاضل الكتاب فى الشرق والغرب ، فاعترفوا بانسانيته ، وسمو روحه ، ونبله ، وبطولته وعظمته .

لقد أحيا محمد الاخلاق ، ورفع شأن الفضيلة ، وأيقظ النفوس ، وصنع أمة ملأ ذكرها التاريخ ، وبعث قوما كانوا جفاة بداة ليس لهم حظ من علم ، فملئوا الارض عرفانا ونورا ، وأدهشوا الامم العريقة فى الحضارة الراسخة القدم فى العمران .. وأصبح العرب بفضل الرسول العظيم قبلة الانظار فى العالم كله ، وصاروا أعزاء بعد أن كانوا أذلاء ، وانتفع الناس جميعا بعقول فلاسفة الاسلام وعلومهم .

وان جوانب العظمة الحقيقية للرسول تتجلى فى قلبه الطاهر ، وذكائه النادر ، فقد كان قوى العقل والفهم ، صحيح القياس الفكرى ، دقيق الحواس حليما ، صبورا ، ذا حياء ومروءة ، رحيما بالناس ، عبقريا فى السياسة . ولا بدع ، فقد نقل أمة أمية من ظلام الجهالة العمياء الى نور العلم واليقين والهداية . عرف الجاهليون فضله قبل الاسلام ، **فكانوا يتحاكمون اليه فيما شجر بينهم من خلاف . وشهد وليه وعدوه بعلمه وفضله وعدله . ولا شك ان الفضل ما شهدت به الاعداء .**

دخل – صلى الله عليه وسلم – مكة يوم الفتح على قريش وكانوا يجلسون بالمسجد الحرام ، وأصحابه ينتظرون ما يأمرهم به من

قتل أو تعذيب لهؤلاء الاعداء الذين أخرجوه من دياره ، وأمعنوا فى ايذائه ، وحاولوا قتله ، **ولكن الرسول قال لقريش : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟**

قالوا : خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم

فقال – صلى الله عليه وسلم – : « سأقول ما قال أخى يوسف عليه السلام : « لا تثريب عليكم . اليوم يغفر الله لكم . وهو أرحم الراحمين » اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقد حدث الرواة أنه ما نهر خادما فى حياته ، وما ضرب بيديه شيئا الا فى الجهاد فى سبيل الله . **قال أنس رضى الله عنه : خدمت النبى – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين ، فما قال لى أف قط ، ولا قال لشىء صنعته : لم صنعته ، ولا لشىء تركته : لم تركته ؟ وكان لا يظلم أحدا أجره .**

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

« كان رسول الله – اذا خلا فى بيته – ألين الناس ، بساما ضحاكا » وروى أنه كان فى سفر ، فأمر أصحابه باصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله ، على ذبحها ، وقال اخر : على سلخها ، وقال ثالث : على طبخها . **فقال رسول الله : وعلى جمع الحطب : فقالوا : يارسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت انكم تكفوننى ، ولكن أكره أن أتميز عليكم . وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه .**

وقد حدث ان الرسول حينما كان يقسم بعض الغنائم يوم خيبر ان قال رجل يارسول الله أعدل .. **فقال محمد صلى الله عليه وسلم : ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ؟ فقد خبت اذا والله وخسرت ان كنت لا أعدل**

فقام عمر ، فقال : يارسول الله ، الا اضرب عنقه ، فانه منافق ؟

فقال صلوات الله عليه : معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى .

وكان عليه الصلاة والسلام أسخى من السحاب المثقل بالمطر . وأجرى بالخير من الريح المرسلة ، ما سئل عن شىء فقال لا ، ولا اعرض عن طالب ، فقد حمل اليه مرة تسعون ألف درهم ، فوضعها على حصير ، ثم قام اليها فقسمها ، فمارد سائلا حتى فرغ منها .

وحدث البخارى قال : أتى بمال للرسول من البحرين ، فقال : انثروه . وكان أكثر مال أتى به اليه . فخرج رسول الله الى المسجد ، ولم يلتفت الى المال . فلما انتهى من الصلاة جلس اليه ، فما كان يرى أحدا الا أعطاه ، وما قام عليه الصلاة والسلام وثم معه درهم .

ذلك محمد رسول الله الذى حين ودع هذه الدار الفانية ترك درعه مرهونة عند يهودى على مقدار من الشعير لطعام أهله . وهو الذى جاءته مرة امرأة من العرب ، ومعها بردة ، فقالت : يارسول الله أكسوك هذه . فأخذها – صلى الله عليه وسلم – وكان فى شدة الحاجة اليها ، فلبسها ، فرآها عليه رجل ، فقال يارسول الله : ما أحسن هذه البردة فأكسنيها .

فقال : نعم ، وقدم البردة للرجل بنفس راضية . ولما قام الرسول لام أصحابه هذا السائل ، وقالوا له : انك تعلم أن رسول الله محتاج اليها ، وأنه لا يسأل عن شىء فيمنعه .

وحينما تزوج السيدة صفية لم يكن يملك نفقات الوليمة لاصحابه ، فطلب منهم احضار طعامهم معهم ، وكان طعام الوليمة الشعير والتمر . **كانت حياة الرسول على هذا النحو من الزهد والتقشف والعزوف « البعد » عن متاع الدنيا وزينتها ، فى الوقت الذى كان يوزع فيه مئات الالوف من الدراهم والدنانير على أصحابه . فلم يفكر فى يوم من الايام أن يسد حاجته ، ويرفه عيشه من هذا المال الكثير .**

وان من يتأمل حياة العظماء فى العالم يجد أن كل عظيم يستمد عظمته من قومه، فان كان هؤلاء القوم قد أخذوا بنصيب من حرية الفكر

ظهر بينهم حكيم يضيء لهم السبيل بثاقب فكره ، وسديد رأيه ، كما ظهر «كونفشيوس» فى الصين و « زرادشت » فى الفرس ، و « غوتاما » فى الهند وان كان هؤلاء القوم يميلون بفطرتهم الى الفتح وبسط الملك ظهر بينهم فاتح عظيم يقودهم الى الاقطار كما ظهر « هانيبال » فى قرطاجة ، و « جنكيز خان » فى التتر ، فكل عظيم هو روح عصره ، ولكن محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن جاريا على هذه السنة ، فقد ظهر والعرب قد سقطوا فى هاوية الانحلال الاجتماعى والخلقى ، فلم يكن من المعقول ان بيئة منحلة كهذه نشأ فيها الفساد ، وسادها الجهل المطبق ، تنتج عظيما كمحمد،ذلك النبى الذى رفع أمة من الحضيض ، وأنشأ دولة من العدم ، وأقام دينا بعد انتشار الفساد والظلم والطغيان وعبادة الاصنام . هذه أمور ثلاثة صنعها محمد ، لم تتهيأ لعظيم قبله ، ولا يمكن أن تتهيأ لعظيم بعده . وتلك هى العظمة الحقيقية التى أذلت أعناق الجبابرة . وتلك هى الشخصية القوية التى أتت بالعجائب ، وألقت فى قلوب الناس فى كل عصر الاحترام والهيبة .

ولا عجب اذا عجز الفلاسفة عن أن ينشئوا جيلا مثل الذى أخرجه محمد ، فقد كون ــ صلى الله عليه وسلم ــ جيلا يعد مثلا عاليا فى علو النفس ، وصفاء الطبع ، ورقة الجانب ورجاحة العقل وطهارة الخلق،واقامة العدل ، والخضوع للحق .

محمد الرسول الامين الذى احدث هذا التطور نشأ يتيما فقيرا بين قومه الفقراء ، ولم يكن له مؤدب يعتنى بتأديبه ، أو مرب يتولى تهذيبه وتثقيفه الا طهارة العقيدة ، والاعتصام بالفضيلة . وقد حدث عن نفسه فقال : « **أدبنى ربى فاحسن تاديبى** » .

لم يكن فى طاقة مخلوق أن يصل الى هذه العظمة الا أن يكون مؤيدا من الله .

وقد كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ اطهر الخلق عند الله ، منحه الله كل الفضائل وعصمه عن الاغراض ، وقرن طاعته بطاعته « من يطع الرسول فقد أطاع الله . » وسماه الله فى القرآن نورا فى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » . وقد أعلى الله ذكره ، ورفع شأنه بذكره معه فى الشهادتين ، وأيده بمعجزة خالدة باقية هى القرآن الكريم ، وأثنى عليه الثناء العظيم ، فقال تعالى : « **وانك لعلى خلق عظيم** » . ذلك هو سيدنا محمد رسول الله ، الذى نادى بالحرية والاخاء والمساواة .

يقول « اللورد هدلى » : رسالة محمد رسالة الهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها اليه ، فجاءت مخففة لصراحة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح »

وكان محمد داعيا الى الرحمة والعدل ، والكرم والشجاعة ، والصبر على المكاره ، والصدق ، يعتقد أن الدين هو أقرب الاشياء الى العقل ، والى الطبيعة ، وأن الانسان ما هو الا مظهر من مظاهر الله. وكان غيورا متحمسا وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعنى سام » .

كانت ولادة محمد مولد حضارة جديدة وضعت للناس أسسا قوية لحياة سعيدة ، وكانت مظهرا كريما لاعلاء الكرامة الانسانية ، والسمو بالانسان فى هذا الوجود . كانت قبسا قويا من النور اضاء جوانب العالم المظلم ، فهزمت جيوش الظلم والطغيان ، وقوضت عروش القياصرة والملوك المستبدين

سيدى يا رسول الله ، اليك يلجأ العالم الحائر المضطرب ، يستلهم من أصول دعوتك ما يرشده الى اقرار مبادىء الحق والعدل والسلام ، واحلال الالفة والوئام محل التنافر والخصام . أما المسلمون فلهم من مبادئك القويمة ما يجعلهم يعملون على ترجيح كفة الامن والسلام ، حتى تسلم الانسانية المعذبة من الهلاك والدمار .

رحلتى الى تونس

الأستاذ
منصور رجب

– ١٣ –

في قاعة البالماريوم

كانت الساعة تقترب من الموعد المحدود حين ظهر فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مفتى تونس فى شارع مصطفى مبارك حيث النزل الذى كنت أقطنه . وبجواره فى سيارته فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين فى جامعة الأزهر . وكان منتدبا لالقاء محاضرات فى الفلسفة على طلبة الكلية الزيتونية للشريعة الاسلامية وأصول الدين .

ذهبنا الى القاعة فى شارع باريس وسط فرحة الشعب بذلك اليوم التاريخى المشهود . وفى طريقنا من داخل الدار اليها صافحنا الأستاذ السيد جلولى فارس رئيس مجلس الأمة الذى رحب بنا بوجه باش وثغر باسم وصدر منشرح تترد فيه أنفاس الفرح باتفاق الارادة القوية مع الضمير الحى لشعب تونس الفتى فى ذلك اليوم المرح القوى .

دخلنا القاعة فخيل الى من شدة الزحام أنا سوف لا نجد لنا فيها مكانا .. لكن ما أشد اعجابى عندما رحب بنا أحد منظمى الحفل الى الصف الثانى وراء سفراء الدول ووقف مشيرا فى ايماءة رشيقة بان تفضلوا .. مررنا الى مقاعد ثلاثة كانت هى الخالية وحدها أمام المنصة تماما . فجلس فضيلة المفتى فى الوسط . وعلى يساره فضيلة الدكتور عبد الحليم . وعلى يمين فضيلته جلست أفكر . أهى الصدفة أن نجد مقاعد بعددنا فى وسط هذا الزحام أمام المنصة رغم ثلاثة آلاف مقعد لا ترى واحدا منها خاليا ؟..

لا أظن فقد رأيتهم ينزلون مقعدين اثنين من على المنصة الى مقاعد الصف الأول ثم أتبعوهما بثالث .. واشرأبت الأعناق لمقدم السيد الرئيس الحبيب بورقيبة . وما أن لاح على المنصة حتى قابله ذلك الجمع الحاشد وقوفا بالتصفيق الحاد المتواصل . فنشيد حماة الحمى . وجلس محييا بيديه ، فجلسنا ، ثم قال :

أبنائى الأوفياء .

بناتى الفضليات .

أيها الشعب التونسى .

انه لمن حسن الطالع ومما يدعو الى الاعتزاز والفخر ويدل على أن جهادنا يباركه الله تعالى أن نفتح هذه السنة الهجرية المباركة سنة ١٣٨٤ بهذا الاجتماع الرهيب والعظيم الشأن لا مع الحاضرين اليوم فى هذه القاعة فحسب بل باجتماعى بالشعب التونسى بتمامه وكماله الذى لا أخاله الا مرهفا أسماعه لما سأقوله وممعنا فيه النظر بكامل الانتباه واعمال الفكر .. الى أن قال : فما الذى ينطوى عليه هذا اليوم العظيم الذى هو فاتح السنة الهجرية الجديدة المباركة ؟... وما الذى صنعناه لمحو ما كان يحيط بنا من أكدار ؟..

ان الذى عملناه وصادف أن كان موعده فى نفس اليوم الذى تم فيه التوقيع على معاهدة « باردو » سنة ١٨٨٣ هو أن رئيس الدولة التونسية المستقلة سيوقع قانونا لا يسمح الا للتونسيين بامتلاك الأراضى التونسية – وهنا وقف الحاضرون كلهم مصفقين فى حماس قوى شديد وفرحة ليس لها من مزيد . ولم يجلسوا الا حين وقف الرئيس نفسه وأشار لهم بالجلوس فجلسوا فى بهجة وبشر واسترسل سيادته يقول . وينص الفصل الأول من هذا

القانون على أنه ابتداء من صدوره أى منذ اللحظة التى أضع فيها امضائى على ذلك القانون لا يمكن أن يملك الأراضى الصالحة للفلاحة الا التونسيون . وهذا أعتبره حقا من حقوق الدولة التونسية .

على أن هذه المسألة لا تهم فى الحقيقة الا مساحة من الأرض التونسية تتراوح بين ٣٠٠ أو ٣٥٠ ألف هكتار راجعة للفرنسيين . وبعض عشرات الآلاف من الهكتارات راجعة لأجانب آخرين بين ايطاليين وانكليز ومالطيين وغيرهم : فالمسألة كما تبدو بالنسبة لفرنسا شىء بسيط وبالنسبة لايطاليا كذلك ، وبالنسبة لانكلترا أبسط وأبسط ... أما هذا الشىء البسيط لدى غيرنا نعتبره نحن مسألة حياة أو موت .. ومكث سيادته يخطب بلسانه . وعقله . وقلبه . ولحمه . ودمه . وأعصابه حوالى الساعتين وهو جالس على عرش القلوب لما أبداه فى شرح هذه القضية من الاقتدار والاصابة وكان لا يفقد فرصة تمر من غير أن يروح عن قلوب الموجودين بنكتة أو تعليق أو اشارة .

ومن طريف ما أشار اليه : ذلك المكتوب الرسمى الذى وجهه المعمر « فينيك » الى المقيم العام لفرنسا فى تونس يحمله فيه مسئولية اسالة الدماء اذا هو تساهل مع التونسيين فى مطالبهم العادلة ويعتبره فى الوقت نفسه مسئولا أمامه : فانظروا الى المنطق ؟.. مالك فرنسى يعتبر الممثل لدولة فرنسا فى تونس مسئولا أمامه .. وعلى ماذا ؟.. اذا هو مال فى جانب الحق والعدل .

واسترسل سيادته فى ذلك الخطاب التاريخى القوى يقول : هذا ما بدا من المعمر « فنيك » وكم لما قام به هذا المدلل من نظائر وأشباه ؟... قد يعجب المرء لسلوك رجل كالمعمر « فنيك » الذى بلغ به التنطع حدا جعله لا يبالى باستعمال عبارات التهديد فى مخاطبة ممثل بلاده فى حال أن فرنسا هى التى لها يد عليه وهى التى استجلبته هو وأمثاله وأغدقت عليهم مختلف النعم .

لكن : يبطل هذا العجب حين نعلم أن هذا الدلال ليس حديث عهد بل قد ظهرت أعراضه من قديم الزمان ففى عهد المقيم العام « لابتيت » مات أحد المعمرين بجهة « سبيطله » وأراد رئيس المعمرين — رئيس الملاك — « مسيو دوكاربيار » أن يتولى هو القاء خطبة التأبين فى الكنيسة فمنعه المقيم العام الفرنسى من ذلك مخافة أن يتطوح به الكلام الى جرح عواطف الناس وشتم المسلمين وانتقاد فرنسا وعلى ما قد ينسبه للمقيم من التساهل مع العرب الذى لولاه لما كانت الجالية الفرنسية تفجع بتلك الوفاة ، فقال له : من فضلك لا تتكلم فأنا ممثل فرنسا الرسمى سأتكلم فى هذا الموضوع بما يشفى الغليل . فما كان جوابه الا ان قال : «أنا مسيودوكاربيار» سأتكلم رغم أنفك . وتكلم بالفعل رغم الانذار والتحجير . ولم يؤاخذ قط بما فعل ، ومن ذا الذى يستطيع أن يمسه وهو يمثل قوة يرى الفرنسيون لزاما عليهم أن يراعوها .

وبعد أن رد — السيد الرئيس — على دعاوى فرنسا فى هذا السبيل ذكرها بذلك التقرير الرسمى الذى أيدته الحكومة الفرنسية وتولت نشره واذاعته وهو يقول : « اذا كانت ثمة أسباب تمت الى المصالح فيما يخص الاعانة للاقطار النامية فان هناك فى الحقيقة سببا أصليا جعل فرنسا تمد يد المساعدة لتلكم الأقطار وهذا السبب هو شعورها بواجباتها نحو البشرية . ومعنى ذلك أن الشعب الفرنسى يريد أن يعبر عن تضامنه مع الشعوب التى مازالت متخلفة فاقدة ما هى فى حاجة اليه من الامكانيات للتقدم والنمو . ومن غير شك أن ما جاء فى هذا التقرير من التنويه بالأخوة البشرية ومن ربط الاعانة الفرنسية بهذا المبدأ السامى يعتبر حدثا ذا شأن جعل الناس يهتفون باسم فرنسا سواء فى أفريقيا . أو فى العالم العربى . أو فى أمريكا اللاتينية .. ثم سأل فرنسا : هل كل ذلك كلام يقال ؟... هل هو من قبيل كلام الليل الذى يمحوه النهار ؟... حتى اذا جاءت مسألة كهذه تنقلب فرنسا على عقبها وتريد أن توقف الاعانة أو القروض التى تعهدت بمنحنا اياها ؟..

وأخيرا اختتم سيادته خطابه قائلا : وهناك وفود ستحل بتونس فى شهر « جوان » المقبل لتنظر معنا فى احداث مشاريع جديدة قصد الاسهام فى تنمية البلاد وازدهارها ونحن نتمنى لهم كل التوفيق . وان شاء الله لا يشاهدون منا الا كل صدق وكل اخلاص .. وسيتضح للعام والخاص أن تونس صادقة فى أقوالها صادقة فى أعمالها مخلصة فى نواياها مستعدة للتعاون النزيه على قدم المساواة مع كل الشعوب الشقيقة والصديقة بما يعود بالخير على الجميع . لكنها مصممة فى الوقت نفسه على التخلص من وصمة الاستعمار . ومقررة العزم على تصفية الاستعمار والاستعماريين وعلى صد كل ما من شأنه أن يهدد هذه البلاد برجوع الاستعمار اليها مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف .

وختم الحفل من الجميع كلهم وقوفا بنشيد :

حماة الحمى يا حماة الحمى
هلموا هلموا لمجد الزمن
لقد صرخت فى عروقنا الدماء
نموت نموت ويحيا الوطن

ثم خرج من القاعة ذلك الجمع الحاشد فاختلط بمن كانوا فى الشوارع يستمعون الى ذلك الخطاب التاريخى الحافل فكونوا كتلة بشرية حية متراصة تسير فى شوارع تونس فاكسبتها حيوية فوق حيوية وحماسا فوق حماس .. وقابلنا عم « محمد » سائق سيارة فضيلة المفتى فى شارع الحبيب بورقيبة فعرض علينا أن نركب ففضلنا أن نسير على أقدامنا حتى الفندق . وفى طريقنا كان مرورنا على سفارة فرنسا فخيل الى وأنا أنظر الى داخلها واحدى السيارات متأهبة فى فنائها وأحد موظفيها على باب حجرة قريبة من بابها . خيل الى وهو ينظر الى الكتل البشرية المارة فى الشارع أنه خائف يترقب غير أن ذلك الجمع الحاشد الذى ملأه السيد الرئيس حماسا مر على السفارة وكأنه لم ير شيئا : الأمر الذى ان دل فانما يدل على سعة صدر التونسيين وانهم لا يعرفون للتشفى بابا فلم أر واحدا فقد أعصابه أمام السفارة فى ذلك اليوم التاريخى المبين حتى ولا بكلمة نحو معمر ممن مصوا دماء التونسيين .

وصلنا الى الفندق فوجدنا فى انتظارنا فضيلة الأستاذ الجليل نائب تونس الشيخ « محمد الشاذلى النيفر » الذى كان على موعد معنا لتناول طعام الغداء — أو على لغة أهل تونس الفطار — على مائدته فى منزله العامر بنهج القرجانى بتونس .

« مسائل »

وركبنا سيارة النائب المحترم وهو من علماء الزيتونة الافاضل الذين يصفهم فضيلة مفتى تونس بأنه « من النادرين » . وقبيل الغداء جلسنا نتحدث . وكنت مشغولا ببعض المسائل منها ما يتصل بالكتب النادرة فى مكتبة جامع الزيتونة . ومنها ما يتصل بأصحاب القطب الربانى أبى الحسن الشاذلى . فلويت الحديث الى كتاب « سمط اللآل فى تعريف ما بالشفا من الرجال » وهو من

المخطوطات النادرة التى لا وجود لها الا فى المكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة اللهم الا ما يقال من وجود نسخة أخرى بمكتبة « الكتانى » بالمغرب الاقصى فى مدينة فاس. بل ويقال : ان هذه الأخيرة بخط المؤلف نفسه . وماأشد اعجابى حين قال فضيلة الشيخ النيفر : « ان عندى فى مكتبتى رسالتين اثنتين بخط الشيخ « قويسم » نفسه صاحب هذا الكتاب ـ سمط اللآل ـ

الأولى ـ اسمها : « اصابة الغرض وازاحة الشبهة عمن اعترض » . وموضوعها رواية حديث أنكره البعض فالف الشيخ هذه الرسالة فى اثبات الحديث والرد على من اعترض . والحديث هو ما يروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أنه قال : « لا تسافروا فى محاق الشهر . ولا اذا كان القمر فى العقرب » فقال بعض الناس : حاشا لله ما هذا بحديث . فالف الشيخ الرسالة فى اثباته .

الثانية : أما الرسالة الثانية فذيل للرسالة الاولى

وأخذ الشيخ يفيض بحديثه العذب عن الشيخ قويسم صاحب الكتاب فروى قوله يخاطب الشيخ سعيد المحجوز :

قد وضحنا يا خليلى سرما
عدل الشراح عنه فاشتهر
خذه ميمونا سعيدا فلقد
كان محجوزا فها هو قد ظهر

ويشير فى الفقرة الأولى من البيت الى اسمه «قويسم» ففيها « القاف » و « الواو » و « الياء » و « السين » و « الميم » .

والموضوع أن الذين شرحوا قصيدة : «غرامى صحيح والهوى فيك يعضل » لابن فرح اغفلوا ترجمة صاحبها . فجاء هو وعرف به .

ثم حولت الحديث الى أصحاب الامام الشاذلى رضوان الله عليهم أجمعين . فتفضل فضيلته باعطائى نبذة مختصرة عنهم قدمها لى بقوله :

« كتبها محمد الشاذلى النيفر لأخيه فى الله ...... منصور رجب » وساكتب ان شاء الله عن هؤلاء الأصحاب عند الكتابة عن الامام الشاذلى وما رأيت له من أثر فى تونس .

وبعد أن قضينا مدة على مائدة غذائه الروحى والمادى أبى فضيلة شقيقه الشيخ أحمد المهدى النيفر الا أن نتناول الشاى عنده فى منزله وهو من أخيه غير بعيد .

واذا كانت مكتبة الشيخ محمد الشاذلى النيفر تمتاز بالتحف النادرة من المخطوطات وغيرها فكذلك مكتبة شقيقه الشيخ احمد المهدى النيفر . فقد أطلعنا فضيلته فيها على خط الشيخ محيى الدين بن العربى نفسه تعليقا على السفر الثانى من « محاضرات الابرار ومسامرات الاخيار » . للامام محيى الدين . وها هو ذا نص ما كتبه بخط يده : « انتهى المحضر والسمر والحمد لله » ثم قال :

« قرأ على هذه المجلدة من أولها الى آخرها الفقيه القاضى شرف الدين أحمد بن القاضى برهان الدين أبى نصر بن مسعود الافوى « هكذا رسمت » واذنت له أن يحدث بها عنى وبجميع تواليفى ورواياتى على اختلاف ضروبها بالشرط المعلوم عند أهل هذا الشان . ثم كتب المصنف بخط يده : محمد بن على بن محمد بن أحمد العربى الطائى الحاتمى بمدينة ملطيه فى الحادى عشر من محرم سنة سبع عشرة وستماية والحمد لله وسلم على عباده الذين اصطفى » ...

ويعجبك أن ترى مكتبات علماء الزيتونة فى تونس وما فيها من مخطوطات نادرة ومالهم عليها من تحقيقات عميقة باهية .

فمدينة ملطية بفتح الميم واللام وسكون الطاء من بناء الاسكندر من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام . ومحيى الدين بن العربى مدفون فى دمشق الشام . وقد كتب على ضريحه هذا البيت :

ولكل عصر واحد يسمو به
وأنا لهذا العصر ذاك الواحد

ومن آثار محيى الدين بن العربى فى تونس نسخة من البخارى بخط يده وتراها فى المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . ومن كتبه النادرة كتاب « سر الحروف » .

« فحص مرتاج »

وخرجنا فى الأصيل بصحبة فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الى نزهة خلوية جهة « فحص مرتاج » . وكلمة الفحص فى اصطلاح اخواننا أهل تونس يعنى السهل . وكلمة « مرتاج » اسم رومى لوالى تونس عند الفتح الاسلامى . وهو الذى سلم تونس للعرب صلحا عند الفتح فاقطعوه هذا الفحص ـ أى السهل ـ وهو من أنقى جهات تونس هواء . وأكثر عائلات تونس عندهم زياتين فى هذا السهل أو الفحص ـ فحص مرتاج ـ ومما مررنا عليه قرية عظيمة كانت فى الأصل وقفا على « القراء » و « المؤذنين » فاخذت ملكا لاحمد باشا الثانى . وكانت لها قضية رنانة مشهورة يتحدث بها أهل تونس الأمر الذى يدل على عنايتهم بشعائر الدين وغيرتهم على ما رصد لها من حقوق .

وفى هذه الجهة من تونس ترى أرضا كانت وقفا على سيدى ابن عروس ذلك الذى بقى نسله فى تونس الى ما يقرب من عشر سنين . وابن عروس هذا هوارى ولد بقرية بالجزيرة القبلية على مسافة خمسين ميلا من تونس اسمها « المزاتين » بوادى الرمل . وكان رضى الله عنه ملازما لخدمة مقام الشيخ الولى سيدى محرز بن خلف . ولا يزال نسل سيدى محرز بن خلف فى تونس حتى اليوم . فمنهم موظف فى مكتبة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين اسمه « محمد بن عبد الواحد المحرزى » .

وفحص مرتاج هذا يقع بين حمام الانف من جهة وبين جبل الرصاص وجبل زغوان من جهة أخرى . وهذهالجهة مشهورة بانها كانت عامرة بسياحات أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه . ولقد رأيت فيها زاوية لصاحب من أصحابه الأربعين هو سعدون أو سعد الأسمر . ومن غريب ما آل اليه أمر هذه الزاوية أن تعارف أهل تونس على اقامة الزار فيها حتى الآن . ولا أدرى ما هى الصلة بين الزار وهذه الزاوية ؟... فمن العادات ما لا تستطيع لها تعليلا . أما اقبال اخواننا السمر على هذه الزاوية بالذات فى تونس . فذلك لأن صاحبها كان أسمر اللون . ولذلك يقول صاحب المنظومة فى أصحاب الشاذلى :

والاسمر مسعد وابن صنهاجة الذى
له الفخر والهنتاتى عونى على الظفر

« سانية أولاد البحرى »

وفى رجوعنا الى تونس من هذه الجهة الممتازة بهوائها النقى وذكرياتها التى يسبح فيها الفكر الى كل ناحية من نواحى الانسان والحياة . دخلنا سانية أولاد البحرى . وسانية أولاد البحرى هذه من مفاخر تونس حقا بل من مفاخر العالم العربى والاسلامى كله . فأولاد البحرى

هؤلاء يبارزون الأجانب كلهم بتربية الزهور حتى أصبحوا كعبة السواح من كل جانب يقصدونها ليقرأوا فيها قدرة الخالق وجمال الطبيعة وعمل الانسان ذوقا وجمالا وتنسيقا .

خمسة وعشرون هكتارا . او بعبارة أخرى أكثر من ستين فدانا تموج بالورود والزهور والنباتات والرياحين من شتى الأنواع والألوان والأشكال . واليك مثلا مما فيها:

١ ـ فيها من أنواع الصبار وحده ما يقرب من ٢٠٠٠ نوع . ومنه نوع لا يزهر الا بعد ١٠٠ سنة . ورأيت من هذا النوع واحدة عمرها ٤٦ سنة ولما تزهر بعد . ومن بذوره بذرة توضع فى الأرض فلا تنبت الا بعد ثلاث سنوات . ورأيت من طلع هذا البذر واحدة عمرها ٢٥ سنة . وتكاد تخفى وراء الكف لو قيست

٢ ـ وفيها ٣٠٠ نوع من الورد وحده .

٣ ـ فيها نبات لا يعيش الا فى الهواء . فلا يحتاج لا الى تراب ولا الى ماء .

٤ ـ وفيها نبات لا يعيش الا فى الماء . وفيها منه ما يقرب من ٢٠٠ نوع .

٥ ـ فيها نبتة اسمها الغضبانة تتكمش اذا مستها بيدك . أهدونى منها واحدة فقدمتها الى حديقة سفيرنا فى تونس الأستاذ المفضال السيد أحمد فتحى رضوان .

٦ ـ فيها زهور لا تحتمل البرد لذلك تربى فى بيوت زجاجية مكيفة بانابيب يجرى فيها من الماء الساخن ما يحفظ على هذا النبات حياته . ويطول بى القول اذا أنا قد استرسلت فى وصف ما تحتويه هذه السانية النادرة المثال تنسيقا وتنظيما وروعة وذوقا وجمالا .

وكلمة سانية فى اصطلاح أهل تونس يعنى بستان . ويشرف على هذا البستان أربعة أخوة هم الأساتذة : عزوز البحرى .. والشاذلى البحرى .. وسلومه البحرى .. وبلحش البحرى . ولكل منهم اختصاص تخصص فيه وهو المسئول عنه : واحد للنباتات .. وواحد للبيوت الزجاجية .. وواحد للأشجار المثمرة .. وواحد للاشراف العام .

أما والدهم فقد تعلقت روحه بالسانية كلها فأبى أن يفارقها حتى ميتا فجهز لنفسه وسطها قبل أن يموت قبرا ظلله بالورود والرياحين والأشجار من كل جانب.. ولما زار السانية السيد الرئيس الحبيب بورقيبة قال لأولاد البحرى : هذا القبر فقط .

وفى دكان السيد العربى ابن الحجاج صادق بنهج الدانمرك بجوار السوق العمومى للخضر والغلال ترى بعض منتوجات هذه السانية تعطر أرجاء الحى وتنادى بأريجها الذاهب والآيب .

وأهل تونس يقولون عن « سوق الفاكهة » : « فندق الغلال » فكلمة « الغلال » فى اصطلاحهم تساوى كلمة الفاكهة عندنا .

والسيد العربى هذا كان صديقا حميما للمرحوم البحرى . وله خبرة تامة ودراية واسعة بشئون النبات والزهور وله اذاعة أسبوعية فى هذا الباب تتناول تربيتها وأمراضها ، وعلاجها ، ومنافعها ، الأمر الذى يعطيك فكرة عن شغف أهل تونس بالورود والأزهار والرياحين .

سألت الأستاذ الشاذلى ونحن نطوف أرجاء هذه السانية : أين تخصصت فى عملك هذا ؟..

قال : تخصصت على الطبيعة أبا عن جد .

وكم لكم فى هذه المهنة ؟..

من سنة ١٨٦٠

وهل هذه المدة الطويلة وأنتم فى هذا المكان ؟..

بل نحن فى هذا المكان من ٤٠ سنة فقط . أما قبل ذلك فكنا فى مكان آخر .

وهل استعنتم بأجانب فى هذه الهواية ؟..

كلا. لم يخدم معنا أجنبى قط فى هذه المدة مما يهدم تلك النغمة القديمة التى كانت تقول : ان الشرق لايستطيع أن يعيش بدون الغرب خاصة فى مثل هذا التراث الحضارى الممتاز

سألته : وكم من العمال عندكم يشتغلون ؟...

قال : ٣٠٠ عامل فى كل السوانى .

فى كل السوانى ؟... وهل عندكم غير هذه ؟..

نعم : هناك غير سانية الزهور هذه أخرى للاشجار المثمرة . والكل مقام على أرض مساحتها ١٢٠ هكتارا . « الهكتار » يساوى عشرة آلاف متر » .

ومشيت أفكر فى هذا العمل الجليل الذى يعتبر بحق من مفاخر تونس . فسألت الشيخ الفاضل :

هل لو عاش الشعراء فى مثل هذه المناظر الجميلة فماذا يكون ؟...

قال : تطغى الحقيقة على الخيال فيتغير الانتاج .

فسألت فضيلته لما رأيت الأستاذ الشاذلى يسمى لنا كل نبات باسمه « اللاتينى » :

ومتى يعرب العرب كل هذه النباتات ؟..

فقال : ان الأمير مصطفى الشهابى يولى هذه المسألة عنايته حتى أصبح عنده الآن قاموس فيه ما يقرب من عشرين ألف اسم من النبات . وهو دائب البحث والتنقيب فى هذا الموضوع الحيوى الخطير فدعونا له بالتوفيق والسداد .. وخرجنا من هذه السانية الجميلة أردد مع ابن الوكيع فى زهريته :

وقد حكت الأرض السماء بنورها
فلم أر فى التشبيه أيهما سما
فخضرتها كالجو فى حسن لونه
وأنوارها تحكى لعينك أنجما

واذا عرفنا أنه يوجد الآن فى « هولاندا » بورصة للزهور ومايتعلق بها كبورصة القطن التى كانت عندنا فى الاسكندرية الى عهد قريب . فانا نشكر لاولاد البحرى وغيرهم فى الشرق ممن يقومون على العناية الفائقة بمسألة الزهور هذه . وقديما قال الشعراء فى هذه الزهور ما يضع أيدينا على عنايتهم الفائقة بهذه الناحية من ألوان الجمال .

وانتقلنا من سانية اولاد البحرى فعرجنا على « الشالى الأخضر » فوق جبل حمام الأنف ، وهو الآخر من الأمكنة التى تمتاز بالجمال الساحر فى تونس .. وما كاد يستقر بنا المقام فى ذلك المكان حتى أرسل لنا صاحب محل « شفرات » رآنا داخلين هدية من تلك الأمواس . فشكرناه مقدرين له أدبه وحرصه على ترويج بضاعته فى كل ناحية حين تسنح الفرصة ليلا أو نهارا ..

ولم تكد ذاكرتى تختزن صورة هذه الهدية حتى لاحقتها صورة أخرى من ممثل الشركة القومية للسياحة . وهو رجل ايطالى نشيط ، فقد رفض أن يأخذ للشاى أجرا . وودعنا فى رقة تعبر عن خلق سياحى ممتاز .

وفى رجوعنا الى تونس عطفنا على مدينة « الزهراء » بين رادس وحمام الأنف وهى مدينة جميلة نظيفة فيها « كازينو » يطل على البحر . وفيها مسجد مالكى تنادى مئذنته بتقوى أهل الزهراء كما ينادى الكازينو فيها على عشاق النظر الى السماء فوق سطح الماء .

نبذة من: الأخلاق النبوية

الأستاذ مبشر الطرازي الحسيني

لقد وعدنا قراء (منبر الاسلام) الكرام في ختام مقالنا السابق أن نكتب لهم نبذة من الأخلاق النبوية ، اعنى أخلاق نبى الله ورسول الله ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم . وهانحن نقوم بوفاء الوعد . والمثل العربى يقول (الكريم اذا وعد وفى) والله هو الموفق .

ان الكتابة عن أوصاف هذا النبى العربى الكريم ، والرسول القرشي الحكيم ، وعن اخلاقه الكريمة ، ومبادئه الحكيمة ، مما اعجز الأقدمين ، وأعيى المتأخرين ، وقد أصاب الشاعر العربى فيما يقول :

لم يبق للمداح فضل بعد ما
نطقت بك الآيات من رب السماء
كلا ولو جعلوا القوافى أنجما
أيروم مخلوق ثناءك بعدما
اثنى على اخلاقك الخلاق

فلا يمكن للباحث (عن أخلاقه النبوية ، وخصاله المصطفوية) الا أن يتتبع نصوص الآيات التى نزلت فى هذا المجال ، ويستنير بها ويتفحص الأحاديث الواردة فيه ، ويستسقى من مناهلها ، فكأنه يبين للناس مابينته الآيات البينات ، وأفادته الأحاديث . نعم : يبين الباحث ذلك ، كل بأسلوبه ، على قدر علمه وفهمه ، ولا يستطيع أن يزيد عليه شيئا لأن المجال دقيق ، وبالاعتراف حقيق ، بل الموضوع معجز يعجز عنه قدرة الانسان ، ويكل عنه القلم واللسان ، كما أشرنا اليه آنفا .

ومما يحسن هنا أن نأتى ببعض آيات أنزلت فى أوصافه صلى الله عليه وسلم ، ثم نأتى بما نزل فى أخلاقه ٠

لقد وصف الله سبحانه ، نبيه ورسوله وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم فى مواضع كثيرة من كتابه الحكيم ٠

منها قوله تعالى : **(لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم)** ٠

خاطب الله سبحانه فى هذه الآية قبائل العرب كلهافقال **(لقدجاءكم رسول من أنفسكم)** وبهذا أخبرهم أن الرسول الذى بعثه اليهم خاصة ، والى البشرية عامة ليس بغريب عنهم، يعرفون نسبه و حسبه ٠ قال ابن عباس **(ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبى ـ صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب)** وقوله وله فيهم نسب بيان لقوله الا وقد ولدت النبى لأن النبى صلى الله عليه وسلم اصطفاه الله من بنى هاشم من قريش ٠ فقد روى الامام مسلم فى صحيحه عن واثلة ـ ابن الأسقع أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **(ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم)** وقريش تنسب الى معد بن عدنان٠ وقبائل العرب من مضرها وربيعتها ويمانها انما هى من ولد معد بن عدنان ٠ وبيان نسبه صلى الله عليه وسلم الى عرب اليمن وهم القحاطنة **(من ولد قحطان بن سبأ)** فان آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لها نسب فى الانصار ، وان كانت من قريش ، والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان ٠ هذا ٠

وفى الآية ترغيب للعرب عامة فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به فانه قد تم شرفهم بشرفه ، وعزتهم بعزته وفخرهم بفخره ، وهو من عشيرتهم يعرفون بالصدق والأمانة ، والعفاف والصيانة ، وطهارة النسب والأخلاق الحميدة ٠ واليه أشار قتادة رضى الله عنه فى قوله **(جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة ، والكرامة)** ٠

وهناك احتمال آخر فى تفسير قوله تعالى **(من أنفسكم) فقد قال الخازن ما نصه : وقيل ان قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم) عام (يريد ان الخطاب لا يختص بقبائل العرب)** فحمله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول : لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم ، يعنى من جنسكم وهو بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والأخذ عنه ٠٠ انتهى ٠

وقرأ ابن عباس والزهرى **(من أنفسكم** (بفتح الفاء) ، ومعناه أنه صلى الله عليه وسلم من أشرفكم وأفضلكم) ٠ وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(بعثت من خير قرون بنى آدم ، قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنته منه) يعنى عندما بعثه الله تعالى نبيا ورسولا ٠**

ثم وصف الله تعالى نبيه صلى عليه وسلم **بقوله (عزيز عليه** ما عنتم) انه شديد عليه عنتكم يعنى مكروهكم وضلالكم وحرمانكم من التوحيد ٠٠ كما وصفه بقوله **(حريص عليكم)** أنه صلى الله عليه وسلم حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم واهتدائكم الى طريق الحق ٠ وفى ختام الآية وصف الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله **(بالمؤمنين رءوف رحيم)** ولا يخفى مافى معنى الرأفة والرحمة من المعانى السامية ٠قال الحسن بن الفضل : (لم يجمع الله سبحانه لأحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فسماه رءوفا رحيما كما قال سبحانه **(ان الله بالناس لرءوف رحيم)** انتهى ٠ هذا ٠ ولا يخفى أن هذه الأوصاف كلها تعد من الأخلاق النبوية ٠ لطول مدتهم وعهدهم ، مما أدى الى الاختلاف فى كتبهم والفساد فى شئون حياتهم ، حتى سادت الفوضى على حياتهم الانسانية ٠ فبعث الله سبحانه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والفلاح ، حتى دعاهم الى الحق ، وبين لهم سبيل الصواب ، وشرع لهم الأحكام ، وبين الحلال من الحرام ، وهداهم الى الصراط

المستقيم ، طريق السعادة فى الدارين • والى هذه اشارة فى قوله تعالى (**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون**) • وقال ابن عباس مفسر الصحابة : ان قوله تعالى (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن ، فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن فهو رحمه له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ، ورفع المسخ والخسف والاستئصال ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أنا رحمة مهداة**) •

ومنها قوله تعالى (**وما أرسلناك الا كافة للناس**) فقد نص الله سبحانه فى هذه الآية أن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى كافة الناس ، لاتختص رسالته بقومه العرب ولا بعهده ، بل تعم جميع الناس من الأقوام على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، عربا وعجما ، منذ عهده الى يوم القيامة ، رسالة أبدية خالدة ، لا تعقبها رسالة ، فقد قال الله تعالى (**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) •

ومنها قوله تعالى (**يأأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**) فقد نص الله سبحانه بهذه الآية على أنه ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى عالم البشرية بهذه الأوصاف المباركة أرسله شاهدا لسائر الأنبياء والمرسلين بالتبليغ وتادية الرسالة ، وأرسله مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ، وأرسله داعيا الناس كافة الى الايمان بالله واطاعته ، وانما ذلك باذن من الله ووحى منه ، وأرسله سراجا منيرا أنار به عالم البشرية بعدما كان مظلما ، فاهتدى بنوره نحو الايمان والتوحيد والعلم والمعرفة ، ومصالح الحياة ، وسعادة الدنيا والآخرة •

وفى ختام هذه الآية يقول الله تعالى (**وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا**) وبهذا ينص على فضل هذه الأمة على سائر الامم حيث ينالون بايمانهم وأعمالهم الصالحة فضلا كبيرا من الله سبحانه زيادة على مايستحقونه من الاجر والثواب ، ولا شك أن هذا مما خص الله تعالى به نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فى شخصه وأمته ، والى هذا اشارة فى قوله عز وجل (**كنتم خير أمة أخرجت للناس**) والحمد لله على ذلك •

ومنها قوله تعالى (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) لان العالم (قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم) كان أهل كفر وشرك وضلال متورطا فى مفاسد الجاهلية ، كما أن اهل الكتابين (التوراة والانجيل) كانوا فى حيرة من أمور دينهم •

روى الامام البخارى ومسلم فى صحيحهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى • نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت الى الناس عامة) ورحم الله الامام البوصيرى الشاعر العظيم حيث يقول :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنا منك دونهم وسناء
تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء فوقها علياء

هذه هى الفضائل التى خص الله بهارسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وفضله بها على سائر الأنبياء والمرسلين ، ولا سيما الشفاعة التى يشفع بها (باذن ربه سبحانه) لأمته بل الأمم جمعاء ، حتى لا يبقى فى النار من قال لا اله الا الله ، كما فى الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الموضوع ، أهذا هو مقامه (المقام المحمود) الذى خصه الله به حيث قال (**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**) اللهم صل وسلم وبارك عليه •

هذه جملة من الأوصاف النبوية التى استلهمناها من مناهل بعض الآيات القرآنية• وأما أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد أشاد بها أو أشار اليها ربه سبحانه فى عدد من الآيات أيضا ، نكتفى منها بذكر قوله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم) فقد شهد الله تعالى

بعظمة خلقه صلى الله عليه وسلم باسلوب التأكيد على التأكيد، وذلك بعد القسم بقوله (ن • والقلم ومايسطرون) مما يدل على علو مقامه فى الأخلاق، علوا كبيرا لايدانيه علو •

قال الخازن في تفسير الآية : وحقيقة الخلق قوى نفسانية، يسهل على المتصف بها الاتيان بالأفعال الحميدة، والآداب المرضية، فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه، ويدخل فى حسن الخلق والتحرز من الشح والبخل ومن التشدد فى المعاملات، كما يستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الأدب، والمعاشرة بالمعروف مع الأقارب والأجانب، والتساهل في جميع الأمور، والتسامح بما يلزم من الحقوق، وترك التهاجر والتقاطع، واحتمال الاذى من الأعلى والأدنى، مع طلاقة الوجه وادامة البشر • فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق، ومكارم الافعال، ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا وصفه الله تعالى بقوله **(وانك لعلى خلق عظيم)** انتهى •

أقول : وهذا الخلق العظيم الجامع ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيرته الطاهرة، التى تنص عليها الاحاديث النبوية، ويشهد لها التاريخ، ويعترف بها الاجانب المنصفون مما لايسعه المجال، فى هذا المقال •

ولقد ثبت بالحديث الصحيح أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم **(الذى عظمه الله فى هذه الآية)** فقالت : كان خلقه القرآن • يعنى ماكان يأتمر به من أوامر الله وينتهى عنه من مناهيه، التى جاءت فى سور القرآن الكريم من أوله الى آخره •

كما أشار اليه قتاده رضى الله عنه، واذا كان خلقه القرآن فلا يبقى أى شك فى الواقع فى عظمة خلقه صلى الله عليه وسلم •

وفى كلمة (لو) الفرضية التى جاءت فى قوله تعالى **(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم فى الامر، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)** دلالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فظا غليظ القلب فى معاملة من بعث اليهم بل كان يأتمر بأمر ربه فيعفو عمن ظلم نفسه ويستغفر لمن أذنب، ويشاور أصحابه فى أمر دينه وشئونه حتى التف الناس حوله وأيدوه فى نشر دينه وشريعته، ونصروه فى جهاده وجهوده وهجرته •

ومما يذكر هنا أن أول سياسة ساسها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة المنورة كانت سياسة المؤاخاه بين المهاجرين والانصار، حيث كان يخاطبهم بقوله (تآخيا فى الله أخوين أخوين) وبهذه السياسة (سياسة الأخوة والتكتل والتضامن) ألف بين القبائل التى كان القتال ينجم فيهم بأتفه الاسباب وقرب بين القلوب المتنافرة، وجمع المؤمنين بها فى صف واحد كأنهم بنيان مرصوص، حتى تغلبوا على أعدائهم (وهم اكثر عددا وأتم عددا) على رغم قلة عددهم وضآلة عددهم، فأظهر الله دينه على الدين كله •

وبالاجمال، ان رسول الله محمدا بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد أسس بهذا الخلق العظيم وبهذه السياسة الحكيمة، دولة اسلامية دامت ١٤ قرنا، وتدوم بدون شك الى يوم القيامة، وذلك فى ظل دين أبدى خالد، وتعاليمه القدسية التى يميل اليها الانسان بطبيعته، ويتقبلها بارادته وحريته •

ومن هنا يجب على كافة الامة المحمدية شيوخا وشبابا) أن يتخلقوا بالاخلاق النبوية كما يجب على ملوك المسلمين ورؤسائهم (عربا وعجما) أن يتبعوا سياسة الاخوة والتكتل والوحدة، وبهذا (لا بغيره) نجاح المسلمين فى مطالبهم الحيوية، وبهذه السياسة (لا بغيرها) تغلب الملوك والرؤساء على الصهيونية والمبادىء الهدامة، وعلى أغراض الاستعمار البغيض الذى ينتظر فرصة التفرق والاختلاف والضعف • ومن المعلوم أننا تأخرنا فى التسلح المادى، فلا يمكن لنا التغلب فى الوقت الحاضر الا بالسلاح المعنوى، ألا وهو الخلق الكريم، والسياسة الحكيمة، والله ولى التوفيق •

فلينظر الإنسان مم خلق

الدكتور عبد الحليم كامل

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » ..

(سورة المؤمنون)

سبحانك ربي تحدثنا عن تكوين الانسان وحديثك الحق . وما كان لنا ان نعرف شيئا عن حقيقة ذلك التكوين لولا اختراع « الميكروسكوب » وتقدم العلوم تحدثنا عن تكوين الجنين من قديم الزمان بينما اخترع أول ميكروسكوب عام ١٦٨٠ ميلادية تحدثنا عن ذلك التكوين فى ايجاز واعجاز . أفلا يدعونا ذلك أن نطاطىء الرؤوس خشية ونسجد لك اعترافا بقدرتك وقوتك ، سبحانك ربي اذ قلت وقولك الحق (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا) .

(سورة الحج)

ويقول سبحانه في سورة الطارق (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر) .

ويقول جلت قدرته فى سورة المرسلات (الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين) كل هذه الآيات البينات وغيرها كثير ترينا كيف بدأ الله الخلق وقد وقف العلم حائرا أمام بدء الخليقة بل امام الطريقة التى بها ظهرت المادة الحية على سطح الأرض ويقول العلماء انه مما لا شك فيه انه قد مر حين من الدهر على الأرض كانت فيه ساخنة جدا لدرجة لاتسمح بالمعيشة لاى كائن حي على سطحها . ويحدثنا علم الحفريات الذى يبحث في دراسات الكائنات الحية التي كانت موجودة فى العصور الجيولوجية القديمة أن عمر الأرض يبلغ مئات الملايين من السنين . ومما لا شك فيه ان تكون الحياة أو الكائنات الحية بمعنى أدق قد ظهرت قبل هذا الوقت بكثير عندما تحسن الجو على سطح الأرض وأصبح ملائما لوجود البروتوبلازم .

ويعتقد الجيولوجيون ان الكائنات الحية قد ظهرت على سطح الأرض منذ ٢٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ سنة ، كل هذا

يمكن ان يقبله العقل ويصدقه . أما كيف بدأت الحياة على سطح الأرض فهو ما قد اختلف فيه العلم والعلماء . فان أول ما قيل فى هذا الصدد أن الكائنات الحية نشأت هكذا من نفسها بطريقة التوالد الذاتى من مواد الأرض . وقد سميت هذه بنظرية التوالد الذاتى . ولقد ظلت هذه النظرية قرونا عـديدة هى النظرية المقبولة عن أصل الحياة حتى القرن السابع عشر الميلادى حيث أجرى العالم الايطالى فرانشسكو ردى تجاربه على نشأة ذباب اللحم الذى يظهر على اللحم اذا ترك مدة من الزمن . واستطاع ردى ان يثبت ان اللحم لا يتحول الى ذباب كما كانوا يعتقدون أو كما كانت تقول نظرية التوالد الذاتى ولكنه فى الحقيقة ينشأ من بيض دقيق يضعه الذباب نفسه عندما يهبط على هذا اللحم المكشوف . وبهذه التجربة استطاع ردى ان يرد بالدليل القاطع على نظرية التوالد الذاتى . ثم يجىء باستير (١٨٢٢ - ١٨٩٥ م) فيثبت ما أثبته ردى بالدليل القاطع على ان الحياة لا تأتى من العدم بل تأتى من حياة أخرى . وانه يمكن ان تحتفظ بالمواد العضوية بعد تعقيمها الى ما لا نهاية دون فساد ودون ان ينمو عليها أى فطر أو بكتريا أو أى نوع من الكائنات الحية الدقيقة . وبهذه التجارب انهارت نظرية التوالد الذاتى وأصبحت حقيقةثابتة ان الكائنات الحية لا تنشأ الا من كائنات حية ثم نعود مرة أخرى الى حيث الابتداء ونسأل كيف نشأت الحياة ؟

وبهذا تظهر نظرية أخرى الى حيز الوجود فتقول بأن البروتوبلازم أو المادة الحية قد وصلت الى الأرض بطريق الصدفة من بعض الاجسام الاخرى الموجودة فى الفضاء وقد سميتهذه النظرية بالنظرية الكونية ولكنها حتى ولو سلمنا بصحتها تجيب على سؤالنا بسؤال آخر وهو كيف نشأت الحياة فى هذه الاجسام الاخرى الموجودة فى الفضاء ؟ وبهذا نعود مرة أخرى الى نقطة البداية . وحتى اذا لم يجد العلماء فى هذه النظرية ما يشتهون قالوا بأن الحياة قد ظهرت على الأرض نتيجة لتفاعلات طبيعية وميكانيكية تمت ببطء على مر السنين فى مواد غير حية عضوية كانت أو غير عضوية وقد كانت عقول هذه الفئة متأثرة بما امتاز به أواخر القرن التاسع عشر والقرن الحالى من ظهور الآلات والاختراعات الميكانيكية وهنا تظهر فئة أخرى لا تقل شأنا عن الفئة الأولى وهى وأن كانت تؤمن بما آمنت به الفئة الأولى الا انها تزيد أن هذهالتفاعلات لا تخضع للقوانين العادية والرياضية الثابتة ولكنها تتم بتدخل قوى خارجية غير عادية لها هدف معلوم وسياسة مرسومة لتقريب احتمال حدوث هذه التفاعلات بل احداثها فعلا .

ومنذ زمن بعيد اهتم الكيميائيون بتركيب مواد عضوية كتلك التي يكونها الكائن الحى . ونستطيع ان نقول بانه فى وقتنا هذا لا يوجد مركب ما لا يمكن تركيبه فى المعامل . ولعل هذا النجاح قد شجع الكيميائيين وعلماء الحياة على محاولة خلق الحيوانات داخل أنابيب الاختبار . واذا كانوا قد استطاعوا ان يحضروا موادا لها خواص البروتوبلازم الا انها تختلف عنه فى عنصر الحياة .

واذا كان بعض العلماء بالرغم من ذلك يعتقدون بان الحياة قد ظهرت تحت ظروف ملائمة كنتيجة طبيعية وحتمية وانه يمكن خلقها فى أنابيب الاختبار فى وقت معقول فان هناك بعض العلماء الذين لا يقلون شأنا ولا علما عن هؤلاء لا يعتقدون فى هـذا الرأى ويثبتون بالبرهان عدم امكان ظهور الحياة بهذا الشكل تحت قوانين المصادفة والاحتمال الاحصائى التى تهيمن على كل شىء يحدث فى هذا الكون .

وهؤلاء العلماء يؤمنون بان الحياة قد نشأت على الأرض ومن مادتها الا انهم يضيفون انه لابد من تدخل قوة خارقة للطبيعة التى تعين السبيل لهذه المواد وتجعلها تندفع فى الطريق الذى سلكته من التطور الى الآن . وليس للصدفة أو قوانين الاحتمال الرياضى أى فضل أو أثر فى حدوث هذه الظاهرة اذ ان هذه القوانين نفسها خير برهان على وجود هـذه القوة الخارقة للطبيعة . كيف لا وقد ثبت من اجتهاد علماء الرياضة والاحصاء المهتمين بعلوم الحياة انه لـكى يتكون جزىء عضوى بسيط التركيب تبعـا لقوانين المصادفة والاحتمال العادية فقط لكانت درجة احمال تكونه ضئيلة جدا حتى انه يمكن ان يقال انها تساوى صفرا أى ان هذا التكوين عديم الاحتمال . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان حجم المادة التى تلزم لجعل هـذا التركيب ممكنا كما حسبه هؤلاء العلماء بالنسبة لجزىء أبسط فى التركيب من زلال البيض عشر مرات مثلا . بأن هذا الحجم يمكن ان يكون كرة كبيرة جدا يحتاج الضوء الى 10^{80} سنة ليقطع مسافة تساوى قطرها .

ولنتصور هذا الحجم يجب ان نعرف انـه يفوق حجم الكون المرئى كله بمجراته القريبة والبعيدة والذى يقطعه الضـوء فى مدة 2×10^{9} أو الفى مليون من السنين ليصل الينا .

هذا من جهة حجم المـادة اللازمة لهذا التكوين . أما الزمن اللازم ليتكون هذا الجزىء من حجم من المادة يوازى حجم الكرة الأرضية نفسها فقد حسبه العلماء أيضا ووجدوا انه يساوى حوالى 10^{243} سنة أى انه أكثر من عمر الأرض التى يحدثنا الجيولوجيون انه قد اكتمل نموها منذ بليونين من السنين فقط .

وان الحياة قد بدأت فى الظهور على سطحها بعد ان برد هذا السطح وصارت درجة حرارته ملائمة للحياة منذ أقل من بليون من السنين .

والآن أليس العلماء الماديون أو المعتقدون فى نشوء الحياة تبعا لهذه القوانين فى مركز حرج حقا فاذا استطاعوا أن يدبروا المادة فمن أين لهم هذا الوقت . وعليهم اما ان يكونوا على ثقة تامة من هـذه القوانين الرياضية أو الاحصائية والتى يفسرون بها كل شىء والا يتحتم عليهم ان يقروا بانه ما زالت هناك ظواهر كالحياة تعجز هذه القوانين من التدليل عليها أو تفسيرها ولا بد أن يكون حدوثها قد تم بمعجـزة . اما اذا ارادوا ان ينكروا صحة هذه القوانين فى تفسيركل الظواهر نتيجة المصادفة أو الاحتمال فانهم لابد أن يعترفوا بان هناك ظواهر كحدوث الحياة مثلا تحتاج الى شىء أقوى من منطق العلم لتفسير حدوثها مثلا الا وهو الايمان بتدخل

قوى مجهولة غير طبيعية مسئولة عن تكوين مواد تختلف فى التركيب والخواص اختلافا بينـا عن سائر مواد الارض غير العضوية وهبتها الحياة وتعهدتها برعايتهـا فاخذت سبيلا طويلا فى التطوير أدى الى هذه العجائب من الخلق التى توجد بظهور الانسان وبث الوعى العقلى فيـه .

تلك هى قصة العلم حتى يومنا هذا وقدوقف أمام خلق المادة الحية حائرا فلا التجارب فى معمل تهديه ولا النظريات الحسابية ترشده ولا التخمين يسعفه فلا يجد مفرا من ان يعترف بوجود قوة عليا مسئولة عن خلق الحياة ويقول القرآن الكريم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ويقـول جلت قدرته « ما اشـهدتهم خلق السـموات والأرض ولا خلـق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » ويقول أيضا فى سـورة الروم « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم من أنفسـكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعـل بينـكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقـوم يتفكرون » بل نستمع الى قوله تعـالى فى سورة آل عمران « ان مثل عيسى عند الله كمثـل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

حتى اذا خلق آدم يحدثنـا القرآن الكريم عن سلالته وكيف خلقت فى أحسن تكوين بأسلوب جميـل ولسان عربى مبين وبمعاندقيقة وأطوار محدودة واضحة منذ حوالى ثمانية عشر قرنا . حديث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيقول فى ذلك جلت قدرته فى سورة المؤمنون .

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة . فخلقنـا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ولهذه الحقيقة قصـة طويلة قديمة قدم التاريخ فلنذكرها باختصار حتى يعلم من عنده علم أن الله وحده هو الخالق المبدع لهذا الكون وهذه المخلوقات ويستشهد الله بقدرته بمن عنده علم الكتاب فيقول « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » ويقـول أيضا « شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط » . ولعل اقدم ما وصلنا من القصص القديم من هذا الموضوع يرجع الى عام ١٣٧٥ ق.م حيث يحدثنا هذا القصص عن اخناتون الذى اشتهر بالفلسفة والحكمة فى عصره والذى وضع دينا خاصا به وبشعبه ووضع مزامير لهذا الدين لينفذ بها الى قلوب محبيه ووجدان متبعيه فيسلموا ويؤمنوا بدينه وتعاليمه وهل هناك ما هو أعجز من خلق الانسان فيقول فى مزاميره يا خالق الجرثومة فى المرأة يا خالق الحية فى الرجل . يا مانحا الحياة للصغير فى بطن أمه مطمئنا اياه لكيلا يبكى متوليا شئونه فى الرحم . انك تمنح القدرة على التنفس كى يبقى كل من تخلقه حيا لحين خروجه من الرحم يوم مولده وتفتـح فمه بالتصويت وتمده بمـا يحتاجه .

ولعله اراد ان يضرب مثلا آخر للاعجاز فى الخلقة والتكوين فقال فى خلق الحيوان « عندما يصبح صغير الطير فى البيضة تكون قد منحته التنفس لتبقيه حيا وعندما تتم تكوينه لدرجة تسمح له بالخروج من البيضة يخرج منها صائحا بأقوى ما فيه ماشيا على قدميه » .

ثم تمر أعوام طوال حتى يأتى أرسطو فى القرن الرابع قبل الميلاد فيتخذ من تكوين الدجاجة موضوعا للدراسة والبحث فيدرس التطورات التى تحدث فى هذا الجنين يوما بعد يوم . ولقد كان لهذه الدراسة الاثر الاكبر فى ان يعتقد ارسطو ان القلب مركز الفهم . كيف لا وهو لم يستطع ان يرى بالعين المجردة فى جنين الدجاجة بعد يومين من الحضـانة الا القلب وقد بـدأ ينبىء بالحياة ممثلة فى نبض يبدأ وئيدا ثم يصـير رتيبا ومن هذا استنتج ارسطو ان القلب هو الجزء المهم بل الجزء الاهم فى جسم الكائن الحى . ولقد كان لهذا الكشف الأثر الكبير فى معتقدات ارسـطو فجعلته يعتقد ان الحياة خاصية من خصائص الكائن الحى لا تنفصل عنه كما انها لا تشترك مع المادة فى أى من الخصائص . ويعتقد ارسطو أيضا ان هناك عنصرا حيويا يوجه نشاط المادة الحية لتحقيق أغراض خاصة وأهداف معينة وبهذا استطاع ارسطو ان يعارض معتقدات فلاسفة الاغريق فى القرنين السادس والخامس قبـل الميـلاد واشهرهم لوسيبوس وديموكر تيوس وقد كانوا يعتقدون بان الحياة ميكانيكية بحته .

ولم يقف ارسطو عند هذا الحد بل وضع نظريته المعروفة والتى تقول بان الكائنات الحية تنشأ من مادة ليس لها شكل خاص ثم تتشكل هذه المادة شيئا فشيئا حتى تصبح كائنا حيا . وتسمى هـذه النظرية بنظرية التكوين الحادث .

واذا كان علم التشريح قد تقـدم تقدما ملحوظـا فى القرن السـادس عشر الا ان علم الاجنة ظل كما هو منذ عهد أرسطو وما ذلك الا لأن المعتقدات الدينية فى ذلك الوقت كانت تحول بين العلماء وبين فحص الاجنة التى كانوا يعتقدون أن الله قد أخفاها عن الأعين لحكمة خاصة فلا يجوز للانسان ان يهتك ستر ما اخفاه الله وهكذا لم يجرؤ الانسان على اقتحام هـذا المكان الأمين ليصف أو يدرس ذلك الجنين واذا كانت هـذه هى الحال فى ذلك الوقت فان القرآن الكريم يقول (فلينظر الانسان مم خلق) ثم يأتى بعد ذلك عام ١٦١١ م حيث يفاث العلماء باختراع جاليليو للمجهر المركب الذى كان له الفضل الاكبر على علم الاجنة وغيره من العلوم اذ يسر له رؤية ما لا يستطيعون رؤيته بالعين المجردة .

ثم يأتى بعد ذلك عالم آخر هو مارسلو ماليبجى (١٦٢٨ - ١٦٦٩) وكان يعيش فى جنوب ايطاليا حيث ترتفع الحرارة فى الصيف الى حـوالى ١٠٠ فهرنهيت وقد حـدث ان فحص ماليبجى بعض البيض فى ذلك الوقت من السنة . وكلنا يعرف ولعل الكثيرين منا قد رأوا صغار الاجنة فى كثير من البيض أثناء فصـل الصيف . وكان هذا هو بالضبط ما وجده ماليبجى اذ وجد اجنة صغيرة داخل ما كان يفحصه من بيض ففرح لهذه الرؤية واعتقد انه قد فهم سر التكوين وعرف كنه الحياة ووضع نظرية أخرى سـماها نظرية التكوين من الأزل والتى تقول ان كل بيضة تحتوى على كائن حى متناه فى الصـغر ولا يزال هذا المخلوق المتنـاهى فى الصغر يكبر ثم يكبر حتى اذ ما كبر خرج من البيضـة ليبدأ حياة جـديدة يعيد بها تاريخ الحيـاة . ولعل العلماء فى ذلك الوقت قد وجـدوا فى هذه النظرية سهولة فى الفهم فقبلوها وسلموا بها . وهكذا استطاعت

هذه النظرية أن تسيطر على العقول والأذهان فى ذلك الوقت .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل قالوا اذ كانت النظرية الجديدة صحيحة ـ وانها لصحيحة فى رأيهم ـ فكيف ينشأ الجيل الثانى من الجيل الاول ؟

فيقولون ببساطة وسهولة ـ اذا كان ذلك الجنين انثى فان البيض يحتوى على بويضـات وكل بويضة تحتوى على كائن حى صغير . وداخل هذا الكائن الحى الصغير توجد بويضات أخرى تحتوى على كائنات أخرى اى أن هذا الجيل يحتوى على جيل ثان وهذا على جيل ثالث وهكذا . ثم يقولون اذا كم من المخلوقات الصغيرة كان يحتويها مبيض أمنا حواء فيحسبونها ويقدرونها ولا أدرى كيف تم هذا الحساب وكيف قدر هـذا التقدير ووضع الرقم ٢٠٠٠٠٠٠ مخلوقا صغيرا التى عندما يتم ظهورها جميعا على سطح الأرض تنتهى الحياة ويفنى الجنس البشرى يا سبحان الله .

واذا رجعنا الى عهد ارسطو مرة ثانية لوجدنا ان الاعتقاد السائد فى ذلك الوقت هو أن الأم لا دخل لها فى التكوين ولكنها نطفة الذكر التى تجد فى بيضة الأم ما تجده البذرة فى الأرض الطيبة فتنمو وتكبر ولعل هذا التفكير هو الأصل فى وضع كلمة البذرة للسائل المنوى فيقال بذرة الرجل ولا يقال بذرة الأم . حتى اذا كان عام ١٦٧٧ م يكتشف ليوفنهوك الحيوان المنـوى ويعتبره كائنا حيا مستقلا بذاته كالحيوانات الأولية ، ولقد كان لهذا الاكتشاف أثره فى ان يعتقد العلماء أن الكائن الحى الصغير هو بعينه ذلك الحيوان المنوى الذى يدخل البيضة فينمو فيهـــا كما تنمو البذرة داخل الأرض .

وهنـا ينقسم العلمـاء الى فئتين اثنتين . فئة تؤمن بان البيضة هى التى تحتوى على الكائن الحى مصغرا أما الفئة الأخرى فتؤمن بان الحيوان المنوى هو الذى يحتوى على الكائن الحى الصغير .

وقد كان هارتســوكر ممن يؤمنون بهـذا الرأى الأخير فنشر عام ١٦٩٤ م صورة للحيوان المنوى محتويا على انسان صغير جالسا القرفصاء .

ثم يجىء عام آخر هو عام ١٧٤٥ م حيث يكتشف تشارلى بونيت التوالد العذرى فى حشرة قمل النبات فيثبت بذلك ان البيضة وحـدها ـ دون الاستعانة بالحيوان المنوى ـ تستطيع ان تعطى حيوانا كاملا . فتجد الفئة الأولى التى تؤمن بالبيضة دليلا قويا يؤيد رأيها ويدحض رأى الفئة الأخرى .

حتى اذا جاء كاسبار فردريك وولف عام ١٧٥٩ م فاثبت ان القناة الهضمية تظهر أول ما تظهر فى جنين الدجاجة على شكل صفيحة ثم تتطور هذه الصفيحة شيئا فشيئا الى أن تصبح انبوبة مقفلة مكونة القناة الهضمية . وعلى هذا يقول وولف لو أن نظرية التكوين من الأزل صحيحة لكانت القناة الهضمية منذ بدأ تكوينها انبوبة تامة وبهذا اسـتطاع وولف ان يهاجم نظرية التكوين من الازل فيهدم أسسها ويقوض أركانها . ولكن هذه الآراء العلمية لم تلق نجاحا أو تاييدا من العلماء فيعارضها هالر مدعيا ان هذه الآراء هجوم على الدين

وهكذا تعود المعتقـدات الدينية مرة أخرى لتقف بين العلماء وبين البحث العلمى وحرية التفكير .

ولما كان لا بد للحقيقة أن تنتصر ياتى ميكل فى عام ١٨١٢ م فيشير الى دقة آراء وولف ونتائجه المعقولة والتى لا تؤمن بنظرية التـكوين من الأزل . وأن كل مخلوق ما هو الا سلسلة من التطورات تتعاقب وتتوالى الواحدة بعد الأخرى . وبهـذا يستتب الأمر لنظرية التكوين الحادث وتعود الى الظهور مرة أخرى بعد ان حجبتها واخفت حقيقتها أعواما طوالا نظرية التكوين من الأزل التى ظهرت نتيجة لنظرة خاطئة وتفسير خاطىء من ماركلو ماليبيجى . وهكذا لا يعترف العلم بأن الجنين يمر فى أطوار مختلفة الا فى عام ١٨١٢ م بينما يحدثنا القرآن قبل ذلك بمئات السنين فيقول جلت قدرته فى سورة الزمر « يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث . ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون » .

ويقول فى سورة المؤمنون :

« ولقد خلقنا الانســان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ثم تمر الاعوام سراعا الى أن ياتى عام ١٨٣٨ م حيث يكتشف كل من شليدن وشوان أن الكائنات الحية تتكون من خلايا وأن البيضـة والحيوان المنوى خليتـان مستقلتان . وهكذا تستقر الامور فى القرن التاسع عشر الميلادى بينما يحدثنا القرآن عن هذه الحقائق العلمية حديثا لا يقبل الشك فيقول فى خلق الانسان : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر » .

وهكذا تستقر الأمور ويستطيع ان يقترب العلم فى معرفته مما حدثنا به القرآن من قديم الزمان . واننا لندرك الآن أن الانسان يخلق من ماء مهين يحتوى على حيوانات منوية صغيرة يبلغ طول الواحد منها ٥ر. ملليمتر تفرزها أجهـزة الذكر التناسلية وبويضـات صغيرة قطر الواحدة منها ١ر. من الملليمترات تفرزها أجهزة الأنثى التناسلية وعلى تلك الحيوانات المنوية ان تسعى داخل القنـوات التناسلية فى الانثى حتى اذا اهتدت الى هدفها وهو البيضة الناضجة التقيا واتحدا وبهذا الاتحاد لا ينشأ شخص جديد فحسب بل يتقرر نوعه وشخصيته وصفاته المتوارثة من أبيه وأمه . اما اذا اختلف الميـعاد واستحال اللقاء لهـذين الـكائنين (الحيوان المنوى والبويضة) كان مصــير كل منهما الفناء .

فاذا ما تم اللقاح واتحدت نواة الحيوان المنوى بنواة البويضة ابتدات هذه البيضة الملقحة فى النمو فى طريق مرسوم ثابت ونظام دقيـق معروف لتعطى حيوانا كاملا يشبه الوالدين ولكنا نستطيع أن نقول ـ ولو أن هذا لايفسر شيئا بالمرة ـ انها انما تفعل ذلك لانها من حيوان من هذا النوع فالانسان يعطى انسانا وهى حقيقة لا تعطى ولا تفسر السبب . ولكن الحقيقة الظاهرة هى انه فى هذه البيضة المتناهية فى الصغر تكمن الطاقة التى تجعلها تتطور وتنمو الى حيوان كامل . بل هنـاك ما هو أكثر من ذلك ففيها الصفات حلوها ومرها وفيها

قوة العقل وقوة الجسم وفيها النصيب من الصحة والنصيب من المرض وفيها يكمن تاريخ الحياة من المهد الى اللحد .

ثم تنقسم هذه الخلية الملقحة الى اثنين ثم الى اربع وهذه تنقسم الى ثمان وهكذا يستمر الانقسام بنظام دقيق وحساب لا نستطيع أن نحيد عنه ولا نخالفه . وهكذا يتطور هذا الجنين من خلية واحدة قطرها حوالى ١ر. ملليمتر الى جنين طوله ٥ ملليمترات فى الأسابيع الخمسة الأولى .

تلك البويضة كما قلنا انسان له حياته وكيانه . فهى تشق طريقها فى جدار الرحم باحثة عن الغذاء وطالبة للحماية والرعاية . ومن أجل هذا تنشأ طبقة مغذية تسمى بالغلاف الأكال (تروفوبلاست) الذى يأكل ما يصادفه من الأنسجة المبطنة للرحم فتشق البويضة طريقها فى جداره حتى تصبح محاطة تماما بانسجة الرحم يغمرها دم الأم ومن هذا الدم تمتص البويضة غذاءها والاكسجين اللازم لها لتستمر فى التطور والنمو .

وفى أثناء ذلك يكون الجنين سائرا فى طريق النمو ففى الاسبوع الثالث يكون قد استطال الى مخلوق صغير طوله حوالى عشر بوصة له راس وجسد وذنب مشابها العلقة تماما يتعلق بأسفله كيس صغير هو كيس الصفار ولعل أعجب ما فى ذلك المخلوق الصغير القلب والمخ فى أبسط مظاهرهما .

ولعل أهم ما يظهر فى الأسبوع الثانى هو الجزر الدموية وهى عبارة عن خلايا من الدم صغيرة فى بدء تكوينها ولكن سرعان ما يتكون من هذه الخلايا وعاء واحد هو وعاء القلب فى بدء تكوينه الذى يأخذ فى التطور تدريجيا الى أن يصبح قلبا حقيقيا . ولكن الجنين لا يستطيع الانتظار الى أن يحين ذلك اليوم فاذا بذلك القلب يضطرب مرة ثم أخرى ثم ينقبض وينبسط فيدفع الدم الى الجريان فى أوعية الجنين وهكذا ينبض القلب من بدء الحياة ويستمر فى تلك الحركة التى لا يعلم سرها ولا كنهها الا الذى قال كن فيكون ذلكم الله ربى وربكم الذى اودعها الحركة والقوة ووهبها الحياة الى أجل مسمى انه على ما يشاء قدير .

وفى نهاية الشهر الأول يتكور الجنين ويلتف على بعضه حتى ليكاد يكون كالكرة مشابها لقطعة اللحم الممضوغة ولذا سماه القرآن مضغة .

وفى نهاية الاسبوع الخامس يبتدىء تكوين العظام فتكون غروية ثم تصير غضروفية فعظمية ثم تكسى لحما . ولا يزال ينمو الجنين ويكبر حتى يكتمل نموه .

ولعل أهم ما يحدث للجنين فى الشهر الثانى نشوء الأعضاء التناسلية وهكذا تتكون تلك الأعضاء التى ستجعل من ذلك الجنين شخصا له القدرة على ان يعيد الكرة من جديد وتجعل منه مددا لأشخاص أخر لا تعد ولا تحصى . وتنشأ هذه الأعضاء من نقطة فى ظهر الجنين تحت الكلية مباشرة سواء فى الذكر أو فى الأنثى حتى اذا اكتمل نمو الجنين فى الأشهر الأخيرة من الحمل انحدرت هذه الأعضاء الى موضعها الأصلى فى أسفل الجسم . وقد يحدث أن يتاخر هذا النمو فيولد الطفل وخصيتاه فى الداخل ويسمى هذا طبيا « بالخصية المعلقة » .

وكذلك الحال فى مبيض الأنثى فانه فى الشهر الخامس من حياة الجنين ينزل المبيض من منطقة الكليتين الى الحفرة الحرقفية ومن هذا يتضح تماما ان ذرية الانسان من الظهر كما جاء فى القرآن الكريم فى سورة الاعراف .

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى » .

وفى هذه الآية اعجاز . كيف لا وهى تحدثنا عن شىء كنا نجهله حتى هذا العصر الحديث ولكنه الحق من عند الله .

وانا لنلاحظ أثناء نمو الجنين بعد الأسابيع الأولى أنه محاط بثلاث أغشية هى الغشار الرحمى والكوريون والامنيون ولا يلاصق الأخير الجنين بل يفصله عند السائل الامنيونى ويعمل الامنيون وسائله كوسادة تقى الجنين من المؤثرات الخارجية التى قد تتعرض لها الأم وفى نفس الوقت تعطيه حرية الحركة . ويلاحظ ان هذه الاغشية لا تظهر الا بالتشريح الدقيق ولكن القرآن الكريم يحدثنا عنها من قديم الزمان وسماها ظلمات فيقول سبحانه وتعالى فى سورة الزمر .

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك . لا اله الا هو فانى تصرفون » .

ومع ايجاز القرآن الكريم فى سرد المسائل العلمية نجد فيه أشياء كثيرة اثبتها العلم بعد تلك الحقب الطويلة ما كنا لندرك معانيها لولا تقدم العلوم ولا زال القرآن عامرا باسراره العلمية ينتظر من يظهرها للملأ أجمع لنعلم فى كل وقت وآن ان القرآن قد أنزل لكل زمان ومكان . ثم نرى فى ذلك عظمة الله وقدرته . وصدق ما اخبرنا به سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الرسول الأمى والصادق الأمين . الا يرى الذى عنده علم فى تلك القوة وتلك الطاقة الكامنة فى هذه البيضة الصغيرة التى لا تكاد ترى بالعين المجردة التى تجعلها تنقسم ثم تنمو وتتطور وتتغير حتى تعطى انسانا كاملا يعيد تاريخ الحياة من جديد . ألا يرى الذى عنده علم فى هذه الآيات البينات التى أنزلت قبل تقدم العلوم واختراع الميكروسكوب بألف عام والتى تحدثنا عن أشياء ما كنا لنراها بغيره انه حديث من لدن عليم خبير . حديث ممن يقول للشىء كن فيكون . حديث من أودعها القو ةوالقدرة ورسم لها الطريق ويسر لها سبيل التطور والنمو فنؤمن انه قرآن كريم تنزيل من لدن حكيم خبير يدبر الأمر . يفصل الآيات لقوم يعقلون . فنؤمن بالله وبرسوله ونعلم انه ممن وهبنا الحياة من العدم وانه لا شك قادر على ان يسلبنا ما وهب وبان يبعثنا بعد الموت مصداقا لقوله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

فسبحانه وتعالى القائل فى سورة غافر .

« هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون . هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » .

ثم يقول سبحانه وتعالى « ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون » .

حقوق غير المسلمين في الشريعة الإسلامية

الأستاذ اسماعيل كشمير

لم يكن بدعا أن تمتد رقعة الدولة الاسلامية الفتية فى فترة وجيزة من الزمن فتدين لها بلاد فارس والروم ويمتد هذا السلطان الى أطراف الصين شرقا والى ساحل المحيط الاطلسى غربا ، وتنضوى تحت لوائها شعوب مختلفة الاديان متباينة المذاهب .

وقد حار الكتاب والمؤرخون الاجانب فى تعليل هذه الظاهرة وعجبوا كيف يتسنى لأمة من البدو أن تقوض أركان دولة الاكاسرة وأن تمزق أوصال امبراطورية الروم وتدك عروش القياصرة فى فترة قصيرة محدودة . وراح هذا العجب يشتد الى أن خيل لبعض الناس أن توسع الدولة الاسلامية كان لغزا من الالغاز ، أو أمرا تم بمحض المصادفة . وظن مثل هذا قد يقبل من مثل هؤلاء المؤرخين لانهم لم يتعمقوا فى جوهر الاسلام ولم يتقصوا تاريخ هذه الدولة ولم يدركوا روح الدين الجديد الذى قامت على دعائمه هذه الدولة الفتية . وأخيرا فانا لا نحب أن نتغافل عن الحقيقة من أن هؤلاء الناس لايريدون أن ينسبوا فضلا الى الاسلام والى أن يعترفوا بأنه ينطوى على أنبل التعاليم التى تحفظ للانسان كرامته وعزته وكبرياءه بوصفه انسانا بشريا له كل هذه الصفات .

والاسلام دين الاخاء والتسامح ، دين الانسانية والعدل والمساواة والتراحم . هو الدين الذى حفظ حقوق غير المسلمين كما حفظ حقوق المسلمين . هو الدين الذى أمن غير المسلمين على حياتهم وأموالهم وأعراضهم وحريتهم ، لا يضارون فى شىء طالما حفظوا العهد وأوفوا الذمة . ومن هنا ساد الاسلام ولهذا امتدت رقعة الدولة الاسلامية .

يقول الله تعالى فى محكم آياته : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون »

ارست هذه الآية الكريمة أساس التزام عام شامل يقضى بتحرى جانب العدالة المطلقة مع غير المسلمين على وجه عام ، سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء ، من أهل الذمة أم من المحاربين .

وجاء فى سورة أخرى من القرآن الكريم ، فى سياق الاشارة الى مناوئى الاسلام من المتعطشين الى سفك الدماء : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا . ان الله لا يحب المعتدين »

ومعنى هذا أن على المسلمين أن يلتزموا أدق قواعد العدالة والانسانية والاستقامة حتى فى قتالهم مع من يعتدون عليهم للقضاء على الاسلام نفسه .

وهذه القواعد مفصلة بوضوح فى الاحاديث النبوية الشريفة . ومن ذلك أن النبى صلوات الله عليه بعث جيش المسلمين الى القتال ، وقال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا . ان الله يحب المحسنين » . وفى حديث آخر نهى الرسول الكريم عن قتل الكهنة والرهبان المتعبدين فى الاديرة والصوامع .

وبهذا انحصرت اباحة القتل فى رجال العدو القادرين الذين يشتركون بالفعل فى ميدان القتال .

يحكى أن النبى صلوات الله عليه وجد امرأة مقتولة فى بعض غزواته . فأسف اسفا شديدا واستنكر الامر فى عبارة صارمة ونهى نهيا باتا عن قتل النساء والصبيان .

كان هذا شأن النبى فى وقت اشتد أعداؤه عليه وعلى المسلمين بالقسوة والظلم الى حد التمثيل بقتلى المسلمين وأكل لحومهم .

وكان النبى يحث أتباعه على الاستمساك بادق قواعد العدالة مع غير المسلمين المقيمين فى الدولة الاسلامية على اختلاف مذاهبهم ، سواء أكانوا مواطنين أم أجانب مقيمين فيها .

وعندما بعث أبو بكر بالجيوش لفتح الشام تحت امرة اسامة بن زيد عملا بوصية النبى أوصاهم بتجنب السلب والمخادعة ونقض العهود ، وأمرهم بالا يمثلوا بأحد وألا يقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ، وألا يقتلعوا نخلة أو

يحرقوها والا يحطموا اية شجرة ذات ثمار ، والا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا جملا الا لسد غائلة الجوع . وقال لهم أنهم سيجدون رهبانا يتعبدون فى أديرتهم ، وأمرهم بان يتركوهم وشانهم ولا يمسوهم بسوء .

والمواثيق التى قطعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه للجاليات غير الاسلامية التى دخلت فى حماية الاسلام معروفة مشهورة ، وورد ذكرها فى كثير من كتب التاريخ، واسترشدت بها الحكومات الاسلامية اللاحقة .

ولعل الميثاق الذى منح لاهل فلسطين خير شاهد على ذلك . فقد تعهد فيه عمر بن الخطاب بحماية أبناء دينهم وأمنهم على حياتهم وأموالهم وبيتهم وكنائسهم وصلبانهم سواء كانت فى حالة جيدة أم لم تكن . ونهى عن أن تهدم تلك الكنائس أو يتخذ منها بيوت أو يمسها أحد بسوء . وكذلك فانه نهى عن تقييد عباداتهم . ولكنه أمر بالا يسمح ليهودى بالاقامة بينهم . وقد فرض هذا القيد على اليهود احتراما منه للعدالة واعرابا عن حسن نيته ازاء المسيحيين الذين أخذتهم منهم البلاد ولم يريدوا أن يعيش يهودى واحد بين ظهرانيهم .

والمواثيق التى منحتها الدولة الاسلامية لغيرالمسلمين فيها لم تكن حبرا على ورق كتلك المواثيق التى تعقدها اليوم شعوب تخلع على نفسها صفة التمدين والتحضر ، بل كان التقيد بها واحترامها وتنفيذها من أهم واجبات المسلمين وكانت فى نظرهم التزاما مقدسا لا يمكن فسخه أو نقضه .

وحين جاءت المنية عمر بن الخطاب بعد أن اعتدى عليه واحد من غير المسلمين لم ينس أن يوصى خلفه بقوله : « .. وأوصه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفوا الا طاقتهم »

يحكى أن أحد المسلمين من قبيلة بكر بن وائل قتل نصرانيا فى الحيرة . وعرض الامر على عمر بن الخطاب. فأمر بالقاتل أن يسلم الى « حنين » ـ وريث القتيل ـ فقتله بيده .

وعندما فتح خالد بن الوليد قائد جيش المسلمين الحيرة فى خلافة أبى بكر عاهد أهلها من غير المسلمين وقال : « هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد نقباء أهل الحيرة ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به : عاهدهم على مئة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء على أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسسهم ، الا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها . وعلى المنعة وان لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم »

ولم يكتف خالد بذلك، بل قال : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات ان كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت أجزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام » .

يحكى أن عمر بن الخطاب رأى وهوخارج من المسجد شيخا ضريرا يسأل على باب . ولما علم انه يهودى قال له : ما ألجاك الى ما أرى ؟ قال الشيخ : اسال الجزية والحاجة والسن . فاخذ عمر بيده وذهب به الى بيته وأعطاه ما يكفيه ساعتها وأرسل الى خازن بيت المال يقول : « أنظر هذا وضرباءه . فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . انما الصدقات للفقراء والمساكين . والفقراء هم المسلمون . وهذا من المساكين من أهل الكتاب » ورفع عنه الجزية وعن ضربائه .

والاسلام لا يفرق بين أكبر الولاة واصغر الرعية .

يحكى أن مصريا من أقباط مصر جاء الى عمر بن الخطاب وشكا اليه والى مصر عمرو بن العاص وزعم أن الوالى أجرى الغيل فاقبلت فرس القبطى فحسبها محمد بن عمرو بن العاص فرسه . وصاح : فرسى ورب الكعبة . ثم اقتربت وعرفها صاحبها ، فغضب محمد بن عمرو ووثب على الرجل يضربه بالسوط ويقول له : خذها ، وأنا ابن الاكرمين .

قال انس بن مالك ـ راوى القصة ـ : « فوالله ما زادعمر على أن قال له انتظر . ومضت فترة اذا به فى خلالها قد استقدم عمرو وابنه من مصر ، فقدما ومثلا فى مجلس القصاص فنادى عمر : أين المصرى ؟ دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهى أن يضربه . فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين . ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك ابنه الا بفضل سلطانه .. فقال المصرى معتذرا : يا أمير المؤمنين ، قد ضربت من ضربنى . ثم التفت عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عمرو بن العاص يقول له : أيا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ! »

وقد حدث فى احدى المعارك فى بلاد الشام ـ وكانت ضد الامبراطورية البيزنطية ـ أن طارد بعض جند المسلمين رجلا من صفوف الاعداء فجزع هاربا حتى اعتصم بقمة تل ، فطلبوا اليه أن ينزل ولا يخاف ، ففعل فقتلوه . فلما سمع عمر بن الخطاب بذلك استنكره وقال ان نصحه بالا يخاف كان تأمينا له ، ومن ثم فان قتله جرم شنيع .

وفى خلال حروب الشام عسكر عمر بن الخطاب فى بلدة (جبيبة) واذا بذمى يجيئه ويشكو اليه أن بعض المسلمين قطفوا عنبا من كرمته دون اذن منه . وخرج عمر من المعسكر فاذا به يرى مسلما خارجا من الكرم وقد حمل بعض العنب على درعه . فصاح به فى غضب وحدة : وأنت أيضا ترتكب هذه الحماقة ؟ فاعتذر الرجل بأنه لم يفعل ذلك الا لاشتداد الجوع عليه .. فأمر عمر بأن يعوض الرجل عما فقد من العنب ، حتى أرضاه .

والواقع أن جميع المواثيق التى منحتها الدولة الاسلامية لغير المسلمين أيام النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لم تكن تؤمنهم على أرواحهم وممتلكاتهم وحسب ، بل وعلى دينهم أيضا .

والامثلة على ذلك كثيرة تعج بها كتب التاريخ الاسلامى وقد جاء فى (الطبرى) انه عندما فتح المسلمون (جورجيا) أمنوا غير المسلمين فيها وتعهدوا بحماية أرواحهم وممتلكاتهم وكفلوا لهم الحرية التامة فيما يتعلق بنظمهم الاجتماعية وشئونهم الدينية .

وكان عمر بن الخطاب لا يقدم على أمر فى شأن من شئون غير المسلمين حتى يستطلع آراءهم . ومن ذلك انه لما شرع ينظم أداة أرض العراق عقب فتحها استدعى

زعماء البلاد غير المسلمين الى المدينة يستشيرهم في امورهم . وجاء في المقريزى انه كان يفعل ذلك أيضا فيما يتعلق بمصر ، وانه كثيرا ما استشار المقوقس عظيم القبط .

وجاء في كتاب (الفاروق) لشبلي نعمان أن عمرا كان حريصا علي التمسك بالعدل مع غير المسلمين حتى انه كان يدعو زعماءهم الى المدينة المنورة ليسالهم فيما اذا كانت لاحدهم شكاة أو مظلمة .

وقد قسم الائمة المسلمون غير المسلمين الى أربع طوائف :

١ ـ أهل الذمة .

٢ ـ المستامنين .

٣ ـ المعاهدين أو الخلفاء .

٤ ـ المحاربين .

اما فيما يختص بالذميين فان المسلمين لا يلتزمون بعدم الحاق الاذى بهم وحسب بل وبحمايتهم والدفاع عنهم أيضا .

ويكتسب غير المسلمين صفة اهل الذمة من طريقين ، اولهما أن يخضعوا للدولة الاسلامية بعد فتح بلادهم عنوة فيكتسبوا رعويتها . وثانيهما أن يكتسبوا هذه الرعوية لا من طريق الحرب بل من طريق اتفاق سلمي . ويشترك هذان الفريقان مع المسلمين فى كل ما يتعلق بحقوق المواطنين . وهم معفون من الخدمة العسكرية مقابل دفع جزية خفيفة .

اما طائفة المستأمنين فهم الاجانب غير المسلمين الذين يقيمون فى الدولة الاسلامية اقامة مؤقتة لاغراض تجارية أو غيرها . وقد سن لهم الاسلام نظما خاصة منها الا يسمح لهم بالاقامة في الدولة أكثر من سنة واحدة ، والا تجبى منهم الجزية ، وأن يلزموا بدفع ضرائب تجارية بنفس النسبة التى تفرضها حكومة البلاد على المسلمين الذين يزورونها ، والا تجردهم الدولة الاسلامية من أموالهم أو تقتص منهم اذا كانت دولتهم تسيء معاملة المسلمين ، وأن تتكفل الدولة الاسلامية بحماية أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم بنفس الطريقة التى تحافظ بها على أرواح وأعراض وممتلكات المسلمين وغير المسلمين من رعاياها .

اما المعاهدون فهم غير المسلمين من رعايا دولة غير اسلامية بينها وبين الدولة الاسلامية ميثاق عدم اعتداء .

وتقضى الشريعة الاسلامية بان يحافظ المسلمون على نصوص الميثاق .

واما الطائفة الرابعة ـ طائفة المحاربين ـ فهم غير المسلمين الذين يحاربون الاسلام وليس بينهم وبين الدولة الاسلامية عهد أو ميثاق .

وهنا يامر الاسلام بمعاملتهم وفقا لقواعد العدل والانسانية ، فلم يسمح للمسلمين ـ حتى فى الحروب ـ بقتل شيوخهم أو نسائهم أو أطفالهم أو كهنتهم أو رهبانهم ، بل احل فقط قتل محاربيهم دون التمثيل بهم .

وبعد ، فهل هناك ما هو ادل على سماحة الاسلام ورحمته أكثر من هذا ؟ ان الاسلام لا يعرف التعصب ولا يقر الظلم ، بل هو يفسح صدره للأقليات المختلفة ويامر برعايتها وحمايتها . وقد كان غير المسلمين ـ وما زالوا ـ يجدون فى اتساع صدر الاسلام وسماحته وعدله ورأفته ما يحببهم فيه ويطمئنهم اليه ويبعث الراحة الى نفوسهم وقلوبهم .

الصهيونية بين واقع التاريخ وزائفه!

الدكتور محمد صلاح الدين على مجاور

لقد استغلت الفكرة الصهيونية منذ نشاتها فى التأثير على الرأى العالمى وبخاصة العالم الغربى أمرين مهمين لهما أثرهما القوى من الناحية الانفعالية وتاثيرهما الفعال فى أفكار الكثيرين . هذان الامران هما :

١ - الاضطهاد الذى أصاب جماعة اليهود فى روسيا فى أواخر القرن الماضى .

٢ - ما جاء فى الكتاب المقدس (العهد القديم) من أن أرض كنعان قد وعدوا بها على لسان ابراهيم وانهم منها سيخرجون واليها يعودون .

حقيقة ان اليهود كانت لهم محاولات لدى سلاطين العثمانيين ليكتسبوا الحق فى الارض التى وعدوا بها ولكن هذه المحاولات لم تكن ذات جدوى وجاء اضطهاد الروس لتلك الجماعة من اليهود الذين يعيشون بينهم والذين كانوا يمثلون فى ذلك الوقت ثلثى اليهود فى العالم كله فقتل منهم الكثيرون وظهر التعصب واضحا ضدهم فرحل منهم عدد الى أمريكا الشمالية والى أوربا وعدد آخر رحل الى أرض الميعاد وعاونهم فى بناء حياتهم فى فلسطين البارون روتشيلد وكان من أكبر رجالاتهم واكثرهم مالا .

ولم يقتصر التعصب ضد اليهود على الروس وحدهم فقد بلغ حدا قاسيا فى أوربا وبلغ منتهاه فى فرنسا واصبح اليهود وقد نظر اليهم على أنهم طائفة منبوذة غير مرغوب فى وجودها .

هذا الاضطهاد دفع الصحفى اليهـودى تيودور هيرزل الى أن يكتب كتيبا فى سنة ١٨٩٠ يتحدث فيه عن الدولة اليهودية ووزع هذا الكتيب بين طلاب الجامعات من اليهود وبين هؤلاء الذين يحلمون بالعودة الى أرض صهيون ومن ذلك الوقت أصبح هيرزل زعيم حزب يهودى وولدت الصهيونية. وبعد سبع سنوات من فشـــل المنظمة الصهيونية فى التأثير على أى من القوى المؤثرة من الحكومة البريطانية باقامة هذا الـوطن لليهود فى فلسطين ، تلقت عرضا فى سنة ١٩٠٣ شرق افريقيا (أوغندا) وكان هيرزل فرحا بهذا العرض ولكنه توفى وأصر المؤتمر الصهيونى سنة ١٩٠٥ على أن ارض صهيون هى المقر الذى لا يحيد عنه .

واخيرا جاءت الحرب الاولى وجاء وعـد بلفور ونشطت الحركة الصهيونية فى انجلترا وامريكا بصفة خاصة واكتسبت التأييد الكثير للنشاط المضلل الذى تبديه ولعدم الوعى وقتئذ لدى من يتهيأ لليهود للقضاء والانقضاض عليهم .

وجاءت الحركة النازية واصاب اليهود على ايديهم ما أصابهم وكانت فرصة أخـرى استغلتها الحركة الصهيونية استغلالا لا حد له فى التأثير على الرأى العام العـالمى حتى أعمته عن الحقيقة وأنسته ما سيترتب على قيام دولة يهودية من مآسى تصيب الآخرين مما لا ذنب لهم ولا جريرة . وممن لم يسيئوا يوما الى اليهود فأخرجوهم من ديارهـم أو ظاهروا على اخراجهم . ونسى العالم فى اوربا وامريكا انه كان اليهود قد اضطهدوا من الروس فى زمن القياصرة ومن الفـرنسيين وغيرهم واوذوا على يد النازية فلماذا يتحمل العرب وحدهم جريمة هؤلاء مجتمعين ولمـاذا يقع العبء فى تحمل المسئولية عليهم فيكونون هم وحدهم كبش الفداء . نسى الناس هـذا كله لان اليهود عرفوا كيف يخدرون عقولهم ويملأون ادمغتهم باسم الانسانية .

ولست هنا بصدد مناقشة هذا الاضطهاد وأسبابه هنا وهناك فقد يكون اضطهـادا أساسه السلوك المعروف عن هذا الجنس من حب للسيطرة على العصب المالى لاية دولـة واستغلال للمال والعيش لجماعة منعـزلة تكون لنفسها دولة داخل الدولة وقد يكـون اضطهادا أساسه السيطرة على الحكم عـن طريق رأس المال وافساد الذمم وبيع الضمائر فلم يكن اضطهادا للجنس من حيث هو جنس ولكنه اضطهاد لجماعة بسبب سلوكها وطرق تصرفاتها . قد يكون هذا أو ذاك سببا ولكن اليهود ابرزوه اضطهادا للجنس وأبانوا للعالم انهم جنس فى حاجة الى العطف والرحمـة وهذان متحققان اذا ما عادوا الى ارض كنعان وهذا هو الزيف والتضليل فاليهود فى أمريكا - كما شاهدنا ولمسنا فى غـير نيويورك - مكروهون وذلك لما عرف عنهم من انمـاط للسلوك لا قيم فيها ولا معايير وفى كثير من بلاد اوربا ينعت الشخص اذا ما عرف عنـه الحرص وحب المال بانه يهـودى ولولا أن قوانين هذه البلاد تحرم مثل هذا الاضطهاد لاصابهم منه الكثير .

وعلى اية حال فقد تمكن اليهود من استغلال هذا الاضطهاد فأرجعوا سببه الـى الجنس لا الى السلوك وفى هـذا من طمس لوقائع التاريخ . ومع كل لماذا تصر الصهيونية على أن اكتساب الحماية للجنس اليهودى لايتحقق الا فى فلسطين ؟ هنا تبدو اهمية الاعتماد على الامر الثانى الذى سبقت الاشارة اليه فهو من وجهة نظرهم مكمل للاول ومحقق لآمالهم ومن ثم رفضوا شرق افريقيا لاقامة وطنهم القومى . فالكتاب المقدس وما فيه له تأثيره على من يعتنقون المسيحية أيا كان لونهم وله سحره عليهم مهما كانت عقيـدتهم ومن ثم نسـوا هذا كله وتذكروا فقط أن الله وعـد اليهود بأرض الميعاد منها يخرجون واليها يعودون ولا عليهم بعد ذلك أن يتشرد اقوام وان يهيم آخرون وان ييتم أطفـال وتثكل أمهات وترمل نساء وبخاصـة اذا كانوا من تابعى محمد ذلك الذى مزق دينهم كمـا يتصورون . ولا عليهم كذلك اذا ما عاشت القمة المقدسة فى اتون من نار واصابتها لظى الحرب تعلحن ابناءها وأن تنصرف جهـود الناس حولها لا الى اصلاح حالهم وبنـاء

انفسهم ولكن الى حماية انفسهم من هـذا الكابوس اليهودى الذى أراد أهل الكتاب الفرس أن يريحوا انفسهم منه فألقوا به بين اقوام آخرين .

فلماذا يا قوم تؤمنـــون ببعض الكتاب وتكفرون ببعضه ؟ أهو الخداع اليهودى أم القوة المالية المؤثرة لهؤلاء ؟ لماذا آمنتم بأن الكتاب المقدس يرى عودة اليهود الى ارض صهيون فأيدتموهم ولماذا لم تؤمنوا به حين لعنهم ودعا عليهم ؟ وعلى فرض أن ما يقوله الكتاب المقدس صحيح مسلم به فهل لم يحدث فى تاريخ بنى اسرائيل أن اخرجوا ثم عادوا وبذلك تحقق ما كان قد اشار اليه الكتاب ؟ ان التاريخ ووقائعه شاهد صدق فالعرب والمسلمون لم يخرجوا اليهود من ديارهم فى ارض صهيون عنوة ولم يشردوهم حتى يكون لهم الحق فى العودة بعد هـذا الاخراج . والكتاب المقدس يرى ان اخراجهم سيكون عنوة فلما اذن يفسر الكتاب على أن العودة المقصودة هى اعادة بناء دولتهم ولو على اكتاف أقوام آخرين .

ان التاريخ يحدثنا ان اليهود قد فتحـوا ارض كنعان ثم استقروا بفلسطين حـوالى القرن الثالث عشر ق.م وكانوا يعيشـون جماعات فى نظام قبلى تخضع كل جماعـة لاكبرهم سنا وتجربة ثم توحدت كلمتهـم وحكمهم جماعة سموا بالقضاة وظلوا فى صراع دائم مع أهل فلسطين الاصليين يتغلبون عليهم أحيانا ويغلبهم هؤلاء احيانا أخرى . وحين استقر لهم الامر حينا ظهرت فيهم الملكية على يد شاءول حوالى ١٠٤٠ ق.م وبعد ملك سليمان دب الخلاف بينهم وانقسمت دولتهم مملكتين واحدة فى الجنوب وعاصمتهـا أورشليم وهى مملكة يهودا واخرى فى الشمال وعاصمتها سامرا وهى مملكة اسرائيل ، ولم تدم دولة الشمال طويلا اذ استولى الأشوريون عليها واخذوا الكثير من سكانها أسرى الى ارض آشور وهذا اول اخراج لليهود عنوة من بلادهم . واما مملكة يهودا فى الجنوب فقد ظلت زمنا بعد انقضاء دولة اسرائيـل وبعد أن دالت دولة الاشوريين وجاء بختنصر ملك كلديا وأغار على بيت المقدس وخـربه واسر من بنى أسرائيل عددا عديدا واجلاهم عن ديارهم وهذا ما يعرف فى تاريخنا باسم السبى البابلى وبذلك اخرج بنو اسرائيل عنوة وانزلوا منازل غير منازلهم وقد ظل اليهود فى الاسر حتى دالت دولـة البابليين بتغلب الفرس عليهم فى عهد كورس سنة ٥٣٩ ق.م واذن لمن اراد من اليهود العودة الى بلاده أن يعود فعاد الكثيرون وعمروا بيت الله المقدس عمارته الثانية .

اليس هذا اخراجا وعودة ؟ اليس هـذا ما عناه الكتاب المقدس على فرض صحتـه وصدقه ؟ هذه هى وقائع التاريخ وحقائقه ولكن الصهيونيين يلبسون الحـق بالباطل ويسخرون من العقول .

لقد اخذ اليهود منذ القـرن الرابع ق.م يتصلون باليونان وغيرهم وكانت أسرة المكابيم منهم ذات أثر كبير فى حياتهم أيام حكم اليونان وجاء الدين المسيحى الذى ولد فوق ارضهم وترعرع تحت سمائهم ثم أخذ اليهود يغادرون وطنهم الاصلى لينزلوا ضيوفا على الاقطـار الأخرى ثم يستوطنوها متى طابت لهم الاقامة لم يخرجهم احد ولم يفرض الخروج عليهم وانما طواعية واختيارا ولعل ذلك كان بحثا عن الثراء والمال اينما كان وجاء الاسلام وانتشر فى بقاع واقطار ملئت بهم فما أصابهم بسوء ولا اخرج احدا منهم من أرض الشام بل عاشوا مع ابنائه لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

فأين اذن الخروج الذى أكرهوا عليه من العرب أو الاسلام حتى يعـودوا الى ارض تركوها باختيارهم مستعملين الحراب وسفك الدماء . هل قال لهم الكتاب المقدس اشعلوها نارا وأوقدوها أتونا حتى تقيموا ملكا على انقاض آخرين ؟.

ان حقائق التاريخ تدحض زائفه فالخروج والعودة قد وقعا وانتهيا منذ آماد من الازمان والعرب مجنى عليهم باسم الدين والانسانية والدين والانسانية براء من هذا التزييف .

الشورى في الاسلام

وأمرهم شورى بينهم

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

دعوة الاسلام تنشد توجيه الانسان الى المستوى الفاضل فى الانسانية، وتنشد توجيه الجماعة الى الطريق المستقيم ، وتعاليم الاسلام تهدف الى الارتقاء بالانسان ، ونقله من دائرة الصراع المرير بين الحكمة والشهوة ، وبين الهداية والغواية ، الى مجال الحكمة والهداية معا ، وتهدف بالتالى الى تزويد الفرد بطاقة قوية تدفع به الى طريق الحق والخير والنور ، هى طاقة الايمان بالله وأنه موجود وأنه لا شريك له ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ... وحينما يتزود الانسان بهذه الطاقة القوية ـ طاقة الايمان بالله وحده ، بمحض العبادة له ، ويخصه بالخضوع والخشوع ، ويحنى رأسه اجلالا لعظمته وقوته ، وفى نفس الوقت يعيش فى الحياة سيدا عزيزا ، يرفع رأسه ولا يحنيها ، يعتز بايمانه وقوة يمينه ، ويرفض أن يتحكم فيه فرد من البشر، فالخضوع كله والتقديس جميعه للواحد الاحد الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ...

ونظرة الانسان الى نفسه باعتبار انه صاحب كرامة يستمدها من ايمانه بربه تأبى عليه هذه الكرامة أن يستبد بها مستبد ، أويفرض عليها فرد من الناس رأيا هو من صنع الانسان ، والمجتمع الذى يكون أفراده بهذه الصفة يكون مجتمعا قائما على اساس مكين من الارادة الحرة لأفراده ، والعدل الذاتى ، والكرامة الانسانية ،التى ترفض الاستبداد بالرأى ، واحتكار التشريع والتصريف.. ومن هنا كان مبدأ الشورى من المبادىء التى يقررها الاسلام وتؤكدها تعاليمه فبالشورى تتحقق الكرامة الفردية وكرامة المجتمع ، وما الشورى الا التعرف على رأى جماعة من الناس فى امر من الأمور التى لا تمس أصلا من أصول العقيدة أو العبادة ، والأخذ بالرأى الذى تصل اليه الجماعة ، ففى ذلك ضمان للرأى السديد والمنهج المستقيم .. وقد قيل :

رأى الجماعة لا تشفى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

ولقد زكى القرآن الكريم هذا المبدأ ، وحث المؤمنين على التمسك به ، فهو يذكر سورة كامله تسمى سورة الشورى ، وفيها يمدح المؤمنين بأنهم يتصفون بها ، ويزكيها ويرفع قدرها حيثما يضعها بين عنصرى الصلاة والانفاق فى سبيل الله قال تعالى « والذين استجابوا لربهم

وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » ..

وقد طلب الله تعالى من رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يشاور أصحابه فيما يطرأ لهم من الشئون ربطا للقلوب ، واحتراما للحرية الفكرية ورأى الجماعة ، فقد نزل قوله تعالى بعد ماأصيب المسلمون بما أصيبوا به فى غزوة أحد « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله » وقد نفذ رسول الله توجيهات القرآن وتعاليم السماء فكان يرجع الى أصحابه فى الأمور التى لم يتلق فيها وحيا .. ويروى التاريخ فى أنصع صفحاته ما حدث بشأن أسرى المشركين بعد غزوة بدر لقد استشار عمر بن الخطاب فأشار بأخذهم بالشدةومعاملتهم معاملة مجرمى الحرب لا أسرى الحرب واستشار ابا بكر الصديق فأشاربأخذهم بالرأفة والرحمة ، « فاما منا بعد واما فداء » وقد كان رأى رسول الله مع رأى أبى بكر فأخذ به ، ورفض العمل برأى عمر ومن وافقه ، فنزلت آيات شديدة العتب على النبى ـ صلى الله عليه وسلم فى أنه لم يأخذ برأى الآخرين وقد كان هو الأوفق بحالتهم فى ذلك الوقت « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ومرة ثانية جاء الأحزاب متجمعين لحرب رسول الله ، وللقضاء على دعوة الاسلام ، فاستشار أصحابه فى الموقف فأشاروا بحفر الخندقحول المدينة وسميت الغزوة بغزوة الخندق ، وانتصر فيها المسلمون ، ونزل فى شأنها قوله تعالى « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما» . ومن هدى النبوة فى ذلك قوله عليه السلام « استعينوا على أموركم بالمشاورة » وقوله « المستشير معان ، والمستشار مؤتمن » .

وقد سار على هذهالسنة الجليلة الخلفاء الراشدون بعده ، فهذا أبو بكر الصديق خطب أول ما ولى الخلافة، خطبة تعتبر دستورا فى تثبيت دعائم الشورى للحاكمين فقد قال : « أيها الناس انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى » الى أن قال « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيت فلا طاعة لى عليكم » .

تأمل يا أخى المسلم فيما تضمنه هذا الجزء من الخطبة. تجد سيدنا أبا بكر رضى الله عنه يطلب مراقبة الأمة له فى تنفيذ الشريعة ، ويصرح بأنهم فى حل من عصيانه ان رأوه يخالف الدين ، لأنه يقول لهم فى وضوح وجلاء : « ان عصيت فلا طاعة لى عليكم » والحاكم الذى يبيح للناس مخالفته ان أساء لا يرضى أن يحكمهم وهم له كارهون ، ولا يقبل الولاية عليهم والثقة فيه منزوعة منهم ، وهذا هو النظام الشورى فى أسمى صورهوأرفع مقاصده .

وكانت أعماله تسير دائما على هذا المنهج ، فكان يرجع الى الصحابة فى عظيم الشئون كاختيار الولاة والقواد وتسيير الجيوش ، ومن ذلك استشارتهم فيما يفعل بالمرتدين ، وفى اختيار رؤساء الجند لمحاربتهم ، وقد أوصى عمرو بن العاص حين بعثه لفتح فلسطين بقوله : « اعلم يا أمير المؤمنين أن معك المهاجرين والانصار من أهل بدر ، فأكرمهم ، واعرف حقهم ، ولا تتطاول عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول ، انما ولانى أبو بكر لانىخيرهم اياك وخدائع النفس ـ وكن كأحدهم ـ وشاورهم فيما تريد من أمرك » .

ويأتى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأراد أن يضع مبدأ للتاريخ الاسلامى فجمع الصحابة واستشارهم فى هذا الرأى ، وقد استقرت كلمتهم على جعل هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من مكة الى المدينة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، فالهجرة كانت فيصلا بين عهدين، كانت نقطة انطلاق الجماعة الاسلامية لتثبيت دعائمها ، وارساء بنيانها ، ولما جهز الجيوش فى الحروب الفارسية استشار أصحابه فيمن يقود هذه الجيوش فأشاروا بسعد بن أبى وقاص فاختاره ، وتمضى رحلة حياته ، وتحضره الوفاة فيوصى بأن تكون الخلافة فى بضعة نفر من كبار أصحابه ، يتشاورون لانتخاب واحد منهم .. ولما تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة سار على منهج الرسول وصاحبيه ، فكان يستشير فى كثير من الأمور ، وهكذا مضت الأمة الاسلامية تسير على هذا المبدأ وتحرص عليه أشد الحرص ، فتحققت العدالة ، اذا عدالة الاسلام عدالة اطمئنان ورضاء نفسى داخلى ، وثقة متبادلة ، بينما عدل القانون عدل خوف ورهبة من السلطة المشرفة على تنفيذه ، فحضارة الاسلام حضارة حرية واختيار لا اكراه فيها ولا الزام لأنها ثمرة الارادة الحرة والاختيار الانسانى .. ان هناك فرقا بين وضعين للانسان . وضع يجعله سيد نفسه وهو صاحب الأمر فى توجيهه ، ووضع آخر يسوقه ويفرض عليه رأيه ، الوضع الأول يتحقق بتطبيق مبدأ الشورى ، حتى يسهم الفرد فى توجيه نفسه وأمته ، والوضع الآخر لا يحترم للجماعة رأيا ، ولا يعبأ بمشاورة أصحاب الرأى ، الوضع الأول ينتج الخير والفوز والفلاح ، والوضع الآخر لا ينتج الا الشر والفساد والفوضى ، وقد أدرك الحكماء والأدباء منزلة المشورة ، فحضوا عليها وحثوا على التمسك بأهدابها ، فيقول أحدهم : لا خاب من استخار ولا ندم من استشار .. ويقول شاعر حكيم :

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثانى

فاذا هما اجتمعا لنفس مرة
بلغت من العلياء كل مكان

ولربما طعن الفتى أقرانه
بالرأى قبل تطاعن الاقران

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الانسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت
أيدى الكماة عوالى المران

ويقول آخر :

اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن
برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورىعليك غضاضة
فريش الخوافى قوة للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها ؟
وما خير سيف لم يؤيد بقائم ؟

واذا ما حزب أمر ، أو ألمت ملمة ، فان الحازم هوالذى لا يفصل فى الأمر برأيه ، ولا يقضى فيما ألم بأمته حسب هواه ، بل يعمد الى أولى الرأى ، وأصحاب الفكر والعقل ، يطلب منهم المشورة ، فيكون بذلك قد احترم انسانية قومه ، واحتكم الى الرأى الصائب والنظر الثاقب .. وهؤلاء ان أصابوا فيما أشاروا به فلهم أجران،

أجر اعمال الرأى والاجتهاد وأجر الصواب ، وان أخطأوا كان لهم أجر هو أجر الاجتهاد ، وهذا حث لاصحاب الرأى بأن يسارعوا الى ابداء النصح فيما يهم جماعتهم ، مستلهمين الحق ، والحق وحده ، متجردين عن الهوى والغرض ، فيكون لهم أجران أو أجر ..

وتتأكد المشورة اذا ما كان الأمر الذى حزب ، يمس جماعة كبيرة من الأمة الاسلامية .. وذلك مثل قضية فلسطين ، هذا الوطن العربى المسلم الذى يضم بين جنباته أولى القبلتين وثالث الحرمين ومهبط الانبياء ومسرى محمد بن عبدالله ، لقد دنس هذا الوطن الاسلامى بأرجاس الصهيونية التى كتب الله عليها الذلة والمسكنة وباءت بغضب منه ، وفى غفلة من أصحاب الحق ، وفى غفوة من أصحاب الوطن وضعت الصهيونية أقدامها فى ذلك الجزء العزيز على المسلمين ، وما السبيل الى تخليص هذا الجزء من ذلك الرجس ؟ أولا لا ينبغى لأى مسلم أن يغمض طرفه عن هذه المأساة وأن يعيش بعيدا عنها فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ولا يليق بالمسلمين والعرب بخاصة أن يغفلوا لحظة عن حق اخوانهم المشردين فى العودة الى وطنهم وأرضهم وأموالهم ، ولا حجة لمن يتقاعس بين يدى الله بعد أن سمع قوله تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » ان العرب لا تنقصهم كثرة العدد ، فهم كثير - والحمد لله - ولا يعوزهم وفرة المال ، فهم فى يسر وثراء ، ولا يفتقدون النخوة والشهامة ، فتلك أخلاق عربية أصيلة حتى ان شاعرهم الجاهلى يقول :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ويقول شاعر آخر جاهلى بدافع من فطرته العربية الأصيلة :

وقد علم القبائل من معد
اذا قبب بأبطحها بنينا

بأنا المطعمون اذا قدرنا
وأنا المهلكون اذا ابتلينا

وأنا المانعون لما أردنا
وأنا النازلون بحيث شينا

وأنا التاركون اذا سخطنا
وأنا الآخذون اذا رضينا

وأنا التاركون اذا سخطنا
وأنا العارمون اذا عصينا

ونشرب ان وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

واذا بلغ الفطام لنا صبى
تخر له الجبابر ساجدينا !!

فالشجاعة لا تنقص العرب ، انما يحتاجون الى جمع الكلمة ، ووحدة الرأى ، ورسم الخطة ، وترجمة الآراء الى أعمال حاسمة ، وذلك يكون بالتلاقى والتشاور وتبادل الرأى ، ولهذا انعقد مؤتمر القمة العربى الذى دعا اليه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وانعقد مؤتمر القمة الثانى قريبا ، ان هذا المؤتمر تحقيق لمبدأ من مبادىء الاسلام الخالدة وهو مبدأ الشورى .. لذا يباركه الله ، ويوفق أولى الأمر لما فيه عز العروبة ورفع كلمة الاسلام .. فنحن باسلامنا خير أمة أخرجت للناس ، لأن ولينا الله ورسوله والذين آمنوا « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » .

أن حاجة المسلمين والعرب الى الله رب العالمين أن يمد سيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة بدوام عونه وتوفيقه لما فيه خيرأمته ورفعة شانها ويبارك لنا جميعا فى حياته الحافلة بالباقيات الصالحات وأن يكتب النصر والتأييد لكل من يدعو الى الحق والكرامة ، ويعيد « فلسطين الوطن السليب الى أهله « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

الإسلام

بين العقل والنقل

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفي

« وأن هـذا صراطى مسـتقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الانعام ـ ١٥٣ ـ

ان القرآن وهو طبعا كتاب الاسلام الموحى به من الله بواسطة جبريل الى روع النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يقرر أن الحقيقية الالهية ذاتا ونعوتا كانت موجودة قبل وجود العقل والحس وسـائر المعقولات والمحسات « الكائنات بأجمعها » •

وكان المسلمون الاولون يرون أن لاسبيل لتقرير المعتقد الا عن طريق ماجاء به الوحى من عند الله ، وللعقل بعد ذلك أن ينظر فى خلق السموات والارض ، فلا يرى ـ ان كان منطقه سليما ـ فى خلق الرحمن من تفاوت ، وقد قال فرعون لموسى « فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » طه ـ ٤٩ ، ٥٠

فاذا تحكم العقل فى معطيات الوحى من مدركات او معان ، أو من أحكام أو أوامر أو نواه ، فقد خرج العقل بذلك عن حدود وظيفته ، بل عن مستوى قدرته ومقاييس طاقته الحقيقية •

ولذلك كان المسلمون فى الصدر الاول ، يرون ان الجدول والمناظرة فى مقررات المعتقد يؤديان الى الانسلاخ عن الحق ، بل عن الدين فى النهاية •

والوحى يأتى لمعان : منها التسخير وذلك فى مثل قوله تعالى : « بأن ربك أوحى لها » الزلزلة ـ ٥ ـ وفى مثل قوله « وأوحى فى كل سماء أمرها » فصلت ـ ١٢ وبمعنى الالقاء فى الوعى والشعور ، مثل « وأوحينا الى ام موسى » القصص ـ ١٧ ـ أو فى الغريزة كقوله « وأوحى ربك الى النحل » النحل ـ ٦٨ ـ وبمعنى الكلام المؤصل للرسالة الالهية ، فى مثل قوله « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء » الشورى ـ ١٥ ـ وذلكم هو الوحى الذى أنزل فى الكتب المنزلة « الزبور والتوراة والانجيل والقرآن »

واما العقل ، فالاصل فى معناه مايعقل صاحبه عن الخطأ او الانحراف ، ويأتى بمعنى الفقه والادراك وهو التعقل الناشىء عن مقدمات أولية وللعقل فى منطقة احوال ثلاثة •

١ ـ يستقرىء العقل بعض الحقائق الكونية فيستنتج من ذلك نتائج معقولة أو حقائق مسلمة أو خاطئة أو مشككة •

٢ ـ أو تكون النتائج التى يستنتجها ، بعضها أقرب الى الحق من بعض ، فيتحير •

٣ ـ أو تكون نتائجه مطابقة للصواب تماما اذا اتخذ فى تفكيره منهجا قويما متفقا مع الحكمة الالهية « الوحى »

ثم ان من داب العقل التردد احيانا والشك احيانا اخرى ، وقد يتردد العقل أو يشك ليصل الى الحق ،

وقد يعوقه الشك عن هذا الوصول لان العقل مهما سما فله قصور ذاتى مختص به • ككل مخلوق

وقد عاش الرعيل الاول من المسلمين على التقدير • تقدير قيمة الوحى فى حقبته وقيمة العقل فى حدوده ، وظل هذا دأبهم • وفى القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات ، فيؤمنون بكل ماجاء من عند الله ايمانا ثابتا ، وصل العقل الى حقائقه أم لم يصل ، لاسيما فيما يختص بالذات الالهية فى وجودها ووجود نعوتها القدسية العلية ، معتبرين أن الذات والصفات حقيقة واحدة « كالنور والنهار ، والظلام والليل » •

فالشمس تنتج النور ولا يقال هو هى ، أو هو غيرها باعتبار أن النور نعت لها ، والليل ينتج الظلام ، فلا يقال ان الظلام غير الليل الا مجازا •

ولما دخل أهل الاديان السابقة فى الاسلام ، وكان منهم الكهنة والاحبار والفقهاء وعلماء اللاهوت ، وكان من دأبهم الجدل العقلى والدينى ، والبحث فى طبيعة الاله وفى صفاته ، وهل هى أمور خارجة عن الذات فهى غيرها أم أنها متصلة بالذات فهى ليست سواها ، وتبعا لذلك كان البحث فى كلام الله باعتباره صفة من صفاته ، وهل هو قديم أو حادث وفى القضاء والقدر هل هو من الله كله ، أم بعضه من الله وبعضه من غير الله كالشيطان مثلا أو الجن أو البشر او ليس منه لله شي الخ •

ومن هنا ، وقد انقضى عصر الرعيل الاول ، اختلفت الآراء وأطلت الفتن بقرونها السوداء وابى الدخلاء فى الدين الا ان يكون الوحى الاسلامى والكلام الالهى ، بل وذات الله نفسها وصفاته ونعوته مجالا للجدل والكلام الذى ورثوه عن آبائهم وأحبارهم الاول ، من أهل اليهودية أو المسيحية أو الوثنية الفارسية • وكان الفرس حينما اسلموا ، أشد على الاسلام من بقية أعداء الاسلام ، وان كان القليل منهم قد أخلص دينه لله ، وألف فى العلوم الاسلامية تواليف نافعة ، حينما تعلم العربية ودرس دينه الجديد « الاسلام »

وقد زاد الطين بلة ، تلك الفتن التى حدثت بين شيعة على والخارجين عليه ، وبين قتلة عثمان وبين أنصاره •

فاضطر بعض علماء المسلمين أن يدافعوا عن حوزة عقيدتهم فتخذوا علم الكلام عن السريان المسيحيين ، أو اليهود العبرانيين ، أو الفرس المزدكيين بنية الدفاع عن حوزة عقيدتهم والرد على أعدائهم •

ولكنهم ويا للاسف ، قد حادوا بعلم الكلام نفسه عن شرعة الاسلام وعن منهج القرآن الى قضايا العقل ، وما يحتويه منطقه من حق وباطل وجدل وسفسطه •

وبحثوا مثل غيرهم فى طبيعة الاله ، وصفاته وكلامه وقضائه وقدره الى آخره •• وانى للعقل البشرى أن يدرك طبيعة أو كنه خالق الطبيعة ، وخالق العقل ، وخالق السموات والارض ، وهو منزه عنهما وليس له طبيعة تعرف ولا آنية تدرك • ولكى يدرك العقل ماهية الاله (وهذا هو المستحيل) يجب أن يزود بادراك أعلا من ادراك الاله أو يماثله على الاقل لفهم كنهه وحقيقته ، ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

وسبب تسمية علم الكلام الدينى أن يكون اسما مقابلا لعلم المنطق الفلسفى ، وكلاهما يبحث مباحث عقلية ، احيانا يراد بها الحق ، واحيانا يراد بها الباطل ويؤيدون ذلك الباطل عن طريق السفسطة والجدل العقليين • ويسمى اصحاب علم الكلام انفسهم بالمتكلمين وكان هذا الاسم يطلق على كل من نظر فى مسائل العقائد سابقا ولاحقا ، وانتهى الى أن أنصب على المعتزلة أو على المناظرين لهم • وقد كان علم الكلام من أشد البدع الحادثة فى الاسلام •

ثم انتقل علم الكلام مرحلة اخرى ، فانصب على الباحثين فى العقائد مطلقا ، حينما يراد الاستدلال على صحتها بالادلة العقلية ، وقد اسماه الاسلاميون علم التوحيد ، وما هو فى نظرنا سوى علم التوصيل على المعنى الذى ارادوه ، والمبنى الذى وضعوه عليه •

انما التوحيد الصحيح أعلنه القرآن حينما قال : « فاعلم انه لا اله الا الله » ثم اشفع ذلك بقوله ـ محمد رسول الله والذين معه ـ الى أن قال ـ تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا •

وأما أهل التردد والشك ، والدوران واللف فى دائرة مفرغة مغلقة حول ما يعتقد وما لايعتقد من شئون الوحى فهو اتباع للهوى وتعصب للرأى الشخصى • وأولئك يصفهم الله تعالى بقوله « منهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم »

نعم ان هناك ما حقه أن يعتقد من مجموع العقائد ، وهناك ما لا يجب أن يعتقد ، ولكن الحكم المؤتمن ؟

أهو الحس •• أم العقل •• ؟ كلا

انما الحكم النصوح ، والحكم الناصح هو : ماجاء به الوحى •

وقدمنا فى غير هذا الموضع أن الوحى يهبط من آفاق لايمكن للعقل التحويم حولها ، فضلا عن الوصول اليها

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا »

ونريد هنا ان نسأل : هل العقل خالق ام مخلوق ؟ وهل العقل مطلق كالاله ام انه ذو قصور ذاتى ككل مخلوق ؟ وهل أحاط العقل بكنهه هو حتى يحاول ان يحيط بكنه مبدعه ؟ هل أحاط العقل بكنه الحياة وكنه الموت ؟ أم أن هناك أسرارا تعلو فى الحقيقة والواقع على متناول بحث العقل وهى تجاوره وتعيش فى الوجود معه •• فلماذا ياترى نؤله العقل ؟ ولماذا نحكمه حتى فيما يختص بشئون الخالق الواسع العليم •

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها واخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى » • سوف يندم أولئك الحائدون عن الصواب •

ويؤله المعتزلة العقل ومعهم ابن حزم فيجعلونه اصلا للنقل ، والنقل تابعا له ، ومعناه ان العقل متحكم فى الوحى يرفض مايشاء منه ويأخذ مايشاء ، ويشكك فيما شاء من ذلك او يؤوله تاويلا لايتفق مع النص • ويؤله السبئية فى شخص على ابن ابى طالب كرم الله وجهه العقل البشرى ومعهم الشيعة • ويخرج الخوارج على كل هؤلاء وذلك ماسياتيك بيانه تفصيلا انشاء الله

حاضر الإسلام والمسلمين في الهند

الهند ثالث دول العالم من حيث عدد المسلمين ، بعد اندونيسيا وباكستان ويبلغ عددهم فيها حوالى ستين مليون نسمة • وهم يشكلون اقلية قوية كبرى فى وسط مجموع سكان الهند البالغ عددهم أربعمائة مليون نفس ، ومن ثم يعتبر المجتمع الاسلامى فى الهند الحاضرة جزءا حيا من جسم العالم الاسلامى الذى يربطه برباط وثيق من الدين والايمان والاخوة الروحية ، فاذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى •

الأستاذ محيي الدين الألوائي

واما الهند فقد اتخذت لنفسها دستورا علمانيا لايقوم على أساس دينى رسمى ويخول الحرية لجميع المواطنين حق الاحتفاظ بعقيدتهم ، والدعوة الى مبادئهم ، ونشر ثقافتهم الخاصة ، ومن هنا تقع على عواتق هذه المجموعة الاسلامية الكبيرة مهمة المحافظة على كيانهم الاسلامى وتراثهم الدينى ، ونشر العلوم الاسلامية واللغة العربية ، التى هى لغة القرآن ، وعلوم الدين الحنيف ، وفضلا عن أنها تساعد على توثيق عرى التفاهم والتعارف بين المجتمعين العظيمين العربى والهندى • فارى أن أقدم على صفحات « منبر الاسلام » الغراء نبذة عن حاضر الاسلام والمسلمين فى الهند ، ومساعيهم المتواضعة لنشر الثقافة الاسلامية والعلوم العربية فى أنحائها :

للبحث عن دخول الاسلام فى الهند ، وانتشاره فى ربوعها جانبان مستقلان ، يختلف كل منهما عن الآخر ، فبينما يتناول الجانب الاسلامى المحض ، من حيث وصوله اليها ، وعن الجهود التى بذلها الدعاة المسلمون فى سبيل نشره فى أوساط الامة الهندية والدعوة اليه بطريقة سلمية ، وبطريق الموعظة والارشاد ، يتناول الجانب الآخر الفتح الاسلامى ، وحكم المسلمين فيها • واما الجانب الاسلامى الخالص فهو اوسع نطاقا ، وأعمق أثرا فى تاريخ الاسلام والمسلمين فى شبه القارة الهندية ، ويرجع فضل الانتشار الواسع لهذا الدين الحنيف فى هذه البقعة الواسعة الارجاء الى دعاة من المسلمين ، العرب والهنود ، الذين تشبعوا بروح الاسلام السمح ، وبذلوا جهودا جبارة فى سبيل نشر دين الله المتين ، فى كل بقعة نزلوا فيها وكان رائدهم فى ذلك قوله تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » • وبدأت هذه الجهود الفردية فى الهند قبل الفتح الاسلامى الاول ، الذى قام به محمد بن القاسم الثقفى فى نحو عام ٩١ من الهجرة النبوية فى شمال القارة الهندية ، فلا يرجع فضل انتشار الاسلام فيها الى الملوك والاباطرة المسلمين الذين قاموا بفتوحات فى القارة الهندية ، وشيدوا امبراطوريتهم فيها ، بيد انهم تركوا بعض الآثار الاسلامية القيمة من المساجد الفخمة والقلاع الجبارة ، واسدوا خدمات لاحياء بعض العلوم والفنون والآداب ، وأضافوا بابتكارات علمية وفنية فى تاريخ الهند المجيد •

الهند قطر قائم بذاته من الناحية الجغرافية ، ولكنها من ناحية الاتساع وحدودها الشاسعة بمثابة قارة كاملة ، فحجمها يساوى تقريبا القارة الاوروبية ، وأنها اكبر من بريطانيا بعشرين مرة ، ومجموع سكان الهند يعادل خمس سكان العالم ، والمسلمون فيها منتشرون فى مختلف المقاطعات البالغ عددها ستة عشر ولاية حسب التنظيم الجديد للادارة الهندية ، وهى :

١ ـ آسام
٢ ـ أندهرا
٣ ـ أوريسا
٤ ـ أترابرديش
٥ ـ بنغال الغربية
٦ ـ بنجاب الشرقية
٧ ـ بيهار
٨ ـ حجرات
٩ ـ كشمير
١٠ ـ كيرالا
١١ ـ مهاراشترا
١٢ ـ مدهيابرديش
١٣ ـ مدراس
١٤ ـ ميسور
١٥ ـ راجستان
١٦ ـ ناجالاند

وهناك مناطق تجرى تحت الحكومة المركزية مباشرة ومنها « دلهى » عاصمة الهند • ولا يوجد منها ولاية

تشكل أغلبية سكانها من المسلمين الا ولاية كشمير ٠
ومن المناطق التى فيها مراكز اسلامية وهيئات علمية خاصة للمسلمين ، منطقة « ملابار » فى كيرالا ، وحيدر آباد ومدراس وبومباى ، واحمد آباد ، وكلكتا ، وبيهار ، ودلهى ، وبهوبال ، ورامبور ، وعليكرة ، وديوبند ، وأعظم كره ، وميسور ٠

وتجد فى الهند الحاضرة جميع الاديان السماوية وأتباعها ، من الاسلام والمسيحية واليهودية ، وكذلك الاديان الوضعية القديمة ، مثل البوذية والهندوكية والسيخية والجينية والزردشتية والمجوسية والبهائية وغيرها ٠

وجدير بالذكر ان الهند تضم جميع الفرق الاسلامية المشهورة مثل السنية والشيعة وأهل الحديث والروافض والقاديانية ، مع جميع الفروع للمذاهب السنية من الحنفية والشافعية الخ ٠٠ ومذاهب الشيعة بمختلف طوائفها مثل الامامية والفاطمية والاثنا عشرية والاسماعيلية ، وغيرها ٠ وهكذا تعتبر الهند ملتقى الاديان ومظهر الثقافات العديدة ٠ ويرجع الفضل الاكبر فى هذا الوضع الفريد الذى تمتاز به هذه البقعة الى طبيعتها المتسمة بالتسامح والبساطة ، والترحيب بما يرد اليها من ثقافات وحضارات ودعوات تلائم طبيعتها

ويشير التاريخ الى ان الاسلام وجد ارضا خصبة فى أرجائها لنشر دعوته فى جو من الحرية والامان ، وتفتحت زهور هذه الدعوة فى ربوعها ، وأثمرت ثمارها اليانعة بدون أى صدام مع الاديان المحلية القديمة ومعتقدات أهاليها ، واكبر دليل على ذلك ، الجاليات الاسلامية الكبرى المنتشرة فى السواحل الهندية الجنوبية والغربية ، التى كانت مواطن المهاجرين العرب الاولى ، ومركز الدعاة المسلمين الصالحين ٠ ولا يشهد التاريخ بوقوع اى غزو دينى او صدام طائفى هناك بين أتباع الاديان المختلفة ٠

والذى يتضح من التاريخ أن اول وفد من الدعاة المسلمين العرب الذين وصلوا الى الهند تحت زعامة « مالك بن دينار » انما كان يشتمل على اثنى عشر نفرا فقط ، ففى عام ١٩٤٧ أى وقت تقسيم شبه القارة الهندية ، عقب الاستقلال ، قد بلغ عدد المسلمين فيها أكثر من مائة مليون نسمة ، مع أنه لم تجر فى الهند يوما من الايام حرب دينية لنشر الاسلام وأن الحروب والغزوات التى وردت عن الاباطرة المسلمين المغول وغيرهم فيها انما هى حروب سياسية محضة ٠ ولم ينشر الاسلام فى طول الهند وعرضها الا طواعية واختيارا ، وبطرق المواعظ والارشاد ، ووجد فى ربوعها أرضا خصبة ليترعرع فيها ، وقلوبا رحبة لترحب به وآذانا مفتحة للاستماع اليه ، فلم يحدث التغيير فى هذا الوضع من التسامح الدينى والالفة الطائفية الا بعد قيام الاباطرة العجم بفتوحات مسلحة ، لتولى مقاليد الحكم باسم الاسلام ، فبدا التعصب الطائفى والاختلاف الدينى يتسرب الى صفوف الطوائف الدينية المختلفة ، واما الحكم البريطانى ، المبنى على مبدأ « فرق تسد » فقد زاد الطين بلة ، وأشعل نار التعصب الدينى والشعور الطائفى بين الهندوس والمسلمين ، فحدثت اضطرابات طائفية عديدة ، وأدت الى فجوة كبيرة بين الطائفتين الكبيرتين فى الهند (الهندوس والمسلمين) وهذا الانقسام الاصطناعى الذى أحدثه الاستعمار واعوانه ادى الى نشأة فكرة تقسيم الهند على اساس الطائفية ، مع أن اربعين مليونا من المسلمين وقعوا فى الهند نفسها وقت التقسيم ، بينما كان عدد المسلمين فى باكستان حينئذ لم يتجاوز ستين مليونا مع أقلية هندوسية !

والذى يتضح من التاريخ المجيد للهند وطبيعة شعبها ايضا ، أن كل دعوة جديدة نافعة ، أو فكرة معقولة مثمرة ، أو ثقافة رفيعة تصل اليها ، يجد فى ربوعها مجالا واسعا وجوا هادئا مادام يتخذ وسائل سلمية وطريقة الدعوة والارشاد مع الحكمة والموعظة الحسنة فى سبيل نشره وتوطيد دعائمه ٠

وبهذه الطريقة يستطيع الاسلام ان ينشر دعوته ويوسع نطاقه فى فى الهند حتى فى يومنا هذا ، فى جو من الاخوة والتسامح بين مختلف طوائف الامة وجماعاتها فضلا عن أن الدستور الهندى الحالى مبنى على الاسس العلمانية الديمقراطية ، ويمنع جميع أنواع التعصب الدينى والشعور الطائفى الذى يثيرهما حينا فآخر بعض الافراد والجماعات المتعصبة المغرضة ٠

وبناء على كون المسلمين فى الهند منتشرين فى مختلف أنحائها الشاسعة على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ، فلا توجد فى الوقت الحاضر ادارة واحدة ، أو هيئة موحدة تجمعهم، وتشرف على شئونهم الدينية والثقافية والاجتماعية بحيث يمكن أن يوصف بأنها بمثابة المركز العام الدينى أو العلمى او السياسى للمسلمين الهنود جميعا ، ومن هنا نرى ستين مليونا من مسلمى الهند موزعين بين الجماعات والهيئات الاسلامية العديدة ، والمدارس الفكرية المختلفة ، وجماعات ثقافية ودينية شتى منتشرة فى طول البلاد وعرضها ، ويرجع السبب الحقيقى لهذا التشتت الكبير الى بعد المسافات ، واختلاف اللغات ، واعتناق آراء الاروقة الاسلامية المختلفة ٠

ومن البشرى والامل أن هناك وثبة مباركة الى مستقبل مرموق للغة العربية وآدابها فى الهند بفضل المعاهد العلمية ، والمدارس العربية التى بدات فعلا تنفيذ المناهج الحديثة فى دروسها ، والاستفادة من مبعوثى الازهر ،

منارة قطب
أقدم الآثار الاسلامية فى الهند

وبفضل الذين عادوا من الجامعة الازهرية والجامعات الاخرى فى الجمهورية العربية المتحدة مسلحين بمقدار كاف من التمكن فى اللغة العربية وآدابهـا ، والعلوم الاسلامية .

وعلى سبيل المثال ، يجدر بالذكر ، من بين المعاهد العربية الاسلامية المنتشرة فى الهند اليوم ، مدراس : دار العلوم بديوبند ، وندوة العلماء - بلكهنو ، ومظاهر العلوم ومدرسة الاصلاح وغيرها « فى شمال الهند » والباقيات الصالحات ، ودار السلام ، والجمالية ، وروضة العلوم ، ومدينة العلوم ، وسلم السلام ، والنورية وغيرها (فى الجنوب) ، وهذا قليل من كثير من المعاهد والمدارس الاسلامية والعربية التى تجرى فى مختلف أنحاء الهند بتبرعات من افراد وجماعات المسلمين ، وبعضها يتلقى مساعدات مالية من الجامعات أو الهيئات الحكومية ، فلكل منها أهميته الاقليمية بحيث لانستطيع ان نعطى لواحدة منها مكانة المركز التعليمى أو الدينى العام الذى يشمل المجتمع الاسلامى كله فى شبه القارة الهندية ، ويقوم بمثابة الهيئة العليا العلمية التى تضم جميع المدارس الفكرية فيها ، وهذا الوضع الخاص يتطلب برنامجا مدروسا شاملا اذا أردنا تعميم نشر اللغـة العربية والعلوم الاسلامية فى كل منطقة منها جالية من المسلمين فى الهند وهذا مايسعى اليه الآن كل من يهتم بشئون حاضر الاسلام والمسلمين فى الهند ، ويجب على الازهر والمجلس الاعلى للشئون الاسلامية ومجمع البحوث وغيرها ، من الهيئات الاسلامية والعلمية والثقافية ، أن تضع نصب عينيها هـذه الاعتبارات الخاصة ، الاقليمية واللغوية والفكرية ، لمسلمى الهند ، اذا أرادت أن ترسل نور العلم والعرفان ، وترفع صوت الاسلام وتنشر التعاليم الاسلامية الحقة ، والآداب العربية الحديثة بين أوساطهم ، وتوثق الروابط الاخـوية ، وتوطد الصلات الروحية والثقافية مع المراكز الاسلامية والمعاهد الدينية ، والمدارس العربية وأساتذتها وطلابها ، فى الهند

والدراسات الاسلامية والعربية فى الهند تجرى على طريقتين ، الاولى : بطريق المدارس والمعاهد التى تقـوم على المساعدات الخيرية والتبرعات الاهليـة ، وكذلك بطريق الحلقات الدراسية التى تجرى فى المساجد والتكايا الاسلامية فى مختلف أنحاء الهند حسب النظم القديمة ، والثانية : بطريق الكليات العربية التى تجرى تحت اشراف جامعات حكومية ومساعداتها ، الى جانب الاقسام العربية التابعة لبعض الجامعات الحكومية .

وأما لغة التدريس والتفاهم فى هذه المراكز للدراسات العربية والاسلامية فهى اللغات المحلية ، مع أن معظم المواد المقررة هى نفس المواد الدراسية المقررة فى مناهج المعاهد العلمية فى البلدان العربية تقريبـا ، من النحو والصرف والحديث والفقه والمنطق والفلسفة القديمـة والادب والبلاغة والتفسير والتجويد والتوحيد وما الى ذلك ، ولكن مستوى مقدرة الاساتذة والطلاب فى ممارسة اللغة العربية وآدابها ضئيل جدا مهما طالت مدة الدرس والتدريس ، لعدم تمشى البرامج الدراسية طبقا للمنهج الحديث للتعليم . وكذلك لانسياقهم وراء اللغـات المحلية ، دون العربية فى الفصول المدرسية .

ولهذا فان هذه المدارس فى أشد الحاجة للحصول على أساتذة ومعلمين ينفذون برامج دراسية طبقا للمنهج الحديث فى الاقطار العربية الناهضة ، والى مجموعات من الكتب الدراسية الموضوعة حسب المنهج الحديث ، فى مختلف العلوم والفنون لتحل محل الكتب القـديمة المتداولة الى الآن .

وفى هذه المناسبة اريد أن أذكر - على سبيل المثال - بعض الجامعات الحكومية التى فيها اقسام خاصة للغة العربية والدراسات الاسلامية ، ومنها جامعـة عليكرة والجامعة العثمانية بحيدر آباد وجامعة مدراس ، وجامعة بيهار ، وجامعة لكهنو ، وجامعـة الله آباد ، وجامعة كلكتا . ومن المدن الرئيسية التى فيهـا معاهد لهذه الدراسات ، ديوبند - لكهنو دلهى - حيـدر آباد - مدراس - بهوبال - كلكتا - ملابار - بومباى - ميسور - بريلى - وكشمير .

ومن المكتبات الشهيرة التى تضم مجموعة كبيرة من الكتب العربية والاسلامية ، خطية ومطبوعة ، مكتبة الجامعة العثمانية فى حيـدر آباد ، ودائرة المعارف الاسلامية فيها ، التى تقوم بنشر الكتب العربية القديمة القيمة ، وطبع المخطوطات العربية من شتى أنحاء العالم ، ومنها مكتبة خدابخش فى ولاية بيهار والمكتبة المركزية فى كلكتا ، ومكتبة دار المصنفين باعظم كره ومكتبة دار العلوم بلكهنو ، ومكتبة ديوبند ، وندوة المصنفين بدلهى ومكتبة جامعة عليكرة الخ .

ويمكن ان تقسم الهيئات الاسلامية فى الهند ، باعتبار اهدافها ومقاصدها ، الى هيئات تهتم بالشئون الدينية والثقافية والسياسية معا فى برامجها ، وأخـرى تهتم بالشئون الدينية والثقافية فقط ومنها مايدعو الى التمسك بالتقليد والآراء الفقهية القديمة ومنها جماعات متحررة تدعو الى استخدام العقل فى فهم القرآن والحـديث ، ونبذ التقليد وفتح باب الاجتهاد ، ولكل من هذه الدعوات والحركات أتباع كثيرون ، ومن حيث المجموع يمكن ان يقال بان هذه الهيئات ، وتلك المدارس الفكرية تقوم بجهود جبارة ، وتلعب دورا هاما فى المحـافظة على التراث الاسلامى ، واحياء العـلوم والآداب العربيـة والاسلامية .

ومن بواعث السروران مسلمى الهند ، مازالوامتمسكين بروح الاسلام وحماسة العلم اللتين قد اشتهروا بهما فى العالم الاسلامى منذ ان توطدت دعائم الاسلام فى شبه القارة الهندية التى خرجت فطاحل علمـاء الحـديث والتفسير والفقه والتصوف الذين ساهموا مساهمة فعالة فى سبيل تنمية الثقافة العربية الاسلامية ، ومن ميزاتهم التمسك الشديد بالشعائر الاسلامية ومظـاهرها ، والاهتمام البالغ بالآداب . الاسلامية المعروفة مثـل تربية اللحى ، وستر الرأس بالعمامة أو بالقلنسـوة ، والتزام زى رجال الدين التقليدى من القميص الطويـل والسروال والجلباب ، ولو كان كثير من الطبقات المثقفة والمتنورة والملمة بروح الاسلام الحقة لايعطون أهمية ، أكثر من اللازم لهذه المظاهر ، فانهم أيضا يتمسكون بها رغبة منهم بالتزام الآداب الاسلامية كاملة غير منقوصة وهذه ظاهرة محببة ، وقدوة حسنة يمتاز بها المسلمون الهنود .

وآخرا - وليس اخيرا - أرجو ان اقوم بتطواف سريع حول العلاقات الروحية والثقافية القائمة منذ القدم بين العرب والهند ، وازدهرت هذه العلاقات فى عصـور الاسلام الزاهرة .

يقول العلامة الامام الشهرستانى المتوفى عام ٥٤٨ هـ فى كتابه : الملل والنحل ، فى معرض تقسـيم أهل العالم :

منهم من قسمهم حسب الامم فقال : كبار الامم اربعة العرب والعجم والروم والهند ، ثم زاوج بين أمة وامة فذكر ان العرب والهند تتقاربان ، على مذهب واحد ، واكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية »

ومن هنا كانت النظريات الى الامور والحكم عليهـا متقاربة على نهج واحد ، ومن ناحية اخرى كانت منتجات الهند ومحصولاتها موضع اهتمام العرب منذ عهود بالغة في القدم فتطورت تلك الروابط ، وتبلورت حسـب تقلبات الزمن حتى صارت موثقة العرى وموطدة الاركان قبل مجيء الاسلام في جزيرة العرب ودخوله الهند ، كما ظهر ذلك جليا من كثرة ورود الاشياء الصادرة من الهند الى العرب ، في قصائد الشعراء العرب القدامى ، وفي منثوراتهم .

وكان العرب يفدون الى سواحل الهندالغربية ـ جماعات وفرادى ـ وينقلون محصولات الهند الى سـوريا ومصر بطريق الحجاز واليمن . ويقول المؤرخون ان صوت الاسلام وصل الى سواحل الهند الغربية الواقعة على شاطىء بحر العرب في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل وان رسول الاسلام قد بعث ، من ضمن الرسائل التي وجهها الى الملوك والامراء ، رسالة الى ملك « ملابار » بجنوب الهند . ويقال ان اول خطاب من الرسول العربي وصل الى الملك في عام ٦٢٨ للميلاد وقيل ايضـا ان ملك « كدنغلور » في كيرالا ، زار النبي العربي في السابع والخمسين من عمره ، وفي ذلك الزمن وصل أيضا الى الساحل الغربي للقارة الهندية جماعة من دعاة المسلمين العرب وجابوا في انحائها داعين الى الاسـلام ومبشرين بالدين الجديد ، ونشر اللغة العربية وآدابها ، وهكذا يستلهم حاضر الاسلام والمسلمين في الهند من سيرة هؤلاء الامجاد ، الطريق الى مستقبل زاهر ميمون .

منظر داخلي للمسجد الجامع في بهوبال

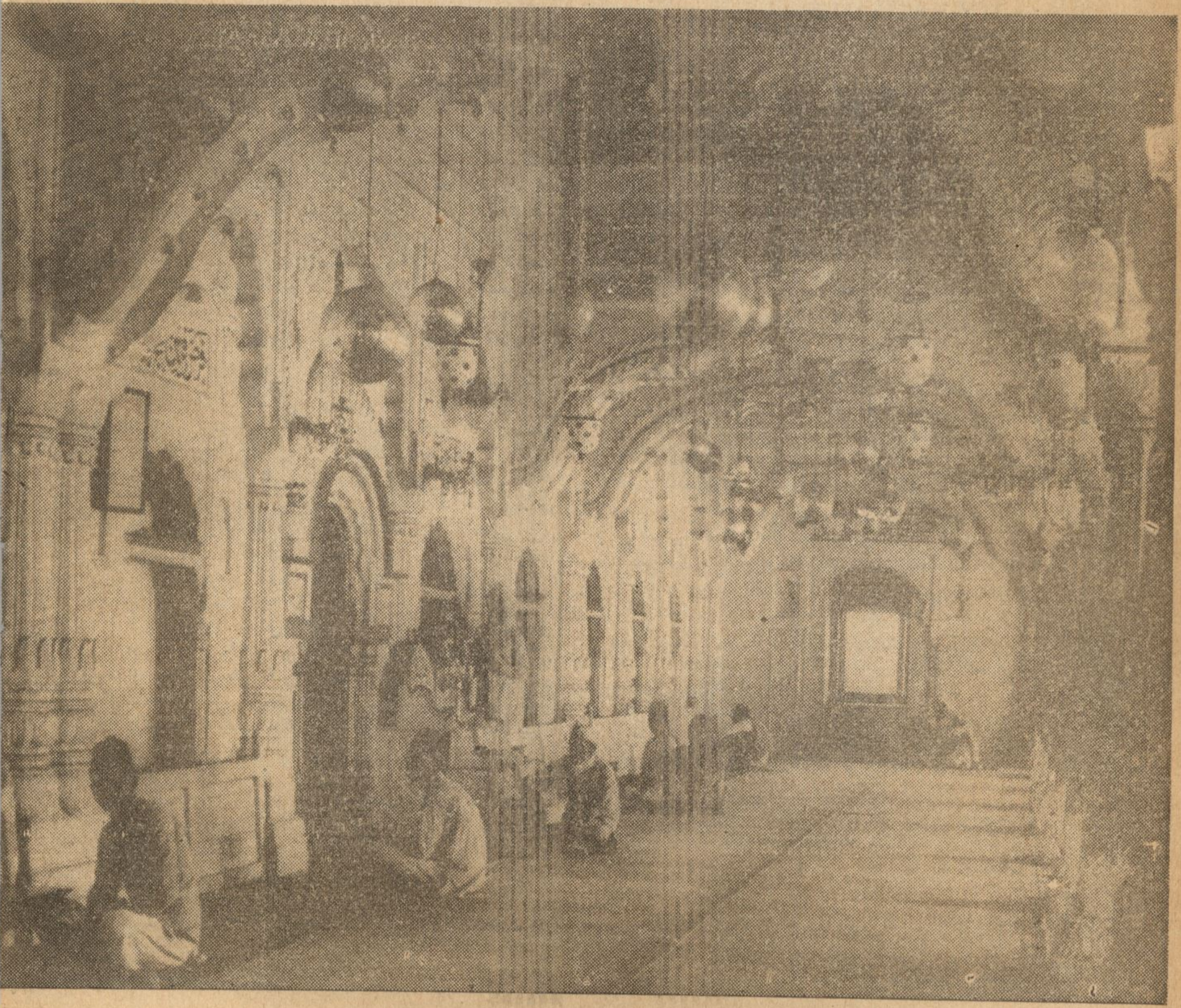

العلم ومشكلة تزايد السكان في العالم

الدكتور عبد الحليم منتصر

تتعالى الصيحة فى كل رجا من ارجاء العالم محذرة من عواقب تزايد عدد السكان فىالعالم، وان الارض لن تفى قاطنيها ، وقد نظمت اخيرا الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون حلقة علمية ، لدراسة موضوع خصب الانسان واثره فى تزايد عدد السكان فاجتمع نفركبير من أعلام الطب والعلوم والاقتصاد والاجتماع لدراسة هذا الموضوع الهام الذى اسموه « الانفجار السكانى » • فقدكان من أثر التقدم الهائل فى وسائل الحفاظ على الصحة العامة ، ومعالجة الآفات والاوبئة والامراض ، انزاد عدد المواليد بالنسبة لعدد الوفيات زيادة هائلة ، بل غدا معدل زيادة هؤلاء على اولئك يتزايد سنة بعد أخرى ، وحتى اذا حافظ الانسان على هذا المعدل فى الزيادة وهوحوالى ٢٪ سنويا ، فمعنى ذلك أن عدد سكان العالم سيصل الى ١٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة فى مدى قرنين من الزمان ، أى أن عدد سكان العالم سيزيد خمسين ضعفا فى هذهالحقبة وهى ليست طويلة فى اعمار الشعوب

وللمشكلة وجهان فيما نرى ، يلعبفيها دوره البارع بمهارة فائقة ، وما أشك فى أنه سينجح فى ايجاد الحل الملائم ، الذى يقى الانسانية شر هذا الخطر الذى يوشك ان يحيق بها •

أما الوجه الأول فهو ان يعمل العلم على زيادة الانتاج بنسبة تقابل هذه الزيادة المطردة فى اعداد السكان • ولذلك طريقان الاول زيادة الرقعة المنزرعة ، فما تزال هناك مساحات شاسعة من سطح الارض لم تستزرع بعد ، بعضها صالح للزراعة ولكنه لا يجد الماء الكافى للرى ، وبعضها صخرى أو رملى ليس من السهل استزراعه على المدى القريب وهذا وذاك لابد من أن ينجح العلم فىزراعته ليعطى من الغلات ما يشبع الافواه الجائعة • فلا بد من اقامة الكثير من الخزانات والسدود التى تحفظ مياه الانهار فلا تذهب بددا ، ولابد من تنظيم القنوات المائية فى الرى ، حتى لايكون الاسراف فى ماء الرى سببا فىضياع الماء العذب سدى وها هو ذا العلم يفتح بابا جديدا للاستفادة من ماء البحر ، باستغلال الطاقة الذرية فى تحويلهالى ماء عذب ،وعندما ينجح العلم فى هذا التحويل بنفقات معقولة مقبولة ، فان ملايين الافدنة من الصحارى الشاسعة ستتحول الى مزارع تفيض على سكان الأرض يوافر الغلات من حبوب وثمار وفاكهة وخضروات •

وثمة ناحية أخرى لاستغلال البحار الشاسعة التى تزيد مساحتها على مساحة اليابس من سطح الارض وذلك باستخراج مكنوناتها من اسماك وحيوانات ونباتات مما يعمرها على مختلف الاعماق • فضلا عما هو ذائب فى مياهها من إملاح ، او رواسب فى قيعانها من معادن لاشك أن استغلالها واستنباطها سيفى خيرا وبركة على الانسانية•

وهناك ميدان أخر يلعب العالم فيه دوره بمهارة فائقة لزيادة غلات الأرض المنزرعة فعلا وذلك باستنباط السلالات والاصناف الأوفر غلة ، والاكثر مقاومة للامراض والآفات ومازال العلم يأتينا كل يوم بجديد فى هذا الميدان الفسيح ، من انتاج سلالات من القمح

أو الذرة أو الارز أو الشعير أو القصب تعطى من الغلة مايزيد بنسب تتراوح بين عشرين أو ثلاثين فى المائة من المعدل • كما ان علاج الآفات أو الامراض التى تصيب هذه المحاصيل يزيد من انتاجها بنسبة تصل الى نحو عشرين أو ثلاثين فى المائة مرة أخرى • ثم أن مايبتكره العلم من تحسين فى وسائل الرى والصرف ، ومن استعمال الاسمدة وكيماويات جديدة ، او من مبيدات فطرية او حشرية للافات والأمراض التى تصيب المحاصيل من حبوب وخضروات وفاكهة ، فتنقذ المحاصيل لتسد حاجة المجتمعات البشرية • ومن شأن هذه الوسائل جميعا ان تضاعف الانتاج ليفى بحاجة المجتمع •

وليس من شك فى أن التقدم العلمى ، وتتابع نجاح البحوث العلمية ، فى استنباط السلالات وعلاج الآفات وزيادة الرقعة المنزرعة ، بل وابتكار البديلات من الياف صناعية لتوفير الأرض التى كانت تنتج الياف القطن والتيل والكتان وما اليها ، ومطاط صناعى ، توفر الارض التى كانت تزرع باشجار المطاط ، والاصباغ الصناعية لتوفر الارض التى كانت تزرع بنباتات النيلة وغيرها من شأن ذلك كله أن يوفر مساحات من الأرض لتزرع بالحبوب والخضروات والفاكهة •

أما الوسيلة الأخرى لحل المشكلة ، فتكون بالعمل على الحد من خصب الانسان نفسه ، وذلك بتنظيم أو تحديد نسله حتى لاتخرج الى الوجود هذه الافواه الباحثة عن الطعام ، والتي تولد مستعدة لتناول الطعام فورا ، على حين لا يستطيع اصحابها انتاج شىء منه الا بعد أن يشتد عودها بعد أعوام واعوام تكون فيها عالة على المجتمع •

وقد عرف العلم كيف يستفيد من تجاربه على مختلف أنواع النبات والحيوان ليحد من تكاثرها ، فقد تبين أن سرعة التكاثر فى الكائنات المجهرية الدقيقة تفوق كل تصور حتى أن خلية بكتيرية واحدة تستطيع اذا واتتها الظروف ان تنتج اطنانا من المواد البكترية فى اليوم الواحد ، ومن نعم الله ان تلك الظروف لا تواتى ابدا ولقد استطاع الانسان بالعلم ان يحد من هذا التكاثر بالكيماويات والمطهرات والحرارة وما اليها ، كما استطاع أن يحد من تكاثر الحشرات باستعمال المبيدات أو النظائر المشعة فى وقت انسالها وكثيرا ما نجح فى وقفها عند حد لاتتعداه ، والا أتت على الحرث والنسل • وعرف العلم أيضا ان بعض الحشرات ينتج من المواد ما يحفظ التوازن المنشود فان التزايد الفائق ، يؤدى الى زحام هائل ، وحينئذ تنتج الحشرات غازات تقتل يرقاناتها ، كما ان رائحة هذا الغاز تنفر من التزاوج ، وتمنع فقس البيض • ووجد أن بعض الثدييات تتميز فى تكاثرها بوجود دورات خاصة ، تتصل فيها هذه الحيوانات الى الذروة فى الانتاج ، ثم يعود انتاجها الى الحضيض وذلك فى مدى بضع سنوات ثم تتكرر الدورة مرة أخرى وهكذا •

وكان من نتائج البحوث والدراسات فى هذا المجال أن عرفت أخيرا حبوب منع الحمل أو الحد من الخصب ، منها مايستعمله النساء ومنها مايستعمله الرجال فضلا عن ارتفاع الوعى الصحي والثقافي مما من شأنه أن يحد من هذا التكاثر ويوقف هذا الانفجار السكانى عند حد •

ولعلنا أن نذكر فى هذا المقام ما تنبأ به « مالتى » منذ نحو قرن ونصف قرن من الزمان ، حين حسب أن السكان يتزايدون وفق متوالية هندسية وبذلك يتضاعف عددهم كل حين من الزمان ، وتنبأ بمجاعة فاجعة تحيق بالانسان وكارثة كبرى تعم الانسانية . ولكن ما تنبأ به لم يقع وذلك بفضل جهود العلماء فى تحسين وسائل الانتاج وزيادة الغلات ، مما جنب الانسانية شرور المجاعة وويلاتها •

ولا مراء فى أن العلم سيضطرد نجاحه حتى يتغلب على مشكلة تزايد السكان وهو الذى ثبت نجاحه حتى الآن فى كل ماعرض له من مشكلات ، وذلك بفضل جهود العلماء الذين يعملون دائما على تخليص الانسانية مما تتعرض له من محن وأنهم ليعملون فى المجالين معا ، زيادة الانتاج والحد من خصب الانسان والله ولى التوفيق •

ذكرى حطين في شعر الكاظمي

الأستاذ على الجمبلاطى

اذا ذكر شعراء الطبقة الأولى بين دعاة الحرية في بلاد الشرق كان « شاعر العرب » السيد عبد المحسن الكاظمى فى طليعة هؤلاء الشعراء ففى سبيل الحرية هاجر من وطنه العراق وفارق أهله وماله وفى سبيل الحرية عاش غريبا فقيرا بعد العز والغنى .

وقد ولد شاعرنا الشامخ فى بغداد عام ١٨٧٠ وفيها نشأ بين أحضان النعيم وتعلم فى معاهدها ، وكان شاعرا بفطرته وبنوع من الوراثة ، فقد روى عنه أن نسبه من جهة الام يتصل بالشريف الرضى وكانت عنده من الشريف ملامح فى شعره وأخلاقه ، وتجلت شاعريته منذ الطفولة الباكرة . وكان بفطرته الشعرية شديد الاستعداد للحماسة والتعلق بالمثل العليا . ولذا لم يكن عجيبا أن تتوثق الوشائج بينه وبين السيد جمال الدين الافغانى عندما نفى الافغانى بالعراق وتأثر بآرائه الطامحة وجاهر بنواقص الحكم آنذاك وقد جعلت هذه الصلات من الكاظمى الشاب الوديع ربيب النعمة بطلا من أبطال الحرية يتغنى بأناشيدها ويرفع لواءها فى بلد لم يكن يذوق طعم الحرية .

هتف الكاظمى بذكر الحرية فى رسائل ألفها وقصائد نظمها فأصابه ما يصيب دعاة الحرية فى بلاد الاستبداد ، وحاق به الخطر من كل جانب ، فغادر وطنه هربا من اضطهاد السلطات التركية وملاحقتها له ولصاحبه السيد جمال الدين الأفغانى .

وفى هذه الفترة نلمح فى شعره تبرمه من حالة وطنه ، ورغبته فى تركه حيث يجد الحرية التى ينشدها والانطلاق الذى يسعى اليه فلاذ بالوكالة الايرانية فى بغداد ، وهاجر من وطنه العراق عام ١٨٩٧ الى ايران فالهند وانتهى به المطاف الى مصر عام ١٨٩٩ .

وقد صقلت هذه الأسفار ذوق الشاعر الموهوب وأذكت خياله وزادته ايمانا بحاجة الشرق الاسلامى الى دعوة الاصلاح والحرية ، ولما حل بمصر رأى على ضفاف النيل الخالد شعبا فى ملامحه أصالة الشعوب المناضلة واسترعت نظره نهضة الاصلاح التى كان يحمل مشعلها الامام محمد عبده فصحبه ، ولقى عنده حظوة كبيرة . وقد أحب الكاظمى مصر لاول ما رآها ، على انه كان يذكر العراق ، وطنه المهجور ، فتهيج له هذه الذكريات آلاما فيقول :

وكم قائل سر نحو مصر تر المنى
وانت على كل البلاد أمير

فقلت لهم والدمع منى مطلق
أسير وقلبى بالعراق اسير

وكما كان هذا القلق النفسى يهز شاعرية الكاظمى فيفيض شعره رقة وحنانا ، كان اعجابه بمظاهر الاصلاح فى مصر يهز حميته لدعوة الاصلاح والحرية فيفيض شعره حماسة وعروبة .

وفى هذه الحقبة من حياته المحفوفة بالآلام الروحية جاد شعره وسمق قريضه وكان من الطراز الأول فى روعة أسلوبه وسلطانه على القلوب ، وكانت نفسه السرية تطوع المعانى فى كل أغراض القريض بغير كلفة فكان آية فى ارتجال الشعر الجيد المعصوم من الاسفاف فلا تلمح أثر الارتجال فى تلك المطولات المجودة بل كان يفيض شعره عن بديهة وكأنه الهام تعجز عنه روية الآخرين . وكانت قصيدته « نعم أهل مصر أنتمو خير أمة » هى أول قصيدة نشرت له فى مصر فعرف بها وأكدت مكانه المرموق فى عالم الشعر ، وفيها وفى قصيدتيه التاليتين لها يصف مجمل رحلته من العراق ومروره على ايران والهند ثم وصوله الى مصر .

وتلمح شدة عاطفته الدينية ونجدته للشعوب الاسلامية ضد العدوان الذى كان مصحوبا بالتعصب الدينى فى تلك الحروب فى قصيدته التى نظمها فى حرب البلقان عام ١٩١٢ وعنوانها « حرب الحياة الباقية » .

وفى عام ١٩١٦ ، وعندما تأججت الروح القومية العربية فى الصدور وتجلت متمثلة فى انفجار الثورة العربية كان الكاظمى حاملا لواء تلك الثورة من ناحية الادب بالاغاريد التى كانت تنشر بين صفوف الثوار ، كما نرى أهازيجه الحماسية التى كان ينظمها فى الدعوة للوحدة العربية حتى سمى « شاعر العرب » ، ومن ذلك قوله :

جميع العرب اخوان فهذا
لهذا فى العلى أقوى ضمان

متى كنا جميعا فى بناء
بلغنا الشامخات من المبانى

وحين روع العالم العربى فى عام ١٩٣٥ بفقد شاعر العرب السيد عبد المحسن الكاظمى أشفق أهل الادب على شعره أن يضيع لانه لم يعن فى حياته بجمعه ، وكان الكثير منه كما قدمنا ارتجالا عرضة للضياع . ولكن كريمته البارة الاديبة « رباب الكاظمى » أحسنت الوفاء للادب العربى فجمعت شعر والدها الجليل وأخرجت المجموعة الأولى من تراثه الخالد ومن تلك المجموعة مجموعته العصماء هذه النفحة من نفحات الشعر العربى الرائع « ذكرى حطين » التى نظمها شاعرنا الاكبر بمناسبة ذكرى « صلاح الدين » .

و « واقعة حطين » وهى قصيدة شماء تمر مع الاجيال وتظل محتفظة بسحرها وقوتها لما فيها من الهام

للعواطف واثارة للهمم ، وقد أذيعت فى صحيفة « كوكب الشرق » فى السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٣٢ ، وقد استهلها بحديثه عن نفسه الاسيرة فى محبس الدنيا وقد مله أصحابه رغم حفاظه عليهم ، فكانوا بالنسبة له العلة التى يداوى بها سقامه فيقول :

ردد الذكرى وحيا البطلا
ومضى فى قوله مسترسلا

شاعر مطلقة أدمعه
وجد الدنيا له معتقلا

لم يجد من صحبه ما وجدوا
سأما من صحبة أو مللا

راح يستشفى بهم من علة
من رأى العلة تشفى العللا

ثم يعلن انه ناء بحمله لولا همة البطل الناصر صلاح الدين التى أذكت روحه وذكرى البطل التى منحته من خلودها ما مد فى أجل الشاعر ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن صلاح الدين البطل الذى ارتفعت على يديه راية الاسلام وتوحد الصف العربى واندحر الخطر الصليبى، وهنا نترك الشعر يترجم عن خلائق الناصر السامية ومآثره الخوالد التى طاب فى الدنيا شذاها حتى زهت بعهده الايام حين ذلل العقبات فرحلت عن أمته كوارث الزمان وصار غرة فى جبين الدهر فيقول :

لم يعد للحمل لولا بطل
بهر القدرة فيما احتملا

جعل الهمة فينا همه
وقصارى الحر فيما جعلا

فاذا ما قصرت آجالنا
مد من ذكراه فينا أجلا

حيه والشرق فى أسر الاسى
حيه فينا طليقا جذلا

حى أخلاقا اذا ما ذكرت
أذكرتنا الانبياء الرسلا

ومزايا أينما هبت صبا
طاب فى الناس شذاها وحلا

حى عهدا زهت الدنيا به
وخلت أطوارها لما خلا

بطل راض المصاعيب وما
زال حتى طاوعته ذللا

نازلات الدهر عنا ارتحلت
ان « صلاح الدين » فيها نزلا

فى جبين الدهر منه غرة
تملأ السهل سنا والجبلا

نترك الشعر لنقول عن البطل الناصر صلاح الدين انه كان الشمس التى بزغت فى دنيا العرب وسط الضباب المتكاثف ، وان عام ١١٧١ هو الذى حدد مستقبل صلاح الدين حيث ورث الجهاد ضد الصليبيين واصبح المسئول الاول عن دفع خطرهم وعن توحيد الجبهة الاسلامية فحمل الامانة وبعد أن رأب الصدع ووحد الصف واصبح العرب جميعا يدا واحدة قلوبهم مطمئنة وارواحهم جنود مجندة سار بهم الناصر لرفع كلمة الله والعروبة .

وابتدأ أولى حملاته على أرض الصليبيين وكانت فعلة « ريجنالد » أرناط صاحب الكرك المتهورة وانتهاكه الهدنة باغاراته على القوافل الاسلامية هى الشرارة الاولى التى بدأت منها الحروب المستعرة على الصليبيين ، اذ ان صلاح الدين أعلن الجهاد الدينى وهاجم حصن الكرك بقوة عام ١١٨٤ ثم عبأ قواته فى هجوم ضخم ضد الصليبيين اتخذ الطابع الدينى .

وكان الهدف الاعظم هو تحرير الاراضى العربية وانقاذ بيت المقدس والصخرة المقدسة .. فبدأت الحرب الدينية ضد الصليبيين الذين ماتت فى قلوبهم الروح الدينية لانصراف الحروب عن هدفها المزعوم مما كشف أنها حروب استعمارية خالصة .

وتغيرت الاوضاع وكسب المسلمون المعركة القادمة لانهم صاروا يقاتلون على أرضهم العربية ليستردوا شرفهم ويستعيدوا أرضهم الطاهرة .

وأدرك الصليبيون أن « أرناط » ريجالند لعب بالنار وسوف تحرقهم كما ستحرقه .

واحرق المسلمون « طبرية » ودمروها ، ولما لم يستطع الصليبيون التقدم اليها توقفوا عند « حطين » فى الرابع من يولية عام ١١٨٧ ينتظرون المعركة الفاصلة فى الغد بقلوب واجفة وقد أخذ سعار العطش وحرور الصيف منهم كل مأخذ ، وقد أخذ المسلمون يهللون ويكبرون طول ليلهم ، وهنا نقدم الأبيات التى ختمها الشاعر باستنجاده بالبطل صلاح الدين لينقذ بلاد الشرق مما حاق بها فيردد ذكرى فتوحه المجيدة :

سل « صلاح الدين » عن افعاله
فهو ادرى بالذى قد فعلا

كيف كان السيف هتكا للطلى
كيف كان الرمح فتكا فى الكلى

حيث نجم الشرق فيه طالع
حيث نجم الغرب عنه افلا

يا مجير الشرق قم وانظر الى
مدن الشرق واجواز الفلا

أجر الشرق وذد عن حوضه
ورد الحوض نميرا سلسلا

فصل الذكرى ورددها لنا
اجمل الذكرى وصفها جملا

وتنتقل القصيدة الفذة الى الحديث عن « معركة حطين » التى لاقى فيها الناصر صلاح الدين أعداءه يوم الجمعة فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٨٣ هجرية وبدأت الحرب المقدسة التى استبسل فيها العرب استبسالا رائعا وأخذوا يحصدون جيش العدو العطش الخائف ، ودام القتال حتى الليل فلما أصبح الغد حملت قوات المسلمين على الصليبيين من جميع الجوانب ثم أوقدوا النار فى حشائش تلك المنطقة وصاحوا صيحة رجل واحد : الله أكبر الله أكبر ، والقى الله الرعب فى قلوب الكافرين فانكسر الجيش الصليبى وقد حاصرته النيران والدخان واجتمع على اجناده

العطش وقسوة الطقس وحر القتال ، واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذى يسمونه « صليب الصلبوت » .. واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له «تل حطين» ولما تبعهم المسلمون استسلموا للاسر خوفا من القتل .

ولم يجد الملك « جودفرى » واخوه « ريجنالد » سبيلا الى الخلاص فجلسا على الارض مستسلمين . وبلغ نصر المسلمين مداه حتى ان المسلم الواحد كان يأسر ثلاثين صليبيا .

وكانت « واقعة حطين » الفاصلة فلم يهزم الصليبيون هزيمة منكرة مثل هزيمتهم فى هذه المعركة منذ مجيئهم بلاد الشرق عام ٤٩١ بل كانت هذه الموقعة بداية النهاية لدولتهم الباغية . وشاعرنا الكاظمى كما نعرف لم يخرج عن دائرة الشعر العربى الذى يلتمس النواحى العاطفية فى كل ما يعرض له من المعانى فهو لم يعالج من الشعر موضوعات اجتماعية او تاريخية ليعرضها عرضا تاريخيا وفلسفيا ، ولذا رأيناه يجمل هذه المعركة الكبرى فى ستة أبيات هى :

يوم حطين به الحق علا
قام بالفرض به من حفلا
يوم حطين وما أدراك ما
يوم حطين وقد عم البلا
يوم حطين على طول المدى
حده من دمهم ما نصلا
قد سقاهم مترعات صبرا
وسقانا مترعات عسلا
يا لها موقعة فاصلة
قهر الظلم بها وانخذلا
فر لما بطلت حجته
ورأى الكر وذاك البطلا

وان انتصار العرب فى حطين قد وضع الحد الفاصل الذى انحسر عنده المد الصليبى فى البحر المتوسط ، فكنا نود أن يلهم الشاعر الكبير بمثل ما ألهم الشاعر «العماد الكاتب » قصيدته الطنانة التى يقول فيها :

يا يوم حطين والابطال عابسة
وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا
حططت على حطين قدر ملوكهم
ولم تبق من أجناس كفرهم جنسا
بطون ذئاب الارض صارت قبورهم
ولم ترض أرض ان تكون لهم رمسا
وقد طاب ريانا على « طبرية »
فياطيبها ريا ويا حسنها مرسى

ولم ينس شاعر العرب الكاظمى أن يختتم عرضه لمعركة حطين بما كان من سماحة الناصر صلاح الدين حين أمر بارواء عطش الملكين « جودفرى » و «ريجنالد» واطعامهما عند اسرهما وسلك بهما سبيل العدل فعفى عن « جودفرى » ولكنه انتصف للاسلام من «ريجنالد» لان صلاح الدين كان قد نذر ذلك لمجاوزة « ريجنالد » الحد والتجرؤ على الانبياء عليهم السلام ، ولذا قال الناصر حين قتل « أرناط » الباغى : « ها انا انتصر لمحمد منك » .

وبهذا العدل تأمر الحنيفية الغراء خير الشرائع وأبقاها فقال :

ملك الامر فساوى بينهم
وعن العدل بهم ما عدلا
هكذا الاسلام شرع سالم
ملة بالعدل تشأى المللا

وقد أوحت النتائج التى ترتبت على نجاح صلاح الدين الباهر فى واقعة حطين حيث غيرت صفحة التاريخ فاستطاع العرب فيها بفضل وحدتهم أن يستردوا أراضيهم الحبيبة ويطردوا الغاصب منها ويلقوه فى البحر .. أوحت هذه النتائج الباهرة الى شاعر العرب أن يزجى صادق نصائحه لاخوانه العرب حتى يعيدوا أمجاد أسلافهم واخلاد أبطالهم فقال :

أيها العرب أفيقوا وذروا
فى غوايات الهوى من ثملا
قدروا أنفسكم اقدارها
قدروا القول لها والعملا
شاوروا الرأى وان ريع الحمى
شاوروا بيض الظبى والاسلا
لا يغرنكمو عرش سما
رب عال فى الورى قد سفلا
طهروا أوطانكم من طامع
جن فى أطماعه واختبلا
غره مجد وجاه كاذب
خلقوه يوم أغروا الجهلا
وحدوا الامر تصونوا ملككم
ملككم يا عرب مجد وعلا
ثابروا أو تدركوا غاياتكم
أو يسود العدل ما بين الملا
أو يقال الظلم خلى « شامكم »
أو يقال العسف عن « مصر » انجلى
هذه « بغدادكم » قد خدعت
بجديد هو أدنى للبلى
بالغوا فى العدل تحموا وطنا
بالغ العدوان فيه وغلا

ويشهد التاريخ أنه بفضل وحدة كلمة العرب وبفضل وقوفهم صفا واحدا تحت راية واحدة ضد الاعداء فى «معركة حطين» استطاعوا أن يرجعوا عقارب الساعة الى الوراء وأن يعيدوا بلادهم حرة كما كانت قبل طغيان هذا الهول الصليبى فقام شاعرنا داعية الحرية بالدعوة الى هذا الالتقاء مرة اخرى فى طريق المجد تحت لواء قائد ملهم لنحرر الوطن من المستعمر الدخيل ونسجل النصر للامة العربية الكبرى وكأنما كان الشاعر الخالد الذكر ينظر بعين الغيب الى حفيد الناصر صلاح الدين الى البطل الذى دحر الاستعمار ونصر العروبة ، وحمى السلام والاسلام الى رائد الحرية والقومية العربية الرئيس المفدى جمال عبد الناصر فراح يبشرنا بشمائله ومآثره فقال :

أيها العرب تعالوا نلتقى
فى طريق المجد حتى نصلا
نلتقى تحت لواء واحد
سجل النصر له اذ سجلا
ونولى الامر فينا قائدا
يبعث العزم ويحيى الاملا
قائد ان ابهم الامر سطا
أو دجا الخطب أنار السبلا
هو للدين وللدنيا يد
نطلق الايدى وتبرى الشللا
يدفع الظالم عن أوطاننا
ويقيم العدل أو يعتزلا
واذا زلت بنا أقدامنا
غفر الذنب لنا والزللا

فحيا الله ذكرى « شاعر العرب » العظيم وأكرم مثواه فى جنات النعيم .

الإسلام سلوك

وعدنا فى المقال السابق أن نتحدث عن سلوك أصحاب رسول الله ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ على الصورة التى نشأهم عليها صاحب الدعوة ، وهيأهم لنصرة أعظم الرسالات السماوية ، وترك فيهم أساسين لن يضلوا بعدهما ، ما ان تمسكوا بهما : كتاب الله وسنة رسوله .

وقبل أن نقدم بين يدى القارىء صورا وشكولا من هذا السلوك نحب أن نؤكد أن الدين الاسلامى يقوم على العمل ، وأن المسلم الكامل هو من يترجم تعاليم الدين وحقائقه واتجاهاته الى عمل أى سلوك ، فالايمان بوحدانية الله يتطلب الاعتماد عليه وحده والتقديس لذاته العلية .

وقد اثر عن الشعرانى قوله « لو انفض الناس جميعا من حولى ، واهتزت شعرة فى جسمى فقد كفرت بالله »

والدليل على ان سلوك المسلم فى الحياة بالنسبة لاى تصرف هو هدف الدين ، قوله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » و « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

و « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

و « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »

و « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

و « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وغيرها من الآيات الكريمة التى توضح أن العمل هو المقصود من التكاليف مع النية الخالصة للخير دون رياء .

والغرض من ذلك واضح ، وهو أن الدين يهتم بنفع الناس ، وترابطهم وتكافلهم وتعاونهم بحيث يصبحون جسدا واحدا ينعم الجميع فى داخله بالصحة والعافية .

وقد عول الاسلام على السلوك ، من اجل التسامى بالطبيعة البشرية المخلوقة على الأثرة وحب الذات والتسلط ، فهو يساوى بين الشرك « قمة الكفر » وبين الاضرار بالناس .

فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « اثنان تقربهما : الشرك بالله والاضرار بالناس »

ويقول : « من لم تنهه صلاته فلا صلاة له » .

ان تعاليم الاسلام اوضح من الشمس ، والمسلمين فى مجموعهم يعرفونها تمام المعرفة ، بل ان المسلمين يعرفون ادق حياة الرسول وأصحابه لدرجة انه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو فى الاحتضار دخل رجل من أقرباء عائشة زوجه ، وكان بيده سواك يستن به ، فنظر الرسول الى السواك فى يده نظرا عرفت منه عائشة أنه يريد السواك ، فقالت له : أيا رسول الله أتحب أن أعطيك هذا السواك ، فأومأ برأسه : أن نعم . فأخذته عائشة من قريبها فمضغته حتى لينته ، ثم اعطته لرسول

الاستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاستن به فى قوة وشدة ما رأته عائشة يستن بهما من قبل ، ولكنها صحوة الموت .

وترتيبا على ذلك نقول ان الواجب على كل مسلم ان تكون حياته ترجمانا صادقا لما يدعو اليه الاسلام من امر ونهى ، والامر والنهى واضحان ، والحلال بين والحرام بين ، ولكن المطلوب هو أن نبتعد فعلا عن الحرام ونستمسك فعلا بالحلال ، وقواعد الاسلام الخمس مرتبطة ببعضها ، والغرض منها جميعا هو خير الناس .. وغير مقبول ابدا وقطعا ان نقر بالشهادتين ثم لانصلى او نقر بهما ونصلى ، ثم لانؤتى الزكاة ، او نفعل كل ذلك ولا نصوم أو لا نحج مع الاستطاعة اليه .

ونظر الاسلام الى جميع زوايا الحياة وابعادها ، فرسم لها الطريق السوى ، وعالج أمراض النفوس بأفضل الوسائل .

فالولد والمال محبوبان ، ولكن يجب أن نقدم عليهما حب الله ورسوله ، وذلك مراعاة للصالح العام ومن بينه الولد والمال .

ولهذا كانت العقيدة فى نظره أقوى من أواصر اللحم والدم والعصبية .

وتتضح هذه الحقيقة من ترابط المسلمين على عهد الرسول وخلفائه الراشدين ومحاربة المشركين ، ولو كانوا أولى قربى ، والامثلة على ذلك فوق العد والحصر

ففى غزوة أحد خرج من صفوف المشركين عبد الرحمن ابن أبى بكر يطلب البراز فأراد أبو بكر أن يبرز له

فمنعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ذلك قال عبد الرحمن لابيه : انى كنت أراك فأتحاماك فقال : ابو بكر : لو رايتك لما تحاميتك .

وتطوع ابن عبد الله بن ابى بن سلول لقتل أبيه حينما شاع ان النبي قضى بقتله لأنه عاهد وغدر كثيرا ، وكاد للمسلمين ، وكانوا يبغضونه ويتوجسون منه كل شر للاسلام ورسوله ، وهو الذى تولى كبر حديث الافك عن عائشة عن سوء نية للنيل من الدين ورسوله .

ذهب هذا الابن الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال له : « يا رسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرنى به ، فانا احمل اليك راسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل ابر بوالده منى ، وانى لاخشى ان تامر به غيرى فيقتله ، فاقتل رجلا مؤمنا بكافر ، فادخل النار » .

هذه صور - وغيرها كثير - من حياة المسلمين فى صدر الاسلام تفدى العقيدة لدم الولد والوالد .

وقضى الاسلام على فكرة تقديس رءوس القبائل وقروم الجزيرة العربية ، فقد قدم عمر صغار الصحابة على اعظم العظماء من قريش ، اذ حضر بابه سهيل بن عمرو ابن الحارث بن هشام ، وأبو سفيان بن حرب فى جمع من السادة ، وحضر معهم صهيب الرومى وبلال الحبشى ، وهما موليان فقيران ، ولكنهما شهدا بدرا ، وصحبا رسول الله ، فاذن لهما عمر قبل القوم ، وغضب أبو سفيان فقال لصاحبه : لم أره كاليوم قط ... يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ..؟

اما صاحبه فقد قال ، حينما رأى الغضب على وجوه الكبراء : ان كنتم غضابا فاغضبوا على انفسكم ، دعى القوم الى الاسلام ودعيتم ، فأسرعوا وأبطاتم ، فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم .

وما كان لعمر ولا لغيره من المؤمنين حقا الا ان يلتزموا هذا الموقف ، استجابة لقوله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » و « فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

المـــــال

فاذا عرض سلطان المال وقداسته ، وهو اس كل بلاء اذا احتجز دون الناس ، واس كل خير اذا أنفق فى سبيل الله وصلاح المجتمع وخدمة الانسانية ، ألفينا أبا ذر الغفارى يقول لمعاوية :

- ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟

قال معاوية :

- يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله ، والمال مال الله والخلق خلقه والامر أمره ..

قال أبو ذر : فلا تقله .

قال : فما تقول ؟

قال : لا اقول انه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين .

وابو ذر يقصد بذلك الا يحتجن معاوية مال المسلمين وابو ذر هو الذى قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - : فى أمتى على زهد عيسى ابن مريم .

كان أبو بكر غنيا ، فانفق ماله فى تحرير الارقاء ، وحينما تولى امور المسلمين اكتفى بأقل القليل الذى يسد حاجة عياله ، وقنع عمر بدراهم معدودات ، وبذل عثمان المبالغ الطائلة فى تعبئة جيوش المسلمين . وتصدق فى قحط فى زمن ابى بكر على فقراء المدينة ببر وطعام حملته ألف راحلة من الشام ، وسلك على مسلك أبى بكر وعمر .

وفرض عمر لكل لقيط مولود مائة درهم من بيت المال ، واعطى الصدقات للمساكين من أهل الكتاب .

الدين هو كل شيء

بعث عمرو بن العاص عشرة نفر من بينهم عبادة بن الصامت ، لمفاوضة المقوقس عظيم القبط بمصر ، وكان طول عبادة عشرة أشبار ، وأمره عمرو أن يتكلم باسم القوم ، والا يجيب المقوقس الى شيء دعاه اليه الا الى ثلاث : الاسلام أو الجزية أو القتال .

ولما دخل القوم على المقوقس ، أراد تنحية عبادة وتقديم غيره نظرا لسواده ، فرفضوا ، وتكلم عبادة فقال انى فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى واشد سوادا منى وافظع منظرا ، ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منى ، وانا قد وليت وادبر شبابى ..

وانى مع ذلك ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا ، وكذلك اصحابى لان رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ، ولا حاجة الاستكثار منها ، وان يكن الله قد أحل ذلك لنا .. وما يبالى أحدنا ، ان كان له قناطير من ذهب ، أم كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الله أكله يأكلها ، فيسد بها جوعه ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ، وان كان أحدنا لا يملك ذلك كفاه ، وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله تعالى .

الخـــــلافة

الخلافة تعنى امتلاك السلطتين الزمنية والدينية ، ولكن ابابكر وعمر توليها بصورة لا سابقة ولا لاحقة باستثناء حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فابو بكر استخلف عمر ولم يستخلف احدا من قبيلته « تيم » ، حتى ان طلحة بن عبيد الله ، وهو من نفس القبيلة اراد الخلافة ، فقال له أبو بكر : « والله لو وليتك لجعلت أنفك فى قفاك ، ورفعت نفسك فوق قدرها ، حتى يكون الله هو الذى يضعها » .

وحدث فى الغشية التى كانت تدرك أبابكر ، وهو يملى عثمان أن عثمان لم يكتب اسما ، ولو كتب اسمه نفسه لكان للخلافة أهلا ، كما قال أبو بكر بعد افاقته ، ولكنه لم يفعل .

واختار عمر مجلس الشورى لاختيار خليفة له من على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص والزبير وطلحة بن عبيد الله وكان غائبا وهم الذين ذكروا بأسمائهم فى خطبة النبى بعد حجة الوداع .

وقال عمر لاعضاء المجلس اذا مت فتشاوروا ثلاثة ايام وليصل بالناس صهيب ، وكلف ابا طلحة الانصارى أن يأخذ خمسين رجلا من الانصار لحث مجلس الشورى على اختيار رجل منهم ، وعمر بهذا يؤدى حق التبعة حتى بعد الممات .

وتقدير عمر لمسئولية الخلافة جعله يقول لمن يحاولون حمله على استخلاف ابنه :

« بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد .. أما لقد جهدت نفسى وحرمت اهلى ، فان نجوت كفافا لا وزر ولا اجر .. انى لسعيد » .

هذا هو عمر الذى أقام الدولة الاسلامية ، والذى كان عبد الله بن مسعود يقول فيه :

« لو اعلم أن عمر كان يحب كلبا لاحببته ، ووالله لأحسب القضاة « شجر كبير له شوك » قد وجدت فقد عمر » يعنى حزنت لوفاة عمر .

واذا كان تقدير الانسان يظهر من خلال اقوال أعدائه فاننا ندرك بعمق دور عمر فى بناء الاسلام من قول

« البقية ص ١٦١ »

الإسلام يحمى الأقليات ويصون حقوق الأجانب

الأستاذ منصور نسيم

يظن الناس أن التمسك بالاسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة ، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة ، وهى دعامة قوية من دعائم النهوض والرقى فى هذا العصر ... ولكن الحق غير ذلك بالمرة ، فان الاسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم الا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبسا ولا غموضا فى حماية الأقليات وهل يريد الناس أصرح من هذا النص : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ونحن اذا نظرنا الى هذا النص فاننا نلحظ من أول وهلة أنه لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والاحسان اليهم ، وان الاسلام الذى قدس الوحدة الانسانية العامة فى قوله تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

ثم قدس الوحدة الدينية كذلك فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الايمان بالأديان السماوية جميعا فى قوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ،وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ..؟

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولا عدوان فقال تبارك وتعالى : « انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

هذا الاسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والانصاف البالغ لا يمكن أن يكون اتباعه سببا فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس انه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية ، بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط.

وقد حدد الاسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وليس فى الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلا فيها وفسادا كبيرا بين ابنائها ونقضا لنظام شئونها . ذلك موقف الاسلام من الأقليات غير المسلمة واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه ، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فان فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن الكريم موقفنا منهم بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم » .

وبذلك يكون الاسلام قد عالج هذه النواحى جميعا أدق علاج وأنجعه وأشفاه ووضع بحكمته خطة الحياة الآمنة الهادئة بين الناس يجمعهم رباط التعاون وقداسة الانسانية وما اتسمت به من وشائج الوجود الأولى دون أدنى تمييز أو تفريق .. واذا كنا الآن أمام متقول على الاسلام أو منكر لتعاليمه فلا أقل من أن نسير معه فى رحاب الدوحة الاسلامية ليفسح له طريق التعمق الفكرى فى فهم مثل الاسلام وأهدافه وتعاليمه ، ونحن نؤكد عن ثقة بأننا سنلحظ مدى التجاوب أو الانصراف بقدر مدى ثبات عقليته واتزان تفكيره دون تعصب أعمى أو افتئات غاشم .. ولعلها الآن فرية حانق أو نفثة ناقم يريد بها أن يعرقل آفاق الدفعة الاسلامية وقد سرت فى حنايا المشاعر فارهفتها وفى خلجات النفوس العامرة بالايمان فاشعلت حماسها ، وهو ضال عاجز عن بلوغ غايته ، لأن الاسلام بتعاليمه وضع سياجا متينا بين صاحبه والهاوية التى يتردى فيها الآن ضعاف النفوس ومن انخدعوا ، بروق الغرب الخاطفة وتعاليمهم الزائفة ، والاسلام بقوته وصلابته أعد أصحابه أشداء فى الحق أقوياء أمام المخادعين الناقمين وحتما واصلون الى غايتهم ما داموا على الطريق القويم سالكون ..

دراسات في التاريخ الإسلامي

الاستاذ أحمد ابراهيم الشريف

اذا كان المسلمون قد توجهوا الى العراق لفتحه فانما كان ذلك بدافع توحيد العنصر العربى فى دولة واحدة وتحت راية عقيدة واحدة ، فقد كانت تقيم فى العراق قبائل عربية كثيرة كان لها فى عمارة العراق وفى حكمه شأن خطير ، فاللخميون - اصحاب ملك الحيرة - وبنو تغلب واياد والنمر وغيرهم كانوا يقيمون على حدود العراق ويتغلغلون بين النهرين فيه .

وقد بدأت حركة العرب تتجه للوقوف ضد الفرس الذين كانوا يسيطرون على العراق وبخاصة بعد أن أسقط الفرس دولة الحيرة حتى لقد قاتلهم العرب فى موقعة ذى قار فى أيام البعثة النبوية ، وحتى كان المثنى بن حارثة الشيبانى هو أول قائد عربى استفتح قتال الفرس ودعا الخليفة الى فتح العراق ، وكانت استجابة الخليفة أبو بكر أمرا طبيعيا ، والا فان الوحدة العربية التى عمل النبى - صلى الله عليه وسلم - على تكوينها كانت لا تتم ومن ثم كان العرب المسلمون يحصرون فى جزيرتهم وكانت الرسالة التى أرسل بها النبى تتوقف عند هذه الحدود لا تتعداها الى العالم الخارجى ، ولم يكن الرسول للعرب وحدهم وانما كان للناس جميعا ، وكانت الرسالة عامة يجب أن تبلغ للناس فى كل مكان . ولهذا كان حتما على أبى بكر أن يستجيب دعوة المثنى لفتح العـــراق . وقد انتصرت جيوش المسلمين فى العراق وأتمت فتحه تحت قيادة خالد بن الوليد على النحو الذى فصلناه فى مقالاتنا السابقة .

ولقد تحدث الناس فى مختلف الأقطار بفعال خالد فى العراق وبانتصار المسلمين على الفرس فى جميع المواقع التى التحموا فيها . وكان لهذه الأنباء صدى كبير فى الشام وفى باديته ، الأمر الذى نبه هرقل عاهل الامبراطورية الرومية فى مستقره ببيزنطه وأثار تفـكيره : أليس الغساسنة الذين يقيمون تحت كنفه بالشـــام عرب كاللخميين الذين كانوا تحت كنف الفرس ؟ وأليس بنو بكر وبنو عذرة وبنو عدوان وبنو بحرة الذين تقع منازلهم على تخوم الغساسنة وبادية الشام عرب كبنى تغلب واياد والنمر الذين يقيمون بالعراق ؟. أليس طبيعيا أن يفكر المسلمون فى غزو الشام العربى كما فكروا فى غزو العراق العربى ؟! هذا أمر يجب الاحتياط له والحذر منه ، ويجب لذلك تحصين الحدود بين الشام وبلاد العرب بحيث تكون من المنعة حتى تصد المسلمين عن التفكير فى الاعتداء على أية ناحية من نواحى الامبراطورية الرومية .

الى هذا الاتجاه انصرفت سياسة الروم ، ولذلك بدأت بيزنطه تحسن علاقاتها بالغساسنة بعد أن كانت قد تنكرت لهم من قبل ، بحيث نرى جيوش الغساســـنة تعود للانضمام الى الروم والمحاربة تحت لوائهم بعد أن كانت تناوئهم وتثور عليهم من قبل .

لقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يولى تخوم الشمال عناية كبيرة فى حياته وكان يخشى عدوان الروم على المسلمين بتحريض اليهود الذين أجلاهم الدين الجديد عن شبه الجزيره العربية ، والنصــارى الذين وقف تبشيرهم بعد اسلام العرب ، لذلك أعطى النبى هــذه التخوم عناية كبيرة ووجه اليها عدة حملات نذكر منها غزوة مؤتة وغزوة تبوك ثم بعث أسامة بن زيد فى أول خلافة الصديق . وكان هم المسلمين فى عهد الرسول أن يحصنوا تخوم العرب من الشمال ، أما اليوم فان الروم هم الذين يعنون بتحصين تخومهم فى الجنوب مخـافة عدوان المسلمين عليهم بما أعطاهم الايمان من قوة وبما كفل لهم هذا الايمان من نصر وفتح .

لم يكن هذا الذى هجس فى نفس هرقل بعيدا عن تفكير أبى بكر ، بل كان يتردد فى نفسه منذ بدأت طلائع النصر تساير أعلام المسلمين فى حروب الردة ، ولكنه كان يتردد فى تنفيذه قبل الفراغ من هذه الحروب خشية أن تعاود القبائل العربية انتقاضها عليه وثورتها به كرة أخرى . فلما أخمدت جيوش المسلمين ثورة الردة وأصبحت وحدة الجزيرة العربية وشيكة التمام ، ولما هون المثنى بن حارثة الشيبانى أمر العراق ، وانطلقت جيوش خالد بن الوليد تكتسح أمامها الفرس وأهل البادية وتضــع أيديها على الحيرة وتتخذها عاصمة للمسلمين بالعراق ، ازداد أبوبكر تفكيرا فى أمر الشام : ان به من قبـــائل العرب مثل ما بالعراق . . وقد انضــمت بعض قبائل العراق الى جيوش المسلمين وحاربت فى صفوفهم جيوش كسرى مـع بقائها على نصرانيتها . فليس ببعيد أن تفعل قبـــائل العرب فى الشام كما فعلت هــذه القبائل العربية فى العراق . فالروم حكام على الشام ، وبينهم وبين قبائل البادية المقيمة به من اختلاف الجنس واللغة ما بين العرب والفرس على شواطىء دجلة والفرات . فاذا تقدم العرب فى الشام وتغلبوا على جنود الروم انضم عرب الشام الى أبناء عمومتهم من أهل الجزيرة العربية ، ومن شأن هذا الانضمام أن يزيد المسلمين اطمئنانا الى النصر على عدوهم ، وأن ينتهى بهم جميعا الى الوحدة المنشودة ، فان أسلم هؤلاء يوما كان الوحدة أثبت وأقوى .

وزال كل تردد من نفس أبى بكر حين سلمت دومة

الجندل وفتحت أبوابها للمسلمين . ولكن انشغال قوات المسلمين بالعراق وبقتال المرتدين فى جنوب شبه الجزيرة جعل الصديق يؤثر أن يقف من الروم موقع المدافع ، فلا يبدؤهم بقتال الا أن يبدءوه به . وكانت أوامره الى قواده على تخوم الشام صريحة فى هذا المعنى كل الصراحة . ولم تكن الروم من جانبها لتجازف باجتياز تلك التخوم وهم يرون المسلمين ينتصرون فى كل مكان . وبذلك ظل الفريقان على حذر بعضهم من بعض . واكبرهم الطرفين الا يشتبكا فى قتال .

وزاد الروم ايثارا لهذا الموقف أن قوات المسلمين التى اوفدها ابو بكر عقب بيعته الى شمال شبه الجزيرةلقتال المرتدين ولحماية التخوم بقيت سليمة لم يصبها أذى . فقد عادت القبائل العربية فى هذه الانحاء الى سلطان الدولة الاسلامية دون أن يستمر بينها وبين هذه الجيوش الاسلامية قتال ، اللهم الا دومة الجندل التى أصرت على انتقاضها فقاومت عياضا بن غنم وظلت متحصنة منه حتى فض خالد بن الوليد حصونها . وكانت قوات الروم من اهل فلسطين ومن عرب البادية المقيمين على حدودالشام، فلم يكن يدفعها الى مقاتلة العرب وازع نفسانى يحبب اليها الموت انتصارا لحق تعلى كلمته أو لمثل أعلى تحرص على تحقيقه ، فكان حب السلامة ينأى بها عن المجازفة بالقتال .

كان قائد المسلمين على تخوم الشام خالد بن سعيد ابن العاص .. وقد قيل أن أبا بكر لما عقد الألوية لقتال أهل الردة عقد لخالد لواء فيمن عقد ، فنهاه عمر بن الخطاب عن تأميره ، وقال له : « انه لمخذول ، وانه لضعيف التروئة » وما زال يحرض الصديق على عزله حتى جعله ابو بكر ردءا بتيماء على تخوم الشـام ، ولم يجعله على من يقاتلون المرتدين .

ونزل خالد بن سعيد تيماء وقد أمره أبو بكر ألا يبرحها وان يدعو القبائل التى حولها الى الانضمام اليه الا من ارتد منهم ، وألا يقاتل الا من يقاتله حتى يأتيه أمره . ونفذ خالد أمر الخليفة ، فاجتمعت اليه جمـوع كثيرة جعلت عسكره عظيما . وترامت انباؤه الى الروم ، فلم يبق لدى هرقل ريب فى وجوب دفع هذه الجموع التى وقفت على حدوده ، ولهذا اتخذ للامر عدته . وترامت الى خالد بن سعيد من أمر هرقل انباء سارع فبعث بها الى المدينة مشفوعة برأيه أن يأذن له الخليفة فى منازلة الروم ومن انضم اليهم من قبائل العرب بالشام مخافة أن يأخذوه على غرة .

فكر أبو بكر فى رسالة خالد بن سعيد وفيما يطلب الاذن فيه وطال تفكيره . ان الأنباء الواردة من جنـوب الجزيرة العربية كلها حسنة ، فلقد قضى قائداه عكرمة بن ابى جهل والمهاجر بن ابى أمية على المرتدين هناك ، وعما قريب يرجع عكرمة بجيوشه ويبقى المهـاجر اميرا على اليمن ، ومتى عادت هذه الجيوش كان ارسال المدد الى الشام يسيرا . لكن أو تكفى هذه الجنود لقتال الروم ولغزو الشام ، وعند الروم من الجند والعتاد ما لا يجهله ابو بكر ، وما تغلب به هرقل على الفرس من قبل ؟! أو ليس من الخير أن يستعين بمن بقى على اسلامه من اهل الجنوب ليبعثهم الى الشام ؛ فاذا ذهبوا فلن يقاوم الروم فى الشام أكثر مما قاوم الفرس فى العراق العربى ؟!

واصبح الصديق يوما فدعا اليه وجوه الصحابة : عمر وعثمان وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عـوف وسعد بن ابى وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وجلة المهاجرين والانصار من اصحاب بدر وغيرهم ، فتحدث اليهم وذكر لهم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان عول أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه ، واختار له ما لديه .

« والعرب بنو ام واب . وقد أردت أن أستنفرهم الى الروم بالشام . فمن هلك منهم هلك شهيدا ، وما عندالله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعا عن الدين ، مستوجبا على الله عز وجل ثواب المجاهدين » . ثم طلب اليهم رأيهم . فقال عمر : « والله ما استبقنا الى شىء من الخير قط الا سبقتنا اليه ! قد والله أردت لقاءك بهـذا الرأى الذى ذكرت ، فمـا قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصاب الله بك سبل الرشاد . سرب اليهم الخيل فى اثر الخيل . وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فان الله عز وجل ناصر دينه ومعز الاسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله » .

علىأن عبد الرحمن بن عوف كان يرى الحذر ويتقى المغامرة . قام فقال : « يا خليفة رسول الله ! انها الروم وبنو الأصفر ! حد حديد ، وركن شديد ! والله ما أرى أن تقحم الخيل عليهم اقحاما ، ولكن تبعث الخيل فتغير فى أدانى أرضهم ، ثم تبعثها فتغير فترجع اليك ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك ، فاذا فعلوا ذلك مرارا أضر بعدوهم وغنموا من ادانى أرضهم فقـووا بذلك على قتالهم ، ثم تبعث الى أقاصى أهل اليمن والى أقاصى ربيعة ومضر فتجمعهم اليك جميعا ، فان شئت بعدذلك غزوتهم بنفسك، وان شئت بعثت على غزوهم غيرك » .

كان لكلام ابن عوف أثر على الناس جعل الصمت يخيم على الحاضرين حتى اتجه ابو بكر اليهم يسألهم : « ماذا ترون رحمكم الله ؟ » . وتكلم عثمان بن عفان فقال : «أرى أنك ناصح لاهل هذا الدين ، شفيق عليهم . فان رأيت رأيا فيه لهم رشد وصلاح وخير فاعزم على امضائه فانك غير ضنين ولامتهم عليهم » . وأقر الحاضرون كلام عثمان وقالوا : « ما رأيت من رأى فأمضه ، فانا سامعون لك مطيعون ، لا نخالف أمرك ولانتهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك واجابتك » فقام أبو بكر يدعو القوم للتجهز الى غزو الروم بالشام ، ويقول « فانى مؤمر عليكم أمراء ، وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

ترى اتحمس الناس لهذه الدعوة ؟ أأجاب الخليفة منهم أحد يطلب الجهاد ؟! لقد كان لكلام عبد الرحمن بن عوف أثر شديد ! الروم حد حديد ، وركن شديد !! لقـد أخذتهم هيبة الروم فسكتوا ، حتى صـاح فيهم عمر : « ما لكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله اذ دعاكم لما يحييكم ؟ » ونبهت هذه الصيحة العمرية الناس فرضوا الجهاد وان آثروا أن يستعين الخليفة على عدوه بأهل اليمن وأهل شبه الجزيرة العربية جميعا .

لا عجب وذلك موقف المسلمين أن يطول أن يطول تفكير الخليفة فيه وان يشغل به عن كل ما سواه ، ولا عجب كذلك اذا انصرف تفكيره الى هذه الحروب التى نشبت منذ بويع بالخلافة ، فقد جعلت هذه الحرب تزداد على الايام دقة وخطرا وتقتضى العناية بها والسهر على ادارة دفتها ، فهذه الجيوش المنتشرة بالعراق ، وتلك القائمةعلى تخوم الشام ، أفى حاجة هى الى المدد؟ وأيهاأشد لهذا المدد حاجة ؟. وهؤلاء المقيمون بالمدينة ومكة والطائف من ذهب أهلوهم الى ميادين القتال، أيعوزهم شىء ؟!. وقبـائل العرب من الشمال الى الجنوب ما شأنها ؟ وما عواطفها ازاء المدينة وازاء الخليفة ؟. والانباء الواردة من ميادين القتال بالنصر تارة ، وبالعجز تارة أخرى كشأن عياض أمام دومة الجندل ، باى شىء تقابل ، وعلى أى نحو تذاع بين الناس ؟!. كان ابو بكر مشغولا بهذا كله وبكل ما يتصل به ، ولئن كان اهل الرأى والنصيحة حوله موضع ثقته وأهل اطمئنانه فقد كان هو المرجع الأخير وصاحبالرأى

« البقية ص ١٦٥ »

قصة يوسف الصديق

بين القرآن الكريم وكتب العهد القديم

الأستاذ
بهاء الدين القبانى

٧

وهكذا نأتى الى المرحلة الأخيرة من قصة يوسف الصديق - عليه السلام - تلك التى تبدأ من معرفة الاخوة ليوسف حتى رفع يوسف لأبويه على العرش ..

ولا شك أن القارىء ينتظر منا مفاجآت جديدة غاية فى جدتها . كعهده بنا منذ صاحبنا فى التجوال بين دهاليز سفر التكوين وأقبيته فى العهديم القديم .. وبين دواوين سورة يوسف وقدسيتها فى القرآن الكريم .. خاصة ونحن على أهبة الاستعداد للاقتراب من نهايتها ..

وحسب القارىء على جانب ضخم من الصحة .. فان سفر التكوين فى هذه المرحلة الأخيرة قد تفجرت عنه مفاجاة لم تكن متوقعة على الاطلاق .. ولو أن سفر التكوين فى المراحل السابقة من القصة قد طلع علينا بحوادث وغرائب كثيرة أثبتنا فيها ضعفا واختلافا .. الا أن هذه النهاية التى وردت فى الاصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين من أعجب ما مرت به قصة طويلة - أية قصة - من نهايات !!..

ومما يجمل بنا ذكره أن نهاية قصة ما .. لا يمكن أن تكون قوية ومتسقة مع مقدماتها ما لم يكن بناء القصة نفسها قويا ومتسقا .. فالنهاية تعتبر امتدادا طبيعيا للقوة أو للضعف .. مما يحدو بالاكثرية من رواد القصة فى عصرنا أن يبذلوا جهدا فى اشباع روح التشويق .. واسباغ التفسير المنطقى على ما مرت به أحداث قصصهم .. وذلك أثناء كتابتهم خواتيمها .. فيخرج القارىء من القصة قانعا مطمئنا .. أو ساخطا محنقا كما يريد له القصاص أن يخرج .. فاذا أضفنا الى هذا أن الله الحكيم هو الذى أوحى بالقصة جميعا فى القرآن باللفظ والمعنى .. ولمسنا فيها قوة البناء .. وعظمة الأحداث الى جانب دقة التصوير والتعبير .. فلا جدال فى أن نهاية القصة ستكون - بالتبعية - عبارة عن مجموعة مركزة من العظمة والدقة أيضا .. تشكل أبرع خاتمة لاحدى روائع القصص التى جاءت بها الكتب السماوية !!..

وبقدر تلك القوة التى نلمسها فى القرآن .. نجد الضعف يدب فى أوصال نهاية القصة فى سفر التكوين .. هذا الضعف ليس بالجديد علينا فى سفر التكوين وانما نعتبره - هو الآخر - امتدادا طبيعيا لحركة التشويش التى بدأها مترجم سفر التكوين منذ افتتاحية القصة حتى نهايتها .. بل ان المترجم فى هذه المرحلة الأخيرة قد ترك القصة معلقة فى الفضاء .. فلم يضع لها نهاية على الاطلاق ..

ففى المرحلة السابقة من هذا البحث وقفنا - فى سفر التكوين - عند سماع يعقوب من الاخوة أن ابنه يوسف ما زال حيا يرزق .. ووجدنا يعقوب يقول : « أذهب وأراه قبل أن أموت » (ص ٤٥ : ٢٨) .. وكان بوسعنا أن نقرر وقتئذ انتهاء القصة بالنسبة الى سفر التكوين بالذات .. فلم يكن صعب علينا أن نأتى بالفقرة التى تعتبر هامة - الى حد ما - فى سفر التكوين .. ونضعها أمام القراء .. وهى الفقرة الخاصة بكيفية لقاء يعقوب بابنه يوسف اثر ما شد الأول الرحال الى الأمين على خزائن الأرض فى مصر .. وبعدها نقرر انتهاء نصيب سفر التكوين من قصة يوسف .. ولكن الذى حدث تماما .. هو أننا أرجأنا بحث تلك الفقرة التى تسرد كيفية اللقاء بين النبيين الجليلين .. متعمدين لذلك الارجاء !. وقاصدين اياه !. ولو أن منطق بحثنا للحوادث الواردة فى سفر التكوين كان يستدعى منا الكشف فورا عن طريقة لقاء الأب بابنه بعد ذلك الفراق الطويل .. الا أننا أحببنا أن نوجد فى سفر التكوين ولو عنصرا واحدا فى المرحلة السابعة من القصة يمكن أن نضعه فى الكفة المقابلة لميزان

القارئة لنواجه به العناصر الفنية الدقيقة الواردة في نهاية القصة في القرآن .. والا لكان سفر التكوين في هذه المرحلة غفلا من كل عنصر وان كثرت الأسطر ..

هذه الفقرة لا جرم أن نوردها الآن .. فهي تقول : « ولما ظهر له (أى ظهر يعقوب ليوسف) وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا .. فقال اسرائيل (يعقوب) ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حى بعد » (ص ٤٦ : ٢٩ - ٣٠) .

عند هذه الفقرة نستطيع أن نقرر بكل تأكيد انتهاء القصة بالنسبة الى سفر التكوين .. ففيها كل ما تهمنا معرفته في المرحلة الأخيرة .. فالابن يحتضن أباه ويبكى طويلا .. ويطمئن يعقوب الى انه سيموت قانعا بعد رؤيته لابنه يوسف .. وهذا ما زال حيا ..

وقد يعترض معترض كيف أننا انتهينا من قصة يوسف في سفر التكوين .. ونحن ما زلنا في الأصحاح السادس والأربعين بينما القصة تنتظم الخمسين اصحاحا ؟؟ أى بقيت أربع اصحاحات أخرى هى ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ؟؟.

ولكننا نجيب بأن الاصحاحات الباقية لا تهمنا نحن ولا تهم القارىء ولو لأهمية يسيرة .. فان الاربعة المشار اليها تذكر - في اطناب كثير - السنين الشداد التى مرت على مصر .. وتصفهن .. وكيف كانت قسوتهن السبب في بيع الأهالى لجميع ممتلكاتهم ليوسف .. حتى أن يوسف قد استعبد الناس تحت سلطان الملك نظير تقديم الحبوب لهم .. هذا مع ايراد سلاسل الحسب والنسب التى تنتظم الاصحاحات الأربع جميعا .. وبالطبع فان وصف السنين الشداد لا يهمنا نحن بقدر أهمية الخاتمة المحبوكة الأطراف .. والتى يعتبر سفر التكوين غفلا منها .. بالاضافة الى أن سلاسل الحسب والنسب لا تهم الا الباحثين عن شجرات الأمم وفروعها .. ولا نخال أولئك الباحثين المدققين يطمئنون الى الأخذ بتلك السلاسل والشجرات .. فما دامت الحوادث الواردة في سفر التكوين فيها ما فيها من التشويش بالاضافة والحذف .. فلا عتبى على أولئك الباحثين الفضلاء اذا هم تلمسوا كتبا أخرى لاستخراج تلك الشجرات والفروع يكون كاتبوها معروفين بأمانتهم !!..

وعلى هذا .. فلا يعتبر سفر التكوين مرجعا هاما يمكن الاعتماد عليه في الوقوف على الأسرار القديمة التى أودعها الله كتبه .. مما حدا بالمسلمين أن يغفلوا سفر التكوين اغفالا يكاد يكون تاما .. نتيجة للتحريف الظاهر الذى ينتظم غالبيته . منصرفين عنه الى القرآن الكريم .. الذى جمع فأوعى .. في غير تناقض وفي غير ضعف .. ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

اذن نستطيع أن نقرر الآن اننا مررنا - في قصة يوسف - بعنصرين هامين يعتبران من أعمدة القصة هما :

١ - الفـراق .

٢ - اللقـاء .

فالفراق واللقاء لا شك يحدثان في النفس أثرا عميقا .. واحساسيس ومشاعر جمة .. فكاتب القصة اذ يرى نفسه يتكلم عن الفراق واللقاء نجده يحشد - بطريقة فنية ادبية - مجموعة انفعالات يستطيع بها التمهيد اليهما لاكتساب القارىء للعيش في نفس الساعة التى يعيش فيها الأطراف المعنية بالفراق .. أو المقصودة باللقاء .. وكلما كانت طريقة عرض الكاتب لهاتين النقطتين سليمة بعيدة من أى عيب أو نقد .. كلما ازداد التفافا حوله القراء اذ يرون فيه معبرا دقيقا عن كيانهم وأعماقهم .. ويعتبر الكاتب ناجحا على هذا الأساس .. بل اننا لنرى بعض كتاب القصة (غير المبدعين) وهم بصدد الكتابة عن الفراق واللقاء نجدهم يبذلون أقصى طاقاتهم وامكانياتهم الفنية في تبيان التمهيد الى كل من عنصرى الفراق واللقاء .. واسباغ التشويق وانفاق المشاعر الدفينة عليهما .. فتخرج قصصهم - وان كانت بسيطة في حوادثها - الا أنها تحمل في هاتين النقطتين بالذات زادا نفسيا ومعنويا يضفى على القصة جميعا لونا مستحبا رائقا .

وعلى هذا فاننا نرى أنه من الأجدر العودة الى ساعات الفراق الأولى التى فصمت الابن يوسف عن أبيه يعقوب .. وعرض ذلك الفراق بين كل من سفر التكوين والقرآن .. ثم نتبعه بساعات اللقاء وعرضها أيضا بين كل من الكتابين المعينين .. حتى نلمس عن قرب مدى توافر الشروط الفنية للقصة بين كل منهما ..

أولا : الفـراق

رأينا في المرحلة الأولى من هذه القصة كيف أنه لم يكن هناك تمهيد للفراق بين يوسف وأبيه في سفر التكوين .. فان يعقوب بنفسه قد أرسل يوسف الى المرعى ليطمئن على سلامة اخوته وقال له : « اذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لى خبرا » (ص ٣٧ : ١٤) .. أى لم يكن هناك تمهيد لهذا الفراق .. بل لقد فوجئنا بالفراق فجأة يمكن معها اعتباره مجرد صدفة .. والصدفة هى أقسى عيب يمكن أن يوجه الى قصـة ما .. فان رؤية الاخوة ليوسف وهو قادم اليهم في المرعى جعلت أذهانهم تتجه فجأة الى طرحه في البئـر .. هكذا بدون سابق انذار .. تقول الفقرة ٢٠ من الاصحاح ٣٧ : « فالآن هلم نقتله ونطرحه في احدى الآبار ونقول وحش ردىء أكله .. وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دما .. اطرحوه في هذه البئر التى في البرية ولا تمدوا اليه يدا » .. أى أن فكرة قتل يوسف أو طرحه في البئر جاءت وليدة صـدفة ذهاب يوسف اليهم في المرعى .. اذ لم يكن هناك تشاور سابق فيما بين الاخوة لاتخاذ اجرائهم حيال يوسف !!

اذن .. هذا التشاور أو التمهيـد هو ما نفتقده من ناحيتين :

أولا : في تصرفات الاخوة .. فلم يظهر منهم - في سفر التكوين - ما يجعلنا كقراء نعتقد بأنهم سيقدمون على عمل معين فيرسمون خططا بعينها بغية الوصول الى غرضهم وذلك بالتحايل على الأب مثلا ..

ثانيا : في تصرفات الأب يعقوب نفسه .. فلم يظهر من يعقوب أنه عميق في مشاعره وأحاسيسه .. هذا العمق كان يبدو واضحا لو كان يعقوب قد أظهر مخاوفه على يوسف - ولكنه أرسل يوسف بنفسه الى الاخوة - كما رأينا ..

هذا في سفر التكوين ..

أما في القرآن فان عنصر الفراق بين يعقوب ويوسف لم يجىء صدفة .. ولم يفجأ القارىء بالفراق بل تدرج اليه في سلم هرمى هندسى .. ثم وصل به الى قمة التصوير .. ونستطيع أن نصطحب خمس درجات من ذلك السلم القرآنى لنعرف كيف كان تمهيـد القرآن لذلك الفراق الهام الخطير .. الذى أنقذ مجتمعا وبلادا كانت مهددة بالمجاعة والدمار لا يعرف لهما التاريخ مثيلا لو قدر للفراق الذى نحن بصدده أن لا يقع .. ولكنه بوقوعه فتح أبوابا هائلة من الأحداث .. وبنى قصورا شامخة ثابتة البيان .. هذه الدرجات الخمس هى :

الدرجة الأولى : من جانب الأب : فلقد خشى يعقوب على يوسف غدر اخوته اثر سماعه قصة الرؤيا من يوسف اذ قال له : « يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا » (يوسف ٥) ..

الدرجة الثانية : من جانب الاخوة .. عندما تشاوروا سرا واستقر رأيهم على القاء يوسف في البئر : « قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة » (يوسف ١٠) .

الدرجة الثالثة : من جانب الاخوة أيضا .. فلقد حاوروا أباهم فى أخذ يوسف الى المرعى : « قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون » (يوسف ١١ ، ١٢).

الدرجة الرابعة : من جانب الأب : عندما أظهر مخاوفه أمام الاخوة : « قال انى ليحـــــزننى أن تذهبوا به » (يوسف ١٣) .

الدرجة الخامسة : من جانب الأب عندما فتح باب أكل الذئب ليوسف .. فأعطى الاخوة ـ بطريقة لا ارادية ـ حجة يتقدمون بها اليه بعد تنفيذ مؤامرتهم اذ قال لهم يعقوب : « وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون » (يوسف ١٣) .

ولنتناول العنصر الثانى وهو اللقاء ..

وكما أن للفراق تمهيدا منطقيا يتحتم التدرج معه فى القصة لابعاد « شبح » الصدفة عنها .. فلا بد من أن يحظى اللقاء بتمهيد منطقى هو الآخر حتى لا تقف القصة فى مواطن النقد ..

وليس كل لقاء مسبوق بتمهيد يبعث فى النفس الرضا ويبل الظمأ !! فهناك تمهيد يأتى به صاحب الموهبة يمكن اعتباره مصباحا كهربيا قويا يكشف أمام القارىء الى مدى بعيد .. والى عمق بعيد أيضا .. يصل بالقارىء الى أعلى درجات الاندماج فى القصة .. حتى ليخيـــل الى القارىء أنه هو نفسه أحد أبطال هذه القصة وأحد محركى دفة الحوادث فيها ..

وهناك تمهيد تغلب عليه الصنعة والكلفة .. وهذا يأتى به الكاتب الدارس لفنون القصة فحسب .. دون أن يتمتع بموهبة فطرية تجيز له الدخول الى أسرار القصـــة من أوسع وأرقى أبوابها ومجالاتها .. فتأتى قصته بطـريقة تقريرية غفلا من الانفعالات !.. بعيـــدة عن الأحاسيس العميقة ـ والتمهيد للقاء الذى نحن بصدده .. والذى جاء به مترجم سفر التكوين .. لا يمكن بأية حال من الأحوال أن نخضعه لتمهيد صاحب الموهبة !! ولا أن نعتبره دارسا لغويا تفتقد الموهبة فيه .. وانما يمكن اعتبـــار المترجم ضمن صنف ثالث لا يتمتع ولو بجزء يسير مما يتمتع به الصنفان السابقان !!.. فلا هو باللغوى لوجود أخطاء نحوية كثيرة .. ولا هو بالدارس لفنون القصـــة لاسقاطه أعمدة كثيرة منها .. فضلا عن انعدام الموهبة فيه لافتقاد ما يمكن أن ننفعل فى القصة مع ما بها من أحاسيس ومشاعر .. وانما نقول بلا حرج بأن مترجم ضيق الأفق عهد اليه بالترجمة دون أن يراجعه رقيب أو حسيب حتى من ضميره شخصيا ..

ويمكننا أن نستخرج ـ من سفر التكوين ـ عناصر ثلاثة مهدت للقاء بين يعقوب وابنه يوسف : الأول : عندما عرف الاخوة يوسف أراد يوسف أن يرجعـــوا الى أبيهم وأن يأخذوا معهم عجلات لأولادهم ونسائهم وأن يأتوا بأبيهم الى يوسف فى مصر .. تقول الفقرة ١٩ من الاصحاح ٤٥ : « خذوا لكم من أرض مصر عجـــلات لأولادكم ونساءكم واحملوا أباكم وتعالوا » ..

الثانى . عند وصول الاخوة الى أبيهم واخبارهم اياه عن يوسف ومنصبه لم يصدقهم أول الأمر ولكنه : « أبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمـــله .. فعاشت روح يعقوب أبيهم فقال اسرائيل كفى .. يوسف ابنى حى بعد .. اذهب وأراه قبل أن أموت » (ص ٤٥ : ٢٧ ـ ٢٨).

الثالث . سرور الأب يعقوب بهذا الخبر .. فكان لابد من اعلان اغتباطه بتقديم ذبائح لاله أبيه اسحق .. تقول الفقرة ١ من الاصحاح ٤٦ : « وذبح ذبائح لاله أبيـــه اسحق » ..

ومما يجدر ذكره أن هناك كلمة جاءت فى الاصحاح ٤٦ من سفر التكوين يمكن اضافتها الى عناصر التمهيـــد السابقة .. ولكنها وردت بين السطور حتى لتكاد زحمة الأسطر والأطناب من حولها أن يسدلا عليها ستارا كثيفا.. ولكنها تمهنا كثيرا .. حتى أننا التقطناها فى كثير من الشغف واعتبرناها نقطة رائعة أوردها مترجم القصة فى سفر التكوين .. ونحسب أنها جاءت منه عفوا وعن غير قصد .. فلقد كشف لنا عن خبايا عميقة فى جذور القصة أوردها القرآن فعلا !.. ولكن بطريقة دقيقة ومع اختلاف سنبينه فيما بعد .. تلك هى الفقرة الرابعة من الاصحاح ٤٦ من سفر التكوين التى تقول بعد أن ذبح يعقوب ذبائح قدمها لله فقال الله له : «ويضع يوسف يده على عينيك»!!
وبالطبع ان العينين المذكورتين هنا هما العينان اللتان يبصر بهما يعقوب .. وليس تعبيرا مجازيا .. أو رمزا .. أو كناية عن أن يوسف يأتى بالبلسم ويجعل عينى يعقوب تقران بعد طول قلق وحزن وبكاء .. فان اللغـــة العربية وعمقها وبلاغتها مما نفتقده فى سائر سفرالتكوين بالطبع..
وفى الواقع ان وضـــع يوسف يده على عينى أبيه انما ليشفيهما من العمى الذى أصيب به يعقوب من البـــكاء الطويل المستمر على فقد ولده يوسف ولكن .. أين ذكر تلك العمى فى اصحاحات سفر التكوين ؟؟ لقد بحثنـــا ودققنا فلم نجد له ذكرا .. ولكن .. كيف جاء مترجم سفر التكوين بهذه النقطة ؟؟ لا شك أنه وجدها فى الكتاب الذى ترجم عنه فجاء بها هكذا .. بينما تنكب ـ فيما سبق ـ ذكر ابيضاض عينى يعقوب وعده رؤيته بهما .. الأمر الذى لا بد وأنه موجود فى النسخة الأصلية للقصة .. فكأنه جاء بنتيجة حدث ضخم وقع ليعقوب بينما أهمل مقدمات ذلك الحدث .. فأصبح اتيانه بالنتيجة مبهما لم يكن ليتضح الا بالمقارنة .. والوقوف على أصل هـــذا الحدث الذى كشف القرآن الكريم النقاب عنه .. وهذه النقطة سنتناولها باذن الله محققين لها أثناء بحثنا لعناصر نهاية القصة فى القرآن .. وذلك مرحلتنا هذه ..

ونعود الى يعقوب واخوة يوسف وأهلهم عندما ارتحلوا جميعا من أرض كنعان الى مصر .. وما أن سمع يوسف بقدوم أبيه حتى هب لاستقباله : « فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال اسرائيل أبيه الى جاسان .. ولما ظهـر له .. وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا .. فقـــال اسرائيل ليوسف أموت الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حى بعد » (ص ٤٦ : ٢٩ ـ ٣٠) .

هكذا نجد اللقاء التاريخى .. بلا تمهيد منطقى يمكن استساغته .. وبلا حرارة ـ نشعر بها فى أعماقنا كقراء ـ بين الأب يعقوب الذى فقد ابنه يوسف لسنين عددا .. وانما بطريقة تقريرية ليس فيها ما ينبىء عن أن اللذين يلتقيان هما نبيان من قبل الله .. لابد وأن يكون لقاؤهما على جانب كبير من القدسية والجلال اللذين كسى الله بهما عبديه !!

الى هنا نستطيع القول بانتهاء القصة جميعا بالنسبة الى سفر التكوين فحسب .. هذه الخاتمة لا شك فى أنها عجيبة ـ كما سبق أن قلنا ـ ونحسب أنها لو وردت فى قصة من قصص أحد كتابنا المعاصرين لما سلم من النقـــد والتقريع .. والاتهام بجهله بفنون القصة .. اذ كيف تأتى القصة فى افتتاحيتها برؤيا مؤداها أن يوسف يرى أحـــد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ســـاجدين ؟؟ ثم لا تروى القصة ظمأنا وشغفنا الى معرفة ما ترمى اليه تلك الرؤيا المشوقة ؟ بتعبير دقيق مقنـــع يرضى ذوق كل قارىء ؟؟.. وكان من الممكن التغاضى عن معرفة تعبيـــر الرؤيا ـ لو جاز لنا تحطيم القوانين الفنية ـ اذا ذهبنا الى الفرض بأن يوسف رجل عادى مثلا !. ولكنه نبى من قبل الله !! وموهوب من الله علم تعبير الرؤيا !! وتأويل الأحاديث !.. بل ان علم تعبير الرؤيا هو السلاح الحاد الذى استطاع به يوسف أن يشق طريقه نحـــو غايتين

اخريتين هما نشر عقيدة التوحيد وانقاذ البلاد من المجاعة !! اذا عرفنا موهبة يوسف تلك .. وأضفنا اليها انه هو بنفسه قد رأى الكواكب . فلا جدال فى أننا منتظرون لتعبير رؤياه بنفسه .. خصوصا وقد رأينا عدة رؤى صادفت يوسف فعبرها فى قوة واقناع .. وأثبتت الأيام صحتها ودقتها !.. فأين سفر التكوين من تعبير رؤيا الكواكب ؟؟.. نستطيع القول بأن سفر التكوين لم يشر اليها اطلاقا ولو من باب الرمز وعدم التصريح بها بطريق مباشر .. فلقد رأينا لقاء الأب والاخوة بيوسف وكيف أنهن يحتضن بعضهم بعضا !! فحسب !! فاذا قيل لنا ان الاحد عشر كوكبا هم الاخوة والشمس والقمر هما أبواه .. فأين السجود ليوسف ؟؟ وأين الاشارة الى أن موقفهم منه هذا هو ما أخبرت عنه الرؤيا منذ سنين .. حتى تهدأ أنفاسنا المتلاحقةالمشوقة كقراء متتبعين لحوادث القصة منذ البداية !!.. أليست هذه النقطة تكشف فى جلاء عن جهل كبير يعبث فيه مترجم سفر التكوين ؟؟!..

وبعد أن عرفنا كيف كانت نهاية قصة يوسف فى سفر التكوين .. يمكننا أن نبحث الآن نهاية القصة كما وردت فى القرآن الكريم ...

فلقد وقفنا فى المرحلة السادسة من هذا البحث عند نقطة اصابة يعقوب بالعمى من جراء حزنه وبكائه على فقد يوسف ابنه الحبيب .. وكيف أن الاخوة كانوا يؤنبون الأب على حزنه هذا فيقول لهم : « انما أشكو بثى وحزنى الى الله » (يوسف ٨٦) وهى النقطة التى ارتأيناها خاتمة للمرحلة السادسة .. فحتى هذه المرحلة لم نتبين كيفية معرفة الاخوة ليوسف .. ولم نعرج على كيفية لقاء الأب بابنه .. فان القصة لم تنتـه فى القرآن بعد .. ويمكننا تقسيم هذا الجزء الأخير من القصة الى نقطتين هامتين : الأولى : تعرف الاخوة على يوسف ..

الثانية : اللقاء التاريخى بين يعقوب ويوسف ..

ولنتناول النقطة الأولى .. فلقد كان حزن يعقوب على فقد ولده يوسف شديدا .. لم يستطع معه يعقوب الا أن يواصل البحث عنه !. آملا لقاءه !. وأن يهيب بأبنائه أن يجدوا فى التعرف على مكان يوسف وبنيامين أيضا .. وعليهم أن لا ييأسوا من فرج الله ! فان القانط من فرجه يعد من القوم الكافرين !. فيقول الأب يعقوب لبنيه : « يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ! انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (يوسف ٨٧) .. نلمس فى هذه الآية مدى الاسترحام والاستعطاف اللذين يخاطب يعقوب بهما أبناءه بقوله : « يا بنى ! » أى أنكم أبنائى .. وأنا أبوكم .. وللأب على الأبناء حقوق يجب أن يؤدوها .. ويحثهم على البحث بضربه على الوتر الدينى .. فان جميع العائلة أنبياء .. وأجدادهم أنبياء أيضا .. فيشجعهم على أن لا يقنطوا من رحمة الله بقوله لهم « ولا تيأسوا من روح الله » ..

هذا القول من يعقوب جاء فى منتصف السنين الشداد تقريبا .. وكانت عائلة يعقوب قد أنفقت على شراء الحبوب كل ما تملك من أموال .. حتى أنهم لم يبق لهم غير أشياء تعتبر رخيصة القيمة .. كبعض الأثاث المتآكل عديم النفع .. ولا يفى بشراء ما يحتاجون اليـه من الحب فى تلك السنين التى تزداد جدبا يوما عن يوم وعاما اثر عام .. فاجتمع على كاهل الاخوة عاملان عصيبان قاسيان غاية فى قسوتهما : ـ الأول : عامل نفسى من قبل أبيهم يعقوب برؤيتهم له حزينا أعمى دائم البكاء لفقد ولديه يوسف وبنيامين .. الثانى : عامل حسى هو حالهم السيئة التى وصلوا اليها من جراء جوعهم .. وافتقادهم للمال الذى يستطيعون به الحصول على القوت لهم ولأهليهم من نساء وأطفال !!.. بالاضافة الى أن جميع الاخوة قد وصلت بهم شدة العيش الى حال من العنف لم يستطع معها جميع الاخوة الرحيل الى رب خزائن الارض فى مصر لابتياع الحب ببعض قطع الأثاث المتآكلة نتيجة بيعهم معظم دوابهم .. فكان أن بقى بعض الاخوة الى جانب أبيهم يعقوب فى أرض كنعان بينما اتخذ الباقى طريقه نحو تجربة حظه مع عزيز مصر .. وهل يعطيهم مقابل قطع الأثاث تلك حبا؟؟. أم يمنع الحب عنهم لعدم وجود الثمن المقرر فى أيديهم؟؟.

ووصلت الأشباح الى يوسف فى مصر ومظهرهم يخبر عما هم فيه من الضنك !!.. ولكنهم لاحتياجهم الشديد أفصحوا على التو عن حالهم أمام عزيز مصر حتى يرق قلبه لهم .. فيتصدق عليهم بالحب .. وهو الأكثر أهمية فى نظرهم .. ولم يأتوا بذكر بنيامين أو يوسف الا بعد اطمئنانهم الى الحصول على الحب .. فيروى القرآن : « فلما دخلوا عليه قالوا : يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر !. وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل ! وتصدق علينا !. ان الله يجزى المتصدقين » (يوسف ٨٨) ..

ورأى يوسف من حضر من اخوته بالطبع .. أشباحا كأنهم خارجون من القبور .. فعلم أن الجميع لم يستطع الحضور اليه كما كانوا يفعلون قبلا .. فالحال قد تغيرت .. والقحط قد اشتد .. ودوابهم قليلة لاتكفيهم جميعا .. ولا تقوى على السفر الطويل لجوعها !! وأموالهم قد نفدت .. وعذابهم قد استعر فى بوتقتين : بوتقة أبيهم برؤيتهم له دائم البكاء !. وبوتقة أعماقهم هم أنفسهم بما اقترفوا من الاثم بابعاد يوسف عن أبيه منذ سنين !!..

اذن .. فلقد بلغ السيل الزبى .. ومروا بالتجربة العنيفة المتناهية فى عنفوانها .. ووصلوا الى قمة الانفعالات التى لم تبق منهم أعوادا تهتز .. ولا ذهنا يفكر .. ولا حتى عيوننا تتفرس فى ملامح العزيز الواقف أمامهم ليتعرفوا على من عساه يكون ؟؟..

اذن يمكن القول بانالقصة القرآنية قد وصلتالىالنهاية العظمى التى يصبح التعارف بين يوسف واخوته محتما.. ورائعا .. وشيقا .. فقد وقف أمامهم يوسف مستطلعا الوجوه المليئة بتجاعيد الفقر .. والمحفور عليها ألم العوز والحرمان .. ولا بد من أن يوسف قد لاحظ على الاخوة أنهم لم يأتوا بذكر بنيامين أخيهم .. ولم يصرحوا بأنهم يطلبونه رحمة بأبيهم الشيخ الكهل .. وانما بدأوا طلبهم بما هو أهم من بنيامين وهو الحب .. فاذا ما حصلوا على الحب .. واطمأنوا الى أنهم سيقتاتون هم وأهليهم.. فانهم سوف يطلبون بنيامين بعد ذلك .. فان مصير بنيامين ومكانه معروف عند عزيز مصر .. أما يوسف ومكانه فلابد وأنهم قد تركوا معرفته الى الأقدار !.. فقد تسوقهم اليه فى بسمة من بسمات الزمن القليلـة .. وعندها ستخف بالطبع وطأة الأيام وصرامتها .. ولذلك فان الآية ٨٨ من سورة يوسف لم تذكر شيئا من طلب الاخوة لبنيامين من عزيز مصر .. وان كان بعض المفسرين كالضحاك وابن جريج قد حاولوا ارجاع طلب الاخوة التصدق من يوسف على اعتبار التصدق باعادة بنيامين اليهم .. الأمر الذى لا نرى نحن الا ما أوردناه ..

وقف الاخوة أمام يوسف يطلبون الحب فقط .. اى لم يكن يدور بخلدهم شىء أهم من حصولهم على الحب.. وانتهز يوسف هذه الفرصة الذهبية .. فرصة فراغ أذهان الاخوة من ذكر بنيامين .. ومن ذكر يوسف أيضا .. فارجعهم على الفور الى ذكرهما ضاربا كلامهم عن الكيل والحب عرض الحائط .. وكأنه قدم اليهم مسحوقا قويا فاذا أفاقهم من اغماءة طويلة : « قال : هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون ؟ » (يوسف ٨٩) ولاشك أن الاخوة قد ذهلوا من هذه المفاجأة التى لم تكن متوقعة!! .. ولابد أن عدة أسئلة تداخلت فى أذهانهم عن السبب الذى من أجله يورد العزيز كلامه هكذا ؟؟ بلا مقدمات ظاهرية .. وان كانت هناك مقدمات نفسية عميقة ..

وبالطبع الذى يحدثهم عن يوسف واخيه .. ويذكرهم بالذى فعلوه بهما .. بل ويضيف صفة الجهل اليهم .. لابد وان يكون على صلة وثيقة بهم فى الماضى !!.. وقد يكون حاضرا ساعة اقترافهم جريمتهم منذ سنين .. ولكن .. لم يكن هناك أحد يشاهد فعلتهم ساعة القائه فى البئر غير يوسف نفسه الذى حدثت معه تلك المشكلة .. ولم يكن بنيامين معهم أثناء الحادث والا لاعتقدوا بان بنيامين هو الذى أخبر عزيز مصر بما جرى !! فلا بد اذن من أن يكون هذا الشخص هو يوسف بعينه !! ولا يمكن ان يكون شخصا غيره .. ففغروا افواههم دهشة .. واستغرابا .. وبكل تأكيد منهم : « قالوا اءنك لأنت يوسف !! » (يوسف ٩٠) .. والنتيجة هى أن كشف يوسف النقاب عن نفسه على الفور : « قال : أنا يوسف!. وهذا اخى قد من الله علينا !. انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ! » .. (يوسف ٩٠) .. ودهش الأخوة دهشة بالغة .. واعترفوا بخطئهم على الفور : « قالوا : تا لله لقد آثرك الله علينا !! وان كنا لخاطئين » (يوسف ٩١) .. وكان اعترافهم بخطأهم باعثا ليسف الطيب النبيل أن لا يلومهم على ما بدر منهم .. بل ويدعو لهم بمغفرة من الله : « قال : لا تثريث عليكم اليوم ! يغفر الله لكم ! وهو أرحم الراحمين ! » (يوسف ٩٢) ..

ونأتى الى النقطة الثانية وهى الخاصة باللقاء التاريخى بين يعقوب ويوسف .. ويمكننا أن نستبين عناصر ثلاث مهدت لذلك اللقاء ـ فى القرآن ـ تبلغ القصة فى ربط الحوادث بعضها بالبعض الآخر فى عقد ثمين محكم :

الأول : قميص يوسف ..

الثانى : الهام يعقوب ..

الثالث : ارتداد بصر يعقوب ..

اما عن العنصر الأول .. فلقد رأينا أن الاخوة قد تعرفوا على يوسف .. وأصبح السر جهرا ومن الأجدر ان يطمئن يوسف أباه يعقوب أيضا .. فقدم يوسف الى الاخوة قميصا يخصه هو شخصيا ليلقوه على وجه أبيه فيعود اليه بصره الذى فقده من بكائه الطويل .. وان يأتوا بأهلهم جميعا الى مصر .. يقول يوسف فى القرآن : « اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه أبى يأت بصيرا.. واتونى بأهلكم اجمعين ! » (يوسف ٩٣) .. وكأن يوسف أبى الا أن يلتقى بأبيه مبصرا .. كما تركه مبصر أيضا.. خصوصا وانه كان السبب فى فقد أبيه لبصره .. فكره أن يلتقى بأبيه وهذا ما زال أعمى !.

وهنا يعن لنا سؤال لابد من طرحه .. وهو : كيف علم يوسف بفقد بصر أبيه يعقوب ؟ فانه لم يأت ذكر لذلك فى سورة يوسف فى القرآن ؟.. يقول الألوسى : « يحتمل أن يكون باعلامهم ويحتمل أن يكون بالوحى » .. ونحن نميل الى ان الأخوة هم الذين أخبروا يوسف بفقد بصر أبيه .. ومثل هذا الحذف كثير فى القرآن .. ما دامت الشواهد التى تحيط بالأمر تدل عليه .. فان ساعة التعرف على يوسف بينه وبين اخوته .. لا شك مليئة بالأسئلة والاستفسارات عن الأهل والأقارب وخصوصا عن الأب يعقوب .. وبالطبع أجاب الاخوة أن أباهم قد ابيضت عيناه من الحزن لفقد يوسف .. ومن غير المقبول أن يأتى القرآن بكل ما دار من أسئلة وأجوبة فى تلك الساعة وانما اوجزها ايجازا بليغا .. وجاء بالعنصر المشوق الذى يبحث القارىء عنه وهو موقف يوسف حيال أبيه يعقوب عند سماعه بان اباه قد فقد بصره !. وجاء الجواب شافيا.. اعطاهم قميصه وامرهم أن يلقوه على وجه أبيه فيرتد بصيرا ..

ولقد ثارت فى أمر القميص المذكور عدة أقوال لا نرى نحن وجها لذكرها هنا .. وان كان البعض قد يلاحقوننا باسئلتهم عن خاصية القميص التى ترد الى يعقوب بصره .. فنقول بان يوسف نبى من قبل الله .. ويعقوب نبى من قبل الله ايضا .. والأنبيا يفهم بعضهم أسرار بعض .. بالاضافة الى أن لكل منهم معجزات يختصه الله بها .. فلا نستبعد أن يكون القميص قد باركه يوسف عليه السلام قبل اعطائه للاخوة ..

أما العنصر الثانى وهو الخاص بالهام يعقوب .. فان القرآن قد ترك قافلة الاخوة تسير فى طريق العودة الى كنعان حاملة معها الهدايا بالطبع .. وفيها القميص المشار اليه .. ليسرع القرآن فيصل بنا الى يعقوب ليصف حاله قبل أن يصل الاخوة اليه .. ولقد كان من حول يعقوب الاخوة الباقون الذين لم يرتحلوا الى مصر .. يروى القرآن : « ولما فصلت العير قال أبوهم : انى لأجد ريح يوسف !! لولا أن تفندون » (يوسف) ..

يقول ابن عباس « أى انى أشتم ريح يوسف .. فهو وجود حاسة الشم أشمه الله تعالى ما عبق بالقميص من ريح يوسف عليه السلام من مسيرة ثمانية أيام ».. وروى عن مجاهد والحسن ما لا يخرج عن هذا ..

ويحتمل إن يكون كلام ابن عباس رضى الله عنه كذلك.. لولا أننا نقول بأن القميص كان موجودا من قبل .. فلماذا لم يشم يعقوب قميص يوسف من وقت مضى ؟!.. فيطمئن الى أن يوسف لم يزل حيا .. ولم يكن هناك داع لحزنه وبكائه اللذين كان من نتيجتهما فقدان بصره .. ومما يجمل ذكره أن يعقوب بالطبع كان دائم التفكير فى يوسف .. وكان يعقوب يعلم أن يوسف حى يرزق .. فعندما جاء الاخوة بقميص يوسف ملطخا بالدم فى الفصول الأولى من القصة اكتشف انه دم كذب .. فقال : « بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ! » (يوسف ١٨) ..

وثانيا ـ عندما فقد بنيامين كذلك قال يعقوب للاخوة : « فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا » (يوسف ٨٣) أى ان يعقوب كان ينتظر لقاء يوسف مهما طال غيابه عنه .. وعندما بدأت ساعات اللقاء تحين فعلا .. اذ بحدس يعقوب يدله على اقتراب اللقاء المتوقع اقترابا كبيرا .. ذلك الحدس او الالهام الذى ينزل على قلب اى أب رحيم عطوف على ابنه البعيد .. فيؤكد ان ابنه قد أرسل اليه خطابا ـ مثلا ـ ويؤكد هذا الارسال تأكيدا شديدا مع مابينهما من شقة بعيدة . وأن الخطاب سيتسلمه بالبريد اليوم .. وتكون النتيجة صحيحة وهى تسلم الأب خطابا من ابنه فعلا .. فاذا أضفنا الى هذا أن يعقوب نبى .. فلا شك أن الهامه أو حدسه يكون على جانب كبير من الصحة ..

وهذا الالهام يصور لنا أنه سيلتقى بيوسف .. بل وسيقترب منه يوسف اقترابا شديدا .. كان يحتضنه مثلا فيشم رائحة يوسف التى حرم منها زمنا طويلا .. ولذلك فان يعقوب يؤكد لمن حوله من ابناء « انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » أى انى لأقترب من يوسف اقترابا يجعلنى كأننى أشم الآن رائحته بفتحتى أنفى هاتين .. لولا أنكم ترموننى بضعف العقل .. وقد أجابوه بقولهم فى سخرية : « تا لله انك لفى ضلالك القديم !! » (يوسف ٩٥) ..

ونأتى الى العنصر الثالث وهو الخاص بارتداد بصر يعقوب .. فنقول بأنه لم تمض فترة حتى استبان من حول يعقوب من الأبناء صدق حدس أبيهم .. وقوة الالهام لديه !. فقد جاء الذى يحمل قميص يوسف وألقاه على وجه يعقوب كما أشار يوسف .. فاذا بيعقوب يرجع بصيرا . يقول القرآن : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ! قال : ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون !؟ » (يوسف ٩٦) .. والذى جاء بالقميص

كان بشيرا فعلا !. وأى بشير !. فلقد كان ايذانا رائعا ببزوغ فجر جديد .. استطال ليله لعدة سنين !. وعند هذه النقطة طلب الاخوة من أبيهم أن يستغفر الله لهم ذنوبهم لأنهم كانوا خاطئين .. فوعدهم يعقوب باجابتهم الى طلبهم ضاربا صفحا عن فعلتهم .. يقول القرآن : « قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين . قال سوف أستغفر لكم ربى !.. انه هو الغفور الرحيم » (يوسف ٩٧ ، ٩٨) ..

وتجهز الجميع للسفر الى يوسف ..

ولقد وصل يعقوب وزوجته راحيل (أم يوسف كما روى عن الحسن وابن اسحق) واخوته ودخلوا على يوسف .. فضم اليه أبويه وعانقهما طويلا !. مستقبلا اياهما فى ترحاب كبير .. مقدرا لهما أبوتهما .. فما كان من يوسف الا أن رفعهما على عرشه أى سريره الذى يجلس عليه بنفسه .. وهو أرقى مكان بالطبع .. واذا بالجميع .. الأبوين والاخوة يخرون ليوسف سجدا !! يقول القرآن : « فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال : ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين .. ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا » (يوسف ٩٩ — ١٠٠) ...

وهنا ترجع القصة القرآنية الدقيقة الى افتتاحيتها المثلى .. فتعرج بنا الى رؤيا الكواكب التى رآها يوسف .. والتى بدأت بها الاحداث فى القصة تتصل .. وتتدرج .. ويتفرع بعضها على بعض .. حتى وصلت الى تعبير نفسها تعبيرا مقنعا فى وقت مناسب حساس .. ليست فيه كلفة ولا اغتصاب .. وما ذلك الا لتشفى القصة ظمأ القارىء الى معرفة تعبير الرؤيا .. فقد شوقته القصة فى افتتاحيتها بالرؤيا .. وتركته يسير مع الحوادث شبرا شبرا .. ولم تفصح للقارىء عن تعبير تلك الرؤيا الأولى التى استحوذت على قلبه .. وملكت عليه لبه وحواسه .. وانما تركت الأحداث تنتظم بعضها بعضا .. ومن مجموعها قدمت للقارىء عقدا لؤلؤيا ثمينا .. به لؤلؤة اطمئنان نفسى بخروج يوسف من السجن .. وأخرى مجىء الأهل من البادية من بعد أن نزغ الشيطان بين يوسف واخوته .. وثالثة ايتاؤه الله الملك وتعليمه تأويل الأحاديث .. وشكره لله على كل هذه النعم .. واعترافه بفضل الله عليه .. ورابعة دعاؤه بأن يتوفاه الله على الاسلام .. بالاضافة الى أن واسطة العقد وهى تأويل رؤياه وكيف جعلها الله حقا .. ولا يخفى أن كل لؤلؤة من العقد تعتبر عنصرا مشعا قويا من عناصر قصة يوسف جميعا .. وما قصة يوسف الا عبارة عن مجموعة تلك اللآلىء .. نظمت عودة سريعة .. أو تذكرة موجزة لجميع الحوادث التى مرت فى القصة الخالدة .. يقول القرآن بعد أن خر الجميع سجدا ليوسف : « وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا !! وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن ! وجاء بكم من البدو ! من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ! ان ربى لطيف لما يشاء .. انه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتنى من الملك! وعلمتنى من تأويل الأحاديث ! فاطر السموات والأرض .. أنت وليى فى الدنيا والآخرة ! توفنى مسلما !! وألحقنى بالصالحين ! » (يوسف ٩٩ — ١٠١) .

وهكذا نأتى الى خاتمة قصة يوسف الصديق — عليه السلام — !!..

ولابد لنا من كلمة قصيرة نوردها فى أعقاب هذا البحث .. تحمل منا ملاحظات عامة مررنا بها فى كل من القرآن الكريم وسفر التكوين .. وتحمل فروقا جوهرية بالنسبة الى سفر التكوين بالذات تخرجه بعنف عن كونه كتابا منزلا من عند الله !! الى كتاب يسرد بعض أخبار الأمم التى سبقة بطريقة تقريرية ساذجة .. لا تخضع لقانون من قوانين العقل والمنطق .. ولا تتصل بدين من الأديان !. لا من قريب ولا من بعيد !. ضاربة بعقيدة التوحيد عرض الحائط !. ومشوهة لسمعة يعقوب ويوسف تشويها يخرج بهما عن كونهما نبيين من قبل الله .. ومحطمة للدرجات العلى التى أنعم الله بها على نبييه الجليلين .. حتى ليمكن القول بقوة .. ومن أعلى المنابر :

ان سفر التكوين ليس كتابا دينيا بأية حال من الأحوال !. ولا كتابا دنيويا أيضا !. فهو غفل من كل ما يشير الى ما هو دين !.. وهو بعيد عن كل ما يقرب من الأدواء الاجتماعية التى يجب أن تترسم خطاها فى حياتنا .. ولقد رأينا المترجم يأتى بلفظ (الله) بمناسبة وغير مناسبة وبطريقة من يريد أن « يحشر » لفظ الجلالة حشرا بين السطور !!..

ونستطيع أن نجمل ملاحظاتنا العامة على القصة بالنسبة الى سفر التكوين فى النقاط الثمانية الآتية :

أولا : لم يأت سفر التكوين بأمر عن عقيدة التوحيد اطلاقا !. فلم يذكر أن الله واحد لا شريك له ولو مرة واحدة فقط !.. وكان كلمة التوحيد محرمة تحريما قطعيا فى جميع أرجاء القصة .. وكأنها — عند المترجم — رجس من عمل الشيطان !. ونحسب أن الذى ترجم سفر التكوين انما هو الرجس .. وهو الشيطان نفسه !.

ثانيا — ما بين الاصحاح ٣٧ حتى الاصحاح ٥٠ لم يخبرنا سفر التكوين بأن يعقوب نبى من قبل الله !!.. أو أن يوسف نبى أيضا !! وانما أظهرهما شخصين عاديين يتصرفان تصرفات ساذجة متناهية فى سذاجتها — كما عرفنا من قبل — .

ثالثا — لم يعتمد يعقوب على الله فى أى أمر من أمور القصة جميعا .. وكأنه شخص لا يعرف الله اطلاقا !! ولا يعلم شيئا ..

رابعا — ورد لفظ « الرب » ٩ مرات .. ولفظ « الله » ٢٧ مرة .. ولفظ « اله » ٩ مرات .. فيما بين أربعة عشر اصحاحا تنتظم ٢٧ صفحة عدد سطور كل منها ٢١ سطرا بالخط الرفيع ..

خامسا : التناقض الظاهر بين فقرات سفر التكوين نفسه مثل (الاصحاح ٤٤ : ١ — ٢) ، (الاصحاح ٤٤ : ١٢) .. ومثل (اصحاح ٤١ : ٣٤) ، (اصحاح ٤١ : ٤٩) ..

سادسا : هدم وتحطيم قواعد القصة الطويلة .. وكيف أن افتقاد أركانها يذهب بالقصة الى متاهات من الضحالة والتشويش .. ولقد رأينا كيف أن المترجم لم يضع للقصة نهاية منطقية على الاطلاق !.

سابعا : الاطناب الشديد — والتكرار فى أمور لا تحتاج اليهما القصة .. حتى أن القارىء اللبيب يستثقل القراءة فيها لاستطالة جملها وضحالة تراكيبها بطريقة تدعو الى السأم والملل !.

ثامنا — لا يخرج القارىء للقصة فى سفر التكوين بأية فائدة دينية على الاطلاق .. ولا حتى بفائدة دنيوية مهذبة ..

أما القرآن .. فلقد أبدع فى الاتيان بأركان القصة الطويلة جميعا .. وحشد لها عناصر فنية دقيقة .. ووضع كل عنصر فى موضعه السليم الذى ينسجم مع كل عنصر آخر .. والذى لا يتطرق اليه أدنى نقد !.. بل انه يعلو عن كل نقد .. العلو الذى يأمل كتاب القصة المعاصرون أن يصلوا اليه مع أنهم قضوا ردحا طويلا فى تجاربهم القصصية .. يشوق القارىء برؤيا يوسف .. ولا يعبرها فى حينها .. بل يترك القارىء شغوفا بها .. بينما تتابع الحوادث وتظهر على مسرحها رؤى أخرى يعبرها يوسف فى اقناع وقوة .. فيزداد شغف القارىء وتشوقه .. بينما من طرف خفى يجعل الحوادث نفسها تنتظم وتتشابك .. ويتصل بعضها بعضا بالبعض الاخر

فى خيوط من الايجاز والاعجاز ـ لترسم لنا فى النهاية لوحة فنية رائعة تعبر رؤيا يوسف بنفسها .. وفى أثناء تناول تلك العناصر .. تقدم الينا القصة كؤوسا مما تريد أن تتحفنا به من الدعوة الى الأخلاق الفاضلة وتتدرج الى تعليمنا الدين القيم الذى هو عصب الحياة السعيدة .. الى جانب المزايا التى تعود على الشخص اذا لم يشـأ أن يغاضب الله فى جريمة من الجرائم .. ومجمل القول ان قصة يوسف فى القرآن تعتبر كتابا مهذبا دسما .. يضم بين دفتيه أدب . علم . فن . بلاغة . أخلاق . جمال.. ويمكننا أن نورد ملاحظاتنا على القصة فى ايجاز كبير ـ مكتفين بما أوردناه فى مراحل القصة السبع ـ فى النقاط الست الآتية :

أولا : شرحت القصة فى القرآن عقيدة التوحيد شرحا وافيا.. يقول يوسف لصاحبيه فى السجن : « يا صاحبى السجن آأرباب متفرقون خير ؟ أم الله الواحد القهار ؟؟ ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان .. ان الحكم الا لله .. أمر أن لا تعبدوا الا اياه .. ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (يوسف ٣٩ ، ٤٠) .. هذا الأمر هو ما نفتقده كلية فى جميع دهاليز سفر التكوين !!..

ثانيا ـ أظهرت القصة نبوة يعقوب ونبوة يوسف منذ افتتاحية القصة فقالت : « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق » (يوسف ٦)

ثالثا ـ اعتماد يعقـــوب على الله فى كل أمر من أمور القصة .. يقول يعقوب ساعة مجىء الاخوة بدم كذب على قميص يوسف : « فصبر جميل .. والله المســتعان على ما تصفون » (يوسف ١٨) .. وكذلك عند طلب الاخوة لأخيهم بنيامين من أبيهم نجد يعقوب يقول : « لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم .. فلما آتوه موثقهم قال : الله على ما نقول وكيل !.. وقال : يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شىء .. ان الحكم الا لله !. عليه توكلت !.. وعليه فليتوكل المتوكلون » (يوسف ٦٦ ، ٦٧) .

رابعا : حشد جميع أركان ومقومات القصة الطـــويلة واستيفاء عناصرها فى سلامة ويسر ..

خامسا : الايجاز المعجز .. شأن القرآن جميعـه .. ولقد رأينا كيف كان الايجاز أثناء بحثنا للآية : « وقال الملك ائتونى به .. فلما جاءه الرسول قال : ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم » (يوسف ٥٠) .

سادسا : خروج القارىء من القصة بفوائد دينية.. فلقد علمت القارىء عقيدة التوحيد .. بالاضافة الى الفوائد الأدبية .. والأخلاقية .. الخ ..

وبعـــــد ...

فهل يتشدق المتشدقون بصلاحية قصة يوسف فى سفر التكوين من الناحية الدينية أو الدينوية أو الأدبية؟ ان مترجم القصة فى سفر التكوين قد نسج بجهله ستارا كثيفا حالكا حول أعين الملايين من متبعى تلك الـكتب !. دون أن يكون بينهم شخص واحد حكيم يثور فى وجه ذلك المترجم ويوقفه عند حده !. ويرجع الحق الى نصابه !. ويقول له : كفى تشويشا !. كفى تشويها للحقائق ؟. كفى بلبلة أفكار !.

ومن الغريب بانه يوجد بين تلك الملايين مثقفون .. ومتعلمون كثيرون .. منهم الحائز على اجازة الدكتوراه!! والماجستير !. والاستاذ الكبير !.. والمفكر العقبرى !. والمدرس الحاذق .. وكل أولئك ينظرون بدون أدنى تفكير أو تمحيص الى كلمة المترجم على أنها « كلمة الله » .. وانه قالها « فى حضرة الله » .. أو أن مثل هذه الكلمات : « كتبها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس! »

أما كلمة الله فظاهرة لكل ذى عينين ولمن ألقى السمع وهو شهيد !!.. وكلمة غير الله بينها وبين الأولى كالفرق بين الظلمة والنور تماما .. الأمر الذى نود أن نطالب من أجله ما سبق أن طالبنا به أثناء بحثنا للمرحلة الأولى من هذه القصة من تكوين لجنة خاصة متفرعة .. قوامهـــا أفراد من العلماء المدققين نجتمع بقصد الترجمة الأمينة المضبوطة لكتب العهد القديم لتنشر على متبعى هـــذه الكتب !! ونستطيع أن نؤكد أن اللجنـــــة سالفة الذكر ستخرج لنا فى النهاية باكتشاف ينير الطريق أمام الذين يتظاهرون باتبـــاع تلك الكتب على حالتها الراهنة .. فتسدى خدمة انسانية كبرى لا شك أنها ستحدث انقلابا عنيفا تتجدد فيه مراحل ظهور الاسلام الأولى !!

ولا نجد خيرا من اختتام كلمتنا هذه الا بالآية الأخيرة من سورة يوسف :

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب !. ما كان حديثا يفترى !. ولكن تصديق الذى بين يديه !. وتفصيل كل شىء !. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ! »

بقية مقـال الاسلام سلوك

عدوه « رستم » بطـل الفرس « أحرق كبدى .. انه يكلم الكلاب ـ يقصد العرب ـ فتفهم عنه » .

وعمر هو والد عبد الله الذى يقول : لو أعلم أن الله يتقبل منى سجدة واحدة لما كان هناك شىء أحب الى من الموت .

الحرية والمساواة

كان لعمر عبد من أهل الكتاب يقال له « اسبق » فعرض عليه أن يسلم حتى يستعين به على بعض أمور المسلمين فأبى ، فأعتقه وأطلقه وقال له « اذهب حيث شئت » .

وتقاول أبوذر هو واحد السود يوما فى حضور النبى ، فاحتد أبو ذر على الاسود ، وصاح به قائلا :

ـ يا ابن السوداء .

فغضب النبى لذلك وقال : « طف الصاع .. طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على السوداء فضـــل الا بالتقوى او بعمل صالح » .

واشترى على ـ كرم الله وجهه ـ مرة قميصين فقال لغلامه : اختر أيهما شئت ، فأخذ احدهما ، وأخذ على الآخر فلبسه ثم مد يده فقال لغلامه : اقطع الزائد من قدر يدى فقطعه وكفه ولبسه وذهب .

هذا هو التطبيق العملى لتعاليم الاسلام ، وهـــو سلوك خلق فى زمن يسير أمة ضربت ارفع المثل للحرية والعدل والمساواة .

فهل عند المسلمين اليوم كذلك .. نرجو

على هامش غزوة بدر

رؤيا عاتكة

المستشار ابراهيم الحسينى

اصبحت عاتكة بنت عبد المطلب ذات يوم منزعجة من رؤيا رأتها فى ليلتها تلك فلم تشأ أن تقصها الا على أقرب الناس اليهـا وهو اخوها العباس بن عبد المطلب ، فاستدعت احدى جواريها وأمرتها أن تدعو لها أخـاها العباس ، فلما حضر وجد أخته فزعة من اثر مارأت فى منامها . فقال لها : ماخطبك ياأختاه فقالت له عاتكه : ياأخى انى رأيت رؤياتخوفت منها وأشفقت أن يصيب قومنا منها مكروه وشيك الوقوع فارسلت اليك لتـكون أول مستمع لها ، ولتسدى الى النصح فيهـا . فقال لها : قصيها على يا أختاه ولا تراعى .. فقالت عاتكه : انى رأيت فى ليلتى هـذه : أن رجلا راكبا جملا جاء الى بطحاء مكة وصاح باعلى صوته قائلا : يا آل مكة انفروا لمصارعكم فى ثلاث (أى بعد ثلاثة أيام) فاجتمع الناس اليه ثم ذهب وهم يتبعونه الى المسجد ومثل به الجمل فوق الكعبة ثم صاح : انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، ونزل من فوق الكعبة وركض به الجمل الى قمة جبل الى قبيس . وصاح كما صاح من قبل ثم أخذصخرة وألقى بها من أعلى الجبل فانحدرت تهـوى وهى تزلزل الجبل حتى اذا بلغت القـاع تفلقت وتبددت وتفرقت شظاياها فى الطـرقات والشعاب فما تركت بيتا فى مكة الا دخلتـه فلقة منها » .

فلما سمع العباس ذلك قال لها : ان هذه لرؤيا فاكتميها ولا تبوحى بها لأحد ، فاوصته بمثل ما أوصاها ، وانصرف العباس . فوجد فى طريقه الوليد بن عتبه وكان صديقا لـه فاخبره بالرؤيا وطلب منه الكتمان ، وذكرها الوليد لأبيه عتبه فشاع الخبر فى أرجاء مكة.

وجاء العباس فى اليوم الثانى للطـواف بالكعبة . وكان أبو جهل بن هشام واشراف مكة جلوس يتحدثون فيما سمعوا من رؤيـا عاتكه . فلما رآه ابو جهل طلب منه أن يقبل عليهم اذا فرغ من الطواف . فاقبل عليهم وجلس بينهم ودار بين العباس وبين ابى جهل الحديث الآتى :

قال ابو جهل : يا أبا الفضل قد علمنا انكم تزعمون أن محمدا نبى . ولكن ماعلمنا قبل

اليوم أن فيكم نبية من النساء . فقال العباس وماذاك ؟ فقال ابو جهل " الرؤيا التى راتها عاتكه بنت عبد المطلب فقال العباس : ماذكر أحد عن عاتكه أنها رات رؤيا . قال أبو جهل: بل قد شاع فى مكة انها رات رجلا راكبا جملا وهو يصيح فى اهل مكة انفروا الى مصارعكم فى ثلاث .. فستربص بكم ثلاث ليال . فان كان ماذكرت حقا فقد كان ، والا كتبنا عليكم كتابا بأنكم ياآل عبد المطلب اكذب بيت فى العرب .

فسكت العباس ، ولما رجع الى بيته فى مساء ذلك اليوم كان خبر ماقاله أبو جهل للعباس قد شاع فى بيوت آل عبد المطلب . فامتلأت الدار بنسائهم آتين يستطلعن الحقيقة من العباس الذى لم ينكر مادار بينه وبين أبى جهل واعترف بانخذاله أمامه وتقصيره فى الدفاع عن حرمه . فانهلن عليه تقريعا وتعنيفا وقلن له : لم يكفك أن سكت على الطعن فى الرجال بل لقد نال بلسانه نساء آل عبد المطلب ولم يكن منك زجر ولا رد فأقر العباس بتقصيره ووعدهن بالثأر منه وارضائهن بما يسمعن عنه غدا .

وكان الغد هو اليوم الثالث للرؤيا فذهب الى المسجد مصمما على التحرش بأبى جهل ورآه جالسا بين جماعة من أشراف مكة فتقدم نحوه متحديا ، حتى اذا اقترب منه رآه يقف قائما ويهرول خارج المسجد . فظنه يهرب خوفا من تحديه ولكن لايلبث أن يدرك أنه سمع مالم يسمع هو . سمع ضمضم بن عمرو الغفارى يصرخ محذرا أهل مكة . وقد ركب جملا جدع انفه وحول رجله وشاقا قميصه ، وهو يقول : يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة . اموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث !

وهكذا أدرك أبو جهل ورهطه من قريش ، وأدرك العباس أن رؤيا عاتكه قد تحقق الشطر الأول منها وهو النذير بالويل والثبور .

ولما خافت قريش على تجارتها التى مع أبى سفيان تجهزت للسير اليها عن بكرة ابيها ولم يتخلف من أشرافها أحد الا أبو لهب بن عبد المطلب فبعث مكانه العاصى بن هشام وكانت قريش قد شرطت على المتخلف أن يبعث أحدا مكانه . وكان العاصى قد لاعب أبا لهب القمار فقلبه ثلاث مرات متتالية حتى أفلس ، فدعته شهوة القمار أو دعته منيته على أن يلاعب أبا لهب على أن يكون أيهما عبدا لمن غلب فقلبه أبو لهب . فبعثه مكانه . فلقى مصرعه على يد على بن أبى طالب .

وكان ابو سفيان قد تجسس عند بدر حتى علم ان المسلمين يعترضون طريق العير عندها فأرسل ضمضم بن عمرو لينذر قريشا ... وانحرف بالعير نحو الساحل متجنبا بدرا .. ولما جاوزها وعلم ان قريشا نفرت للدفاع عن تجارتها ارسل رسولا يخبرهم أن العير نجت وينصحهم بالعودة الى مكة وكان العرب يقيمون عند بدر سوقا كل عام فتكلم بعض العقلاء ناصحين بالعودة ولكن آخرين ممن أخذتهم العزة بالاثم أبوا الا تماديا فى الطغيان وعلى رأسهم أبو جهل بن هشام فقد رمى الناصحين بالعودة بالجبن والخور وانتفاع السحر ، وقال : والله لانرجع ، نقيم ثلاثة أيام ببدر ننحر ونطعم الناس ونشرب الخمر ، وتغنينا القيان حتى يتسامع العرب بنا فلا تزال القبائل تهابنا أبد الدهر .

وهكذا هيأ الفرصة لتحقيق الشطر الثانى من الرؤيا ، وهو مصارع القوم وكان هو أحد الضحايا المصرعين .

وقامت الحرب بين ثلاثمائة وبضعة عشر من المسلمين مسلحين بالتقوى والايمان وبين مشركين يزيدون عنهم فى العدد ثلاثة أضعاف .. وأسفرت المعركة عن قتل الكثيرين من صناديد قريش وأشرافهم وعلى رأسهم أبى جهل بن هشام وعقبة وأخيه شيبة وابنه الوليد وقتل وأسر آخرين غيرهم ، ولما سمعت مكة بالذى حل ببنيها من نكبة عمها الصراخ والبكاء حتى لم يبق بيت فيها الاقامت به مناحه ونصب فيه ماتم .

فتحقق بذلك ختام الرؤيا ، وهو تفتت صخرة على قبيس وزحف شذراتها فى طرقات مكة حتى دخلتها بيتا بيتا .. وكانت كما قال العباس بن عبد المطلب ان هذه لرؤيا .

شهر رجب

الأستاذ
محمود لطفي عبد الكريم

هو احد الاشهر الاربعة الحـــرم ، وهو شهر حافل بالحوادث العظيمة ، والأحكام الهامة ، وكفاه شرفـــا أن الله فرض فيه أعظم ركن من أركان هـــذا الدين ، وهو الصلاة .

ومن الحوادث التى وقعت فى هذا الشهر ماكان سببا لنزول قوله تعالى : « يسالونك عن النســـهر الحرام قتال فيه قل قتال فيـــه كبير ، وصـــد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبـــر عند الله ، والفتنة اكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطـــاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل عبد الله بن جحش الاسدى فى شهر رجب من الســـنة الثانية للهجـــرة ، على رأس جمـــاعة من المهـــاجرين الى نخلة ـ مكان بين مكة والطائف ـ ليترصد قريشا ويعرف اخبارها ، ووصل الى حيث أمره النبى ، وهنـــاك مرت بهم عير لقريش تحمل تجارة ، بقيـــادة [illegible] الحضرمى ، وتصادف أن كان ذلك اليـــوم آخر يوم من شهر رجب ، الذى حرم الله فيه القتال ، ووقع عبـــد الله ومن معه فى حيرة ، أيتعرضـــون للعير فى ذلك اليـــوم ؟ لئن فعلوا فقد انتهكوا حرمـــة الشـــهر الحرام ، أو ينتظرون الى الغد حتى ينتهى الشهر المحرم ؟ لئن فعلوا فقد أفلت منهم الحضرمى ، ودخل الحـــرم [illegible] ، وترددوا فيما يفعلون ، وأخيرا شجعوا انفسهم وتعرضوا لهم ، فرمى احدهم الحضرمى بسهم فقتلـــه ، [illegible] رجلين من قريش .

ولما رجـــــع عبد الله الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعير والأسيرين غضب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقال له : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام » واسقط فى يد عبد الله واصحابه ، وتعرضوا للـــــوم المسلمين ، وتشنيع اليهود والمشركين ، وفى هذه اللحظة الحرجة نزلت الآية الآنفة ، وبها يرخص الله للمسلمين أن يدفعوا الضرر الأشد بالضرر الأهون ، وهو حـــكم له خطره وأهميته ، لأنه يفسح المجال أمام المســـلمين للخروج من المآزق التى يقعون فيها .

ومما وقع فى هذا الشهر المبارك حـــادث الاســـراء والمعراج ، فى ليلة السابع والعشرين منه ، على المشهور

وقبل أن نتعرض لبيان حقيقـــة الأسراء والمعـــراج ، وهل كانا بالروح فقط ، أم بالروح والجســـد جميعا ، فاننا نذكر باختصار مارآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى تلك الليلة العظيمة .

فقـــد أسرى به ـ صلوات الله وســـلامه عليه ـ من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس ، وصلى هناك بالأنبياء اماما .

ثم عرج به فى نفس الليلة الى السموات العلا ، فرأى فيها من الأنبياء آدم ـ أبا البشر ـ ويحيى ، وعيسى ، ويوسف ، وهارون ، وموسى ، وابراهيم .

وفى تلك الليلة فرض الله عليه وعلى امته خمسين صلاة فى اليوم والليلة ، صـــارت بعد سؤال التخفيف خمسا فى الفعل ، وخمسين فى الاجر .

ويرى الزهرى أن هذا الحادث وقع قبل هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينـــة بســـنة ، ويرى ابن عبد البر وغيره أنه كان بين هذا الحادث والهجـــرة سنة وشهران .

وكلا الرأيين ـ عنـــدى ـ بعيد عن الحقيقة ، فالمعروف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل المدينة مهاجرا فى منتصف ربيع الاول ، ولو اخذنا رأى الزهـــرى ، أو ابن عبد البر لكان الاسراء والمعـــراج قد وقعـــا فى شـــهر ربيع الأول ـ على الرأى الأول ـ أو فى شهر المحرم ـ على الرأى الثانى ـ وهذا وذاك يخالف القول المشـــهور من أنهما كانا فى شهر رجب .

بقى أن نعرف كيف أسرى وعـــرج به ، وهل كان ذلك بروحه فقط ، أم بروحه وجسمه جميعا ؟

يرى الجمهور ان ذلك كان بجسده الشريف وروحه الطاهرة ، ورجح ابن قيم الجوزية هذا الرأى .

ونقل عن عائشة ومعاوية – رضى الله عنهما – أن ذلك كان بروحه فقط ، وعلى هذا الرأى الحسن البصرى .

وقد ظن كثير من الناس أن مقصود أصحاب الرأى الثانى ان ذلك كان مناما ، فشغلوا أنفسهم ، وشغلوا الناس بما لاطائل تحته ، واخذوا يدفعون هذا الرأى ، ويردون على أصحابه بكلام كثير ، من امثال قولهم : ان الرؤيا المنامة تحصل لجميع الناس – انبياء وغير انبياء – فلو كان الذى حدث للنبى – صلى الله عليه وسلم – مناما ، لما تحدى الله به الناس ، ولما امتن به على النبى – صلى الله عليه وسلم – بقوله : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » ، ولما وقف المشركون من النبى – صلى الله عليه وسلم – موقف التكذيب والانكار .

ولا شك أن ظن هذا الفريق مخالف للحقيقة ، ويدل على أنهم لم يدركوا حقيقة مقصود القائلين بحصول الاسراء والمعراج بالروح فقط ، فعائشة ومعاوية ،ومن نهج نهجهما يدركون الفرق البعيد بين الرؤيا المنامية والرؤيا الروحية ، فان مايراه النائم قد يكون أمثالا مضروبة للمعلوم فى الصور المحسوسة ، فيرى النائم كأنه عرج به الى السماء ، بينما روحه فى مكانها من جسده ، لم تفارقه الى أى مكان .

وأما الاسراء والعروج بالروح ، فان معناه أن روح النبى – صلى الله عليه وسلم – أسرى وعرج بها حقيقة ، وباشرت من الأمور مثل ما تباشر الأرواح ، التى فارقت أبدان أصحابها ، فالذى كان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أكمل مما يحصل للروح عند مفارقتها للبدن بعد موت صاحبها .

وذهاب روحه الطاهرة الى المسجد الاقصى ، والعروج بها الى السموات العلا من غير اماته ، أمر خارق للعادة ، فان أى روح من أرواح الناس – أنبياء أو أشخاصا عاديين – لا يمكن أن تذهب الى أى مكان ، ولا أن تصعد الى السماء الا بعدموت صاحبها .

والأنبياء الذين رآهم النبى – صلى الله عليه وسلم – فى المسجد الأقصى وفى السموات أرواح بغير أبدان ، ففى عالم الأرواح هذا اجتمعت روحه – عليه الصلاة والسلام – مع أرواحهم ، مع فارق بينه وبينهم ، وهو انه كان حيا ، بينماكان هؤلاء الانبياء أمواتا ، ولو انهم كانوا أحياء لكان من المستحيل أن توجد أرواحهم فى هذه الأماكن .

وتلك مزية تفرد بها محمد – صلى الله عليه وسلم – دون الناس جميعا ، وأمر خارق للعادة يستحق أن يتحدى الله به الناس .

ومما يتصل بهذا الموضوع رؤية النبى – صلى الله عليه وسلم – لربه فى تلك الليلة ، ولقد كثر كلام العلماء فى ذلك ، وسأورد هنا خلاصة ما أطلعت عليه فى هذا الموضوع .

لم يقل أحد من الصحابة ، ولا من الائمة : ان النبى – صلى الله عليه وسلم – رأى ربه بعينى رأسه فى ليلة الاسراء .

فقد سأل أبوذر رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

هل رايت ربك ؟ فقال : « نور ، انى أراه ؟ » ، اى لم أره ، لان النور حال بينى وبين رؤيته عز وجل .

وكذلك انكر الرؤية عبد الله بن مسعود وعائشة رضى الله عنهما .

وقال ابن عباس : انه رآه بفؤاده ، والظاهر انه استند فى هذا الى قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى» وقوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى »

وقول ابن عباس هذا مردود بانه قد صح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – مايفيد ان هذا المرئى فى الآيتين هو جبريل ، فقد رآه فى صورته التى خلقه الله عليها مرتين ، مرة فى الارض ، ومرة عند سدرة المنتهى وسياق الآيتين يدل على ذلك ، فالله يقول قبل ذلك : « علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او ادنى ، فاوحى الى عبده ما أحى ، ماكذب الفؤاد ما رأى » .

فجبريل هو هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة « اى القوة » ، وهو الذى استوى بالافق الاعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ومن كل هذا يتبين ان النبى – صلى الله عليه وسلم – لم ير ربه فى ليلة الاسراء ، لا يقظة ، ولا مناما ، ولا بفؤاده .

نعم قد صح عنه – صلى الله عليه وسلم – انه قال : « رايت ربى تبارك وتعالى » ، ولكن ذلك لم يكن فى ليلة الاسراء ، كما أنه لم يكن فى اليقظة ، بل كان مناما وهو بالمدينة ، فلما اصبح اخبر اصحابه بذلك ، وذلك بعيد عما نحن فيه .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

بقية مقال « دراسات فى الاسلام »

النافذ فى هذه الأمور جميعها . تلك أيام حرب اذا لم يوجد فيها التوجيه خيف الاضطراب وسوء العاقبة . والخليفة هو المسئول الأول أمام الذين بايعوه عن كل ما يحدث ، فعليه التبعة العظمى أمام الله وأمام الناس وأمام ضميره . وكان شعور أبى بكر بجسامة التبعة عظيما ، ولذلك تجرد لأمور الدولة ولحمل هذه التبعة تجردا تاما لم يسمح لشىء قط أن يشغله ، وقد سار دائما فى الطريق الذى رسمه رسول الله ، يتنكبه ولا يحيد عنه ، وكان هذا خير كفيل بالنصر والنجاح ، وكان أبوبكر من جانبه مطمئنا كل الاطمئنان الى هذا النجاح ، فلقد وعد الله رسوله لينصرن دينه ، ووعد الله حق وقد نصر الله المسلمين فى حروب الردة ، وها هى جيوشهم فى العراق يسايرها النصر حيث سارت ، ثم هو لا شك ناصرها على عدوها بالشام .

« يتبع »

بين حلف الفضول ومؤتمر عدم الانحياز

الأستاذ ابراهيم عوضين

في مصر هذه الأيام لقاءات ومؤتمرات ، تجمع الشتيت من دول العالم .. سعيا لانهاض كيان مهدر عملت على اهداره مطامع حفنة من شرار البشر ، وتحقيقا لسلام مضاع عملت على اخفائه نزوات العدوان التى استبدت بتلك الحفنة من شرار البشر ، واقامة لعدالة تحالفت فى سبيل القضاء عليها دول أوربا لتصل الى ما تصبو اليه من استعمار واستغلال وسيطرة وتوسع على حساب حياة من يشاركونها الحياة فوق أرض الله .

يلتقى ملوك ورؤساء الدول العربية ، لتخليص الأرض السليبة من أيدى الصهيونيين ، وللوقوف فى وجه التوسع الصهيونى على حساب العربى ، وللقضاء على بذور الشقاق التى غرسها المستعمرون فى النفوس المظلومة ليتمكن الضعف منها وتظل داخل نطاق ظلمه دائما .

ثم يلتقى ملوك ورؤساء على نطاق أوسع نأى بينهم المكان ، ولكن جمعهم الاحساس بالظلم ، فالتقوا باسم الانسانية ، ليدفعوا عنها الظلم ليس فيهم فحسب ، وانما فى كل موطن تمتد اليه يد ظالم .

التقوا باسم أممهم ليبرزوا كيانها المهدر فى وسط هذا الخضم الجائر الذى تشكله الدول الاستعمارية والتوسعية من أقصى الأرض الى أقصاها .

وعلى الرغم من كل ما يبذله الصهيونيون من عقبات ...

وعلى الرغم من كل ما تقيم الدول الكبرى من عراقيل فى مواجهة هذه اللقاءات .. فانى — وأنا أستطلع التاريخ الانسانى — أستطيع أن أقر أن هذه المؤتمرات تكاد تحقق ما هدفنا من جرائها ، وان بدا ذلك بعيدا أمام بعض العيون .

فالطاغية انما يستمد طغيانه من ضعف من يتعامل معهم ، والظالم انما يستمد ظلمه من تفكك من يقعون تحت وطأته ..

وهذا هو السبب فى حرص هؤلاء على اضعافنا دائما .

وهذا هو السبب فى حرصهم على الايقاع بيننا — كذلك — دائما .

روى ابن الأثير أن رجلا من « زبيد » أتى بتجارة الى مكة فاشتراها « العاصى بن وائل

السهمى » ، ثم حبس حقها ، وأبى أن يدفعه !
.. فاستعدى الزبيدى عليه قبائل قريش والأحلاف فلم يكترثوا له ، لأن تلك الأحلاف كانت فى ذلك الحين كهيئة الأمم المتحدة اليوم ، تنصر القوى ولو كان ظالما - وهو فى الغالب ظالم - وتقف بجواره ضد الضعيف ولو كان مظلوما - وهو فى الغالب مظلوم .

ولكن « الزبيدى » لم يقنع بذلك الموقف من الأحلاف فوقف عند الكعبة وأنشد :

يا آل فهر لمظلوم . بضاعته
ببطن مكة . نائى الدار والنفر !
ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال - وبين الحجر والحجر ؟!
ان الحرام لمن تمت كرامته
ولا حرام بثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ، ثم وجه النداء الى قبائل قريش لنصرة هذا الغريب المظلوم ، فلباه بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وبنو أسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة . والتقوا فى دار عبد الله بن جدعان ، فتحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غير أهلها من سائر الناس الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته .

وسمت قريش هذا الحلف « حلف الفضول » وكان ممن شهد هذا الحلف محمد بن عبدالله قبل أن يرسل ، فقال - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أرسله الله تعالى :

« لقد شهدت مع عمومتى حلفا فى دار عبدالله بن جدعان ما أحب ان لى به حمر النعم ولو دعيت به فى الاسلام لاجبت » .

وليس غريبا أن يقدر رسول الاسلام حلف الفضول هذا التقدير ، وأن ينزل أمثاله هذه المنزلة من نفسه ، لأن مجتمع الاسلام هو مجتمع الانسانية كلها ، لا فرق لديه بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين لغة ولغة ، ولا حتى بين دين ودين .

مجتمع ليس لجغرافيته حدود ، وليس للعنصرية فيه وجود ..

فالاسلام يواجه مجتمعه فى أول لقاء ينفى كل تلك النعرات التى تخلق التعصب والانحياز .

« قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره . والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

(٢٤ التوبة)

والاسلام يلفت المسلمين الى أن أصل الجميع واحد ، فلا ميزة لعنصر على عنصر ، ولا فضل لجنس على جنس ، وأن مناط التفاضل والتمايز انما هو تقوى الله والعمل الصالح .. وتقوى الله والعمل الصالح يتساوى فى التلبس بهما بنو البشر جميعا .

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .
ان أكرمكم عند الله أتقاكم .
ان الله عليم خبير » .

(١٣ الحجرات)

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... »

(أول النساء)

ويقول - صلى الله عليه وسلم - « **ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » .**

أخرجه أبو داود

فباستطاعة كل انسان أن يعيش فى حمى الاسلام ، وفى ضمن مجتمعه ، دون أن يحس غربة ... بل انه - على العكس من ذلك - ليحس آصرة واحدة تربط بينه وبين ذلك المجتمع .

وهذا الموقف من الاسلام يحقق السلام العالمى للانسان ، لأنه يقضى على أهم أسباب الحروب ، ويقف فى وجه التكالب الاستعمارى الذى يقوم على الشعور بالتفاضل القومى أو العنصرى .. وليس التكالب الاستعمارى - كما تفسره

الماركسية – يقوم على الرأسمالية فحسب ، لأن الرأسمالية وحدها لا تكفى لقيام الاستعمار عليها .

ولو أن الناس تخلوا عن العنصرية والقومية الضيقة لما استطاعت الرأسمالية أن تنشىء استعمارا ، وكل ما يمكنها أن تنشئه – عندئذ – هو استغلال طبقة لحساب أخرى .

ولا شك أن هذا غير ذاك ... ولكل فى الاسلام علاجه ووسيلة القضاء عليه .

. . . .

ولا يعنى ذلك أن الاسلام يحارب فكرة الوطنية فى مجتمعه ، ولكنه يبقى على المعنى الطيب من تلك الفكرة ، وهو معنى التجمع والتآخى والتعاون والنظام ، والهدف الذى تلتقى من أجله الجماعة من الناس .

فالاسلام – بدعوته تلك – يحرر فكرة الوطنية من مادية الأرض ، ويجعلها فكرة شعورية – لا رقعة أرضية فحسب – يجتمع فى ظلها الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومواردهم ، فاذا هم جميعا أبناء وطن واحد ، تلك الفكرة هى الاسلام ..

« انما المؤمنون اخوة .. »

(١٥ الحجرات)

ويقول – صلى الله عليه وسلم – **« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »** .

أخرجه الشيخان

ويقول : **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** .

أخرجه الشيخان

بذلك يقضى على نزعة الاستغلال العنصرى ، التى تقود الى الانحياز والتعصب فى مواجهة الحق ، فكل ما ينشأ عنه شعور المسلم بأن كل أرض يظللها الاسلام هى وطنه ، وبأن كل مسلم يعيش على الأرض هو مواطن له .

ثم لا يعنى ذلك أن الاسلام قد حطم عصبية الجنس واللون والأرض ، ليقيم عصبية الدين – وهى قد تكون أخطر على العلاقات البشرية من عصبيات الجنس واللون والأرض كما رأينا فى الحروب الصليبية والمذابح الهندية – لا يقيم الاسلام عصبية الدين على أنقاض تلك العصبيات .

لأنه لا يقصر خيره على أتباعه – فحسب – بل يجعل خيره للناس جميعا .

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

(١٠٦ الأنبياء)

ولأنه لا يمنع من الظلم انسانه – فحسب – بل يدفعه عن الناس جميعا ، ويمنع منه الناس جميعا .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

(١١٠ آل عمران)

ولأنه لا يقسر أحدا على أتباعه .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

(٢٥٦ البقرة)

كل ما يريده أن تترك له حرية الدعوة بين أهل الأرض جميعا حتى يصلهم بالخير المطلق الذى جاء به ، وألا يقهر أتباعه على ترك عقيدتهم ، وأن تتاح له القوة اللازمة لحمايتهم من العدوان عليهم ، واللازمة لتنفيذ شريعته بينهم .

وهذا يقتضى تنظيما معينا .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » .

(٢٢ المجادلة)

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين .

« انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم .

ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

(٨ – ٩ الممتحنة)

ومن ثم ... فعصبية الاسلام ليست - كما ظن من لا يعرف الاسلام - عصبية كراهية وحقد على الأجناس الأخرى .

فالأمة المسلمة خليط من جميع الأجناس . وليست عصبية كراهية وحقد على أتباع دين معين لمجرد أنهم لا يعتنقون الاسلام .

فالأمة المسلمة ترى أتباع الأديان الاخرى كما ترى المسلمين ، والاسلام لا يريد حرية العبادة لأتباعه وحدهم ، انما هى حق لكل صاحب دين ، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع .

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

(٣٩ - ٤١ الحج)

* * *

ان عصبية الاسلام تدعو المؤمنين لقتال الظالمين دفاعا عن صوامع الرهبان وكنائس النصارى وبيع اليهود ومساجد المسلمين .

ولم يكن القتال وسيلة من وسائل نشر الاسلام ، لأن ذلك يحقق العصبية بمعناها الشرير الحقير .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

(١٢٥ النحل)

ولذلك قيد الاذن بالقتال وجعله محدودا بحدود ...

(أ) رد العدوان ...

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

(١٩٠ البقرة)

(ب) الوقاية ممن ينقضون العهد السلمى بحيث يصبح المسلمون معهم فى قلق

« ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء . ان الله لا يحب الخائنين » .

(٥٥ - ٥٨ الأنفال)

جـ) حماية الضعفاء من الظلم ...

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة . ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان . ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

(٧٤ - ٧٦ النساء)

ومن ثم ... تتأكد العالمية فى مجتمع الاسلام ، فهو لا يقصر القتال على تحقيق مصالح خاصة لأفراده موزعين أو مجتمعين ، ولكنه يعتبر نصرة المظلوم ، وتخليصه من ظلم ظالمه سببا يدعو للقتال - مع حبه للسلم ورغبته فيه - أيا كان هذا المظلوم ، وأيا كان هذا الظالم ..

لا فرق بين مظلوم ومظلوم فى استحقاق الدفاع ، والتجمع لنصرته ، حتى ولو كان هذا المظلوم على غير عقيدة الاسلام ، وفى غير موطن المسلمين .

فوجود جماعة من البشر فى غير مأمن يوجب على الأمة المسلمة أن تقدم لهم العون ، وتمد لهم يد الحماية والوقاية من الظلم فى كل صورة من صوره .

ولا فرق بين ظالم وظالم فى استحقاق الكف والحيلولة بينه وبين الظلم « حتى ولو كان هذا الظالم أحد المسلمين أو جماعة منهم .

فوجود الظالم من بين المسلمين لا يبرر ظلمه ، ولكنه يحتم المسارعة الى كفه والوقوف فى وجهه .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » .

فقال المسلمون - مشدوهين - : « يارسول الله عرفنا كيف ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟! »

فقال عليه الصلاة والسلام : « بمعنه من الظلم » .

• • • •

ولهذه الأهداف كانت الحروب الاسلامية التى دفع جماعة المسلمين اليها روح دينهم وما يشتمله من قيم عالمية وانسانية .

واذا وقع في بعض الأحيان من بعض الجماعات المسلمة أن كانت حروبهم لغير ذلك ، بأن كان ثمة هدف الاستغلال المادى ، أو رغبة الاكراه على الدين ، أو أى عنصر آخر غير ما سبق ذكره ، فان تلك الدوافع الأخرى ليست من الاسلام في شيء والاسلام منها برىء ، مثل هذه الجماعة - فى تلك الحالة - تكون منحرفة عن مثل الاسلام وقيمه .

جاء رجل الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : « الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى فمن فى سبيل الله ؟ »

قال عليه الصلاة والسلام : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

(أخرجه الشيخان)

وهكذا يجرد الانسان من الميل الى المنفعة أو الانحياز الى التعصب ، ويوجهه الى الحق .. والحق وحده .

ويروى أهل السيرة أن أحد المنافقين يقال له « قزمان » وكان بطلا شجاعا ، ولكنه تخلف عن الذهاب مع المسلمين فى غزاة « أحد » فلما أصبح عيره نساء بنى قومه ، فقلن له : ياقزمان قد خرج الرجال وبقيت أنت ياقزمان ! ألا تستحى مما صنعت ؟! ما أنت الا امرأة خرج قومك وبقيت فى الدار .

قالوا : فأحفظته بهذا التقريع ، فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه وخرج يعدو حتى انتهى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يسوى صفوف المسلمين فجاء من خلف الصف حتى انتهى الى الصف الأول فكان فيه ، وكان أول من رمى بسهم من المسلمين ، وجعل يرسل نبلا كأنها الرماح ، وانه ليكت كتيت الجمل ، ثم صار الى السيف ففعل الأفاعيل ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ... ياللأوس قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثلما أصنع .

قالوا : فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال : قد قتل ، ثم يبدو ، فيقول : أنا الغلام الظفرى .

وما زال على ذلك حتى أصابته الجراح وكثرت فيه فوقع ، فمر به قتادة بن النعمان ، فقال له : أبا الغيداق !!

قال قزمان : لبيك !

قال : هنيئا لك الشهادة .

قال قزمان : انى والله ما قاتلت ياأباعمر على دين .. ما قاتلت الا على الحفاظ أن تسير قريش الينا فتطأ سعفنا .. ثم آذته الجراح فقتل نفسه .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - « ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » وفى رواية أخرى أنه - عليه الصلاة والسلام - قال « هو فى النار » .

وهكذا اعتبر الاسلام كل بلائه فى الحرب - على عظم ذلك البلاء - وكل تضحياته - على روعة تلك التضحيات - لا قيمة لها ، لأنها كانت فى سبيل نعرة قومية بحتة ، وعصبية اقليمية مجردة لا يعرفها الاسلام فى مجتمعه الذى يقوم على المبادىء الانسانية ، ويجتمع مع أخيه من أجلها ، ويتحالف مع كل القوى لها وينحاز اليها فى مواجهة كل من يعتدى عليها حتى ولو كان هذا المعتدى ممن يضمهم مجتمع الاسلام أو يدينون به .

يحيى بن يعمر العدواني

الاستاذ محمد سيد جاد الحق

من ولد عدوان بن قيس بن عيلان من مضر ومن بنى عوف بن بكر ولد بالأهواز وسكن البصرة وكان محط رحال العلماء فى الحديث والفقه ولغات العرب ومن كتاب الرسائل الديوانية كتب للمهلب بخراسان ، فجعل الحجاج يقرأ كتبه فتستهويه فسأل عنه ، فأخبر به فكتب اليه فقدم عليه فرآه فصيحا جدا فقال له أين ولدت فقال بالأهواز قال : فما هذه الفصاحة ، قال حفظت كلام ابى وكان فصيحا فأخذت ذلك عنه فهو من خيرة التابعين الذين ازدانت بهم أرض البصرة وسماؤها عين الزمان ويمينه لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، موارد معارفه سائغه وملابس عوارفه سابغه مع شيمة لو انها فى الماء لنظافتها ماتغير ، وهمة لو تمسكت بها يد النجم ما تضور وأياد روائح غوادى كنسيم الروض غب الغوادى لقى عبد الله بن عمر وابن عباس فأصاب من فضلهما وعكف على وجوه القراءة فكان فى ميدان السبق الفارس المجلى أحد قراء البصرة الذين يشار اليهم بالبنان وتعقد الخناصر على فضلهم مدى الازمان وعنه أخذ عبد الله بن اسحاق القراءة فبرز فيها .. ويحيى بن يعمر أول من نقط المصاحف حتى كان لابن سيرين أحد الفقهاء بالبصرة مصحف منقوط وهو أول من وجه الى الحجاج كلمة الحق ولم ترهبه صولاته فان الحجاج حين بنى واسط سأل الناس ماعيبها فقالوا لانعرف لها عيبا وسندلك على من يعرف عيبها فدلوه على يحيى بن يعمر ، فبعث اليه فسأله فقال بنيتها من غير مالك وسيسكنها غير ولدك ، فغضب الحجاج وقال ماحملك على ذلك قال ما أخذ الله تعالى على العلماء فى علمهم أن لايكتموا الناس حديثا ، فنفاه الى خراسان فولاه قتيبة بن مسلم ، قضاءها فقضى فى أكثر بلادها نيسابور ومرو وهراه .

الحجاج يسأل : سأل الحجاج يحيى بن يعمر فقال له اخبرنى أيلحن عتبة بن سعيد ، فقال نعم كثيرا ، قال ففلان قال نعم قال اخبرنى عن نفسى أتسمعنى ألحن على المنبر قال الأمير أفصح من ذلك ، فألح عليه فقال حرفا قال أيا قال فى القرآن قال الحجاج ذلك أشنع فما هو قال تقول قل ان كان أباؤكم وأبناؤكم الى قوله عز وجل أحب فتقرؤها بالرفع والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان قال لا جرم لا تسمع لى لحنا أبدا فقال له الحجاج طول لحيتك أوقعك وكان طويل اللحية فقال رجل ممن حضر أيها الأمير حدثنى كعب الأحبار أنه مكتوب فى بعض الكتب أن اللحية مخرجها من الدماغ فمن تفرط عليه لحيته فى طولها يخف دماغه ومن خف دماغه قل عقله ومن قل عقله كان أحمق والأحمق لايسمع منه فقال الحجاج لاتساكننى ببلد أنا فيه ونفاه الى خراسان وبها يزيد بن المهلب فكان عنده .

انتصار ابن المهلب : انتصر يزيد بن المهلب على عدوه فأمر يحيى بن يعمر أن يكتب بخبر

هذا النصر الى الحجاج فكتب يقول انا لقينا العدو فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة واسرنا طائفة ولحقت طائفة برءوس الجبال واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه فقال الحجاج من يكتب ليزيد بن المهلب فقيل له يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد يأمره بحمله اليه على البريد فقدم له فرآه افصح انسان فقد كان من فصحاء اهل زمانه واكثرهم علما باللغة مع الورع الشديد وعرعرة الجبل اعلاه واهضام الغيطان مداخلها .

صراحة بعض عمال الحجاج سال الحجاج يوما بعض كتابه فقال له مايقول الناس فى فاستعفاه فلم يعفه قال يقولون انك ظلوم غشوم قتال عسوف كذاب قال كل ماقالوا فقد صدقوا فيه الا الكذب فوالله ماكذبت منذ علمت ان الكذب يشين أهله .

يحيى وابو الأسود الدؤلى قدم يحيى على أبى الأسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال له ابو الأسود مافعل أبوك فقال اخذته الحمى فطبخته طبخا وفنخته فتخا وفضخته فضخا فتركته فرخا ومعنى فنخته أضعفته وفضخته دقته .

امير بالبصرة ويحيى بن يعمر خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فان من يتق الله فلا هوارة عليه فلم يدركوا ماقال الأمير فسألوا يحيى بن يعمر فقال الهوارة الضياع يقول من يتق الله فليس عليه ضياع ... قال الراوى فحدثت بهذا الحديث الأصمعى فقال هذا شيء لم اسمع به قط حتى كان الساعة منك ثم قال ان كلام العربى لواسع لم أسمع بذا قط ولا غرابة فى هذا فقد كان يحيى بن يعمر ينطق بالعربية الفصحى فقد اخذ بزمامها ، وجلس على عرشها اخذ اللغة عن ابيه والنحو عن أبى الأسود الدؤلى وتشيع لأهل البيت من غير انتقاص لغيرهم وفيه يقول عبد الملك بن عمير فصحاء الناس ثلاثة موسى بن طلحة ، ويحيى بن يعمر ، وقبيصة بن جابر .

الحجاج ويحيى بن يعمر ارسل الحجاج الى يحيى بن يعمر فلما حضر بين يديه قال له انت الذى تقول ان الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتين بالمخرج أو لأضربن عنقك فقال له فان أتيت فأنا آمن قال نعم قال له اقرأ ((**وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء الى قوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين**)) فمن أقرب عيسى الى ابراهيم وانما هو ابن بنت بنيه أو الحسين الى محمد فقال الحجاج فوالله لكأنى ما قرات هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بالبصرة قاضيا حتى مات .

وقال يرثيه أحد تلامذته بعد موته بقوله :

دخل يسليني على بعد داره
ويكشف من كرب المشوق المتيم

ودادى موقوف عليه وخلقى
وفكرى مشغول به وتوهمى

على أننى من ضيق سجنى وحيلتى
بليت كما حدثت عن حفش أيم

(۱) الحفش البيت الصغير

اجانب فيه ذكر خلي كرامة
وأخجل من طيف الخيال المسلم

أرى نوب الدنيا تروح وتغتدى
فمن فرح ناء وهم مخيم

اذا شئت اسعاف الزمان وعطفه
فبادر بدار المسرع المتغنم

وناد بيا يحيى يحييك بالمنى
وثن باسماعيل تسم وتعظم

بعطفة ذى المجدين ارجو من الردى
خلاصى ولو ألقيت فى شدق أرقم

وكانت وفاته رضى الله عنه فى سنة تسع وعشرين بعد المائة فأفل نجمه بعدما طلع على الدنيا بدرا لامعا وكوكبا نيرا ملأ بقاعها هدى وارجاءها معرفة وتقى رحمه الله بقدر ما أسدى الى الانسانية من حسنات .

عناصر الحيوية في الدين الإسلامي

فضيلة الشيخ عبد الله المشد

الحرية : ذكرت لك فى المقال السابق مبلغ احترام الاسلام للشخصية الانسانية وان ذلك هو عنوان التكريم الذى كرم الله به الانسان على سائر المخلوقات ، وضربت لك مثلا لذلك وهو كفالة الاسلام للحرية بجميع أنواعها ، منتهيا الى أن موقفه من حرية الاعتقاد يدحض افتراء المفترين عليه حين رأوا تقدمه السريع وانتشاره على صورة لم تعهد فى دعوات أو رسالات سابقة ، وأرادوا أن يعللوا ذلك فلم ينظروا الى جوهر الدعوة وما تحمله فى طياتها من عوامل انتشارها . ولكن افتروا وغرروا بالناس ليصرفوهم عن الاسلام ، فقالوا ان محمدا وصحبه أكرهوا الناس على اعتناق دينهم ، وكان السيف عامل ارهاب ذلت به أعناق الناس واضطروا الى فداء أنفسهم بالتظاهر بالدخول فى الاسلام .

ومن مقالنا السابق يتلخص أن طبيعة الدعوة ليس فيها من التعقيد والغموض ماتحتاج معه الى اكراه الناس على الدخول فيها ، وأن الشريعة الاسلامية لا تخالف السنن الكونية وهى ترك الناس أحرارا فيما يختارون وأن الاسلام لايبيح الاكراه على الاعتقاد ،شأنه فى ذلك شأن الرسالات السابقة ، وأن النبى ليس مسؤولا الا عن التبليغ فقط ، وليس مطالبا بايمان الناس حتى يستبيح لنفسه اكراههم ، وان كان يتمنى أن يهتدى العالم كله الى الخير ، وطالما فكر وأرق ليلا وهو مهتم بدخول قومه فى الاسلام حتى حكى الله حاله بقوله « **فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا** » .

على هذا الهدى عامل المسلمون أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وعاملوا أهل الأديان والمعتقدات الأخرى ، ما ارغموا أحدا على عقيدة ، ولكن كانوا يبيحون لأهل البلد الذى يفتحونه أن يظلوا على عقيدتهم مع دفع الجزية والمشاركة فى الأعمال العامة التى يفيدون منها ، وكرمز لالتزامهم بهذا العهد ، **وقد جاء فى كتاب عمر لأهل ايليا « أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، لايكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » ولم يثبت أبدا أن النبى أو أحدا من أصحابه الذين يؤخذ عنهم التشريع أرغم أحدا على الاسلام ، بل كانت الدعوة تقوم على الاقناع كما رسم القرآن .**

وقد اختلط المسلمون بأهل الكتاب وكان بينهم نقاش كثير أمر فيه المسلمون بالتزام الجادة واتباع الطريق الأحسن ،ولم يرد النبى لعلى بن أبى طالب أن يرغم اهل خيبر على الاسلام ، بل أمره أن يدعوهم بالحسنى ، فان لم يستجيبوا دفعوا التزاما فى مقابل حمايتهم والا قوتلوا لانهم بهذا الموقف يثبتين أنهم لايريدون سلاما ايجابيا ولا سلبيا ، **ثبت فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أعطى الراية لعلى يوم خيبر قال على : يارسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ .. فقال له النبى « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » .**

وليس أدل على عدم الاكراه فى الدين من دخول مسلمى مكة فى الاسلام ، حيث لم يكن هناك قهر ولا اكراه ، فمن أى جهة يجىء الضغط ومحمد لايملك وسائله ؟ بل كان هو نفسه مضطهدا ، ومن حوله يعذبون ويضطهدون ، وحالة كهذه لايعقل أن يكون معها ارغام على الاسلام ، بل قد تكون مانعة من الدخول فيه أو اظهاره على الأقل ،والواقع ان الناس كانوا يؤمنون مختارين ويتحملون فى سبيل عقيدتهم كل أنواع الاضطهاد .

يقول الشيخ محمد عبده فى رسالة التوحيد .. كانت الملوك من غير المسلمين اذا فتحوا مملكة اتبعوا جيشها الظافر بجيش من الدعاة الى دينها ، يلجون على الناس بيوتهم ويغشون مجالسهم ، ليحملوهم على دين الظافر . وبرهانهم الغلبة وحجتهم القوة ، ولم يقع ذلك لفاتح من المسلمين ، ولم يعهد فى تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون ، لهم وظيفة ممتازة ، يأخذون على أنفسهم العمل فى نشره ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم ومحاسنتهم فى المعاملة ، وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا واحسانا ، عندما كان يعدها الأوربيون ضعة وضعفا .. الى أن قال : **بلغ امر المسلمين فيما بعد ألا يقبل اسلام من داخل فيه الا بين يدى قاض شرعى باقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا اكراه ولا رغبة فى دنيا ، وصل الأمر فى عهد بعض الخلفاء الأمويين أن كره عمالهم دخول الناس فى دين الاسلام لما**

رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية ، وكان فى حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة ، ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزير مثل أولئك العمال ، وقد أثر عنه أنه قال له : ما بعث محمد جابيا ، ولكن بعث هاديا .

ان من أعظم الأدلة على مبدأ الحرية فى اختيار الدين ، أن المغول وهم فى أعظم قوة وبطش وفدوا أولا بغية القضاء على الاسلام ، فانقلبوا مسلمين بعدما تذوقوا حلاوته ، بل صاروا بعد ذلك من أكبر الدعاة له فى أيامهم المستقبلة .

واذا كانت القوة الحربية والسياسية هى مظنة قهر الناس على الدخول فى الاسلام ، فكيف يفسر انتشاره بسرعة فى أيام الضعف السياسى والعسكرى للدولة الاسلامية) لقد كان أثر التجار والرحالة والطرق الصوفية بارزا جدا فى نشر الدين فى أفريقيا وآسيا بالطرق السلمية ، ولو نظرنا الى خريطة العالم الاسلامى اليوم لرأينا أن البلاد التى قلت فيها الحروب الاسلامية هى التى يقيم فيها أكثر مسلمى العالم ، وهى بلاد اندونيسيا والهند والصين وسواحل القارة الافريقية وسهول الصحراء الواسعة ، ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد الا القليل الذى لا يجدى فى تحويل الملايين عن دينهم الى الاسلام ، ذلك فى الوقت الذى نرى فيه العراق والشام وغيرهما من البلاد التى كانت مسرح الفتح الاسلامى لا يزيد عدد المسلمين فيها على بضعة ملايين ، يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين وأشباههم يتمتعون بكامل الحرية والاختيار .

ولا يظنن عاقل أبدا أن دينا مبدؤه التسامح والعفو والألفة والمودة وتقوية الروح الاجتماعية يكون سببا فى اثارة الفتن وحمل الناس على تغيير عقائدهم وأفكارهم والتحول الى الاسلام .

وقد قرر العلماء أن الحروب التى ارغم النبى وأصحابه على خوض غمارها كانت لغرضين ليس منهما الاكراه على الدين،أولهما الدفاع عن العقيدة وعن حرمات المسلمين ، وفسح المجال لهم ليعيشوا كما يعيش غيرهم آمنا على عقيدته وحريته ، وثانيهما مقاومة القوة التى تقف فى طريق الدعوة التى امروا بتبليغها ، ولذلك كانت صبغتهم : نبلغ ولا نحمل أحدا على ترك دينه .

واذا كانت قد حدثت بعض شواذ فى تاريخ الفتح فان هذه الأمور لايحتج بها على الدين أبدا فالتشريع لايؤخذ الا من الرسول وصحابته الراشدين المهديين ، وتبعة هذه المخالفات تكون على مرتكبيها ، وقد كان العلماء يقفون أمام هذه المخالفات بكل قوة ، فقد تقدم ان اسلوب الفتح كان يقدم الدعوة الى الاسلام أولا ولا يقاتل العدو حتى ييأس المسلمون من اختياره خطة ليس فيها شر على المجتمع الاسلامى ودعوته ، لقد قال أبو بكر لجنده : تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ولا دبر الا ان تأتونى بهم مسلمين أحب الى من أن تأتونى بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم .

ولكن حدث مثلا فى عهد عمر بن عبد العزيز أن قتيبة بن مسلم الباهلى الذى فتح ماوراء النهر وانساب فى الأرض حتى قارب حدود الصين ، لما دخل مدينة سفد من اعمال سمرقند لم يقدم لذلك بدعوة أهلها الى الاسلام ، فشكوه الى عمر بن عبد العزيز .. فكتب اليه بنظر القاضى فى أمرهم ، فحكم القاضى بأن يخرج العرب الى معسكرهم ، وينابذوهم على سواء ويكون صلحا جديدا . فقال أهل صفد : بل نرضى بما كان ولانحدث شيئا . وكان هذا الموقف الرائع مثار اعجاب الناس بالاسلام فاعتنقوه .

على أن الحديث فى دحض فرية المفترين على الاسلام بانه ضد الحريات ، حديث يطول وتكفى هذه الاشارة دليلا قويا على احترام الاسلام للحرية حتى فى اخص مايدعو اليه وهو العقيدة ، وهو مظهر كريم من مظاهر احترام الاسلام للشخصية الانسانية ، ودليل قوى على حيويته البالغة .

كتاب
الفتاوى
تأليف المرحوم الإمام الأكبر
الشيخ محمود شلتوت
عرض الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

فى هذا العصر الذى طغى فيه حديث القنابل الذرية وسائر القائمة الرهيبة لأسلحة الدمار فى هذا العصر الذى اتسم فيه كل شيء بالسرعة واحتدام الصراع .. فى هذا العصر الذى انتصر فيه أناس للعلم على اطلاقه حتى حين انحرف به أصحابه فحولوه عن غايته المثلى وهدفه النبيل وهو خير الانسانية وسلامها الى غاية تخشى مغبتها وغرض لا تحمد عقباه وهو السباق اللاهث وراء اسلحة الفتك والتدمير بل القضاء على الشعوب والحضارات مما يهدد بالويل للغالب والمغلوب .

فى هذا العصر الذى اهتزت فيه القيم وتداخلت المقاييس واضطربت الأوضاع تشرئب روح الانسان المخلص الى الدين والفن والجمال والخير والجمال والخير الى تلك القيم العليا فى حياة الانسان تلك القيم التى تمسك حضارته أن تتهاوى وتشد مدنيته أن تتجارى .. كلما اشتد التطاحن واللغوب نزع الانسان الى الدين يلتمس عنده ملاذا . وهفا الى الفن يجد فيه روحا واسترواحا . وهذه الرجعة منه الى المنابع الصافية الخيرة وهذا العود الرشيد الى المنابت الخصبة يحفظ على الانسانية عمر أجيال كثيرة صنعت حضارتها جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة فهى ترتكس الى هذه المعانى الكبيرة حتى لا تنتكس ولا تسقط ولا تموت .

وليس قولى هذا نزعة شرقية فحسب الى عوالم الروح بقدر ما هو نزعة انسانية يلتقى عندها الشرق والغرب . وبين أيدينا عدد من الكتب العلمية التى تنزع هذا المنزع ككتاب « العلم يدعو الى الايمان » تأليف ا. كريسى موريسون وترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكى ، وكتاب « العودة الى الايمان » تأليف الدكتور هنرى لنك وترجمة الدكتور ثروت عكاشه . ولعل كتاب « تمرينات روحية » لشاعر اليونان الحديث « نيقوس كازنتاكيس » الذى عرض له عملاق الأدب العربى أستاذنا العقاد فى كتابه «الشطرنج» مما اختارته له الاذاعة ، لعل هذا الكتاب بالفلسفة ومثيلاتها فى الثقافة الغربية يفضى بنا كما يقول الأستاذ العقاد ، الى «نتيجة محققة واضحة ، تستحق عناء البحث عنها والتأمل فيها ، وهى أن الفكر الغربى يشعر بافلاس العقيدة المادية ويكفر بها بعد طمأنينته اليها ، وأنه يرى أن المحاولة الروحية خير من الاستقرار على الايمان بالمادة العمياء ، وان لم تكن لتلك المحاولة نهاية استقرار .

والكفر بالمادة كما يعكسه كتاب « التمرينات الروحية » قرار نلتقى عنده كما يقول الأستاذ العقاد بالشاعر اليونانى الكبير وبأمثاله من الحائرين بين المفكرين ، وانه لقرار أثبت من القرار الذى اطمأنوا اليه قبل قرن واحد وظنوا أنهم مطمئنون اليه مدى الزمان ولم يكن لهم مذهب وراءه غير الظلام . » ص ٢٠ .

وقد أدرك الدين والفن ضخامة المسئولية الملقاة على عاتقهما فى الحاضر بقلقه وتوثبه وطموحه واندفاعه وأطماعه ومقاييسه فحاولا التطور معه كى يخاطبوه بلغته ويلتقوا معه فى طريقه فجدد الفن نفسه وعدد ألوانه واستلهم الانسان المعاصر وقبس مادته من حياته ليجذبه اليه بما فيه منه . وعكف المخلصون من أهل الدين عليه يصفونه مما علق به من شوائب الجهل وضلالات الخرافة وترهات البدع ليعود كما بدأ سهلا عذبا سمحا وهو على بساطته وعذوبته ورفقه غنى بما يعمر النفس والقلب والعقل جميعا .

وأحد أولئك المخلصين للدين والعلم معا صاحب الفضيلة الامام الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت الذى كان مظهرا كبيرا مشرفا للعالم المسلم المستنير الرحب الأفق القادر على الفتوى فى غير تزمت ولا تعمل ولا اعتسار .

وأنا أتحدث عنه أو عن روحه الطاهرة فى عليين وبين يدى كتابه « الفتاوى » الذى طب فيه لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة . فكان يطرح المسألة أو المشكلة أو السؤال ثم يجيب عليه فى ايجاز ويسر يدنى الحقيقة الى الافهام ويسيغها فى النفوس وهو مقصد جليل فى عصر التخصص فلم يعد كل انسان فى دوامات الحياة ، قادرا على استيعاب قضايا دينه والتعمق فيها أو حتى الالمام بها يريحه أو يجد عنده لكل سؤال جواب فكان هذا الكتاب الجواب الشافى على أسئلة حائرة والراحة المنشودة من الضرب فى متاهات الأوهام والأفكار الثابتة .

وهذا لكتاب الجليل قد شمل ما يحيك بنفس الانسان من أمور يتصل فيها بدنياه فقد تكلم فى باب « الفتوى فى القرآن » عن أسلوب القرآن فى الفتوى وعن ألوان الأسئلة وأصحابها وعن هيئات الفتوى فى العصر الحاضر.

وتحدث فى باب العقائد والغيبيات مستنيرا عن الروح والباحثين فى حقيقتها وعن الجن والانسان وعن استطلاع الغيب والتشاؤم .

وتناول الكتاب « القضاء بغير حكم الاسلام » وأنواع الحكم وواجب القاضى . كما تناول « القدر فى القرآن » معناه ومداه .

وفى الكتاب حديث ذو ألوان عن خوارق العادات .

وحديث ذكى عن العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج وحديث دينى اجتماعى عن العادات والمبتدعات كالموالد وعادات المآتم وزيارة المقابر وتقبيل الأيدى .. وحلق اللحى .

وفى الكتاب وقفة طويلة عند « الايمان والنذور » والكفارات وفائدتها فى المجتمع » .

وفى الكتاب حديث خفى بالاسرة والاحوال الشخصية طاف بالزواج وعلاقة الخاطب بمخطوبته وعقد الزواج فى شهر المحرم والزواج العرفى والسرى وزواج المتعة وزواج المسلم بغير المسلمة والرضاع المحرم للزواج . واسقاط الحمل والنسل بين التحديد والتنظيم والطلاق والحلف بالطلاق وعلاج الطلاق المحلل .

وفى الكتاب حديث انسانى عن اللقطاء والتبنى فصل القول فيه عن اللقيط وواجب الجماعة نحوه وعن التبنى فى نظر الشريعة والتبنى المحظور .

بل فى الكتاب حديث عن التلقيح الصناعى وحكم الشريعة فيه .

وفيه حديث عن ختان الأنثى ووجهات النظر المختلفة وتمحيصها .

وفى الكتاب ضوء على الميراث والوصية المشروعة وواجب ولى الامر وحقوق الله فى التركة .

بل ان هذا الكتاب النافع العصرى لم يتقوقع فى صومعة بل خرج الى الحياة بأسواقها وعلاقاتها واهتماماتها الكبيرة والصغيرة فعقد فصلا ضافيا عن « المعاملات المالية » تكلم فيه عن الرهن والشركات التعاونية وصندوق التوفير والأسهم والسندات والسمسرة .

وفى باب « الطعام والشراب والزينة » تحدث الكتاب عن الخمر والمخدرات والعقاقير المحتوية على محرم ، والدخان والطيور والحيوانات المحرمة ، وصبغ الشعر .

وفى باب « الاجتماعيات » تحدث العالم الجليل عن الوصول الى القمر ، والرؤى والأحلام ، والاسلام والشيوعية ، والدين ونظرية التطور ، والتقاليد والتطور وعن الشريعة وتنظيم الغريزة « الغناء والموسيقى » .

وفى العشرات الأخيرة من صفحاته البالغ عددها ٤٦١ صفحة ، تحدث الكتاب عن متفرقات شتى وكأنه يستقصى ما لم يرد فى الأبواب السابقة على شمولها وغنائها فتحدث رجلنا الكبير حول آيات من القرآن فتناول خلق السموات والأرض ورسالات الأنبياء وأقوال العلماء فى أوائل السور مثل معنى « حم » ومعان أخرى لآيات بينات .

هذا عرض سريع لمحتويات الكتاب أشبه برؤوس موضوعات تتضمن تفاصيل كثيرة ، وهذا العرض آن له أن يستأنى قليلا ليذكر للامام الجليل شيئا من القول ، وومضة من الرأى ، ومجلى من الفكر ، وأسلوبا من الفتوى .

سألوه : هل تجوز الصلاة بالبرنيطة ؟ فكان جوابه السمح أنه لا يشترط فى صحة الصلاة غطاء الرأس فهى تصح برأس مغطاة وبرأس مكشوف ولا يشترط فى غطائها اذا غطية نوع خاص من الغطاء .

فللمسلم أن يصلى بعمامته وبطاقية وبقبعة ما دامت لا تمنعه من وضع الجبهة على الأرض فالاسلام لا يعرف زيا خاصا للرأس ، والزى وغطاء الرأس من الأمور التى يتركها الاسلام للعرف الذى يجرى عليه الناس وليس صحيحا ما يقال أن القبعة زى خاص بغير المسلمين وشعار غير اسلامى والذين يلبسونها من المسلمين انما قصدوا بها الوقاية من حر الشمس أو برد الشتاء مثلا او لان عرف بلادهم جرى على ذلك .

الصلاة فى نظر العالم الحق الشيخ محمود شلتوت ليست هيئة بعينها وانما هى « خشوع وبوجه كامل » وما أطيب هذا التعبير وأبره « توجه كامل » وبدون هذا التوجه الكامل تغدو الصلاة صورة جافة لا تصعد بالنفس ولا تزكى الروح ولا تكون قرة للعين كما كان يراها الرسول أو يرى نعيمه الروحى فيها .

بهذا المعنى الكبير العميق لا بالقبعة أو غيرها ، تؤتى الصلاة ثمرتها من نهى عن الفحشاء والمنكر واقتلاع بذور الشر من النفس .

وهنا يبدو وجه آخر من عمق روح الاسلام وسماحته فانه اذا علم عسر الخشوع القلبى على الانسان ، وعلم أن شرود الفكر عنده غالب عليه ، فقد اجتزأ منه فى صحة الصلاة وخروجه عن عهدتها ان يؤديها تامة الشروط والأركان ، وأن يتوجه الى الله بالتكبير قاصدا وجهه مستشعرا عظمته .

وحديث الشيخ الجليل عن يسر الاسلام ورحمته حديث ممتع يشرف به المسلم ويرضى عنه الدين الصادق . فقد بين أن الاسلام بنى تشريعه كله على اليسر والرحمة ، ولم يقصد بتكاليفه — على وجه عام — عنتا ولا ارهاقا « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » . ثم ساق الشواهد ومن ذلك .. رخص لمن أكره على الكفر ان ينطق بكلمته وقلبه مطمئن بالايمان، ورخص لمن اشرف على الهلاك ، أو خاف الضرر بجوع أو عطش أن يأكل أو يشرب مما حرمه الله بقدر ما يحفظ عليه حياته ، أو يدفع عنه ضرر ، حتى اذا ما تزمت فى التدين وامتنع باسمه عن الأكل أو الشرب حتى مات ، أو أصيب بزمانة ، كان آثما عند الله مسرفا فى تدينه ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ».

وكذلك أباح لمن يتضرر أو يخاف الضرر باستعمال الماء فى طهارة الصلاة أن يتيمم صعيدا طيبا. وأباح الصلاة فى مواطن الخوف المشقة ، مخففة فى عدد ركعاتها ، وكيفية أدائها ، حتى لقد تقبلها رمزا بحركة رأسية أو عينية . وأباح ترك الحج عند خوف الطريق — وجعل أمنه ، والقدرة على نفقة الذهاب والاياب زائدة عن نفقة الأسرة من الاستطاعة التى لا يجب الحج الا بها .

كما أباح الافطار فى رمضان دون قضاء لمن يشق عليه الصوم لسبب لا يرجى زواله ، ومنه ضعف الشيخوخة ، والمرض المزمن ، والحمل والارضاع المتواليان اذا خيف على الحامل أو المرضع أو الرضيع . واكتفى منهم أن يطعموا بدلا عن كل يوم مسكينا واحدا بما يشبعه فى وجبتين من طعام متوسط ويقوم مقام الطعام بدل ثمنه على حسب التقدير المتعارف بين الناس . وهذا هو المشار اليه بقوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

وما أروع قول رجلنا الكبير . « تقدير اليسر والعسر يرجع المؤمن فيه الى ايمانه وما يحسه من نفسه ومفتيه فى ذلك ضميره ، ولا حاجة — بعد معرفة المبدأ العام — الى فتوى المفتين التى كثيرا ما توقع الناس فى الحيرة والاضطراب « البر ما اطمأنت اليه النفوس ، والاثم ماحاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس »

روحى تشرب النغم

ان هذا الحديث المشرق الواضح خطته براعة نابغة لامام الاسلام الأكبر يذكرنى بتلك القصة : ذهب رجل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يسأله فى شأن من شئونه أحلال أم حرام فاجابه الرسول فعاود الرجل السؤال فى شأن آخر فاجابه الرسول . فجعل الرجل يغدو ويروح بسيل لا ينقطع من الأسئلة فابتسم الرسول صاحب القلب الكبير وقال للرجل ملء صوته ولفظه الرحمة والطيبة والسماحة:

« استفت قلبك »

لا أبالغ حين أقول ان هذه القولة الكريمة لا تنفك تتردد على سمعى بين الحين فكلما أشكل رأى أو عرض أضاء طريقى تلك الومضة « استفت قلبك » كم برقت فى جنح الظلام ...

ان صاحب « الفتاوى » عقل مضىء وقلب كبير ينفى فى ثقة العلم ووعى الذكاء واطمئنان اليقين ورود كلمة « قدر » فى القرآن بالمعنى الذى يفهمه كثير من الناس فقوله تعالى ... « والذى قدر فهدى » تفسيره فى رأى عالمنا الجليل أن الله خلق هذا الكون على سنن مضبوطة، ومقادير معينة وانه يجرى على نواميس دقيقة يؤدى بها مهمته .

ويعلن الرجل الكبير فى غير مواربة بل فى جلاء ووضوح أن « اختيار الانسان أساس لتكليفه ومحاسبته ، ومحال ان يكون مجبورا على فعله ثم يكلف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه » وان « علم الله بما سيكون من الانسان باختياره وارادته يحقق معنى الاختيار وينفى القهر والجبر ، وصفة العلم صفة كشف وليست صفة تأثير » .

ان هذا الكتاب بعثة وحده ، يستطيع أن يجذب الى الاسلام أمة وحده .. لو لم أكن مسلمة ثم قرأت هذا الكتاب لفكرت — على الأقل طويلا — فى الاسلام ان لم أعتنقه ...

ما زلت ممتلئة النفس بهذا الكتاب القيم . كم فيه من قضايا وموضوعات وخطرات .. كم فيه من ومضات ذهن وبارقات ذكاء وروحات قلب .. كم فيه من بلاغ فى الفقه والدين والادب النفسى والبيانى خليق بتأمل واع ، حقيق بتدبر يقظان .. أتراني أزمع عودا اليه فى مقال آخر ؟ علنى فما فى حديث عابر تستوفى الأسفار .

العلم يثبت القلوب المؤمنة

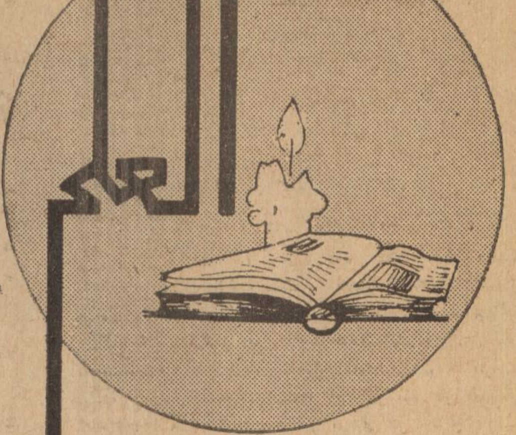

الدكتور جمال الدين الرمادي

حقا انها لحظات ممتعة تلك اللحظات الجميلة التى قضيتها فى قراءة هذا الكتاب الذى ألفه وليم وستيلا نيدا عن رجال العلم واكتشافاتهم فتملكنى العجب وأدركنى الذهول وأنا أعرف بعض أسرار هذا الكون العظيم وأتبين قدرة الخلاق العظيم الذى خلق هذا الكون فابدع خلقه وعلم الانسان ما لم يعلم .

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا ، وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا .

ولقد أوضح هذان العالمان الغربيان كثيرا من الحقائق المتجلية فى خلق الله تعالى من شموس وأقمار ونجوم ونيازك وشهب ، وجبال وبحار ، وحيوان ونبات حتى تكون دليلا واضحا وحجة دامغة ضد كل من يشك فى القدرة الالهية ، أو يحاول اللجاج فى العناية الربانية .

ورغم أن هذين العالمين لم يؤلفا هذا الكتاب ليكون دليلا دينيا على قدرة الله عز وجل غير أننا نستطيع أن نتبين خلاله قدرة الله العظيم تطل بين السطور وتشيع بين الكلمات وتتمثل فى كل حقيقة من حقائقه وكل بدعة من بدائعه . .

يقول المؤلفان أن القمر هو أقرب الاجرام الى الارض ولكننا اذا افترضنا انشاء خط حديدى يمتد من القمر الى الارض تسير عرباته بسرعة أربعين ميلا فى الساعة ويقطع نحو ألف ميل فى اليوم والليلة فان رحلة هذا القطار الى القمر تستغرق مائتين وأربعين يوما أى حوالى ثمانية أشهر فى السفر ليلا ونهارا .

ولا يستطيع العلم أن يعرف عما اذا كان القمر ماهولا من عدمه ، غير أن بعض العلماء يقولون ان القمر ليس به أى أثر للماء كما لا يحيط به هواء جوى ومن هنا فانه يشبه كرة متجمدة لا يحيط بها أى غلاف جوى ليحتفظ بالحرارة التى يكتسبها بالشمس .

والغلاف الجوى الذى يحيط بالارض أشبه بالبطاطين التى نتدثر بها عند الشتاء . يمنع تسرب الحرارة من الارض كما يقوم بعمل درع واق يقينا من حرارة الشمس .

واذا كان القمر خاليا من هذا الغلاف فليس من شك فى أنه يكون متأثرا كل التأثر بأشعة الشمس المحرقة كما أن الليل يكون قارسا الى درجة كبيرة بحيث قد تصل درجة الحرارة الى ٢٥٠ تحت الصفر وهذه الدرجة لا يمكن أن يحتفظ فيها الهواء بخاصيته انما يدركه التجمد فى الحال .

والقمر يظل دائما يظهر وجهه الذى يواجه الارض ، ولذلك فنحن لا نعرف كيف يبدو الوجه الآخر للقمر غير أننا لو أمكننا الوصول الى القمر فان الارض فى هذه الحالة ستكون القمر بالنسبة الينا ولكنها لن تشرق ولن تغرب لأن القمر يظهر للارض بوجه واحد دائما وهو جسم مظلم بارد لا يشع منه ضوء ذاتى انما هو مرآة عظيمة تستمد الضوء من الشمس . وعلينا أن نستغنى عن جميع الاشياء التى نتمتع بها – لو أمكن ذلك – من هواء وماء وثلج ، ولن تكون هناك عواصف أو رياح أو سحب ، بل لن تكون هناك أصوات لأن الاصوات موجات هوائية وهى هناك معدومة .

اما الشمس فهى كرة ضخمة ملتهبـــة يبلغ قطرها ضعف قطر الارض مئات المرات ويبلغ حجمها حجم الارض ملايين المرات وهى تبعد عن الارض أكثر من ربعمائة مرة لبعد القمر عن الارض ، وعلى ذلك فان نفس القطار السريع الذى يحملنا الى القمر فى نحو ثمانية أشهر يحملنا الى الشمس فى نحو ٢٥٠ سنة ، أى أننا لن نستطيع الوصول الى الشمس بالمرة ، بل لن يتمكن احفاد أحفادنا من الوصول اليها لبعد الشقة وكثرة المشقة !

ولو كانت قنبلة المدفع تنطلق بسرعة تبلغ نحو عشرين أو ثلاثين ميلا فى الدقيقة ، وتظل محتفظة بهذه القوة طوال انطلاقها فانها تستطيع الوصول الى الشمس فى ثمانية أيام اذا ما قطعت ثلاثين الف ميل فى اليوم !.. ويستطيع الوصول الى الشمس فى سبع سنوات اذا انطلقت من مدفع عادى من مدافع الميدان .

ولو كانت الشمس تبعد عنا بنصف المسافة الموجودة حاليا وهى ثلاثة وتسعون مليون ميل فاننا يمكننا أن نشعل الورق بمجرد تعريضه لأشعة الشمس !

ويبدو سطح الشمس كانه محيط يغلى ويتصاعد منه الابخرة الكثيفة وتجتاحه العواصف الجامحة كما توجد عليه بعض العناصر الموجودة فى الارض مثل الحـديد والنحاس والزنك والهيدروجين والهليوم ، ويبدو أن هناك عناصر أخرى غير هذه العناصر تتحول الى غازات ولو أنك وضعت اصبعك على الشمس من الارض فان الالم لا يصل الى جسمك الا بعد سنة بل ربما بعد عشر سنين .

ولو أننا رغبنا على سبيل الوهم والخيال فى عمل كرتين احداهما تمثل الارض والاخرى تمثل الشمس ، فان الكرة التى تمثل الشمس يجب أن يبلغ قطرها نحو ستة وعشرين قدما أما الكرة التى تمثل الارض فيجب ان تكون فى مثل حجم كرة التنس .

وقد كتب جول فيرن عن رحلته حول الارض وذكر أن رحلته هذه استغرقت نحو ثمانين يوما ولكن جول فيرن لو قام بنفس هذه الرحلة حول الشمس فانها ستستغرق نحو أربعة وعشرين سنة فى نفس السرعة !

واذا تخيلنا أن الارض كبرت حتى اصبحت فى حجم الشمس ، فكان على الانسان أن ينمو بنفس الحجم فيبلغ طول الفرد ستمائة وخمس وعشرين قدما أى يطـاول المآذن العالية ، ولما كانت الارض تحتفظ بخاصية عجيبة وهى خاصية الجاذبية وكانت قوة جاذبية الشمس تفوق قوة جاذبية الارض سبعا وعشرين مرة ، فان كل شىء على الشمس يزيد وزنه سبعا وعشرين مرة على وزنه فوق سطح الارض وان الشخص العادى الحجم سيبلغ وزنه على سطح الشمس أكثر من طنين مما يعجزه عن الحركة ويمنعه من السير .

ان النجم يبدو قريبا منا ، حتى أن العلماء عندما يقيسون بعد النجوم يقيسونهـــا بسرعة الضوء التى تبلغ نحو ١٨٦ر٤٠٠ ميل فى الثانية .

وقد تدهش حينما تعلم أن الضوء الذى يأتى الينا من الشمس يصلنا فى ثمـــانية دقائق ، أما الضوء الذى يصلنا من النجوم فيصلنا على أقل تقـــدير فى أربع

وقد تدهش أيضا حينما تعلم أن ضوء النجم القطبى الذى ينبعث من نجم الثريا قد بدأ يشـــع حين بدأ كولمبس رحلته المشهورة !

أما البحار التى تكون ثلاثة أرباع حجم العالم أو الكرة الارضية ففيها أعماق تصل الى حد بعيد جدا ، وهناك أجزاء تحتها سهول ووديان ، وقد يوجد على سطح ماء المحيطات قمم لجبال شاهقة ترتفع من قاع المحيط حتى تصل الى سطح الماء وقد يرتفع بعضها فيكون مجموعة من الجزر مثل جزر هاواى .

ويبلغ متوسط عمق بعض المحيطات والبحار نحو ميلين ونصف غير انه يبلغ فى بعض المناطق أكثر من ستة أميال .

واذا تخيلنا أن جبل افرست وهو أعلى جبل فى العالم ويبلغ ارتفاعه نحو ستة أميال قد وضع فى أحد تلك البقاع العميقة وليكن المحيط الهادى فان قمة هـذا الجبل الشاهق من جبال الهملايا ستكون على بعد مايزيد على ميل ونصف ميل من سطح الماء !

والعجيب أن قوة الشمس لا تؤثر الا فى طبقة رقيقة من سطح الماء ، ربما لا تتعدى مائة قدم فى عمقها وتلك الطبقة الدافئة كما يقول علماء الجغرافيا تكون التيارات الدافئة المعروفة بينما المناطق العميقة حتى عند منطقة خط الاستواء لا تدركها أشعة الشمس بل تظل قريبة من نقطة التجمد للماء النهرى من سنة الى أخرى .

ويزداد الضغط الجوى فى أعماق البحار والمحيطات حتى ان جسم الانسان يتفتت فى الاغوار السحيقة من البحر ولو اننا أثقلنا قطعة من الخشب وادليناها الى أعماق البحر ثم أخرجناها مرة ثانية فانها عند خروجها تفقد كل خواص الخشب ولا تطفو على سطح الماء بعد ذلك لأنها عندئذ تكون قد تشبعت بماء المحيط وانفجرت فيها كل مسام الخشب وامتلأت بالماء .

وهـذا البحر يعج بالحيوانات العجيبـة مثل الحوت الذى يبلغ طوله نحو سبعين قدما فى بعض الاحيـان ويمكنه بضربة واحدة من ذيله أن يحطم مربعا كبيرا كما يوجد بالبحـــر أنواع مختلفة من الحيوانات البحرية والاسماك ، وبعض هذه الاسماك يرسل ضوءا لونه أحمر أو ضوءا لونه أخضر من بقعة مضيئة تحت عينه ويقال ان هذا النوع من السمك له القدرة على اضاءة عينيه أو اطفائها .

وحين تسبح هذه الاسماك تشبه قافلة من البواخر المضيئة أو سلسلة من قاطرات السكك الحديدية المضيئة فى الليل .

ويوجد فى أعماق البحار كذلك السمك الرعاش الذى يمتاز بطـاقة كهربائية عجيبـة قد تحدث الشلل فى الاسماك التى تقترب منها مهما كانت أكبر منها حجما كما تستخدم هذه الطاقة الكهربائية فى اقتناص فرائسها ..

هذا قليل من كثير مما اشتمله هذا الكتاب القيم الذى الفه العالمان الكبيران وليم وستيلا نيدا مؤلفا كتاب « عهد الاختراع »

وانه ليزيد ايماننا بقدرة الله عز وجل ..

« وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

في رحاب القرآن الكريم

من رجب إلى رجب مع الإسراء

الأستاذ عبد العزيز العلي

شهر رجب هو شهر الله وهو شهر الاسراء والمعراج وهو من الأشهر الحرم وهو شهر فلسطين الشهر الذى ربط الله به القدس بمكة والمدينة وبالعرب والمسلمين فى مختلف بقاع الأرض « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وقد كتبت فى عدد رجب من العام الماضى فى هذه المجلة الغراء بيانا عما بدا لى فى معانى بضع آيات من مستهل سورة الاسراء الكريمة تحت عنوان « سورة الاسراء الكريمة تكذب دعوى اسرائيل » .

وقد حددت عناصر الكلمة على هذا النحو .

١ - العبودية لله أسمى درجة يرتقى اليها الأنبياء الكرام والملائكة المقربون ، كما أنها ملزمة لكل من يحاول - ظلما - مجاوزتها قربا من الله أو بعدا عنه .

٢ - المساجد التى يشد اليها الرحال ثلاثة فقط وهى الثلاثة التى أشارت اليها أول آية فى سورة الاسراء الكريمة : فالمسجد الحرام معروف ، وكذلك المسجد الأقصى يدل على أن هناك مسجدا أدنى وهو مسجد الأقصى يدل على أن هناك مسجد أدنى وهو مسجد النبى - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة المنورة .

٣ - دعوى اليهود فى امتداد ملكهم الى حدود النيل والفرات أسطورة خرافية يكذبها القرآن الكريم ، ولن يكون رجحان القوة بيد اليهود فى حال من الأحوال وزمن من الازمان رغم مساعدتهم من دول كبرى واستعدادهم .

٤ - ان للحرم القدسى ربا يحميه بعباد له أولى بأس شديد .

٥ - أمور سياسية تتعلق بالمنطقة وترتبط بالموضوع نتيجة استنباط من الحوادث الجارية واجتهاد منى .

وقد حاولت فى هذه السنة العودة الى موضوع شهر رجب فرأيت الاكتفاء بما نشر لى فى عدد السنة الماضية من هذا الشهر المبارك الا أنى رأيت أنه لا بد من العودة الى الأمور السياسية التى كتبتها فى الموضوع والتى لها علاقة بالحوادث الجارية من قريب أو بعيد محاولا عرض ما جاء فى الكلمة على ما وقع من حوادث وماظهر من مواقف وهى :

أولا : لقد كتبت فى العام الماضى « ان ما يجرى بين العرب من مناوشات وقتية ، وليدة لظروف طارئة ، لا تخلو من فائدة للعرب ، اذ هى بمثابة مناورات عملية يتهيأون فيها ، ويتعلمون منها دروسا للقضاء على أعدائهم ، ويستزيدون فيها عدة واستعدادا « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

وقد أثبتت التجارب أن العرب جميعهم رغم بعض الاختلافات فيما بينهم فانهم متحدون بالنسبة لعداء

اسرائيل » ولدى أى حركة من اسرائيل ستحول جميع قوى العرب الى صدرها ، وفى المثل « الشدائد تزيل الأحقاد » .

وبعد بضعة أشهر من هذه الكلمة أعلن سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الخالد فى بورسعيد دعوة ملوك ورؤساء الدول العربية لاجتماع من أجل قضية فلسطين وقد كانت تلك الدعوة مفاجأة للعالم بأسره وكانت الشكوك تحوم حول عدم نجاحها ولكن ، رغم الاختلافات العائلية فى الأسرة العربية الواحدة نجحت الدعوة وأثمرت ولله الحمد، ثم أعقبها المؤتمر الثانى للقمة فى الاسكندرية فكان تأكيدا وتدعيما للنجاح الأول ، وبما أن قضية العرب عادلة رأى سيادته أن يجعلها عالمية فكان لها فى اجتماع مؤتمر القمة الافريقى نصيب ، وكأنه كان مقدمة لمؤتمر عدم الانحياز العالمى الذى اتخذ قرارا عالميا بتأييد حق الشعب العربى فى وطنه فلسطين، فبارك الله مساعى سيادة الرئيس العربى المؤمن بالله ، والرائد العالمى الكبير ، وسدد خطواته المباركة ، وأخذ الله بيده لما فيه خير العرب والمسلمين والعالم اجمع ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ثانيا : جاء فى عدد العام الماضى : « عندما اقتسم الغرب والشرق مناطق النفوذ وربما كان ذلك فى اجتماع فيينا السرى ، اعتبرت سوريا ولبنان تحت النفوذ الفرنسى ، ولعل لبنان قبل ذلك ، وربما لا تعلم سوريا عنه شيئا حيث أن اقتسام مناطق النفوذ بين المعسكرين لا يشترط فيه أخذ رأى الدول المقتسمة ، وقد تتحول دولة من منطقة نفوذ الى منطقة نفوذ أخرى بمجرد تغيير سياستها الداخلية تلقائيا ، ومعنى فرنسا فى الوقت الحاضر هى المانيا وليس من المستبعد أن تتنازل انكلترا عن منطقة نفوذها فى الأردن والعراق وللمانيا وفرنسا لقاء تعويض كما تنازلت من قبل ذلك عن امتيازاتها ونفوذها فى ايران مثلا فليس بذلك فى المنطقة دولتان كبيرتان غير أمريكا تقفان فى وجه اسرائيل ، علاوة على العرب سكان المنطقة الذين يبلغ تعدادهم أضعاف أضعاف اليهود ، « وهم يسابقون الزمن فى العدة والاستعداد ، ومن الأدلة على ذلك نشاط ديجول فى حدود المنطقة مع غير العرب كاليونان وايران والحبشة ، ومن المفروض أن تبقى بريطانيا صديقة للشرق والغرب معا ، تنمى اقتصادياتها بكل منطقة من مناطق العالم على حد سواء ، لاسيما وان ساستها استطاعوا أن يعيدوا التوازن العالمى بعد اختلاله فى نهاية الحرب العالمية الثانية عقب انهيار المانيا المعادلة لروسيا فى الوزن ، وانهيار اليابان المعادلة للصين فى القوة ، فبرزت روسيا والصين بدون المانيا واليابان ، ولولا القنبلة الذرية لطغت الوثنية الصفراء ، والشيوعية الحمراء ، على العالم بأسره بعيد الحرب العالمية الثانية ، يؤيدنا فى ذلك قوله جل سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض — ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » وقد استلزم لاعادة التوازن أن تكون أمريكا فى وجه الصين يساندها المناوئون للشيوعية فى المنطقة وأن تكون أووربا الغربية بزعامة فرنسا والمانيا فى وجه روسيا وأووربا الشرقية ومن ذلك فان هناك أمرين يحتمان على انكلترا الاشتراك الفعلى وهما :

أ) كان لبريطانيا فى الحرب العالمية الأولى ثلاثة وعود معروفة فى المنطقة العربية وهى :

وعد لورنس — وعد بلفور — وعد فلبى .

وقد أتمت الثانى والثالث وبقى الأول ، وهو وعد لورنس لم يتم على الوجه المطلوب ، وهذه هى فرصتها الأخيرة فيه كما لابد لبريطانيا أن تكفر عن غلطتها فى محاربتها للعرب وجها لوجه الى جانب اسرائيل سنة ١٩٥٦ فتبدأ من جديد جو صداقة وتعاون مع العرب والمسلمين .

ب) ان لدى بريطانيا جيشا كبيرا لا يلزمها الاحتفاظ به كله بعد استقلال جل مستعمراتها اذ فى تسريحه خطر عليها لازدواج البطالة من وراء ذلك فبالعلاوة على بطالة أفراد الجيش ففيه تعطيل المعامل والمصانع التى تقوم بتجهيزه أيضا . فلابد اذن من ايجاد مجالات له تتناسب مع المخطط البريطانى ولقاء أجره ويظهر لى أيضا أن الخلافات القائمة الآن فيما بين دول المعسكر الشرقى من جهة وبين دول المعسكر الغربى من جهة أخرى هى خلافات عائلية بسيطة فى كل من المعسكرين بل الأولى والأحرى أنها مجرد تمثيل سياسى ، ولعل ذلك لتعمل روسيا من طريق الصين ما لا تستطيع عمله بمواجهة أمريكاوكذلك وضع أمريكا مع فرنسا مثلا .

التعليق على ذلك بعد مرور سنة عليه .

مناطق النفوذ :

ان اقتسام مناطق النفوذ بين الشرق والغرب واضح ومعروف فالشيوعية مهما اختلفت واحدة ، ومهما كان نوع هذا الخلاف ، ومهما صغرت دولها أو كبرت فانها تشكل عائلة واحدة يحمى بعضها بعضا ومنطقة نفوذ واحدة ، ولا يخرج عن هذه العائلة الا الدولة التى ينشأ فيها نظام داخلى مناهض للشيوعية تعترف به هيئة الأمم المتحدة ، والعكس بالعكس تماما ، بدليل أن دولة كوبا الشيوعية الواقعة فى وسط الأميركتين لا يمكن للولايات المتحدة أو أى دولة أخرى غير شيوعية التدخل فى شئونها أو محاربتها الا بالكوبيين أنفسهم ، ورغم الاختلاف الظاهرى فيما بين روسيا والصين فان علاقة كوبا بالدولتين الكبيرتين تكاد تكون واحدة ! ثم ان دولة البانيا سبق أن أعلنت استياءها من روسيا وطلبت تحسين علاقاتها مع مختلف دول الغرب فرفضت جميعا ذلك . وقد يحصل العكس لو أعلنت تغيير النظام الشيوعى ومناهضته ، وأخيرا تفاهمت مع الصين الشعبية وربطت مصيرها بها . ثم ان هناك حدثا ظهر لى فى زيارة خروشوف الأخيرة للجمهورية العربية المتحدة أنه كان يحاول ربط الدول الاشتراكية جميعها فى بوتقة واحدة ففشل ، وتعمد المسئولون فى الجمهورية العربية المتحدة وفى العراق وفى الجزائر ايضاح الأمر ببدء خطبهم بالبسملة وبمواصلة التكبير أثناء الخطابات بحضرة خروشوف وانتهاز مناسبة المولد النبوى الشريف الذى صادف احتفال أسوان والسد العالى فى تلك الزيارة فاحتفل بالمولد النبوى الشريف فى حضرة خروشوف مما جعله وغيره من الدول الأخرى يعتقدون أن الاشتراكية العربية اشتراكية تؤمن بالله العظيم وتتلقى دروسها من كتابه الكريم وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وسيرة السلف الصالح . فان أحب خروشوف أو غيره الدخول معنا فى عقيدتنا غير المستوردة فاننا نرحب بالجميع وندعو الجميع لسعادة الدنيا والآخرة ، فالدول العربية الاشتراكية المؤمنة بالله هى أمة وسط فى العقيدة والموقع بين الشرق والغرب . وبذلك تكون قد خرجت من منطقة نفوذ المعسكرين معا ، فانها والأمم المتحالفة معها والتى تسير على خطتها تشكل جميعها دول عدم الانحياز العملى .

الجنس الأصفر :

انه مما لا شك فيه أن بعبع العالم اليوم هو الجنس الأصفر وزحف اعداده المتكاثرة ، وتتركز هذه الخطورة فى الصين الشعبية وحدها ، فى نظر أميركا ، ولعل الذى يمنع هذا المارد الأصفر من الانطلاق والتوسع ، هو الخوف من اضطرار أميركا من استعمال القنابل الذرية ، لعدم وجود مشاة لديها تقابل الزحف الأصفر والظاهر أن روسيا وانكلترا أو ربما العالم قاطبة يقدر خطورة التضخم العددى فى المحيط الهادى والهندى وربما حتى الصين الشعبية ذاتها ، بدليل تحرشها بالهند بدون سبب ، الا لتجعل منها دولة كبيرة مناوئة للصين الشعبية تجتمع حولها جميع الدول المناوئة للشيوعية فى المحيطين المذكورين لتتكون مجموعة دول فى المنطقة تعادل الصين فى العدد ، لتطمين أميركا بأن العدد متكافىء فى الجانبين ، زايد على ذلك ابداء روسيا استعدادها لمساعدة الهند بالاضافة الى مساعدة انكلترا التى لها نفوذ فى المنطقة فتساعد أميركا الجانب المناوىء للصين الشعبية بما أوتيت من حول وقوة ، فيما عدا الاسلحة النووية ، الأمر الذى تكفلت به روسيا للصين الشعبية ولا تزال رغم الاختلاف الظاهرى بين روسيا والصين الشعبية ، فيتكون والحالة هذه كتلتان كبيرتان متصارعتان فى المنطقة ، قوام كل كتلة منها زهاء ٨٠٠ مليون نسمة ، لافناء أكبر عدد ممكن ، وحصر الحرب الفعلية فيها ، وربما طال الصراع وتحول الى سلاح أبيض ، كى لا يكون هناك غالبا أو مغلوبا ، ولا يكون مجال لاستعمال الأسلحة النووية أو غيرها من أسلحة الدمار بالجملة لالتحام الكتلتين ببعضهما، وعلى أى حال فالجنس الأصفر بكامل كتلتيه سواء وقعت الحرب أم لم تقع فسيظل الخطر المهدد للعالم ، واذكر بهذه المناسبة حديثا شريفا مر على منذ أكثر من ثلاثين سنة فى مجلة الفتح القاهرية التى كان يحررها الشيخ الأستاذ محب الدين الخطيب وقد أرعبنى هذا الحديث ولا يزال وهو : ويل للعرب من شر قد اقترب يعاهدونكم بنو الأصفر فيغدرون فيأتونكم على ثمانين آية على كل آية اثنا عشر ألفا ، وقد ظهر لى أن المقصود من الآية : السفينة لتكرارها فى القرآن الكريم بجانب ذكر سفينة نوح ، وان السفينة تكاد تكون الواسطة الوحيدة التى تحمل اثنى عشر ألفا ، نسأله سبحانه الوقاية والحماية . بتوحيد كلمة العالم المتدين على كلمة التوحيد حيث لابد للعالم من التفكير جديا بتكوين كتلة عقائدية كبيرة ترد الزحف المنتظر من المحيطين الهادى والهندى .

الجانب الأوروبى :

أما الجانب الأوروبى فان ألمانيا عامل أساسى هام فيه ، وحفظ التوازن فى المنطقة يقوم على ألمانيا هذا فيما اذا كانت مستعدة لخوض حرب مع روسيا وأوروبا الشرقية من جديد بجانب أميركا والموازنة صحيحة على ما يبدو ، الا أن الظواهر تدل على أن هناك بوادر تحسن فى العلاقات بين ألمانيا وروسيا والمفهوم أن ألمانيا هى بجانب أميركا الا أنه قد يكون هناك اعتبارات لدى ألمانيا تجعل الأمر مشكوكا فيه ، منها ان الحرب العالمية الثانية كانت شريفة بين ألمانيا وروسيا وان ألمانيا استسلمت دون ارسال طائرة واحدة من طائراتها العمى الى روسيا ، بينما الحرب فى الوقت نفسه كانت حرة وغير مقيدة بعرف فيما بين ألمانيا والغرب ، فاذا ألمانيا راعت هذه الاعتبارات وحسنت علاقاتها مع روسيا ، فان ذلك ليس فى مصلحة أميركا ، بينما تعتمد أميركا على ألمانيا وفرنسا ودول غرب أوروبا للدفاع عن أوروبا ضد الخطر الأصفر الذى ابتدأ الآن بمناطق نفوذ له فى أوروبا وأميركا وأفريقيا .

ألمانيا وفرنسا :

اشرت سابقا الى أن ألمانيا فرنسا ستكونان بجانب العرب بحكم مبدأ اقتسام مناطق النفوذ فى العالم لا سيما اذا تطورت حرب فلسطين الى حرب عالمية بدخول أميركا بجانب اليهود ، ومنذ العام الماضى والعلاقات بين فرنسا وألمانيا من جهة وعلاقات الدولتين والعرب من جهة ثانية فى تحسن .

اليهودية العالمية :

واذا كانت اليهودية العالمية تحاول تأليب ما أمكنها من القوى والمكائد ضد العرب وتحاول فى الوقت نفسه التفاهم مع العرب والتقرب منهم ، والوصول الى وضع يقرب من وضع لبنان ونظام لبنان فى توزيع المناصب بالنسبة لتعداد الطوائف وعددها ، فانها تحاول بذلك خلق واشنطن ثانية فى قلب البلاد العربية لتتحكم فيها كما تحكمت فى أميركا من قبل ، واليهود طفيليات لا تعيش الا فى الأجسام الراكدة فسوف لا تستقر عندنا ولا تفرخ فى أجسامنا ما دمنا متمسكين بعقيدتنا المثلى ومثلنا القويمة وقيمنا الموروثة « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

تأخير وعد لورنس :

على أن الذى أخر وعد لورنس هو تمسك المغفور له الملك حسين بن على به كاملا وعدم قبوله بوطن قومى يهودى فى فلسطين وقد ضحى بعرشه وراحته فى سبيل ذلك ، وخليفته الحسين بن طلال اليوم هو ملك وليس كالملوك وشاب وليس كالشباب الذين فى مثل عمره ، وقد صرح مرارا بانه مستعد للتضحية بعرشه أيضا اذا كان ذلك يحقق مصلحة للعرب . ولا شك أن بريطانيا تشعر بواجبها نحوه ، وهو فرصتها الأخيرة فى تحقيق آخر وعودها الثلاثة فاذا لم تساعد هذا الملك الشاب وتقف بجانبه لاسترداد فلسطين العزيزة فان عليها عدم الوقوف فى طريقه على الأقل وتفسح المجال للاتحاد العربى ولا تقف ضد آمال الشعب العربى فى الاتحاد والالتئام سياسيا واقتصاديا وعسكريا وغير ذلك من الأمور الوحدوية الشاملة لاسيما وان التكتل العقائدى الصحيح تقتضيه الأخطار المحدقة فى العالم .

والآن وقد حصل فى العالم عدة حوادث جديدة كتغيير الوزارة فى روسيا وتغيير الوزارة فى بريطانيا وتفجير الصين الشعبية للقنبلة الذرية وقرب انتخاب رئاسة الجمهورية فى أميركا فان ذلك لم يغير فى نظرى شيئا مما كتبته فى شهر رجب من العام الماضى وعلقت عليه فى شهر رجب الحاضر وأرجو أن نلتقى فى شهر رجب القادم على خير ان شاء الله .

هذا وانى كبير الأمل باعتراف الأديان السماوية بان الاسلام مجدد لها وزيادة ، وان البروتيستنتية خطوة الى الاسلام وانه لابد للشيوعية فى يوم من الأيام من تكميل ايمانها « بـ لا اله الا الله » ولا سيما اذا فهمت أن الله المستثنى هو القوة الخارقة التى هى فوق الطبيعة واللانهاية وهو القوة الخفية المنظمة للكون كله ، والحافظ له ، « ولا اله » التى تؤمن بها الشيوعية هى نصف كلمة لا اله الا الله التى هى الاسلام كله ،فيتحد العالم كله على كلمة لا اله الا الله ، فلنقلها باخلاص وايمان نسد بها العالم

كما ساد آباؤنا من قبل عندما قالوها مخلصين .

«وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»

باب الرياضة

محمد على كلاى ما زال فى المعركة !

الاستاذ فاصف سليم

عندما التقى أبطال الملاكمة العالميون فى أغسطس عام ١٩٦٠ بروما ، يتنافسون على بطولة الأولمبياد السابع عشر ، لم يكن يعلم أحد أن « كلاى » ذلك الشاب النحيف ، وأحد الزنوج الأبطال الذين دفعت بهم الولايات المتحدة الى هذا الميدان سيكون له هذا الشأن ، وأن اسمه سيصبح بعد أربع سنوات فقط « محمد على » وأنه سيحدث هزة عنيفة لا فى الاوساط الرياضية فحسب ، بل فى مختلف الاوساط ، وأنه سيصبح داعية بعد ما يصبح بطلا .

شاهده الفنيون فى رياضة الملاكمة على الحلقة فى روما ، فتنبأوا له بمستقبل كبير فى هذه الرياضة ، وعاد الى بلده بعد فوزه بميدالية ذهبية من بطولة وزن خفيف الثقيل « وهو الوزن الذى يقل عن الوزن الذى فاز به ببطولة العالم أخيرا وهو الثقيل » عاد لبلده بعد أن رفع علمها بين أعلام ٨٦ دولة اشتركت فى أولمبياد روما ، وكان من الشبان الذين تفخر بهم أمريكا ، وتنسى فى ذلك الوقت انه زنجى .. لأنه أضاف لها نصرا الى انتصاراتها الكبيرة فى عالم الرياضة .. لم يكن يعيبه شىء ، وكل تصريحاته سليمة ، وكل آرائه صائبة !

وبالرغم من النعيم الذى كان يعيش فيه كلاى بطل أمريكا فى الألمبياد فانه لم يكن راضيا عن نفسه ، ولا عن حياة أهله فى أمريكا .. لم يرض عن نفسه لأنه كان يستمع الى أحاديث الحاج محمد زعيم المسلمين هناك ، فيعلم أنه على خطأ ، وأن المسلمين على صواب .. وأن الطريق التى يسير فيها لا تؤدى الى خير ، مهما جمع من المال ، ومهما نال من شهرة .

ولم تكن هذه الأحاديث الشفهية التى جعلته مترددا حائرا بين نهجه ونهج المسلمين ، بل كانت هناك صور عملية يراها ويحس بها ، وكأنها توجه اليه الانذار بعد الانذار ، كان يرى بيوت المسلمين الزنوج تختلف كثيرا عن بيوت زملائهم ممن لم يهتدوا الى الاسلام .. المسلمون يعنون بنظافة منازلهم وثيابهم وبينهم فى معاملاتهم محبة وتسامح واخاء .. وغيرهم يعيشون فى مباءات وحانات

محمد على كلاى امام النسخة الكبيرة للمصحف الشريف والى جواره السيد : محمد توفيق عويضة سكرتير المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

قائمة فى كل بيت وبينهم فى معاملاته مشاحنات : واعتداءات !

واضمر كلاى فى نفسه ـ كما يقول ـ انه لابد وأن يتحول الى الحياة النظيفة ، لا بنفسه فقط ، بل بأسرته .. ولكنه كان أمام ظروف تحتم عليه أن يكتم أمره ، وأن يكون اسلامه سرا ، فانه كبطل حاز بطولة الأولمبياد لابد أن تجتذبه حلقات الاحتراف ، ليكسب الملايين من الدولارات من وراء هذا الاحتراف الذى تصحبه شهرة عالمية ، لا يمكن أن يتمتع بها غير ملاكم يحصل على بطولة العالم فى الوزن الثقيل .

كان كلاى اذن يخفى اسلامه ، خوفا من وقوف المحكمين ضده اذا علموا بانتمائه وانتسابه الى الاسلام .. فلما جاء اليوم الموعود ، يوم البطولة ولقائه مع ليستون الشرير ، صعد الى الحلقة وهو يتمتم بكلمات ، وقلبه ممتلىء بالايمان ، وكان قد استعد لهذا اليوم خير استعداد ، لا يبغى من وراء ذلك البطولة فى حد ذاتها ، ولكنه كان يطلبها كوسيلة لغاية سامية .. يريد ان يكون البطل ، وتسلط عليه الاضواء ، ويلتف به الصحفيون ومندوبو وكالات الانباء العالمية ، والسينما والتليفزيون .. وتمر ثمانى عشرة دقيقة فى صراع مع الانسان العاتى الملقب بالشرير ، ويعلن انتصار كلاى .. ليقول قبل أن تغادر الألوف ميدان اللعب :

أنا مسلم .

ويطير انتصار كلاى الى كل بلاد العالم يحمل معه هذه المفاجأة ، التى أثارت الأحقاد من حوله ، وجعلت بنى جنسه يتهمونه بالجنون وهو الذى كان منذ أشهر أعقل الناس ، بينما أصبح الشرير ليستون فى نظرهم حملا وديعا ، وانسانا مهذبا ، لم يقض نصف عمره وراء القضبان .. ولم يسفك دما ، ولم يكن زعيم عصابة .

ولكن البطل محمد على كلاى وجد الدنيا امامه ، وقد فتحت له أبوابها ، واستقبلته القاهرة استقبال الابطال . ووجد نفسه بين أهله وفى بيته ، وقدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية واتحاد الملاكمة العربى موقفه وجرأته وقتما أعلن هناك .. فى أمريكا أنه مسلم .. وأنه يعلم ما سوف يلقاه من عسف وعنت ، ولكنه يبدى رغبته فى أن يضحى فى سبيل ذلك بكل ما يملك .. حتى نفسه ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

ولم تنم الفتن التى كانت تلاحقه ، حتى انتزعوا منه لقب بطل العالم ، كيلا تسلط عليه الأضواء ، وحتى لا تكون انتصاراته دعاية للاسلام ، ولكن الله أراد أن يظهر عزة الاسلام ، ويكشف لنا عن أمور غابت عنا زمنا ، فالمبشرون الذين يعملون ليل نهار فى أفريقيا وآسيا منذ

عشرات السنين ، لم يستطيعوا أن يحققوا ما حققه كلاى فى أيام .. وكلما طعنته صحف أمريكا بطعناتها المغرضة ، كانت له هذه أوسمة وهم لايشعرون .. وكانت دعاية للاسلام وهم لا يعلمون !

ثم قرر محمد على كلاى أن يلتقى بمنافسه فى اليوم السادس عشر من شهر نوفمبر ، بالرغم من نزع لقب البطولة عنه ، وبالرغم من أن الاتحاد الدولى للملاكمة تخلى رسميا عن هذه المباراة .

ولا جدال هنا أن الجمهور الذى سيلتف حول حلقة البطلين المتنافسين سيكون له ميول مختلفة ، والقضاة الذين سيديرون المباراة لن يؤمن موقفهم .. على أن محمد على كلاى فى حالتى النصر أو الهزيمة قد دفع الكثير فى سبيل اسلامه .. ولكنه يعتبر نفسه قد اكتسب صفقة ناقمة للدنيا والآخرة . لأنه لم ينظر الى هذه القضية بنظرة المعلق الرياضى لمجلة « الرنج » الأمريكية الذى قال :

ماذا استفاد كلاى .. لقد خسر كثيرا .. خسر مبالغ ضخمة تربو على نصف مليون دولار كانت ستاتيه من وراء الشركات التجارية الأمريكية التى كانت ستستغله فى أبواب الاعلان كبطل للعالم .. وكما فعلت هذه الشركات مع الأبطال السابقين .

لم ينظر كلاى الى المسالة هذه النظرة .. بل نظر اليها نظرة الرابح فى دنياه وآخرته .. وكفاه رضا النفس وراحة الضمير وانقياد الشباب المضطهد « لسواده » نحو هذا الدين القويم .

كل ذلك عندنا .. ولكن ..

تعودت البعثات الرياضية التى توفد لتمثيل بلادها فى السباقات الدولية ، أن تصحب معها طبيبا متخصصا فى الطب الرياضى .. وحدث – فى جاكارتا – أثناء دورة « الجانيفو » عام ١٩٦٣ أن أقام الطبيب الروسى فى نفس المكان الذى يقيم فيه الرياضيون ، فكان موضع استشارة اللاعبين من مختلف البلاد ، لأنه كما أشيع لا يكلف المريض كثيرا فى سبيل العلاج ، بل يشير عليه بأيسر الأدواء .. وفى وقت قصير يتماثل للشفاء .

وقد ذهب اليه بطل عربى يشكو اليه من فتور وحالة ضعف نتيجة امتناعه عن تناول المواد النشوية التى تتسبب فى زيادة الوزن ، وهنا يضرب الطبيب كفا على كف ، ويتعجب من عملية « الرجيم » التى يقوم بها بعض الناس بهذه الطريقة التى تتلخص فى تحريم بعض المأكولات خوفا من السمنة ، وقال :

ان أحدث الطرق الآن لكى يحافظ الانسان على قوامه ورشاقته ، ويظل خفيف الحركة متجدد النشاط .. هى أن ياكل من كل شئ ، لكن بقدر يسير ، فلا يترك النشويات ولا السكريات ولا الدهنيات .. بل يتناول من ذلك بالقدر الذى يحفظ نشاطه ولا يؤدى به الى الضعف ..

ولم أعجب لحديث الطبيب الروسى الذى أخبرنا بأحدث الطرق الصحية لقوام الجسم وسلامته ورشاقته ، فالاسلام كان سباقا الى كل ذلك بتعاليمه الصريحة «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا» وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، فان لابد فاعل فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » وقد روى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه نظر الى رجل سمين منبعج البطن فأشار الى بطنه باصبعه وقال له :

« لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك » .

أخرجه الحاكم من طريق عقبة .

ولعله قد وضح أخيرا أن السمنة هى احدى المشكلات التى تعوق الرياضيين عن التقدم ، بل كثيرا ما افقدت بعضهم بطولات كبيرة برغم اكتسابه كل خبرات المهارة وفنون اللعب .

ان كل دعامة للبطولة ، موجودة فى ديننا ، ولكننا ننسى .. أو يعرف بعضنا ذلك ولا يعمل به .

المصارعة فى الإسلام

ان تاريخ الدعوة الاسلامية ، وانتشارها من أول يوم لبى فيه رسول الله نداء ربه حين قال له « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » لتاريخ ملىء بمئات الألوف من الأبطال .. فالدعوة الاسلامية تطلبت جهادا طويلا بالقوة بعد أن استخدم الرسول وسائل الحجة ، وكان لابد للجهاد من اعداد للشباب – وكانت الرياضة احدى وسائل هذا الاعداد ، والرياضة فنون وأنواع ، وقد بذ رسول الله كل أبطالها بقوة ايمانه ، وقوة بنيانه ، مما سننشره فيما بعد .

ولكننا هنا نورد هذه القصة التى تشحذ همم الشباب فى هذا الجيل كى يكونوا أقوياء :

روى ابن اسحاق « أن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن عبد المطلب بن عبد مناف كان من أشد قريش ، فخلا يوما برسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يا ركانة ! ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ قال : انى لو أعلم الذى تقول حق لاتبعتك ، فقال رسول الله أفرأيت ان صرعتك أتفهم أن ما أقول حق ! قال : نعم ؟ قال : قم حتى أصارعك ، قال : فقام اليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أضجعه ، وهو لايملك من نفسه شيئا ، ثم قال : عد يامحمد ، فعاد فصرعه » .

عدم الانحياز كسلوك دولى معتدل

تحقيق من اعداد: رياض خليفة
على عيسى

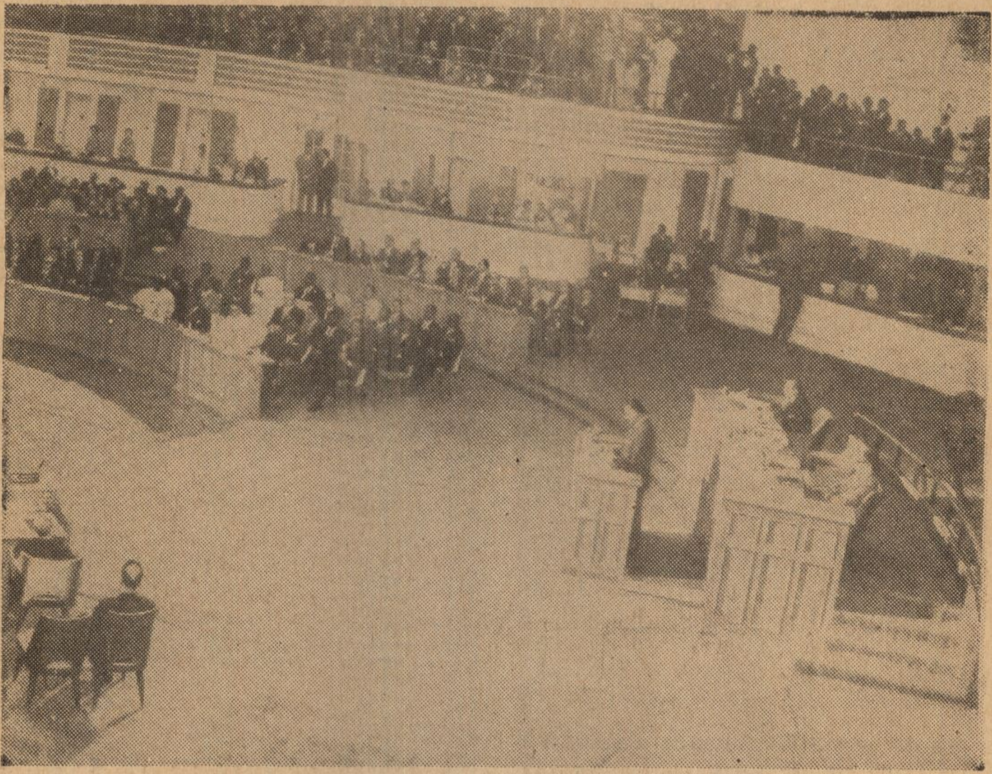

الرئيس جمال عبد الناصر يلقى خطابه التاريخى فى مؤتمر الدول غير المنحازة

أخى القارىء :

فى الأسبوع الأول من اكتوبر شهدت القاهرة أضخم حدث عالمى فى السنوات الأخيرة وهو اجتماع رؤساء الدول غير المنحازة .

وقد بدت القاهرة ـ يومها ـ عاصمة العالم . فلأول مرة يجتمع فيها هذا العدد الضخم من الملوك والرؤساء فى بلد واحد . ولقد كان للقرارات التى اتخذت : صدى فى جميع أنحاء العالم ، فقد شملت كثيرا من المسائل الكبرى من أهمها : التعايش السلمى، والتفرقة العنصرية ، ومشكلة فلسطين ، ونزع السلاح ، واحترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، واحترام سيادة الدول وسلامة أراضيها واستنكار الأحلاف العسكرية وفض المنازعات بالطرق السلمية ومكافحة الاستعمار بكافة أشكاله وصوره .

وقد صفقت كل الشعوب المحبة للسلام لهذا المؤتمر الكبير ولقراراته التى مست كل مشاكل العالم تقريبا بينما ارتسمت علامات الذعر والخيبة والقلق على وجه اسرائيل وحلفائها ممن يحاولون مساندة الباطل ولكن ارادة الحق كانت ولا تزال فوق كل ارادة .

عدم الانحياز .. ومتى عرف

وقد ولدت فكرة عدم الانحياز - كأسلوب جديد فى العلاقات الدولية - مع مؤتمر باندونج الذى انعقد فى المدة من ١٨ - ٢٢ ابريل ١٩٥٥ الذى كان له الأثر فى ايجاد كتلة حيادية ، فضلا عن أنه كان خطوة أكيدة لدعم السلام العالمى والتعاون الوثيق بين الدول الافريقية والآسيوية فى كافة المجالات وقد مثل الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المؤتمر : سيادة الرئيس جمال عبد الناصر بصفته رئيس الوزراء - وقتذاك - وألقى خطابا سياسيا هاما : أعلن فيه اعتناق مصر لسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وهذه السياسة - سياسة عدم الانحياز - ليس معناها أن تقف بلادنا - وهى عضو فى الأسرة الدولية - موقفا سلبيا من حوادث العالم الجارية : بل انها وهى لا تنحاز لأى من الكتلتين : تقف من أوجه النزاع التى تجرى بينهما موقف الحياد الايجابى بمعنى أنها تقف من الحوادث موقفا ايجابيا . وتتفاعل سياسيا معها . وتقف من الحوادث : الموقف الذى يتلاءم مع مثلها العليا ومع مصالحها .

ولا جدال فى أن سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى سياسة حكيمة اقتضاها قبل كل شىء صالح الدول النامية وحاجتها الملحة الى ابراز شخصيتها الدولية على الاستقلال وفضلا عن كل هذا :

فجوهر الحياد هو طبيعة الاسلام : لأن الحياد فى حد ذاته هو عشق للسلام الذى يدعو اليه الاسلام ، وتلتحم مبادىء الحياد مع مبادىء الاسلام الذى ينادى بالتعايش السلمى ونبذ الحروب ورفض التورط ، واقرار التعايش السلمى والسلام القائم على العدل كسياسة دولية دائمة .

مؤتمر بلغراد ١٩٦١

وعندما عقد فى بلغراد مؤتمر الدول غير المنحازة عام ١٩٦١ لم يستطع العالم أن يغمض عينيه عن الحقيقة الجديدة . ولأول مرة نجحت دول عدم الانحياز فى أن تثبت وجودها الدولى وأن تجذب أنظار العالم فى الشرق والغرب الى جدية دعوتها الحيادية فى المجال الدولى فقد بدا واضحا أن دول عدم الانحياز تعيش مشاكل عالمها لا تنعزل عنها تنفصل .

مؤتمر القاهرة ١٩٦٤

وبين مؤتمر بلغراد الذى عقد عام ١٩٦١ ومؤتمر القاهرة الذى انعقد فى الأسبوع الأول من اكتوبر سنة ١٩٦٤ : نجحت دول عدم الانحياز فى ايجاد أرض أو قطعة أرض يلتقى عندها الشرق والغرب فقد زاد عدد الدول غير المنحازة زيادة كبيرة وأصبح أكثر من نصف دول العالم يعتنق هذا المبدأ ويؤمن به ويعلق عليه أمله فى السلام والرخاء والحرية ولا شك أننا ندرك معنى هذه الزيادة التى شملتها رقعة الدول غير المنحازة ، انها ان دلت على شىء فانما تدل فى جلاء على اعتدال هذه السياسة ونجاحها فى الوقت نفسه .

عدم الانحياز .. كسلوك دولى ناجح

وسوف نشرك معنا فى هذا التحقيق السيد الاستاذ محمد فرج :

ليحدثنا عن الحياد الايجابى وعدم الانحياز كسلوك دولى ناجح ويقول سيادته :

« ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى أصبح حلفاء الأمس أعداء وانقسم العالم الى معسكرين كبيرين وظهر الخلاف المذهبى والسياسى الذى اتخذ مظهر العداء السافر ونتج عن ذلك تغير فى ميزان القوى الدولى وخرجت روسيا وأمريكا من الحرب دولتين كبيرتين بينما تقلص نفوذ بريطانيا وفرنسا .

وفى الجانب الروسى ظهرت الشيوعية كقوة هائلة واندلع لهيب الثورات فى هنغاريا وبلغاريا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا واتخذت هذه الدول الشيوعية نظاما لها كما دخلت فنلندا وألمانيا الديمقراطية فى نطاق النفوذ الروسى ومدت روسيا يدها الى الصين فى كفاحها ضد قوات شيانج كاى شيك الذى كان يرتكن على مساعدات أمريكا ... وأعلنت روسيا ما سمى بمشروع مولوتوف الذى يهدف الى مساعدة الجمهورية الشعبية اقتصاديا .

وفى الجانب الآخر سعت أمريكا الى جمع المعسكر الغربى على صعيد واحد والى تكتيل الدول التى ترتبط مصالحها بالراسمالية الامريكية حتى تستطيع ان تواجه المد الشيوعى وان تقاوم الحركات التحررية التى قامت فى أفريقيا وآسيا ضد الاستعمار الفرنسى البريطانى .. وقررت أمريكا أن تمد يد العون الى كل البلاد التى اهتز كيانها الاقتصادى بعد الحرب بقصد تمكين هذه الدول من صد التيار الشيوعى الجارف . وقدمت أمريكا أقصى العون فى ضوء مشروع مارشال الذى كان يهدف الى انعاش اقتصاديات دول اوروبا كما وضعت تخطيطا للدفاع

العسكرى وابرمت عدة اتفاقيات تهدف تقوية الصفوف وحشد القوى أمام الزحف الشيوعى .

واصطدم الجانبان فى المحافل الدولية وشهدت الأمم المتحدة فصولا متعددة لهذا الصدام

وكان لابد من أن تتواجد قوة ثالثة تقف بين المعسكرين تحاول أن تخفف من حدة التوتر وأن تمنع قدر استطاعتها من قيام صدام مسلح قد يكون فيه فناء العالم وأن تسعى بكل امكانياتها الى توجيه الجهد البشرى بطاقاته الى دعم السلام وتحقيق الرفاهية وضمان الاستقرار للبشر جميعا وبرزت فكرة الحياد الايجابى وعدم الانحياز فى مؤتمر بريونى حيث اجتمع القادة الثلاثة جمال عبد الناصر وتيتو ونهرو واستقر الرأى على الدعوة الى هذه الفكرة والايمان بها والعمل من أجل ابرازها واستجابت الدول الى الدعوة الصادقة الصادرة من بريونى حتى أصبحت الدول التى آمنت بالحياد الايجابى قوة جديدة تستطيع أن تحقق رسالتها وأن تنفذ الهدف الرئيسى من الدعوة الى الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وأعطى الرئيس عبد الناصر فى حديث له مع بعض رجال الصحافة الامريكية (٢٦ يناير ١٩٥٨) تعريفا واضح المعالم لمبدأ الحياد الايجابى فقال « انه يقوم على مبادىء ومثل هى التفاعل السياسى مع الأحداث العالمية وتاييد حق الشعوب فى حريتها ومحاربة الاستعمار والرجعية والمحافظة على استقلال الدول واحترام سيادتها ومقاومة التدخل من جانب الدول الكبرى فى شئون الدول الصغرى واقرار حق كل دولة فى نظمها السياسية والاجتماعية ومقاومة الأحلاف العسكرية والقواعد الحربية ونبذ الحروب وحل المشكلات الدولية بالوسائل السلمية واقامة العلاقات الدولية على أسس نظيفة » .

وذكر الرئيس عبد الناصر أنه يجب ممارسة الحياد الايجابى فى اطار من الحيدة التى ترتكز على الحق والحرية والعدالة الدولية والضمير العالمى والتى لا تقف ساكنة جامدة أمام الصراع العالمى .

والايجابية فى الحياد لها متطلبات هامة منها .. أن تكون الدولة المحايدة متمتعة بكامل حقوقها فى السيادة حتى تستطيع أن تتفاعل مع الأحداث العالمية وأن يكون لها نصيب فى توجيه السياسة الدولية ... وأن تكون الدولة متمتعة بالشخصية الدولية المستقلة التى تقوم أساسا على الارادة الحرة والقوة المادية والمعنوية .

والحياد الايجابى يرى أن يقوم السلام العالمى على أساس نبذ الحروب وتوافر شعورالأمن والطمأنينة والهدوء والتعاون الوثيق والاخلاص المتبادل والرغبة المشتركة بين الدول فى الوصول بالعالم وبالحضارة وبالانسانية الى مثلها العليا ومعنى هذا أن الحياد الايجابى يعارض الحرب الباردة والأحلاف العسكرية والتكتل الدولى والتسابق على التسلح واستعمال الطاقة الذرية فى غير الأغراض السلمية ...

والحياد الايجابى يقوم على أساس شيوع السلام الا أن يكون السلام ملكا للجميع وحقا مشاعا لكافة شعوب الأرض فلا يقتصر نطاقه على دولة دون أخرى .. ولا يدخل الاستسلام فى معنى المحافظة على السلام فى نطاق الحياد الايجابى ولا يجوز الوقوف الى جانب العدوان بقصد انقاذ العالم من الوقوع فى خطر الحرب فليس السلام بأى ثمن هو المقصود بالحياد الايجابى وانما هو السلام القائم على العدل الدولى .

ومن مميزات الحياد الايجابى أنه يدعو الى مواصلة الجهد لنزع السلاح وانه يؤمن بميثاق الامم المتحدة باعتباره أمل العالم فى تحقيق السلام الدولى ...

ومن مظاهر الحياد الايجابى سياسة عدم الانحياز .. وهى سياسة تقوم على مقومات سلبية مؤداها الامتناع عن تأييد احدى الكتلتين فى صراعها ضد الكتلة الأخرى ... وسياسة عدم الانحياز هذه تكمل سياسة الحياد الايجابى فليس من المعقول أن تكون احدى الدول محايدة ثم تكون فى ذات الوقت منحازة لأن الانحياز يهدم سياسة الحياد من أساسها ويخل بمقومات الحيدة .

ولابد لنا أن نشير الى أن سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز تتفق وواقع حياتنا العربية ولهذا فان الشعوب العربية كلها آمنت بهذه السياسة ايمانا بعيد المدى يدل عليه حضور جميع رؤسائها مؤتمر عدم الانحياز الأخير الذى عقد مؤخرا فى القاهرة (أكتوبر ١٩٦٤) .. ولا عجب فى هذا فان الأمة العربية تؤمن بالقومية العربية التى ترفض أن تكون تابعة لدولة أو لمعسكر أو لسياسة وانما تقوم حياتها أساسا على السياسة المستقلة وترتبط بها.. والقومية العربية توحى بسلوك سياسة الحياد الايجابى بل وتحتم هذا السلوك ... هذا فوق أن وجود مناطق نفوذ فوق الأرض العربية يعرقل تقدم القومية العربية ويوقف تطورها كما أن ارتباط أى بلد عربى بحلف عسكرى يؤذى تطور القومية العربية ويعطل زحفها ولقد أدرك الاستعمار أن سياسة الحياد الايجابى التى تؤمن بها الأمة العربية هى الأساس الذى يقوم عليه بناء القومية العربية فبذل جهوده ليحطم هذه السياسة .

وأخيرا ...

فان الحياد الايجابى وعدم الانحياز سياسة تهدف الى خير البشرية وتطور العالم وتقدمه فهى اذن سياسة خيرة تعم البلاد وتعم العباد وتصرف عنهم الضر والمشقة .. هى اذن بصورتها الواضحة الصريحة هذه جديرة بان يؤمن بها العالم وجديرة بان يزداد عدد الدول التى تتخذها وسيلتها الى حياة أفضل لنفسها ولغيرها وللعالم أجمع..

القضايا العربية فى مؤتمر عدم الانحياز

ويحدثنا الأستاذ عبد المنعم خلاف مدير ادارة الشئون الاجتماعية والعمل بالجامعة العربية عن دور مؤتمر عدم الانحياز فى معالجة القضايا العربية فيقول :

كان لمؤتمر القمة الثانى لدول عدم الانحياز فرصة طيبة جدا لظفر القضايا العربية المعاصرة بالفهم الصحيح والاقتناع التام والتاييد القوى لدى هذه الدول التى تكون أكثر من نصف « الأمم المتحدة » مما سيكون له أثره عند نظر هذه القضايا فى تلك المنظمة العالمية العتيدة .

وطبيعى أن تظفر القضايا العربية وتستفيد أعظم فائدة فى مؤتمر جعل أهدافه البحث عن السلام القائم على العدل لا على تجميد الأوضاع الظالمة، ودعم مبدأ التعايش السلمى بين الكتل والأمم المختلفة عقائد ومذاهب ونظما اجتماعية وسياسية واقتصادية ، ونزع السلاح وخاصة سلاح التدمير الشامل ، وتصفية الاستعمار القديم والجديد والامبريالية والأحلاف والتكتلات والقواعد العسكرية والتفرقة العنصرية ، والتنديد باستخدام القوة فى مقاومة ممارسة الشعوب لحقها فى تقرير مصائرها ، واحترام سيادة الدول وسلامة أراضيها ، ودعم التعاون بين جميع الدول وبخاصة الدول النامية فى مجالات التنمية الشاملة، وتأييد « الأمم المتحدة » واحترام مقرراتها .

أقول : طبيعى أن تظفر القضايا العربية فى مثل هذا المؤتمر بانتصارات وفوائد ، وأن تلتقى آمال الأمة العربية بالأهداف العظيمة له لقاء سعيدا مثمرا ، لأن تصحيح المعايير وتمهيد السبيل لظهور الحقائق والتعرف عليها من شأنهما أن يطردا الأباطيل ويصححا الأحكام ويجلوا وجه العدل المنشود المتبوع بالسلام الحقيقى .

فهذه هى قضية العرب الخطيرة الأولى .. قضية فلسطين ، قد ظفرت فى المؤتمر بزيادة الادراك الواسع الواضح لفداحة الظلم الماثل فيها ، بعد أن حجبت حقائقها عن الأنظار الدعاية الصهيونية والاستعمارية المضللة أمدا طويلا ، كما ظفرت بزيادة التأييد لوجهة النظر العربية زيادة تتضح فى اصدار هذا القرار :

« ان المؤتمر اذ يندد بالسياسة الاستعمارية يقرر وفقا لمبادىء الأمم المتحدة :

١ ـ تأييد استعادة حقوق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه استعادة كاملة ، وكذلك حقه الطبيعى فى تقرير المصير .

٢ ـ اعلان تأييده التام للشعب العربى فى فلسطين فى كفاحه للتحرر من الاستعمار والعنصرية » .

وفى هذا القرار اطراد فى التأييد الذى ظهر فى المؤتمر الآسيوى الافريقى الأول الذى عقد فى « باندونج » سنة ١٩٥٥ وفى مؤتمر القمة الأول لدول عدم الانحياز الذى عقد فى بلغراد سنة ١٩٦١ .

هذا عن قضية فلسطين .

أما عن قضايا العرب الأخرى كقضية الجنوب المحتل وقضية عمان فقد أصدر المؤتمر هذا القرار :

« يندد المؤتمر باستمرار حكومة المملكة المتحدة فى رفضها لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن عدن والمحميات التى تنص على ممارسة شعب هذا الاقليم بحرية لحقه فى تقرير المصير ، وعلى تصفية القاعدة العسكرية البريطانية فى عدن وسحب القوات البريطانية من المنطقة .

ويؤيد المؤتمر تأييدا تاما كفاح الشعب فى عدن والمحميات ، ويحث على التنفيذ الفورى لقرارات الأمم المتحدة التى صدرت على أساس الرغبات التى عبر عنها شعب ذلك الاقليم .

ان الدول المشتركة فى المؤتمر تندد باستمرار الاستعمار البريطانى فى القيام بأعمال عسكرية ضد شعب عمان الذى يكافح من أجل الحصول على حريته ويوصى المؤتمر بتقديم المساعدات السياسية والمعنوية والمادية الضرورية لحركات التحرير فى تلك الأقاليم فى كفاحها ضد الحكم الاستعمارى »

وفى هذا القرار أيضا انتصار لهاتين القضيتين العربيتين فى المجال الدولى سيترك لاشك آثاره فى معنويات الأحرار المجاهدين وفى زلزلة أقدام الطغاة المستعمرين .

وهناك قضايا أخرى تندرج فى المبادىء العالمية التى تناولتها قرارات المؤتمر ، وهى المطالبة بازالة القواعد العسكرية الأجنبية ، ومنها القواعد العسكرية الأجنبية التى فى البلاد العربية ، وبمحو التفرقة العنصرية ، ومنها ما يجرى فى اسرائيل بالنسبة للعرب المقيمين فيها ، وبازالة التقسيم للوطن الواحد واحترام ارادة الوحدة عند الشعوب المقسمة كما تطالب شعوب امارات ومشيخات الجنوب المحتل .

هذا وقد كان للبراعة والبلاغة والاستيعاب والتركيز والدقة واشعاعات الاخلاص للاهداف الانسانية وغيرها من السمات التى بدت فى خطابى الرائد القوى والانسانى العظيم الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح المؤتمر وختامه ما سما بالمؤتمر وتوصياته وقراراته الى منطق الرسالات والحركات التاريخية الانسانية الكبرى مما جعل دورات هذا المؤتمر مناطا لآمال الانسانية المكافحة المتطلعة الى حياة أفضل فى ظل السلام القائم على العدل لا على « توازن الرعب » بين الكتل والأمم المختلفة ولا على « تجميد الأوضاع الظالمة » كما يريد المغتصبون الطغاة .

دول الحياد لا تكون حلفا سياسيا

أما عن أن دول الحياد لاتكون حلفا سياسيا فيتولى شرح ذلك الأستاذ محمد عطا مدير ادارة التأليف والترجمة بوزارة الثقافة والارشاد ويقول سيادته :

ان مفهوم عدم الانحياز يتعارض تعارضا كليا مع مفهوم الأحلاف . فهذه الدول ان كونت حلفا فمعنى هذا أنه سيكون هناك أحلاف ثلاثة ، وسيزداد الصراع فى العالم . مع أن الهدف الأول لدول عدم الانحياز هو تخفيف حدة التوتر الدولى والدعوة الى سلام عالمى .

وقد اتخذت هذه الدول موقف عدم الانحياز : لأنها دول آخذة فى النمو . وهى تبغى البناء والتعمير . بعد ان ظلت أو ظل أغلبها سنوات طوالا تعانى من الاستعمار ، ومن الحيلولة دون تقدمها وأخذها بأسباب الحضارة الحديثة الا أن هذه الدول قد تكونت لديها عقدة نفسية من الأحلاف العسكرية فاعمها الأغلب : كان يساق فى الحربين العالميتين الماضيتين رغما عنه وعن شعوبه للحرب فى أى من الجهتين المتصارعتين .

ومن المعلوم : أن مصر ـ وهى من الدول التى لها الصدارة فى الدعوة الى عدم الانحياز ـ قد نادى زعماؤها منذ قيام الثورة فى ٢٣ يوليه ١٩٥٢ بمبدأ عدم الانحياز وانتهاج سياسة الحياة الايجابى ، لأنها دولة حريصة على هذا المبدأ والتمسك به . وقد حاربت الأحلاف العسكرية وبخاصة : الحلف الذى ولد ميتا فى المنطقة وهو حلف بغداد .

كما رفضت مبدأ الدفاع المشترك سواء عن طريق الحلف أو عن طريق الغرب ولا شك أن هذا المبدأ « مبدأ عدم الانحياز » قد تبنته معظم الدول الناشئة حديثا أو التى استقلت فى المدى القريب وأصبح مذهبا من مذاهبها وهى قد مارست حقها فى اعتناق هذا المبدأ وفى الضغط على الدول الكبرى عن طريق التصويت فى الأمم المتحدة . وأيضا عن طريق عقد المؤتمرات بين آن وآخر ، وآخر هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة فى أكتوبر ١٩٦٤ .

وهى قد استطاعت باعتناق هذا المبدأ وبكثرة عددها أن تفرض كلمتها وأن تبعد شبح الحرب فى أدق الظروف وأحرجها ، بل ان الدول الكبرى قد اقتنعت ـ أخيرا ـ وهى مرغمة على ذلك بضرورة قيام هذا المبدأ . انها فعلت ذلك لخوفها من الحرب الذرية التى تهدد العالم بين آن وآخر .

وبعد ...

فلعلنا بهذا العرض الذى قدمناه للاساتذة الذين تولوا بيان معالم الحياد الايجابى وعدم الانحياز وتحديد أبعاده وأهدافه على مسرح السياسة العالمية ومدى أهمية هذه الدول فى تكوين جبهة حيادية تعمل على اقرار السلام فى العالم .

أقول : لعلنا بهذا العرض تكون قد وفقنا فى نقل صورة واضحة للعالم عن هذه المبادىء القويمة التى عرفت بها هذه الشعوب .

نرجو أن نكون قد وفقنا والى اللقاء .

كان حـدوج المالـكية غـدوة
خلايا سـفين بالنواصب من دد

عدولية أو من سـفين ابن يامن
يجور بها الملاح طورا ويهتـدى

يشق حباب المـاء حيزومها بها
كما قسم الترب المفـايل باليـد

(طرفة بن العبد)

الدهانات البحرية

الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش

لم اجد تعبيرا رائعا استهل به مقالى خيرا من معلقة طرفة بن العبد ، اذ فيها ملامح من الجاهلية تمجد المراكب والسفن ، والأعراب يعيشون فى البـادية ، وللصحارى أمواج من الرمال ، لها هدير كأمواج البحار والمحيطات ، والعربى ملاح فى البادية قبل كل شيء، ثم احوجته التجارة الى أن يولى وجهه نحو البحر شيئا فشيئا حتى اصبح المحيط الهندى بمرور الزمن بحيرة عربية صرفة ، واصبح الاعراب أهل اصالة فى ملاحة البحار والمحيطات كما كانوا فى ملاحة الصحراء .

والشكل التالى رقم ١ تبيان لأرجوزة شـهاب الدين أحمد بن ماجد الملاح العربى الشهير فى القـرن الخامس عشر ، والتى يسرت الملاحة فى المحيط الهندى لفاسكودى جاما ، ثم استعمار شرق افريقيا بواسطة البرتغال .

يقول المسعودى صراحة : ان سفن المحيط كانت تبنى من الساج الهندى ، ويقول ابن جبير : ان خشب بنـاء السفن فى عيذاب (ميناء علية على البحر الاحمر) كان يجلب من الهنـد واليمن ، وكان الخشب الذى تبنى به هياكل السفن فى جميع الأرجاء الواقعة شرق السويس ، أو فى جنوبها يكاد يأتى دائما من الهند وجزرها من أشجار النارجيل (الجوز الهندى) حيث تصنع منها هيـاكل السفن وصواريها وخيوطها المفروزة ، وهى التى تشـد الألواح بعضها ببعض بدلا من المسامير التى كان يستعملها الاغريق والروم فى بناء سفنهم ، وكذلك كانت تبنى السفن فى المحيط الهندى من خشب الساج الهندى والتيك .

ولم يشذ عن ذلك الا اسطولا سنخريب والاسـكندر المقدونى ، اذ كانت أخشاب الأرز المستوردة من لبنان أو أعالى أرض الجزيرة هى عناصر بناء هذين الأسطولين ، اما أشجار النخيل والسرو حول الخليـج الفارسى فقد كانت غير صالحة عامة لبناء السفن .

ويذكر ابن جبير ان السـفن التى كانت تبنى فى عيذاب ، انما هى مخيطة بامراس من القنبار ، وهو قشر جوز النارجيل ، يدرسونه « يعنى صناع السفن » الى ان يتخيط ، ويفتلون منه أمراسا يخيطون بها المراكب، وكانوا ايضا يدبغونه فى حفر على الساحل ثم يضربونه بالمرازب، ثم يغزله النساء ، وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب .

ولم يستخدم العرب المسامير فى سـفنهم التى كانت تمخر المحيط حتى كانتون فى الصين ، لانه كانت هنـاك اسطورة ، أول من نادى بها «بهوجا» الكاتب السنسكريتى القديم ، وتقول الاسطورة . ان صخور البحر بها مغناطيس يجذب السفن المثبتة بالحديد الى حتفها .

ويورد المسعودى سببا آخر وهو : أن ماء البحر يذيب الحديد ، فترق المسامير فى البحر فتضعف ، فاتخـذ اهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحم والنورة « وهى من الحجر الذى يحرق ويسوى منه الكلس » .

ومعنى ذلك بلغة القرن العشرين الكيميائية : أن الجير الحى يتحد مع الشحم مكونا سـتيرات الكلسيوم أو صابون الكلسيوم الذى لا يذوب فى الماء المالح فيعتبر دهانا واقيا لأخشاب هذه المراكب .

وللهياكل المخيطة ميزة لاحظها ابن جبير والادريسى وابن بطوطة ، وهى أنها مرنة ، فاذا اصطدمت بشـعاب المرجان فى البحر الأحمر أو غيره كانت أقل قابلية للكسر من المركب المسمارى ، كذلك فى ساحلى ملابار وكورماندل بالهند ، كانت السفن المخيطة تستطيع أن ترسو على الشاطىء فوق الزبد الكثيف ، وتتحمل الصدمة حين تلقى بها موجة عاتية على ساحل رملى .

ويقول الكتاب العرب عامة ، انالألواح كانت تسدبمزيج من القار أو الراتينج ودهن الحوت ، ويقول الادريسى وهو يصف الحيتان فى المحيط الهنـدى « وذكروا الربانيون

ايضا انهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور ؟ فيذوب جميع لحمها ، ويعود شحمها مذابا ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن ، في عدن وغيرها من المدن الساحلية، وفي بلاد فارس وساحل عمان وبحر الهند والصين ، وهو عمدتهم في سد خروق المراكب بسد خروقها »

وكان الغرض من هذا أيضا حماية القـــاع من دودة السفن ، وكانت الدهانات عامة بدهن السمك ، ويقول ابن جبير : ان دهن القرش لا يفضله في هذا شيء .

وقد وصل التجار العرب حتى ساحل الصين، وقد أورد دى جويه ادلة قوية على ان اسم اليابان في لهجة كانتون الصينية هو (وو كوك) وما أقرب الى الواقواق التى يذكرها ابن الفقيه فيقول : « وخلف الصين أمة يقال لها واق واق ، ووراء واق واق من الامم ما لا يحصى الا الله .

وعلى الجانب الغربى من الجـزيرة العربية ، كانت السفن المصرية تمخر البحر الاحمر منذ عهـد ساحورع (حوالى ٢٤٧٠ ق.م) فى الأسرة الخامسة ، وكانت ثمة رحلات متعددة فى عهـد الأسرة السادسة (٢٣٤٠ - ٢١٨١ ق.م) بالبر أو البحر الى بلاد « بنت » ولعلها ساحل الصومال الذى يواجه الجزيرة العربية .

وفى المملكة الوسطى (حوالى ٢٠٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) بعث الفراعنة بحملات بحرية الى بنت تنعكس فى القصة المشهورة عن الملاح الذى تحطمت سفينته ، وهى تتحدث عن ملاح نجا وحده من سفينة مصرية تحطمت فى البحـر الأحمر ، والقت به الأمواج على جزيرة تبعد عن طيبـة مسافة تقطع فى شهرين ، وكان فى الجزيرة ثعبان يزعم أنه امير بنت ، كان يهيمن على طائفة متنوعة من التـوابل والحيوانات الافريقية .

وتدل الرسوم البارزة والنقوش فى الدير البحرى كيف سيرت الملكة حتشبسوت عام ١٤٩٥ ق.م حملة الى بنت مكونة من خمس سفن كبيرة (شكل ٢) عن طريق البحر الأحمر . وقد عثر على تابوت فى الجيزة عليه نقش مكتوب بالخط العربى الجنوبى واللهجة المعينيـة ، وهو مؤرخ بالسنة الثانية والعشرين من « بطليموس بن بطليموس » أى ٢٦٣ ق.م اذا كان المراد بطليموس الثانى كما هـو محتمل، ويدل النقش على أن رجلا معينيا يسمى زيد ال بن زيد ويشتغل بالكهانة فى أحد المعابد المصرية ، كان يستورد المر والذريرة (قصب الطيب) من بلاده للمعبد ، ويصدر اليها على السفينة التجارية التى يملكها أثوابا جميلة من البز المصرى ومن الطبيعى أن نفترض أن زيد - ال انما نصب كاهنا فى مصر لاستيراد التوابل اللازمة للطقـوس الدينية .

وتحدثنا التوراة أن سليمان الحكيم ملك يهوذا (حوالى ٩٧٤ - ٩٣٢ ق.م) يعاونه حليفه الفينيقى حيرام ملك صور كان يبعث بسفنه الى « أوفير » لجلـب الذهب وبضع سلع أخرى تتطلبها أبهة ملكه العتيد .

ففى سفر الملوك : (وعمل الملك سـليمان سـفنا فى « عصيون جابر » التى بجانب « أيلة » على شاطىء بحر « سوف » (البحر الأحمر) فى أرض « ادوم » : فأرسل حيرام فى السفن عبيده النواتى العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فأتوا الى « أوفير » وأخذوا من هناك ذهبـا أربعماية وزنة وعشرين وزنةوأتوا بها الى الملك سليمان).

وتقع « أوفير » فى الركن الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية رغم وجود آراء كثيرة تفيد بأن « أوفير » تقع فى روديسيا حيث مناجم الذهب متوفرة ، أو تقع فى الهنـد بالقرب من نهر السند .

شكل (١)

فمن اين لسليمان البضائع التى تمكنه المقايضة بهـا للحصول على هذه الكميات الكبيرة من الذهب ليزين بها هيكله الكبير ، مع العلم بان شعبه كان زراعيا فى الغالبه بل ظل بعضه يعيش عيشة البداوة !

يقول سفر الملوك الأول فى مكان آخر ان سليمان امر باسترقاق أبناء الشعوب التى كانت تسكن فلسطين قبل أن يغلبهم عليها اليهود : وعلى ذلك أمكنه الاتجار فى هذا الرقيق ومقايضته بذهب وفضة وعاج وخشب الصـندل وخشب الاصطرك والأحجار الكريمة .

وقد قامت بعثة امريكية بالحفـر والتنقيب فيما بين ١٩٣٨ - ١٩٤٠ لتحديد مكان عصيون جابر ، حيث كانت تقع تبل الخليفـة غربى العقبة ، فكشفت عن مكان به مسامير كبيرة من الحديد او النحاس ، وقطع من حبال غليظة ، وكتل من القار لدهان السفن ، وكان القـار يستورد من بلاد ما بين النهرين حيث مدينة بابل وآشور ، وكذلك كتل أخرى من بعض الراتنجات لطلاء السفن لكى تقيها من شتى العوامل

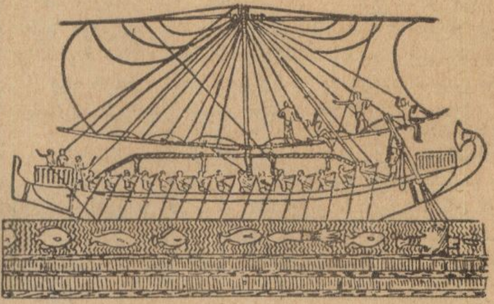

(شكل رقم ٢)

وفى القرن الرابع عشر انتقلت صناعة وصيانة السفن الى دوقية البندقية ، وقد عبر دانتى الشاعر الايطالى فى عصر النهضة عن هذه الصناعة فى شعره الآتى :

وكما يغلى القطران الكثيف
شتاء ، فى مصنع سفن البنادقة
لطلاء سفنهم المعطوبة
التى لا تقوى على الابحار ، وبدلا من
ذلك يجدد هذا سفينته ، ويسد آخر
جوانب تلك التى قامت برحلات كثيرة ،
هذا يضرب المقدمة وذاك يطرق
المؤخرة ، ويصنع آخرون مجاذيف ويجدد غيرهم حبالا
وواحد يرتق شراع المقدمة وآخر يصلح الشراع الاكبر

(دانتى : الجحيم)

وفى القرن الثامن عشر استخدمت الواح النحاس لأول مرة لحماية قيعان السفن من الحشرات والعفونة الناتجة من مياه البحار .

وفى القرن التاسع عشر استعملت لأول مرة السـفن المصنوعة من الحديد فاصبح من الضرورى صيانة قيعانها من التآكل الذى تسببه الطفيليات والنباتات الحية التى تعيش فى مياه البحار فاستخدم التركيب الآتى :

يضاف أكسيد النحاس الاسود لزيت بذر الكتان ثم يغلى جيدا ويجفف فى سائل التربنتين ، ويدهن هـذا التركيب فوق بطانتين من السليقون (دم أم) أو الاسفيداج (كربونات الرصاص القـاعدية) المخلوط فى ورنيش الأسفلت .

وفى عام ١٨٦٠ استخدم ورنيش الفلفونيات المضاف اليه اكسيد الحديد وصابون النحاس . وفى عام ١٨٧١ استخدم الشيلاك مع القطران واكسيد الحديد كبطانة مانعة للتآكل يعقبها طبقة من الورنيش المانع للعفـونة مخلوطا باكسيد الزئبق واكسيد الزرنيخ .

ولما استبدل الحديد المطاوع بالحديد الصلب فى صناعة السفن اصبحت ظاهرتى التآكل والعفونة أشد انفعالا مما كان يحدث لقيعان المراكب المصنوعة من الحديد المطاوع ، فاصبحت الحاجة ماسة الى مزيد من الابحاث .

« أسباب التآكل »

تصنع قيعان السفن من الواح من الحـديد الصلب ، تثبت فى هيكل السفينة بالرشام واللحام ، وسطوح هذه الالواح ما زالت تحتوى على حراشيف متناهية فى الصغر ، ويستمر تعرضها للعـوامل الجوية حتى يتم تركيب السفينة ، وهذه الحراشيف يبتدىء الصدأ فيها ، ثم ينتقل الى الالواح نفسها ، وقد يستغرق ذلك زمنا يقرب من بضعة اشهر قبل انزال السفينة للبحر (شكل ٣) .

ومن الصعب التخلص من هذه الحراشيف كلية بواسطة الطرق والكشط أثناء عملية ازالة الصدأ بل يتبقى الكثير منها ، ثم يدهن السطح بطبقتين من بطانة السيلقون مع زيت الكتان ، ثم يعقبها الدهان المانع للتآكل ثم الدهان المانع للعفونة .

ونظرا لأن أحواض السفن الجافة مصاريفها باهظة ، فغالبا ما يعمد أصحاب السفن الى العجلة ، واستعمال الدهانات السريعة الجفاف قبل اتمام عمليـة التنظيف وازالة الحراشيف المتأكسدة كلية ، فضلا عن ان معظم هذه الاحواض تقع فى أماكن مفتوحة ومعرضة لشـتى العوامل الجوية من أمطار ورياح وغير ذلك ، وزيادة على ذلك ما زالت بعض عمليات الدهان فى حالة بدائية فى بعض الأحواض حيث تستخدم المراقيش (الفرش) ذات الأيدى الطويلة والتى يقرب طولها من خمسة عشر قدما أو أكثر .

وهذه المراقيش لا تستطيع النفاذ الى جميع التجاويف وطرد الرطوبة الكامنة بين طياتها والتى تسبب الظاهرة الكهروكيميائية ، ومن شأنها ايجاد مساحات انودية واخرى كاثودية تعمل كأنها مراكم ، ومحصلة تلك الظاهرة صدأ وتآكل لسطح الحديد رغم أن فوقه طبقة أو طبقات من دهانات مختلفة .

والموانع التى تستخدم ضد التآكل مركبات وظيفتهـا العمل على محو هذه المساحات وتغيير خواصها الكهربية.

« الدهانات المانعة للتآكل »

يغطى قاع السفينة الخارجى بطبقتين من هذه البطانة ووظيفتها حماية السطح من التآكل ، ويجب أن تتمتع هذه البطانة بالمميزات الآتية :

١ - أن يكون جفافها سريعا ثقيلا من نفقات الحـوض الجاف .

٢ - أن تهيىء سطحا مناسبا للبطانات الأخرى المانعة للعفونة .

٣ - أن تكون مقاومتها لاحتكاك الميـاه « الناشىء من سرعة السفينة » جيدة ، والملونات المستخدمة لهـذه الاغراض هى :

أصفر الكروم ، أصفر الزنك ، أكسيد الزنك ، مسحوق الزنك ، كرومات الرصاص القاعدية ، السيلقون ، أكسيد الحديد .

ويلاحظ أن أكسيد الزنك له نفس تأثير السيلقون من جهة تكوين صابون الخارصين الذى لا يذوب فى الماء .

أما مسحوق الزنك فيؤثر تأثيرا آخر ، حيث انه فى ترتيب سلسلة الجهود الكهروكيميائية يقع قبل الحديد ، فبذلك يسبقه فى الاتحاد مع الماء مكونا أيونات الخارصين ، فبذلك يحمى الحديد من تأثير الماء عليه ، وتحويله الى أيونات الحديدوز .

ويستخدم مسحوق الزنك غالبا مع أكسيد الزنك ، ويخلطان بوسيط مناسب مثل القلفونيا والقطران ولينولات المنجنيز ، والمركب الاخير ناتج من اتحاد دهن صوف الغنم مع أكسيد المنجنيز ، ثم يخفف المزيج بالمخففات المعتادة مثل التربنتينا .

وتستخدم بعض الاساطيل الحربية وسيط الجمالكة وزيت الصنوبر على أن تخفف بالكحول ، وقد استبدلت الجمالكة بالقلفونيا لرخص ثمنها ، وتستخدم بعض احواض السفن دهانات المطاط المكلور نظرا لما يمتاز به من المقاومة الكيميائية ، وما ينتجه من طبقة خشنة تقاوم الماء .

والابحاث الحديثة تفضل استخدام الدهان الذى يحتوى على راتنج مخلق كالآتى :

زيت خشب صينى مع راتنج الكومارون بنسبة ٣ : ١ ويضاف الى هذا الخليط ملون مثل مسحوق النحاس فوق بطانة تحتوى على ٦٨٪ سيلقون مع ٣٢٪ راتنج الكين .

« التآكل الذى يحدث من الحراشيف »

(شكل رقم ٣)

« العناصر التى تسبب العفونة » :

تتعرض السفن للكائنات الدقيقة الحية التى تعيش فى مياه البحار والمحيطات وهذه الكائنات يمكن تلخيصها كالآتى :

اولا : كائنات ذات خلية واحدة مثل البكتريا والانواع الاخرى من البروتوزدا .

ثانيا : كائنات حيوانية او نباتات ذات الخلايا المتعددة مثل :

الفطريات والرخويات والدياتوما والاسفنجيات والقشريات والحبليات وغيرها من الانواع التى لا تحصى من ذوات الاصداف والتى تعيش فى المناطق الاستوائية والمناطق الشمالية الباردة والمتجمدة .

« الخسائر الاقتصادية التى تسببها العفونة » :

تسبب هذه العفونة مضارا جمة ، فقد دلت الاحصائيات على أن سرعة البواخر تقل بنسبة ٢٥٪ مما يجعل استهلاك الوقود يزداد بمعدل ٣٠٪ لكى تحافظ على سرعتها ، وقد يحدث أن تتراكم هذه المواد العفنة فوق قيعان بعض البواخر حتى تصل الى مائة طن تقريبا ، فيجب ازالة هذه المواد بصيانة هذه السفن فى الاحواض الجافة وما يلزم ذلك من تعطيل ومصاريف باهظة .

وتتعرض السفن فى الوقت نفسه الى عوامل أخرى ، فما دامت تسير فى البحار والمحيطات ، فان احتكاكها بالمياه أثناء سرعتها يسبب تآكل سطوحها ، فضلا عن أن العوامل الجوية من أملاح ورياح وأمطار وارتفاع فى درجة الحرارة حيث تعبر المناطق الاستوائية ، ثم انخفاض فى درجات الحرارة أيضا حين تعبر المناطق الباردة أو المتجمدة ، كل هذا يؤثر فى هياكل وسطوح هذه السفن .

« الدهانات المانعة للعفونة » :

تستخدم هذه الدهانات للحديد الصلب والخشب أيضا ، وتدهن فوق بطانة الدهان المانع للتآكل مرتين طبقة فوق الأخرى ، ومهمة هاتين الطبقتين الأخيرتين هو الحيلولة دون تجمع عفونة الكائنات الدقيقة التى تعيش فى مياه البحار والمحيطات ، ويدهن بها الجزء الغاطس من السفينة أى الجزء المغمور تحت سطح الماء .

والمواد السامة مثل أكسيد النحاسوز أو أكسيد الزئبق او النافثالين أو هيدروكسيد الصوديوم أو كبريتات الاستر كنين أو كبريتات الكينين أو مسحوق الطباق أو كبريتات النيكوتين أو أملاح الفلوريدات او مركبات الزرنيخ أو أخضر باريس هى خير وسيلة لتحقيق هذه الاغراض ، ويمكن دراسة خواص بعضها على ضوء التجارب التى أجريت ، وخلاصتها أن أكسيد الزئبق هو أشد السميات أثرا رغم ارتفاع ثمنه ثم يليه أكسيد النحاسوز ثم اخضر باريس .

ويلاحظ أن اكسيد النحاسوز واكسيد الزئبق يذوب كل منهما فى ماء البحر ، والذوبان يكون على صورة كلوريدات ، وبعض من أكسيد النحاسوز يتحول الى اكسيد النحاسيك ، أما النحاس المعدنى فانه يتحول الى أيونات النحاس فى محلول كلوريد الصوديوم .

وهذه المركبات السامة ليست طليقة ومتحررة فى الدهانات بل هى مغلفة بها ، واذا كانت هذه الأغلفة مانعة منعا تاما لنفاذ ماء البحر منها ، فان هذه الدهانات تصبح عديمة النفع عند استخدامها كمانعة للعفونة ، ومثل ذلك الراتنجات الفينولية والزيوت المجففة .

ولذلك يشترط فى الوسيط أن يكون مساميا ، فيسمح لماء البحر بالتخلل داخله لتعريض الاكاسيد السامة لهذا الماء ، فبذلك تتكون أيوناتها التى اذا ما صادفت جراثيم البرنيقلات قتلتها أولا بأول .

كذلك يشترط فى الوسيط أن يكون حساسا لمياه البحر يسمح بترشيح المواد السامة داخل طبقاته ، فبذلك تتهيأ الفرصة لأيونات الفلزات القاتلة للاعشاب والقشريات أن تلامسها ، فتسبب موتها أولا بأول ، ولذلك تفضل الجمالكة والقلفونيا ، وفى حالة استخدام أخضر باريس وقابليته للذوبان فى ماء البحر كبير ؛ فيستخدم وسيط منخفض فى خواصه المسامية ، وقابلية نفاذ مياه البحر داخل طبقاته .

ولكى يكون الدهان المانع للعفونة فعالا يجب أن يرشح هذا الدهان أيونات النحاس بمعدل عشرة ميكروجرام لكل سم^2 فى السطح المدهون يوميا .

ندوة الشعر

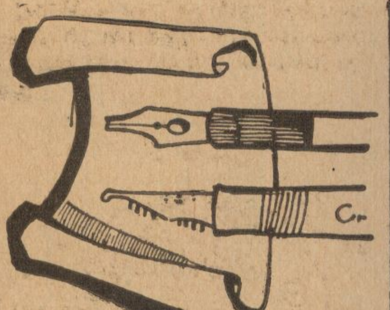

مؤتمر عدم الانحياز

امس .. فتحت القاهرة قلبها لتستقبل المؤتمر الثانى للدول غير المنحازة .. وقد تحولت دعوة عدم الانحياز من حقيقة وليدة الى قوة ضاغطة ، الى زحف عريض ينتظم اكثر من نصف شعوب العالم .. تحركهم ارادة نبعت ذات يوم من ضمير القاهرة ، وخاض من اجلها الشعب المصرى وشعوب الامة العربية اقسى المعارك ، وتعرضت من اجلها لافدح الاهوال .

فمن أجل العدل والسلام جاءوا الى القاهرة .

ومن أجل حرية الشعوب والحياد الايجابى التقت ٥٨ دولة فى مؤتمر عدم الانحياز ..

ومن اجل المبادىء الانسانية الكبيرة التى انطلقت من باندونج ثم بلغراد تجمعت ارادة دول عدم الانحياز فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة لكى تؤكد هذه المبادىء وتبحث مراحل تنفيذها ..

فماذا جاء على لسان السادة الملوك والرؤساء فى هذا المؤتمر بشأن سياسة عدم الانحياز .

قال الرئيس جمال عبد الناصر :

ان سياسة عدم الانحياز ليست تجارة حرب باردة ..

ان التغييرات من اوضاع الكتل الدولية لا تؤثر فى سياسة عدم الانحياز ، وانما يبقى لهذه السياسة تعبيرها عن ضمير الانسانية الملتزم بميثاق الامم المتحدة سواء كانت هناك كتلتان أو ثلاث أو أربع ..

ان موقف عدم الانحياز هو فى صورته النهائية تجمع من اجل السلام القائم على العدل ..

ان السلام ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وانما هو التسوية فى الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها ..

ان تحقيق الشروط والاحوال اللازمة للسلام هو امر يهم جميع الدول ويعززه اشتراكها جميعا فى المسئولية ان العدل وحده يصنع السلام الدائم ..

ان السلام لا يستقر اذا استند على تجميد الاوضاع الظالمة وان المعاهدات الجديرة بالاحترام هى معاهدات الحرية والاختيار والتى لا تخالف مبادىء الامم المتحدة ..

ان التعاون الدولى بين الشعوب لا يتحقق الا اذا تلاشت الفوارق فى مستويات الحياة بينها وتأكدت لها جميعا حقوقها المتساوية ..

ان الاستعمار يجب ان يزول بجميع اشكاله والوانه ..

ان عملية نهب ثروات الشعوب يجب ان تتوقف ، وان مطلب العدل الاجتماعى الذى يؤدى الدور الاكبر فى تحريك الحوادث داخل كل وطن يوشك الان ان يؤدى دوره على مستوى العالم كله ..

ان ميثاق الامم المتحدة يجب ان يتطور وان يستوعب الحقائق الجديدة الثورية التى طرات منذ وضع الميثاق ، وان يستوعب فى نفس الوقت تمثيلا حقيقيا للعالم ..

ان نزع السلاح يمكن ان يتم تاكيدا للسلام وتعميقا لمعناه حين تستخدم اعتمادات التسليح الطائلة فى مشاريع التنمية الخلاقة ..

وقال الرئيس احمد سوكارنو رئيس جمهورية اندونيسيا

ان اهم ما يتسم به الموقف الدولى هو ان المواجهة بين القوة الجديدة الصاعدة والنظام القديم القائم على السيطرة لا تزال مستمرة حتى اليوم ، وان الدول الاستعمارية تريد ان تحتفظ باكبر قدر من مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، وان ذلك يتم عن طريق خلق واثارة النزاع بين الشعوب واثارة النزعات الانفصالية تحت زعم تقرير المصير ..

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

ان السلام القائم ناتج عن التوازن السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى يمنع الدمار ولكن مشكلة الامن ما زالت باقية ..

ان امن الدول النامية ما زال فى خطر ..

ان السلام اليوم هو مشكلة العمل على اقرار الامن والسلام فى الامم النامية فى هذه الفترة ، فترة التحول نحو خلق عالم جديد ..

ان مفهوم التعايش السلمى غير متفق عليه ، وان ما يهدد السلام العالمى انما هو الصراع بين المصالح الوطنية فى الميدان الدولى ..

اننى مقتنع باننا يجب ان نقى العالم من وقوع كارثة وان نكفل التقدم الاجتماعى ومستقبلا افضل لجميع الامم وللناس جميعا .. ويجب علينا ان نحل المشاكل القائمة ، ولكن فى اطار المجهودات التى تكفل ضمان السلام ..

ومن خطاب الرئيس عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية العراقية :

ان قضية الحرية واحدة فى كل مكان ، ومادامت هناك شعوب ما زالت مستعمرة فان حريتنا تظل منقوصة ، ويجب العمل لاتخاذ اجراءات محددة لمساعدة هذه الشعوب فى كفاحها العظيم ..

ان الاستعمار مقضى عليه لا محالة ، ولكن القضاء عليه لابد ان يكون سريعا وغير مشروط ، ويجب تحديد موعد

لانهاء الاستعمار من العالم كله على الا يتاخر هذا الموعد عن مثل هذه الايام من السنة المقبلة ..

ان القوى الاستعمارية لن تلقى السلاح بسهولة ، ونحن فى الشرق العربى سنظل نكافح حتى نحرر آخر شبر من أراضينا بعد أن استولى المعتدون على أجزاء منها فى غفلة من الزمن ..

ان نكبة الشعب العربى فى فلسطين لا تقل عن مآسى الشعوب الاخرى المنكوبة فى استقلالها .

الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس :

ان البشرية ليس امامها هدف سوى ان تنشا الظروف العامة المواتية للتفاهم بين الدول ايا كان اسلوبها السياسى او الاجتماعى ..

ان من حق الشعوب جميعا ان تحيا فى كرامة واعتزاز ..

اننا نرى شعوبا ابية ما زالت محرومة من حق تقرير المصير اما لانها خاضعة لنظام استعمارى او لمظاهر أخرى من الظلم اكثر دقة وخفية كالتفرقة العنصرية أو التمييز العنصرى البغيض الذى يخفى جميع أنواع القسوة والوحشية الاليمة .. وفى جميع الاحوال لا يجب ان نصمت على ان تظل ملايين الشعوب مستعبدة كأنها الحيوانات أو الآلات .

اننا هنا نمد الايدى بعضنا لبعض لكى نعمل فى اطار الاخاء والتعاون والعمل على وجوب تسوية الخلافات الدولية عن طريق مبادىء الامم المتحدة التى يجب ان نقوى امكانياتها للنهوض برسالتها فى عالمنا الحديث ..

ومن خطاب الرئيس أحمد بن بيللا رئيس جمهورية الجزائر :

ينبغى ان نعبر عن عدم الانحياز بكفاح لا يهدأ من اجل السلام ، وتجنب سياسة التكتلات ونشر التعاون الدولى القائم على المساواة والاحترام المتبادل ..

ان السلام فى رأينا لا يعنى توازن الرعب والا كان السلام وهما وسرابا وغير عادل ، وابعد ما يكون عن مفهوم التعايش السلمى ..

ان التهديد بالعدوان لا يزال يخيم على عدة دول صغرى ، وأن التعايش السلمى يعنى اعادة تقييم العلاقات الدولية على اساس جديد ..

ان نزع السلاح يجب ان يكون الهدف الدائم لسياستنا ..

وقال الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية :

ان نجاح مؤتمر عدم الانحياز رهين بترجمة مبادئه ومعتقداته الى سياسات محسوسة واتخاذ مواقف موحدة تجاه كل قضية ..

اننا نطالب بتنمية الاتجاه الى التعايش السلمى وفقا لقواعد العدالة وحق الشعوب فى اختيار طرق عيشها من اجل تعبئة القوى لبناء عالم جديد ..

ان ارادة الشعوب التى ستعانى من الحرب النووية يجب ان تسود الاسلحة النووية ، وان الخطر الجزئى للتجارب النووية لن يوفر الامن الكامل للانسانية اذا لم يتفق على تحريمها كلها ..

ان الوحدة العربية حركة ايجابية بناءة تشكل ركيزة للسلام والاستقرار فى العالم ..

وتحدث الرئيس احمد عبود رئيس المجلس الاعلى للقوات المسلحة بالسودان :

ان نجاح سياسة عدم الانحياز سببه عملها على ابعاد الكتلتين عن الحرب ، وقد كسبنا توسيع قاعدة الدول التى انضمت الى سياسة عدم الانحياز ، واننا لآملون أن نرى قريبا بعض الدول الاخرى منخرطة معنا فى المؤتمرات القادمة ..

يجب ان نذكر ان توقيع الاتفاقية الخاصة بحظر التجارب النووية انما هو خطوة هامة لازالة عدم الثقة بين الكتلتين ..

يجب ان نجد حلولا لمشاكل الدول عن طريق الاتفاقات الثنائية وطريق الامم المتحدة وليس بطريق السلاح ..

وقال الشيخ جابر الصباح مندوب الكويت :

ان اقرار السلام هو الهدف الكبير الذى نسعى اليه وانى على يقين من انه لا سلام بغير عدالة وكرامة ..

ان الاستعمار اتخذ فى بعض البلاد اشكالا مختلفة ويجب علينا ان نعمل يدا واحدة على زواله ..

ان قضية فلسطين هى مثل صارخ للظلم نتيجة لالتقاء الصيونية بالاستعمار ..

وتحدث الرئيس عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية :

ان الشعب العربى كافح حتى أخرج الاستعمار ولكنه عاد من النافذة بأساليب جديدة وعمل على ادخال عناصر غريبة فى قلب الامة العربية ..

ان هيئة الامم المتحدة هى خير وسيلة لحفظ السلام العالمى والمساهمة فى حل الخلافات الدولية بشرط عدم تمييزها بين الدول الكبرى والصغرى ..

ان جمهورية اليمن تؤيد كل التأييد مشروع نزع السلاح الشامل ، ولن ترضى بدونه حلا لمشكلة السلام العالمى ..

وقال الامير فيصل نائب جلالة ملك المملكة السعودية :

ان السعودية تقف مع نضال الشعوب من اجل حريتها واستقلالها ..

ان سياسة بلادى فى تدعيم السلام تتلخص فى :

١ ـ نزع السلاح الشامل

٢ ـ عدم استعمال الذرة الا فى الاغراض السلمية .

٣ ـ تصفية الاستعمار بجميع اشكاله

٤ ـ اتخاذ اجراءات القضاء على التفرقة العنصرية وحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

٥ ـ تأييد شعب فلسطين لاسترداد حقوقه

٦ ـ بذل الجهود لرفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى للشعوب .

وقال الرئيس مختار ولد دادة رئيس موريتانيا الاسلامية :

اننا لا نستطيع أن نعتبر أنفسنا أحرارا ما دام هناك استعمار فى افريقيا ..

ان من وسائل استقرار السلام العالمى المساواة بين الجنس البشرى وايجاد حل لمشكلة التخلف الاقتصادى

ان الدفاع عن السلام العالمى يقع على عاتق جميع الشعوب ..

وبعد ..

فهذه هى سياسة عدم الانحياز فى أقوال لبعض اقطاب مؤتمر عدم الانحياز .. المؤتمر العظيم الذى شهدته القاهرة منذ أيام وتجمع فيه ممثلو اكثر من نصف سكان العالم ..

عدم انحياز .. وانحياز صريح ..

عدم انحياز لاى من الكتلتين المتصارعتين اللتين انتهت اليهما الحرب العالمية الاخيرة ..

وانحياز صريح ولكن ليس الى كتلة من الكتل أو قوة من القوى ..

انحياز الى قيم اقوى من الكتل واقوى من القوى ..

انحياز للعدل .. للحرية .. للسلام ..

شركة مصر لتجارة السيارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية : -

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوفاش بيل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجهارت بالمجر

مصانع س . أ . ف ولوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

- ورشة مرسيدس
  ١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٧٣٠٢١ - بالقاهرة
- محطة خدمة سيارات نصر بالقاهرة
  ١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩

٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية تليفون ٢٥٨٩٦

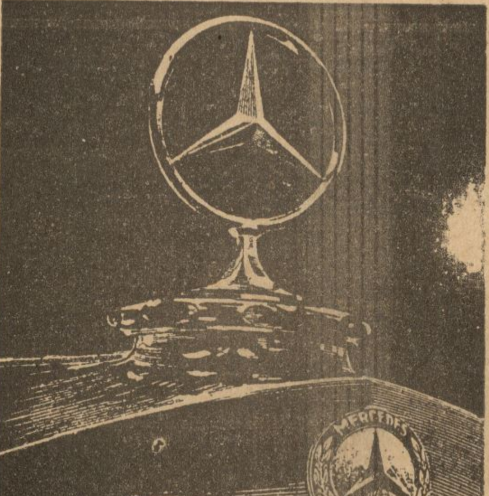

MERCEDES - BENZ

أنت تسأل ... ؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ - من راشد محمد شمس - مراسل جريدة الجمهورية - خربتا - بحيرة ، يقول فى سؤاله :

ان امرأة أنجبت ولدين وأختها أنجبت بنتا واحدة ولم يحصل رضاعة بين الولدين والبنت وبعد ثلاث سنوات أنجبت كل واحدة منهما بنتا واحدة حصل بين البنتين رضاعة فهل يجوز زواج البنت الأولى بأحد الولدين اللذين لم يحدث بينهما رضاعة فى الأول ولكن الرضاعة حدثت بين البنتين فى الآخر .

ج ١) يتضح من السؤال أن البنت الأولى لم ترضع من والدة الولدين اللذين تريد الزواج بأحدهما وأن الولدين لم يرضع واحد منهما من أم البنت الأولى ويقتضى هذا الا يكون هناك رضاع بين هذه البنت والولدين وعليه لايكون الزواج المسئول عنه محرما حرمة رضاع ويجوز للبنت الأولى أن تتزوج بأحد الولدين لأنه ابن خالتها نسبا ولم يثبت أنه أخوها أو محرم منها رضاعا وكون أختها الأخيرة رضعت من خالتها لايكفى لتحريمها على أحد الولدين لأن أخت أخ الرجل أو اخت أخته رضاعا لاتحرم عليه كما لا تحرم على الرجل اخت اخيه أو اخت اخته من النسب

س ٢ - من السيد رضوان على رضوان - بمجازة قبلى - مركز قوص .

يقول السائل : ان رجلا تزوج بنت عمه وعاشرها معاشرة الأزواج وعلم بعدها من أن اخته من والده أرضعت زوجته وأنه توجه الى العلماء فمنهم من قال له أنه لابأس من هذا الزواج ، أولا : لأن أخته لم ترضع مع الزوج من ثدى واحد ، وثانيا : لأن اللبن الذى ارضعت به أخته من والدة زوجته لبن رجل آخر وأنه بناء على ذلك يكون الزواج صحيحا .. وبعض العلماء رأى أن الزواج غير صحيح ورأوا ضرورة فسخه - ويقول فى سؤاله انه من وقت علمه بالرأى الثانى وهو مريض لأن زوجته امرأة صالحة ويريد معرفة الحكم الشرعى فى هذه المسألة .

ج ٢) اختلف الفقهاء فى مقدار الرضاع الذى يثبت به التحريم فذهب الحنفية والمالكية الى أن قليل الرضاع وكثيره سواء فى ثبوت التحريم وهو رواية عن الامام احمد ابن حنبل وقال الشافعى انه لايثبت التحريم بالرضاع الا بخمس رضعات مشبعات وهو مذهب الامام احمد فى أشهر الروايات عنه - وقد جرينا على الافتاء بهذا المذهب رفقا بالناس فى مسألة تعم بها البلوى - ويمكن للزوج أن يتحرى فان أظهر تحريه أن زوجته لم ترضع من أخته لأبيه خمس رضعات مشبعات فى زمن الرضاع قلد مذهب الشافعى ومضى فى حياته الزوجية كما كان قبل ان يعلم بمسألة الرضاع مع العلم بأنه يثبت التحريم بأحد امور ثلاثة : الاقرار والبينة والاخبار - والاقرار فى الحادثة المسئول عنها يكون

بتصادق الزوجين على موجب التحريم أو باقرار الرجل وحده وفى هذه الحالة يفرق القاضى بين الزوجين اذا رفع الأمر اليه ان لم يتفرقا من تلقاء أنفسهما . أما اذا أقرت المرأة وحدها والرجل يكذبها فان اقرارها بعد العقد لايوجب التفريق لما قاله الفقهاء من أنه يحتمل أن يكون قصدها تحريم نفسها على الزوج بادعاء محرمية الرضاع فلا يسمع قولها وحده .

والبينة : أن يشهد بموجب التحريم بالرضاع رجلان أو رجل وامراتان عدول امام القاضى فى نزاع بين الزوجين .

والاخبار : أن يخبر الزوجين رجلان أو رجل وامراتان بالرضاع المحرم ويطمئن الزوجان أو الزوج - أما قول من قال بأن التحريم لايثبت بين هذين الزوجين لأن أخته لم ترضع معه من ثدى واحد أو لأن اللبن الذى أرضعت به أخته من أبيه زوجته لبن رجل آخر فقول غير صحيح لانه اذا ثبت الرضاع من الأخت للزوجة كانت هذهالزوجة بنت أخت الزوج من الرضاع فيثبت التحريم بينهما كما يثبت تحريم الزواج ببنت الاخت لأب نسبا .

س ٣ - من السيد / ابراهيم محمد بدير - المدرس بمعهد المحلة الكبرى

يقول : انه اطلع فى عدد صفر سنة١٣٨٤هـ من مجلة منبر الاسلام على اجابة خاصةبتركة محمد احمد الفولى الذى ترك أمه وأخته الشقيقة وأخاه وأختيهمن أبيه وجاءفىالجواب أن التركة تقسم على الوجه الآتى : للأم السدس فرضا وللأخت الشقيقة النصف فرضا والباقى للأخ والأختين لأب تعصيبا للذكر مثل حظ الانثتين - وقد لاحظ السائل أن توزيع التركة بمقدار هذه الأنصبة غير صحيح نظرا لأن التركة عبارة عن ١٢٢ فدانا وسدسها لايكون ١٦ س ٧ ق وكذا بقية المقادير المذكورة فى المجلة ويعزو هذا الخطا الى ان يكون خطا مطبعياويرى ضرورة التنبيه اليه .

ج - ٣) وجوابنا عن هذا السؤال اننا فى اجابتنا التى أرسلناها للمجلة لم نتعرض الا لبيان الأنصبة التى يستحقها كلّ وارث شرعا وتركنا توزيع الأطيان على الورثة مراعى فيها هذه الأنصبة الشرعية ولم نوزعها ولا نتحمل خطأ التوزيع الذى جاء فى المجلة مع العلم بأن هذه اجابة أحد اخواننا العلماء ، وأن مراجعتنا كانت قاصرة على توزيع أنصبة الورثة دون التعرض لمراجعة تقسيم أطيان التركة على الورثة الواردة فى الاجابة .

س ٤ - من ابراهيم باز عبد العزيز - من كفر عبد المؤمن - المنصورة :

تزوج أخى بنت عمته من نحو ثمانيةشهور وقرأت فتوى عن الرضاع أمام والدتى فلما سمعتها تذكرت أنها أرضعت زوجة أخى رضعات تزيد على خمس . ولما وجهت اليها القسم أقسمت أنها أرضعتها رضعات تزيد على العشرين ولكنها لاتعلم العدد فقد كانت عمته ترسل أولادها الى جدته من الصباح الى المساء .

ج ٤) ان أخبار والدة السائل بأنها ارضعت زوجة أخيه أكثر من خمس مرات يعتبر خبرا من الأخبار فان صدقهاالزوجان أو الزوج فيما أخبرته به وجب التفريق بينهما ويفرق بينهما القاضى ان لم يتفرقا من تلقاء انفسهما أما ان لم يصدقها الزوجان أوالزوج فان اخبارها وحدها لا يكفى لثبوت موجب الفرقة والله أعلم .

س ٥ - من محمد مصطفى العزبى - خطيب مسجد بنقيطه بالمنصورة :

يقول : ان أحد اخوانه المسيحيين يريد أن يسلم ولم يكتف بتلقينه الشهادتين وأراد أن يثبت اسلامه رسميا أمام الجهة المختصة ، وطلب معرفة الطريق الى ذلك .

ج ٥) مكاتب توثيق الشهر العقارى يقوم بتوثيق اشهارات الاسلام بناء على طلب من يريد الاسلام الذى يقدم عادة الى المحافظة التابع لها طالب الاسلام ويمكنه أن يسلك هذا الطريق اذا أراد مع العلم بأن معاملته معاملة المسلم لاتتوقف على الاشهار فيجب على كل من علم من المسلمين باسلامه انيعامله معاملة الأخ المسلم لأخيه المسلم .

س ٦ ـ من حنفى محمود طه ـ شركة النصر للبترول ـ السويس :

١ ـ يسأل عن حكم الشريعة فى القروض التى تمنحها البنوك للمواطنين بفائدة ـ هل هى ربا أم ماذا ؟ ويقول ان من يقترض ١٠٠ جنيه يردها للبنك حوالى ١٠٦ جنيه على سنة ويقال له ان الزيادة تكون لموظفى البنك وللمساهمين نظير توظيف هذه الأموال فى المشروعات التجارية .

٢ ـ ويسأل كذلك ان كانت القروض المذكورة تأخذ حكم البضائع التى تباع بالتقسيط فالبضاعة نقدا ب ٢٠ جنيه وب ٢٤ جنيه على سنة فهل هذا ربا أم تجارة)

٣ ـ واذا كان القرض والبيع بالتقسيط على هذا النحو فى حكم الربا فعلى من يقع الاثم أعلى المقرض أم المقترض أو البائع أم المشترى؟

٤ ـ وما حكم الذى يعلم أن هذا ربا ولكن الحاجة القصوى تضطره للاقتراض بدلا من أن يمد يده للناس .

٥ ـ واذا كان ماسبق ربا فما حكم الاسلام بالنسبة لمن اقترض أو اشترى بالأقساط ثم صرف ما اقترضه واقلع عن ذلك بعد التحقق من حرمتها هل تزول الحرمة عنه أم لا ؟

جـ ٦) بالنظر للجزء الأول من السؤال فان من يقترض من البنك بفائدة نظير الأجل يكون متعاملا بالربا المحرم شرعا ـ والتعليل بأن الفائدة تعتبر مكافأة للموظفين الذين يقومون بعمل البنك لايخرج المسألة عن المعاملة الربوية

وبالنظر للشطر الثانى فان البيع بالتقسيط بازيد من البيع نقدا جائز ، وقد سبق فى أحد أعداد المجلة بيان هذا الحكم واقوال الفقهاء فيه بتفصيل واف يمكن للسائل الرجوع اليه

واثم الربا يقع على المقترض والمقرض وشهود العقد .

أما من تضطره الحاجة الى الاقتراض بالربا فانه اذا كانت هذه الحاجة ضرورة ملحة يتعرض لها الشخص أو أحد من تجب عليه نفقته للهلاك فانه يجوز فى هذه الحالة للضرورة الاقتراض بالقدر الذى يدفع عنه الهلاك اذا لم يجد من يقرضه بدون فائدة أو أى وجه من وجوه الكسب المشروع التى تسد حاجته وتدفع ضرورته .

وبالنسبة للشطر الأخير من السؤال فان حكم من اقلع عن التعامل بالربا بعد أن تحقق من حرمة هذه المعاملة ـ حكم التائب عن الذنب وهو انه يرجى قبول توبته بشرط الا يعود الى المعاملة بالربا مرة أخرى ـ وفى هذه الحالة يجب على المقرض حتى يقبل الله توبته ـ أن يرد ما أخذه فائدة بدون حق الى المقترض ـ والله أعلم .

س ٧ ـ من محمود حسن محمد ـ من صفط أبو جرج :

يقول السائل : ان ابنا قتل أمه عمدا وقبض عليه على ذمة التحقيق وقد تركت أمه ميراثا ولها من الورثة خلاف الابن القاتل : أم وأخت لأب وأخ لأم وأولاد عمومة ـ فمن يرث وماقيمة نصيب كل وارث .

جـ ٧) تركة هذه المتوفاة لاتقسم على ورثتها الا بعد صدور حكم من المحكمة المختصة بثبوت أن ابن المتوفاة قتل أمه عمدا بغير حق ولا عذر فاذا صدر هذا الحكم وصار غير قابل للطعن فيه بأى وجه من أوجه الطعن ففى هذه الحالة يكون ابن المتوفاة محروما من الارث وتوزع تركتها على أمها بحق السدس واختها من أبيها بحق النصف واخيها لأمها بحق السدس والباقى من التركة بعد هذه الأنصباء يكون لأبناء الأعمام الأشقاء أو لأب ، تعصيبا ولا شىء من الارث لبنات الأعمام ولا لأبناء الأعمام لأم لأنهم يكونون من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبة .

وفى حالة ما اذا لم يثبت القتل العمد على الابن فان التركة تكون لأم المتوفاة بحق السدس أيضا والباقى للابن تعصيبا ولا شىء لمن عدا ذلك لحجبهم بالابن ـ والله أعلم .

س ٨ ـ هل يجوز أن تتولى المرأة منصب القضاء ؟

جـ ٨) اختلف الفقهاء فى جواز تولى المرأة منصب القضاء فذهب الامام مالك والشافعى وأحمد الى ان المرأة لايجوز أن تتولى منصب القضاء ، وذهب الامام أبو حنيفه الى أنه يصح

للمرأة أن تتولى القضاء لأن أهلية القضاء ثابتة لمن يكون أهلا للشهادة ، وليس من شرائط الأهلية المذكورة اذ المرأة أهل للشهادة فتكون أهلا للقضاء ، وقالوا انها تكون أهلا للقضاء فيما تقبل من شهادتها . وشهادتها مقبولة فيما عدا الحدود والقصاص ، فتكون أهلا للقضاء فى ذلك ولا يصح قضاؤها فى الحدود والقصاص لعدم صحة شهادتهافيهما

س ٩ - يقولون ان المرأة أنسب من الرجل فى قضاء الأحداث . فما رأيكم فى ذلك ؟

ج ٩) رأيى ان التخصص هو أفضل مقياس ينبغى التعويل عليه فى اسناد أى عمل من الأعمال ، حتى يغلب على الظن ان الشخص بسبب تخصصه وخبرته يحسن القيام بما تخصص فيه سواء أكان رجلا أم امرأة ... والتفضيل لايكون بالذكورة أو الأنوثة ، وانما يكون بالدراسة التفصيلية وبالخبرة والأهلية والصلاحية .

ويمكننا بناء على ماتقدم أن نقول انه اذا توفر للمرأة الدراسة العلمية التخصصية فى شئون الأحداث ووجدت الضرورة لعدم وجود الرجال المتخصصين فى ذلك جاز أن يسند الى المرأة فى هذه الحالة قضاء الأحداث كضرورة من الضرورات . ولكن من الخير أن تنشأ كليات الحقوق دراسات تخصصية فى شئون الأحداث حتى يمكن اسناد قضاء الأحداث الى الرجال دون ضرورة تدعو لاسناده الى المرأة

س ١٠ - هل سبق أن تولت المرأة منصب القضاء فى التاريخ المصرى والاسلامى ؟

ج ١٠) لم أجد فيما قرأته من كتب فى التاريخ ان المرأة تولت منصب القضاء فى الاسلام .

س ١١ - تقولون فى تفسير قوله تعالى « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهمافتذكر احداهما الأخرى » ان المرأة كما لاتصلح للشهادة وحدها لاتصلح لتولى القضاء ، فما رأيكم فى هذا التفسير ؟ وهل لديكم تفسير آخر لهذه الآية ؟

ج ١١) الآية صريحة فى صلاحية شهادة المرأة وفى أن نصاب الشهادة رجلان ، وانه ان لم يكونا رجلين فيكون رجل وامرأتان .. ومعنى هذا أن شهادة امرأتين مع رجل تعادل شهادة رجلين ، وقد بينت الآية سبب ذلك وهو أن المرأة قد تنسى بعض وقائع الحادثة التى تشهد عليها فتذكرها المرأة الأخرى بما غاب عنها وانه اذا اكتملت شهادتهما على جميع وقائع الحادثة كانت شهادتهما معا كشهادة رجل واحد شهد على جميع الوقائع واذا انضم الى شهادة المرأتين شهادة رجل اكتمل نصاب الشهادة وصار حكمها كشهادة رجلين يحكم القاضى بمقتضاها فى الحالين .

واحتياج المرأة الى أن تذكرها أخرى بعض وقائع الحادثة التى تشهد عليها يرجع الى الفطرة التى فطر الله عليها المرأة واعدادها اعدادا خاصا لأن تكون زوجة وأما تحمل وتلد وترضع وتربى أطفالها داخل البيت وتعدهم للحياة بعد أن يكبروا ويشتد عودهم وبحكم ماتقوم به من مهام خطيرة جدا فى حياة الأمة لايتسنى لها الاختلاط فى يسر بالناس أو الاتصال بهم فى معاملاتهم المالية ، واذاعرضت أمامها بعض الحوادث لاتعيرها الأهمية التى تعيرها لشئونها الخاصة بها . ومتى كان الأمر كذلك فانها لاتتذكر الوقائع كما يتذكرها الرجل المخالط المشاهد ، ولذلك احتاجت المرأة الى أن تكون بجوارها فى الشهادة امرأة أخرى ليكون من مجموع شهادة الاثنتين شهادة قائمة بذاتها تعادل شهادة الرجل الواحد .

ولهذا المعنى أجاز الفقهاء انفرادها بالشهادة فيما هو من خصائصها عادة كالشهادة على الولادة والبكارة وعيوب المرأة واستهلال الصبى للصلاة عليه .

فاشتراط الآية الكريمة فى نصاب الشهادة امرأتين فى المعاملات المالية لم يكن سببه عدم اهلية المرأة للشهادة وحدها بصفة عامة حتى يصح القول بعدم صحة توليها القضاء . فهى أهل للشهادة منفردة فيما لايطلع عليه غيرها

وهى اهل للشهادة مع غيرها فى المعاملات المالية ، وغير أهل للشهادة فى الحدود والقصاص ، وهو ماذهب اليه فقهاء الحنفية

دحض أباطيل المفترين على الإسلام

اعداد عبد العظيم ملوك

بالحق والفضيلة والنهج القويم حكم المسلمون العالم ...

عزيزى القارىء ..

اردت بهذا التحقيق المتواضع ان ازيل شبهات عن الاسلام أثارها خصومه .. الذين اتهموه حقدا وغيرة وتعصبا أعمى قلوبهم عن رؤية الحقيقة ، واندفع خلفهم الشباب الذى ظن الدين تأخرا ، والالحاد مدنية ، متأثرين بهذه الافكار المسمومة فانحرف عن الطريق السوى .

واعتقادى أن الذى دفع هؤلاء الحاقدين على الافتراء على الاسلام هو ضعف المسلمين .. ناسين بأنه كان للمسلمين قوة وعظمة أيام استمساكهم بدينهم واعتزازهم بتعاليمه ، ولما انحرفوا عن مبادئه ، نفث المفترون سمومهم ، فانحلوا وضعفوا وتخاذلوا واستكانوا .. فاستعبدوا وذلوا بعد أن كانوا أصحاب مجد وعظمة .

ولقد آن الأوان بأن نصحح الأوضاع ونزيل الشكوك والسموم التى دسها المفترون على الاسلام مما جعل الضعفاء يعتنقونها ويتمسكون بها ... فان هؤلاء الكافرون آمنوا بأن الاسلام دين قوة وعزة وكرامة ... ولا يستطيعون أن ينفذوا الى قلوب أتباعه ما داموا متمسكين بمبادئه وتعاليمه فاخذوا اصحاب هذه المبادىء رويدا رويدا حتى استطاعوا أن يحطموا هذه المقومات المتينة ، ومن ثم سيطروا عليهم سيطرة كاملة بعد ان شككوهم فى دينهم ..

والآن ونحن فى عصر الحرية ولم يعد دخيل فى اراضينا ، علينا أن نعيد قراءة الافكار الهدامة التى صنعها المفترون على الاسلام ونناقشها لنبين الحق هادفين من وراء ذلك وضع لبنة فى صد موجة الالحاد وتثبيت قوة اليقين « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »

أخى القارىء ..

ان الاسلام دين سماوى جاء به رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه لعزة الفرد وتكريم الانسانية واعترف بالطبائع البشرية وتوجيهها الى ما ينفعها من الاعمال الصالحات ومسايرة الحياة بما يلائمها من خير وسعادة ..

الفتوحات الإسلامية

فتوح تحرير تتخلص بها الشعوب من قهر وذل يجنى على إنسانيتها

لنسخ الله بحادثة زينب ما كان من حرج فى زواج زوجة المتبنى إذا طلقت

وجاء الاسلام فكان اهم مقاصده توحيد الاله المعبود « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا احد » .

وهو دين لا يعترف بالتفرقة العنصرية .. بل هو دين المساواة بين الشعوب المختلفة .. بين الابيض والاسود ، بين العربى والاعجمى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

سار المسلمون على هذا النهج القويم مستمدين هذه المبادىء الكريمة من القرآن الكريم وسنة رسول الله ، فحكموا العالم بالحق والفضيلة ولما انحرفوا عنهما استعمروا واستعبدوا .

فاذن لا غرابة فى أن يكون هذا الكتاب الكريم قبلة الباحثين والدارسين لتبيان الحقائق وتزييف الافتراءات

وطفت على كبار رجال الدين وائمة الفكر ليعينونى فى تحقيقى هذا لأبلغ المراد من هدفى واضعا نصب عينى اجلاء الحقيقة .. حقيقة الدين الاسلامى الذى اومن به واعتنق مبادئه .

• فى الطلاق

اتهم الاسلام بانه دين اباح الطلاق ..

ويجيبنى فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى قائلا :

ـ ان العالم قبل الاسلام كان يتنازعه مبدءان :

احدهما : عدم الاعتراف بمشروعية الطلاق الا فى حالة واحدة هى حالة الزنى من أحد الزوجين .

والثانى : الاعتراف بمشروعية الطلاق على تفاوت فى تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التى يستعمل فيها هذا الحق والاسلوب الذى يكون به ، وان هذا التفاوت قد وصل فى بعض المجتمعات الى حد التعسف من قبل الزوج ، رغبة فى اضطهاد المرأة ، واهدار كرامتها الانسانية ،وحقوقها الزوجية بل الى حد التلهى بالطلاق واتخاذه هزوا ولعبا .

فلما أشرقت شمس الاسلام ، وجاءت شريعة الفطرة والعدل والرحمة والتوسط الذى يأبى الافراط ،ويتنزه عن التفريط ، شرع الله قانونا محكما للطلاق يقوم على المبادىء الآتية :

١ ـ الاعتراف بمبدأ الطلاق كنهاية حاسمة لحياة زوجية لم يعد من الممكن استمرارها .

ولا شك أننا نرى فى الحياة صورا كثيرة تمثل ألوان الشقاء ، واستحكام العداء بين الزوجين فاذ ألزمناهما باستمرار هذه الحياة فى ظل ما يكابدانه من شقاء ، فقد اغمضنا العيون عن الواقع ، وفرضنا على الطبيعة البشرية ما لا تحتمله ، وليس هذا وذاك مما يتفق ومبدأ الاسلام فى واقعيته ومراعاته لحق الفطرة .

ان الزواج انما هو شركة بين اثنين متحابين متعاونين، يقصد بها أن يكون كل منهما سعيدا فى جوار صاحبه، مطمئنا اليه ولذلك وصف الله الزواج بانه سكن لكل من الزوجين ومودة ورحمة .

ولقد اعترف كثير من علماء الاجتماع فى العصر الحاضر ـ ومنهم بعض العلماء الاوربيين ـ بالمصلحة الحقيقية التى تكفلها اباحة الطلاق ، وقرروا أن كلا من الزوج والزوجة اذا شقى بصاحبه وعلم انه لا سبيل الى الخلاص منه . فقد يتجه الى المخادعة واتباع طرق غير مشروعة ليرضى طبيعته فى السكون الى من يبادله المحبة والمودة أو يعينه على تلبية رغباته البشرية ، ومن ثم تكثر المعاشرات المحرمة ، ويكون الانحلال بين الاسرة واضطراب الانسان وفساد المجتمع .

ولذلك كان من حكمة الله ورحمته أن شرع الطلاق لكى يمنح كلا من الزوجين فرصة لاستئناف حياة زوجية اخرى لعلها تكون أكثر توافقا « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » .

٢ ـ ولما كان التشريع الاسلامى يلتزم عادة جانب الوسط ، وجادة السبيل فى الامور كلها ، اعلن الاسلام مع اباحته للطلاق أن الله يبغضه ، ولا يحب التعجل فيه ولا الاقدام عليه بدون مبرر قوى يستدعيه .

ففى الحديث الشريف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« أبغض الحلال الى الله الطلاق »

و « ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق »

و « لاتطلق النساء الا من ريبة ، ان الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات »

و « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة »

و « ان المختلفات من المنافقات » .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا علم بطلاق لم تراع فيه السنة ـ أى الطريقة المشروعة فى الاسلام ـ غضب وقال : « أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم »

وذلك توجيه منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى قوله تعالى فى أثناء بيانه لبعض أحكام الطلاق « ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله بكل شىء عليم »

وقوله عز وجل فى أثناء بعض أحكام الطلاق ايضا « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

وقد استنبط كثير من الفقهاء من هذه النصوص قاعدة تقول :

« ان الطلاق اصله الحظر والمنع ، ومن ثم لا يجوز الاقدام عليه الا لسبب مشروع »

ويترتب على ذلك مسلك فقهى فى شأن الطلاق يتفق وروح التشريع الاسلامى فى الحد منه ، ووضع العقبات دون انهائه للحياة الزوجية ما دام فى الوسع الابقاء عليها واصلاحها .

ذلك المسلك هو ان يقال . ان الزواج عقد يجب ان يلتزم به الطرفان كسائر العقود ، بل ان الشارع يعطيه من العناية والتقدير قسطا أوفر ، ويرغب فى استمراره، وقد ترجح لنا مما تقدم انه يعتبر اشهاره محظورا فى الاصل ، وليس من المباحات التى يجوز للمرء ان يقدم عليها دون أسباب تدعوه اليها .

واذن فيجب أن ينظر الى الطلاق على انه تصرف لا يجوز الاقدام عليه الا فى الحدود التى رسمها الشارع له ، وان كل تجاوز لهذه الحدود يبطل هذا التصرف وينظر اليه على انه غير قائم ولا نافذ .

وهذا يتمشى مع القاعدة العامة التى يقررها الحديث الثالث الصحيح ، « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود .. والتى يوصى بها فى خصوص الطلاق قوله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون »

في انتشار الاسلام

اتهم الاسلام بانه شق طريقه بالقوة ، وانتشر بحد السيف ، واستقر في البلاد المفتوحة
ويجيبني الاستاذ البهي الخولي بقوله :
بهداية الفطرة ، انتشر الاسلام
لا بحد السيف وعنف الداعية ..

— ١ —

اذا قبلنا ان نناقش تلك الفرية ، فرية انتشار الاسلام بحد السيف ، فان ذلك لا يعني الرغبة في مساجلة الذين افتروها بغية تمحيص الحق واقناعهم بخطأ ما يروجون ..

فان القوم من أعداء الاسلام ، وقد ضاقوا به ذرعا لوقوفه في وجه اطماعهم ومآربهم الاستعمارية ، فقد كانوا يظنون أن الاحتلال العسكري لاى بلد اسلامي ينهى كل مقاومة لاهله ، ويروضهم على الطاعة له ، ويفتح لهم كنوز ثرواته ، فينعمون بما شاءوا من خيرات الغنيمة السهلة ، فاذا بهم يجدون الاحتلال بدءا للمتاعب ، والقلاقل ، والمقاومة ، والبغض ، بل الحقد الثائر الذي يقض مضجعهم .. ويتهددهم بمخاطر لا تدخل لهم في حسبان ..

ذلك أن الوطنية في قلب المسلم ليست معنى قوميا يستمد قوته من الرغبة في الاستقلال بخير البقعة التي نشأ عليها ، ونشأ عليها آباؤه ، وأجداده من قبل .. بل هي شعيرة روحية ، تتحول بها رقعة الوطن الى معنى قدسي موصول بصميم العقيدة ولباب الايمان ، فلا يطيق أن تمس سيادة دينه باحتلال اى شبر من أرضه ، ولا أن يرى في المحتل الا أنه عدو دينه ، وعدو نبيه ، وعدو كتابه ، وعدو كل ما يمت للاسلام بصلة ..

ويلتقي وجدان هذا البغض المقدس في صدره بالحكم الشرعي الذي يجعل مجاهدة هؤلاء الاعداء فريضة عامة ، تخرج لها المرأة بدون اذن زوجها ، والعبد بغير اذن سيده ..

فاذا لم يسعفهم امكانهم بحق النفير العام الذي يدفعون به العدو عن بلادهم ، فذلك البغض الثائر كامن في صدورهم ، يذيق العدو من نظراته المحرقة الصاعقة ما يجعله يضيق بالاسلام كل ضيق ..

وكلنا يعرف شكوى غلادستون في البرلمان الانجليزي اذ قال : ان أعدى أعداء الامبراطورية ، هو الكعبة في مكة ، وهذا القرآن بين دفتي المصحف .

ولم يكن للاستعمار بد من معالجة الاسلام وحربه بكل سلاح ممكن .. سلاح الثقافة المسمومة ..وسلاح الاباحة والتحلل الخلقي .. وسلاح التشكيك في صلاحية الاسلام لحضارة العصر .. وسلاح افتراء الاكاذيب على الاسلام وعلى بني الاسلام ..

ومن تلك المفتريات ، فرية انتشار الاسلام بحد السيف ، ليقروا في اذهان الشباب انه دين وهمي لا يعرف اهله سوى ذرائع القهر وسفك الدماء لفرض سيطرتهم باسمه على الناس .

واذ كانوا هم مخترعي تلك الفرية ومروجيها لحاجة في نفوسهم ، وهم لذلك أعلم الناس بكذبها ، فمساجلتهم عبث لا يفكر فيه عاقل ..

انما نناقش تلك الفرية اداء لحق الشباب ، ودفعا لما يحاولون تضليله به ، ولانها مناسبة يتزود فيها بلون من ثقافة دينه ، ومبادئه ، وتاريخه .

ولعل من عجائب المناقضات ، أن الذين يرمون الاسلام بانه انتشر بالسيف ، هم انفسهم الذين يحتلون بلاد الاسلام وغير الاسلام بحكم القهر والسيف .. وهم انفسهم الذين يرفعون السيف في وجه كل من يطالب بحريته ممن نكب باحتلالهم لبلاده .. وهم انفسهم أعداء السلم ومثيرو القلاقل في كل مكان وكل مناسبة.. وهم بعد ذلك السادة المستشرقون والمبشرون الذين تصطنعهم جمعيات التبشير لاستعباد الشعوب باسم الدين ، وتتخذهم حكومات الاستعمار أدوات تمهد لها السبيل الى الغرض الخسيس الذي تريد..

وتلك قضية نكتفي بلفت النظر اليها ، لتصحبهم في فهم ما يعرض عليهم .

— ٢ —

وأول ما نلمحه في هذا المقام في شأن التدين ، أن الاسلام يقرره على أنه فطرة .. فهو ضرورة روحية لضمير المرء يلتمسها لنفسه بدافع من وجدانه ، ولا يتصور أن يكون لها غناء اذا حمل عليها بالاكراه ، أو باية وسيلة غير طبيعية ..

ولذلك جاء قوله تعالى « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .. « لا اكراه في الدين » « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » « انك لا تهدي من أحببت » .. وهي نصوص تحمل في هديها فلسفة التدين السليم ، ومنطق الدعوة بالرفق ..

ولا يتصور من رسول أن يخرج على ارادة مرسله ، فيتنكب ما رسم له من نهج الحكمة ، فيكون أول مجترىء على مخالفة ما ارسل به ، بل يكون اول من يبطل ادعاءه انه رسول الله لما يجده الناس في أمره من بون شاسع بين نصوص أمر بالتزامها ، ونهج من العسف والجور يناقضها كل المناقضة ..

بل انه لو كان رسولا من عند نفسه — حاشاه — لما ساغ في كياسة الدعاة أن يعلن تلك المبادىء لترغيب الناس في دعوته ، ثم يرفع السيف في الوقت نفسه ليحملهم به قسرا على اتباعه ..

فحيثما عرضنا تلك الفرية ، في أى فرض من فروضها الممكنة ، أعيانا أن نجد لها في المنطق السليم مكانا تستقر فيه على الرضا والتصديق .

ذلك الى أن تاريخ دعوة الاسلام يدل من أول يوم على تقبل الناس له ، ورضاهم به ، ودخولهم فيه عن طواعية ورغبة .. وتاريخ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسائر من نعرف من السابقين الاولين ، يدل أوضح دلالة على أن أحدا منهم لم يكن مكرها على الاسلام باية صورة من الصور ..

بل ان التاريخ نفسه يثبت عكس دعوة الاكراه .. يثبت ان الاسلام كان هو المجني عليه ، اذ كان المؤمنون يتعرضون لاشد الاذى والفتن ليرجعوا عنه .. وكان الاذى يشمل كافة المؤمنين . ضعفاءهم وأقوياءهم ، عبيدهم وأحرارهم ، أشرافهم وسوقتهم ..

قال ابن هشام :

« وكان ابو جهل اذا سمع بالرجل قد اسلم ، له شرف ومنعة ، أنبه ، وخزاه ، وقال له : تركت دين أبيك وهو خير منك ؟ والله لنسفهن حلمك ، ولنضعن شرفك .. وان كان تاجرا قال له : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك . وان كان ضعيفا ضربه واغرى به » .

ولما اشتد الاذى والتضييق بالمسلمين ، تركوا مكة وهاجروا هجرتهم الاولى الى الحبشة ، ليأمنوا فيها على انفسهم ودينهم ..

قالت أم سلمة : « لما نزلنا الحبشة ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه » .

ومع ذلك فان قريشا غاظها أن يفر هؤلاء بعقيدتهم، ليأمنوا عليها فى مهاجرهم الجديد ، فارسلوا الرسل بالهدايا الى النجاشى ليعيدوهم الى مكة ، ويفتنوهم عن دينهم ، ان استطاعوا .. ولكن النجاشى ابى أن يخذل من فر اليه بايمانه ..

تلك فقرات وحقائق من تاريخ الدعوة الأول ، لا نطيل بالتعليق عليها ، فهى غنية بدلالتها السافرة على أن تلك حال قوم مؤمنين ، لا حال قوم أكرهوا بالسيف او غيره على ما يكرهون ..

ومع ذلك فماذا فى مبادىء الاسلام وعقائده ما يوجب نفور الناس منه ، ويقتضى حملهم عليه بالقسر والقهر ؟

لعل أوفق ما نجيب به فى هذا المقام اجابة جعفر ابن أبى طالب احد الفارين المهاجرين بدينهم الى الحبشة .. فقد سأل النجاشى هؤلاء المهاجرين عما يدعو اليه رسول هذا الدين الجديد .. فقال جعفر : « يدعونا الى توحيد الله ، وأن نخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والاوثان .. وامرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .. وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام » .

ثم تلا عليه بعض الآيات من أول سورة مريم ، فلم يتمالك النجاشى أن بكى ، وقال : « ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » .

ولا يعنينا فى هذا المقام أن النجاشى قال ما قال ، انما يعنينا أن نسأل : ماذا فى تلك المبادىء التى ذكرها جعفر مما تاباه الفطرة ، وينكره العقل ، ويعيبه السادة المستشرقون والمستعمرون »..

أكان على نبى الاسلام لكى يحظى برضى المستعمرين وثنائهم ، أن يأمر بنقيض هذه المبادىء ، فيدعو الى عبادة الحجارة والاوثان .. ويأمر بالكذب والخيانة، وقطيعة الرحم ، وسوء الجوار ، ويحض على الفواحش، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم .. الخ ؟..

اننا نسأل هذا السؤال ليتبين الشباب ، وكل ذى نصفة مدى جناية هؤلاء على الحق ، والمثل ، ومبادىء الخير والفضيلة .. أو مدى زيفهم فيما موهوا ـ ويموهون ـ من دعوى الاخلاص للعلم المحض ، وشرف التجرد فى البحث عن الحقيقة ، لننزع اليد من كل كذاب منافق ، أو كل ذئب غادر ، مأجور لخيانة العلم والحقيقة .

ولكننا نتطوع فنسأل فى مبادىء هذا الدين على ما تنفر منه نفوس ، ويغضب له اقوام ذوو شأن ، أو لا شأن لهم على الحقيقة .. ففيه شىء اسمه العدالة والمساواة ، رأى فيه الملوك والسادة ثورة على جورهم وسلطانهم ، وضياعا لما فرضوه على الناس من اثرة وتحكم وسوء استغلال ، فكان ذلك أحد الاسباب ، بل لعله كل الاسباب التى اعترضت الاسلام ، وعوقت الى بعض الوقت عوامل انتشاره ، ومن ذلك أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقف ببنى شيبان فى بعض مواسم الحج يعرض عليهم الاسلام ويدعوهم الى نصرته، فرأوا مما عرض عليهم كلاما جميلا ، « لو لم يكن دينا لكان فى اخلاق الرجال حسنا » .

ولكنهم رأوا فيه من ناحية اخرى أن نصرته تعرضهم لغضب كسرى الذى نزلوا بجواره على حدود بلاده ، فقالوا له عليه الصلاة والسلام : « ان هذا الذى تدعو اليه مما تكرهه الملوك » ..

وكان من حجة قريش فى مناوأته انه فسد عليهم عبيدهم بدعوى المساواة التى لا تحفل بفوارق اللون والمولد ، وتجعل تقوى الله وحدها هى ميزان التفاضل الذى قد يذهب فيه العبد بالرجحان على سيده .

فالرؤساء والسادة هم الذين كرهوا هذا الدين ، لما رأوا فيه من تهديد لمصالحهم وامتيازاتهم المختلفة ..

ومع ذلك لم يكرههم عليه الرسول ، بل‌هم الذين ناوءوه وضيقوا عليه ، حتى اضطروه مع صحابته الى أن يترك لهم بلدتهم مكة الى اخرى نائية ، هى يثرب ، المدينة .

ـ ٢ ـ

وحين ننظر فى بدء سعة هذا الدين وانتشاره ، نرى الاختيار المحض هو الذى أقبل بأهل المدينة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويعرضون عليه أن يهاجر ، ويطلبون اليه أن يشترط لنفسه ولدينه ما يشاء ، ويعاهدونه على أن يحموا دينه مما يحمون منه أعراضهم وابناءهم ، وأن يبذلوا فى ذلك نفوسهم وأموالهم ..

ولم يكن ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو الداعية المضطهد ، يملك من الاسباب ما تخشاه اهل يثرب حين جاءوا يبايعونه ويعاهدونه ، سوى أسباب هذا الدين السمح الذى وجدوا فيه رخاء النفس وطمأنينة الضمير .

ولا يستطيع مكابر ـ مهما تبلغ جرأته فى انكار الحق ـ أن يزعم أن الاسلام دخل الصين ، وجزر الملايو ، وجزر الهند الشرقية ، بحد السيف .. ولا أن يدعى هذه الدعوى فى دخوله غرب افريقيا ووسطها فى السنغال وغمبيا وغينيا والنيجر واقليم بحيرة تشاد ، وغيرها من مناطق الشرق والوسط والجنوب ..

فاذا لم يكن للاكراه فى شىء من ذلك أدنى سبب ، فهو البرهان الساطع على أن هداية هذا الدين السمح ، هى التى مهدت له تلك الاطراف النائية من شرق الارض وغربها ، لانها هداية الفطرة ، والعقل السليم ..

ولعل أهم ما يستظهرون به لفريتهم حروب الفتح التى فتحت بها فارس ، والشام ، ومصر ونحوها .. وهو أمر جدير بالمناقشة ..

فان هذه الحروب لم تكن ـ كما يسبق الى الذهن لاول وهلة ـ حروبا ضد شعوب يراد اكراهها على غير ما تعتقد ،بل كانت ضد طوائف من القواد ، وأمراء الاقطاع ، وسادة الاستعمار ، كانت تسيطر على تلك البلاد ، وتستبد بالحكم فيها ، وتستأثر بحياة الترف، والبذخ ، وتحتكر لنفسها ثرواتها الطائلة ، فلم يكن للشعب فيها سوى انه رقيق مسخر لفلاحة الارض لا يملك من كدحه سوى الفقر ، والضيعة ، واليأس ..

وكلنا يعرف أن مصر ـ قبيل الفتح الاسلامى ـ لم تكن سوى اقطاع كبير يديره الاستعمار الرومانى بالسياط والسخرة لانتاج القمح لحساب السادة المستعمرين وراء البحار ..

وكان ما يفرض على الفلاح تقديمه من القمح عن كل فدان ، ربما زاد على حصيلته التى يغلها منه ،فيقبض على الفلاح وعلى الحصيلة معا ، فلا يعفيه من ضرب السياط والارهاق الا أن يفتدى نفسه بالمستحيل ، وهو المطلوب الذى لم تغله الارض ..

فهرب الناس ، وخربت البلاد ، وانتشر الفقر واللصوصية .. فما أن جاءت طلائع فتح الاسلام حتى هرع اليها الشعب بالتأييد ، يقدم اليها ولخيلها الزاد والمؤونة ، ويدلها على مسالك الطريق وعورات البلاد .

فهى فتوح تحرير ، تتخلص بها الشعوب من قهر مذل يجنى على انسانيتها بالبغى على الاقتصاد ، والفكر، والضمير .. وليس ذلك مجرد استنباط من واقع الشعوب فى تلك الحقبة السحيقة، بل هوالمعنىالواضح الذى نجده صريحا فى كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى ارسله الى هرقلقيصر القسطنطينية يدعوه به الى الاسلام ، اذ قال : ((اسلم ، تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فان ابيت ، فانما عليك اثم الاريسين)) والاريسون هم سواد الشعب وأجرائه وعماله الكادحين فى فلاحة الارض والوان الحرف .. وهى عبارة جليلة تتضمن أهداف الحكمة فى انصاف الشعوب التى درجت على السخرة ، فلم تكن تستطيع فى قبضة قاهرها المستغل ، أن تفهم لوجودها معنى .. سوى معنى الفكر المعطل ، والضمير المغلق على وراثة الكدح ، والتسليم لارادة الحاكم العتيد .. اى أن الدعوة لم تكن لمجرد التحرر الاقتصادى أو السياسى بل كانت لتحرير أو انصاف ((معنى الانسان)) فى تلك الشعوب التى لم تكن تستقل بتفكيرها عن تفكير حاكمها ، ولا أن ترى فى الامور غير ما يرى ، ولذا كان انتم ما هى فيه من غبن اقتصادى ، وفكرى ، وروحى على حاكمها الذى ان شاء فتحلها منافذ الفكر،والحرية، والعدل ، وان شاء أغلقها ، فهى به فى غبن بين ،وقحط روحى تعس .. وذلك هو جوهر رسالة الاسلام الذى يتضمنه معنى قوله عليه الصلاة والسلام - : ((فان ابيت ، فانما عليك اثم الاريسين)) ..

فاذا أردنا مثلا تطبيقيا لهذا المعنى فى تلك الفتوح فلننظره فى فتوح فارس ، اذ دار حوار بين رستم قائد الفرس وربعى بن عامر أحد جند المسلمين ، كان مما جاء فيه قول ربعى فى تعليل حضورهم للفتح - فيما رواه الطبرى - :

((انما جاء بنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام)) .

فللامر فى تلك الفتوح - على هذا كله - امر تحرير ونصفة للشعوب ، وتخليص لها من جور المستغل المستبد لتمارس خصائص وجودها فى ظل الطمانينة السابغة ، التى تختفى فيها ((عبادة العباد ، وجور الاديان)) ، فان ذلك جدير أن يقبل بفطر الناس على عبادة الله وحده ، دون اكراه لصاحب كتاب سماوى أن يتحول عن دينه الى شعائر الدين الجديد .. وكلنا يعلم أن عمر حين دعى للصلاة فى كنيسة القيامة يوم فتح بيت المقدس ، ابى ، وقال : لو صليت فيها ، لغلبكم عليها المسلمون فيما بعد ، وقالوا : هنا صلى امير المؤمنين .. وهو مثل قاض على فرية الاكراه المدعاة .

ولقد اثمرت الفتوح ثمرتها فى تحرير الافكار والضمائر فاقبل الكثير بملء حريتهم على دراسة الدين الجديد ، وتبين ما فيه من وجوه العدالة والرجحان ، فاطمأنت قلوبهم الى صدقه ، وتحولوا اليه راضين مختارين .. اى كان تحولهم اليه بمحض الاقتناع والرغبة ، لا بحكم الجور ، وظهور الغالب على المغلوب ..

وليس أسهل عليهم من أن يشغبوا بان ذلك طمس للحقائق ، وستر للجور الذى فرضه المغلوب بالدخول فى الدين الجديد .. وهو شغب يرده ما قدمنا من وجوه الادلة ، ويرده أخيرا أن القرآن رسم للجميع ((معايشة دينية)) يأمن فيها كل ذى دين على دينه ، على نحو من العدالة والبر ، لا يبتغى وراءه منصف مزيدا من عدالة أو نصفة ، وذلك قوله تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون))

ولا نطيل بشرح ذلك النص فى دلالة على صدق جوهر هذا الدين ، ونكتفى بدلالة على روابط الولاء والبر، التى يجعلها أساسا ((للمعايشة)) بين ذوى الاديان المختلفة ، ويحض المسلمين عليها لما تتضمنه من دواعى مرضاة الله وحبه ((أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين))

على أن ثمت حقيقة تاريخية لا تدحض ، تلك ان المغول والتتار الذين غزوا المسلمين ، ودمروا ما كان لهم من حضارة ، وحكموهم بالذل والخسف ، تبدت لهم سماحة هذا الدين فلم يتمالكوا أن دخلوا فيه بمحض الغبطة والرضى ، ولا يجرؤ أشد الناس مكابرة فى الحقائق ان يزعم أن هؤلاء المغلوبين قد قهروا الغالبين الحاكمين فادخلوهم فى دينهم بسلطان قد كان للمغلوب على غالب يوما من الايام ..

وفى المقام فضل من القول ، وسعة من الحجة والبيان ولكنا نحسب فيما قدمنا كفاية لضمائر الشباب ومقنعا لعقولهم ان يتبينوا جانبا من قوة دينهم ، وسمو مبادئه من خلال ما يفترى عليه المفترون . والحمد لله على نعمة الاسلام .

• مسألة "زيد وزينب"

ادعى المدعون على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - زورا وبهتانا أنه احب زوجة موليه زيدا فطلقها منه وتزوجها ..

ويجيب فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق بقوله :

قال الله تعالى :

((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)) .

نزلت هذه الآية الكريمة فى شان زينب واخيها عبد الله بن جحش ، حين خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش فرضيت وظنت انه يخطبها لنفسه ، فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فكيف ارضاه لنفسى وهو عبد .. وكذلك كره أخوها عبد الله بن جحش فنزلت تلك الآية فلما تلاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهما رضيا وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله وكذلك اخوها .

فزوجها النبى من زيد بن حارثة فدخل بها ، ولكن متى يدوم الوفاق وهذا الزواج لم توضع لبنات الانس والمحبة فى أساسه فكانت تهب رياح الجفاء بينهما فيذهب زيد ويشكو الى النبى - صلى الله عليه وسلم - شدة زوجه وقسوتها عليه ، ويريد طلاقها فيقول له النبى - عليه الصلاة والسلام - : ((امسك عليك وزوجك واتق

الله » . ولكن اذا أراد الله أمرا هيأ له الأسباب .

فقد أراد أن يقضى على عادة العرب الفاشية فيهم وهى ان الرجل لا يحق له ان يتزوج من زوجة ابنه الدعى ، وقد كان زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبناه النبى فكان يدعى يزيد بن محمد ، وقد اشتراه فى الجاهلية فأعتقه وتبناه وقتل فى غزوة مؤتة شهيدا بعد ما عاش فى كنف النبى وفى خدمته - صلى الله عليه وسلم - سعيدا ، فاراد الله ان يطلق زيد زينب ليزوجها الحق لنبيه - عليه الصلاة والسلام - بعد انقضاء عدتها وبذلك ينسخ سنة الجاهلية ، وفى هذا يقول الله تعالى · « واذ تقول للذى أنعم الله عليه - بنعمة الاسلام - وأنعمت عليه - بنعمة التبنى - أمسك عليك زوجك - فلا تطلقها - واتق الله - فى معاملتها - وتخفى فى نفسك - يا محمد زواجك بها بعد طلاق زيد لها ، والله سيظهره بعد ذالك ، وتخشى الناس - ان يقولوا تزوج محمد زوجة ابنه - والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا - اى حاجة واربا ولم يبق له هوى فيها - زوجناكها - ولم نحوجك الى ولى من الخلق يعقد عليها تشريفا لك ولها بما لنا من العظمة التى خرقنا بها عوائد الخلق »

وهذه الحادثة دلت على كمال حياته صلى الله عليه وسلم وعظيم ادبه وعلو خلقه .

وقد تضمنت تلك الحادثة ما يأتى .

١ - أراد الله تعالى ان ينسخ بها ما كان من حرج فى زواج زوجة المتبنى اذا طلقت .

٢ - أن يمحو من النفوس أن زيدا بن محمد فقال « ادعوهم لآبائهم » .

٣ - أن زينب بنت عمته فاذا طلقت وانقضت عدتها فهى احق أن تحفظ وتصان عنده صلى الله عليه وسلم .

٤ - بيان انه يفعل ما يامره به ربه .

ومع هذا كله أخفى الرسول ما علمه بالوحى من ان زيدا سيطلق زينب وأنها ستكون من ازواجه ومع انه اخفى طلاقها وأنها ستكون من أزواجه نسبوا اليه أنه اخفى حبها وميله اليها ، وقالوا انه رآها فوقعت محبتها فى قلبه واراد طلاقها من زوجها وأخفى ذلك كله مما لا يليق بمنصب النبوة وعصمة الرسالة ولا يتفق مع خلقه وسمو نفسه ، وهى فرية روجها أعداء الاسلام فراجت عند بعض ضعاف العقول الذين لا وزن لهم وانخدع بها بعض المفسرين قصار النظر ، فدونوها فى كتبهم .

ولو كان الذى اخفاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبتها وارادة طلاقها لاظهره الله تعالى على رءوس الاشهاد ، لانه لا يجوز أن يخبر جل جلاله انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره ، ولو أظهره لقال ما الله مبديه من حبك اياها ورغبتك فى تطليقها حين شاهدتها وكل ذلك لم يكن وانما الذى اخفاه هو ما أعلمه ربه من أنها ستكون زوجته ومع علمه قال امسك عليك زوجك .. فكانت تلك الحادثة امتحانا لمعادن النفوس وبيانا لدرجات الايمان وصدق اليقين

• الإسلام دين ودولة

يقولون ان الاسلام دين لا دين ودولة فما رايكم ؟
ويجيبنى الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل على هذه الفريه بقوله :

من حق هذا السؤال أن يوصف بانه دقيق ، وقد اختلف الناس فى الاجابة عليه من قبل فرأى قوم انه دين وحسب ورأى آخرون أنه دين ودولة ، وساق كل فريق من هؤلاء ادلة على مايقوله ولكنى ساجاوز ماقال هؤلاء وهؤلاء واجيب اجابة موضوعية موجزة راجيا ان يكون فى جانبها الصواب :

فما الدين وما الدولة

الذين ينصب على الاعتقاد وطريقة التعبد ومنه تكون العادة والطاعة وعليه يكون الجزاء والمكافاة · والدولة يعرفونها حديثا بانها مجموعة من الافراد تقيم بصفة دائمة فى اقليم وتسيطر عليها حكومة وتربط بينها عوامل قد يكون الدين واحدا منها

ومن هذا نرى ان الدين والدولة قد يلتقيان وذلك اذا كان من شأن الدين أن يجاوز الاعتقاد والتعبد الى تنظيم شئون الناس ومراعاة عاداتهم وأحوالهم وسلوكهم فى شتى مرافق الحياة · وقد يفترقان اذا اقتصر الدين على شأن الفرد فى تعبده واعتقاده . وكان الدين عاملا اصيلا او ثانويا من عوامل اقامة الدولة ·

والاسلام من الصنف الاول الذى يلتقى بالدولة بل يرى ان اديان الرسل قبله قد التقت بها وذلك فى آية من سورة الحديد تقول « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليس معنى ذلك الا تقوم الجماعات بنظام للعدالة بينها لتصلح من شئونها بسبب هذه الكتب والموازين ، وحتى لوكان صلاح الشان وجلب المنافع من طريق القوة والشدة المستفاد من باس الحديد فان ذلك يحث عليه الدين مهما كان امرا من امور الحياة ·

وفيما بين اقامة القسط بالكتاب والميزان ولو بالقوة والباس تتعدد الطرق وتتفرع وهى مسالك الناس جميعا فى حياتهم المادية والخلقية · ليست هذه الا الدولة كما انها هى ذاتها الدين ·

وقد تحقق هذا الالتقاء بين الدين والدولة فى اتم صورة فى عهد النبى وعهود الراشدين الخمسة ولكنه تحقق ناقصا أو لم يحدث بينهما كبير التقاء فى غير ذلك العهود فانفصل الدين عن الدولة بمعنى ان افراد الامة الاسلامية قد ظلوا على طريقتهم فى التعبد وتأدية الفرائض من حيث تركوا للدولة أن تسير متأثرة بما يجاورها ويؤثر فيها من احوال وليس المسلمون وحدهم هم الذين فعلوا ذلك بل كل جماعات المتدينين على وجه الارض ·

ومع هذا التحول فان الدين الاسلامى فى ذاته بقى دينا ودولة لانه لايمكن خط فصل الاتجاهين فيه . ولكن الذى حدث ان المسلمين صاروا فى امرهم - كغيرهم - الى حالين : فهم على طريقة التعبد يتبعون الاسلام وعلى طرق الحياة يلتقون به حينا ويتفرقون عنه احيانا ..

وبقى أن اشير الى مانتج عن هذا التفرق · وهو ماتدعه سطور التاريخ وما على من يريد الجواب الا ان ينظر الى جماعة المسلمين المجتمعة فى شتى احوالها أيام النبوة والراشدين وما قرب منها ، ثم ينظر الى جماعتهم فى غير تلك العصور

وبعد ..

لقد جاء الاسلام هدى للبشر ونورا ..

وسيبقى الاسلام ينبوع هداية ونور للذين يسمعون ويبصرون ويعقلون .

باب الشعر

الشعر الديني في شعر الامام الشافعي ٦

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

من قافية القاف

مكان العلم :

عن كتاب مجاني الأدب للأب لويس شيخو وشرح مقامات الحريرى للشربيني :

قال الشافعي :

علمي معي حيثما يممت ينفعني
قلبي وعاء له لا بطن صندوق
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي
أو كنت في السوق كان العلم في السوق

وهذا شبيه بقول القائل :

ليس بعلم ما حوى القمطر
ما العلم الا ماحواه الصدر

الا أن قول الشافعي أرق لفظا وأوسع معنى وأبلغ تفصيلا ٠

حكم القضاء :

عن آثار البلاد وأخبار العباد والمخزون في تسلية المحزون والعمدة والكشكول للبهائي وصفة الصفوة : قال محمد بن المنصور : قرأت في كتاب طاهر بن محمد النيسابوري بخط الامام الشافعي :

ان امرءا وجد اليسار فلم يصب
حمدا ولا شكرا لغير موفق
الجد يدني كل أمر شاسع
والجد يفتح كل باب مغلق
واذا سمعت بأن مجدودا أتى
عودا فأورق في يديه فصدق
واذا سمعت بأن مكدودا أتى
ماء ليشربه فغاض فحقق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ
ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

في البيت الأول لفظان للحمد والشكر والأول أعظم من الثاني وهو مرتب في البيت من الأكبر للأصغر ومعناه أن الانسان اذا لم يعد

عليه الغنى بالثناء الكثير أو القليل كان غير موفق وكان الغنى أشبه بالفقر والميسرة أشبه بالعدم .

والجد فى البيت الثانى بفتح الجيم فى الشطرين ومعناه الحظ . والمجدود فى البيت الثالث معناه المحظوظ وقد جاءت احدى روايات بهذا اللفظ الأخير . ويراد بالعود الذى لم يثمر لتجرده . والمكدود فى البيت الرابع : المحروم ، وفى رواية بهذا اللفظ الأخير . وحقق فعل أمر بمعنى تحقق وصدق ماسمعته .

والبيت الخامس واضح وكونه فى البيت السادس معناه حدوثه وقد شرحنا رأى الفقهاء فى هذا الأمر من قبل .

قافية الكاف :

اجتماع النقائض

عن المجموعة المباركة للقلنقولى أنشد الشافعى رضى الله عنه فى فساد العالم المتهتك والجاهل المتنسك قال :

فساد كبير عالم متهتك
وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة فى العالمين عظيمة
لمن بهما فى دينه يتمسك

يقول غير خاف أن من اعتمد فى دينه على العالم المتهتك أو الجاهل المتنسك ضل وفسد ، اذ التهتك يفسد العلم والجهل يفسد العبادة ، وآراء الصوفية فى هذا الباب واسعة .

قافية اللام :

مشاكلة الناس

عن معجم الأدباء أنه جرت بين الشافعى وبين بعض أصحابه مجانة فقال :

وأنزلنى طول النوى دار غربة
اذا شئت لاقيت امرءا لا أشاكله
أخامقه حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

يريد الشافعى بالنوى البعد عن العقلاء وأهل الدين الى أهل الهزل والمجانة تصنعا فلاأشابهه ولا أوافقه ولكنى أجاريه فى حمقه حتى يظن الجهلاء أن ذلك طبيعة وخلقة بى ، ولو كان ذا عقل لشاكلته فى عقله وجريت معه فى فهمه .

قلة الاخوان

عن مقامات الحريرى شرح الشريشى قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى ينشد :

صن النفس واحملها على مايزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
ولا ترين الناس الا تجملا
نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى ود امرىء متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

وهذه الأبيات مروية لغير الشافعى ولعله أحبها فأنشدها وهى واضحة كل الوضوح لشهرتها .

استعارة كتاب

عن شرح مقامات الحريرى للشريشى قال : استعار الشافعى محمد بن الحسن الكوفى الفقيه تمليذ أبى حنيفة شيئا من كتبه فلم يسعفه به فكتب اليه الشافعى رضى الله عنه :

قل للذى لم تر عينا (م)
من رآه مثله
ومن كأن من رآه (م)
قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله
أن يمنعوه أهله
لعله يبذله
لأهله لعله

يقول الشافعى : قل لمحمد بن الحسن الذى لم تر عينا الشافعى مثله ومن رآه فكأنه رأى الأئمة المهديين قبله لأنه بقيتهم . والبيتان مدح وهما مدخل لطيف فى الاستعارة التى يريدها من كتبه . وكلمة أهله الأولى فى البيت الثالث هم الذين عندهم العلم والثانية الذين يطلبونه ويستحقونه .

وكلمة لأهله فى البيت الرابع يريد بها الشافعى نفسه ويترجى أن يرسل اليه محمد

ابن الحسن صاحب أبى حنيفة بالكتاب الذى يطلبه ٠

طلب العلا

وعن المجموعة المباركة قال رضى الله عنه :

بقدر الكد تكتسب المعالى
ومن طلب العلا سهر الليالى
ومن رام العلا من غير كد
أضاع العمر فى طلب المحال
تروم العز ثم تنام ليلا
يغوص البحر من طلب اللآلى

البيت الأول فى هذه الأبيات مروى ذائع ولعله نسى أنه للشافعى ، ولكن بقدر الذيوع يكون قبول النفوس للأقوال ٠ والمحال فى البيت الثانى هو المستحيل الذى لايحدث ٠ وفى البيت الثالث تشبيه العلم من مظانه باللآلىء من بحرها فيه جودة ظاهرة ، وفى تشبيه السهر فى التحصيل بالغوص على الدرر جودة ظاهرة كذلك ٠ ويفهم منه أنه ليس كل انسان يحصل على العلم وانما يحصل عليه المتعب الساهر ، كما أنه لا يحصل على اللؤلؤ الا الغائص المعرض نفسه للمهالك المفارق ٠

أهل العلم

عن الكشكول للبهائى قال الشافعى رضى الله عنه :

لا يدرك الحكمة من عمره
يكدح فى مصلحة الأهل
ولا ينال العلم الا فتى
خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذى
سارت به الركبان بالفضل
بلى بفقر وعيال لما
فرق بين التيس والبغل

يقول الشافعى : لا يدرك الحكمة من يعمل عملا يريد به فائدة نفسه وأهله الدنيوية فعمله وكدحه ذاتى لا لوجه العلم والله ، وانما ينال الحكمة من خلا باله من كل ذلك وهذا ماطبقه الشافعى ومعظم الفقهاء ورجال الحديث والمتصوفة على أنفسهم اذ هجروا أغراضهم الدنيوية وأهليهم وبلادهم فى طلب العلم فحصلت لهم الثروة العلمية العظيمة من تضحياتهم هذه ٠

وسارت به الركبان أى سارت بأمثاله وشهرتها ٠ وقد اختار التيس والبغل لوضوح الفروق بينهما ٠

والأبيات مع روعتها تصور كراهة الشافعى للفقر كما أنه لا يراه معينا على تحصيل العلم٠ والشافعى أصدق من يعطى رأيه فى ذلك لأنه جرب وقاسى من الفقر ماقاسى ٠

الرغبة فى الزيادة

عن وفيات الأعيان قال الشافعى :

كلما أدبنى الدهر
أرانى نقص عقلى
واذا ما ازددت علما
زادنى علما بجهلى

فى البيت الأول مقابلة لطيفة بين التأديب والنقص ، ولطفها أنها مخترعة اذ تناقضت النتيجة مع السبب ، وكان من حق التأديب أن يجىء بالزيادة لا بالنقص ٠ والبيت الثانى يوحى بأن كل من أدبه الدهر طمع فى زيادة العلم لاطلاعه على أن المخبوء عنه أكثر من الذى كشف له ، ولا يحس بذلك الا العلماء ٠ والبيتان متكاملان ٠

قافية الميم :

كرامة العلم

عن نصيحة الاخوان قال الشافعى رضى الله عنه :

رأيت العلم صاحبه كريم
ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن
تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل حال
كراعى الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ما سعدت رجال
ولا عرف الحلال ولا الحرام

فى البيت الأول يشير الشافعى رضى الله عنه الى أن العلم درجات ، فاذا بلغ العالم قمة العلم عظمته الكرام ، والمراد بالكرام من بلغوا قمما فى العلم وارتقوا فيه درجات ٠

ويريد الشافعى بالسوام البهائم تتبع راعيها أين توجه بها من غير عقل ولا غاية .. وفى البيت الأخير يشير الى أن العلم يلقى ضوءه على ذات العالم وعلى المسائل التى يعطى حكمه فيها ، ويوضح أن للعلم نورا محيطا يشمل العالم والمعلوم فهو من جهة يسعد الرجال ومن جهة يبين الحلال والحرام .

يوم الشامتين

عن الفهرست لابن النديم حدث أبو الحسن الصابونجى المصرى قال : رأيت قبر أبى عبد الله بمصر وعند رأسه لوح مكتوب عليه :

قضيت نحبى فسر قوم
حمقى بهم غفلة ونوم
كأن يومى على حتم
وليس للشامتين يوم

وهذا الكلام أشبه بكلام الشافعى الذى كان وجهه الى أشهب - وقد سبق فى قافية الدال - ولعله كان قاله وأوصى بكتابته على قبره .

دعاء وابتهال

عن الروض الفائق ونور الأبصار : روى عبد الله بن مروان أنه حفظ من جملة دعاء للشافعى قوله (اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة ، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة ، وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك ، وامنن علينا بكل ما يقربنا اليك مقرونا بعوافى الدارين برحمتك يا أرحم الراحمين) .

قال : فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر الى السماء ، ثم أنشد :

بموقف ذل دون عزتك العظمى
بمخفى سر لا أحيط به علما
باطراق رأسى باعترافى بذلتى
بمد يدى أستمطر الجود والرحمى
بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها
لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من (ألست بربكم)
بمن كان مجهولا فعلمته الأسما
أذقنا شراب الانس يا من اذا سقى
محبا شرابا لا يضام ولا يظما

يريد الشافعى بمخفى السر ذات الله وعلمه وقدره . والرحمى - بضم الراء وسكون الحاء أو ضمها - الرحمة .

ويريد أن الكلام كله ينفد دون القدرة على وصف بعض أسماء الله الحسنى لعزة هذه الأسماء عن الوصف والشرح والبيان . وهذا مأخوذ من قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) .

وقد ألف فى الأسماء الحسنى علماء كثيرون وخصها الصوفية بالبحوث المستفيضة منها المقصد الأسنى فى أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى .

والعهد القديم الذى يشير اليه الشافعى هو الاقرار الذى أخذه الله على ذرية آدم وقد أشار القرآن الى هذا العهد فى عدد من الآيات . وقد اختلف المفسرون فقال جمهور منهم ان العهد أخذ على الذرية فى ظهر آدم بربوبيته ووجدانيته حين قال (ألست بربكم قالوا بلى) ويرى الشريف المرتضى فى أماليه أن العهد أخذ على الذرية أمام الأنبياء كل أمة بدعوة نبيها ولم يكن عهدا الا والذرية مكلفة ولا يكون التكليف الا وقد فارقت عالم الذر الى الحياة والعقل . والآيات تسعف الشريف المرتضى بالدليل .

والذى كان مجهولا هو آدم وقد صار معروفا حين تعلم الأسماء هى ومسمياتها الظواهر والخوافى والعلوم وحقائقها عند أهل السنة وأهل الرأى وهو ما امتاز به آدم فكان خليفة الأرض .

وشراب الانس الذى يريده الشافعى انما هو معرفة الله وهو معنى صوفى وفى قوله : يا من اذا سقى محبا شرابا .. اشارة الى الاصطفاء والاجتباء أى اجتباء الله لمن يشاء من عباده وهو أعلى رتبة بل رتبا من الهداية بالأعمال . وللصوفية فيه مجال .

على هامش الإسراء

رجولة أبى بكر

الشاعر عبد الله شمس الدين

لِلهِ درّك فيهم يا أَبابكْرِ ... كرُمْتَ خير أَخٍ فى السر والجهْرِ

إِنى لأَذكرهم إِذ أَقبلوا زُمَرًا ... عليك فى دهشة كبرى وفى كُفْرِ

هذا محمد يدعونا لمعجزة ... بالعقلِ تودى وبالادراك والفِكْرِ

يقول : أَسرى به للقدس خالقهُ ... ليلًا . وزار السما فى عالمِ السِّرِّ

بالجسم والروح أَمضى ثَمَّ رحْلته ... وكان جبريل يحْدو الركب فى السَّيْر

* * *

أَما عجبْت أَبابكر لقصّتِهِ ... فقال : حاشا فما فى الأَمر من نُكر

بأنى أَصدّقه لو جاءَ يخبرنى ... عن السما : فهْو عندى صادق الخُبْرِ

وما محمد إِلَّا الصدق . نعلمُه ... علم اليقين . جليل الشان والقَدْر

وما اتَّبعناه إِلَّا بعد بيِّنةٍ ... وبعد ما جاءَنا من محكم الذكرِ

لا جاه بين يديْهِ . فيه يُطْعِمُنَا ... ولا له من متاع الأَرض ما يُغرى

هو الفقيرُ . وقد ذاعتْ أَمانتُه ... فينا برغم الذى عاناه من فَقرِ

وهو المُكرَم فينا رغم عيْلتِهِ ... وقد علا قدره فينا بلا قَهْرِ
تُجلُّهُ عيْن رائيهِ لهيبتهِ ... وقد تسامى عن البغضاءِ والغدْرِ
على سناه عرفْتُ الحُبَّ مُؤتلِقًا ... وكلُّ أُمْنِيَّتِي أَفْدِيهِ بالعُمْرِ
فإنه النور عمّ المشرقيْن سنى ... وإنه الرحمة الكبرى مَدَى الدَّهْر

* * *

هذا حديث أَبِى بكر وموقِفُه ... ما زاغَ إيمانُه فى ساعةِ العُسْرِ
والمؤمِنُ الحقُّ حين الجد تلمحه ... كأَنه الطود فى عزمٍ مِنَ الصَّخْرِ
حاشا تزلزله ريحٌ مُعَادِيَةٌ ... أَو صيْحَةٌ من عواءِ الحقد والمكر
يا بارك الله فى الصّدّيق . عَلَّمنا ... كيف الثبات على البأْساءِ والضُّرِّ
أَعطى الحنيفة يُمناه على ثقةٍ ... وبايَع النور فى سرٍّ وفى جَهْرِ
لله صحَّتْ وللمختار بَيْعتُه ... حتى غدا آيَةً فى الحزْمِ والصَّبْر
إيمانُه يَزِنُ الدنيا بأَجْمَعِها ... قد اشترى الدين بالدنيا بلافخْرِ

* * *

إنِّى أَهيب بهذا العصر أَجْمَعِهِ ... وكلُّ مضطرب الوجدان والفِكْرِ
خذوا يقين أَبِى بكر لكم مثَلًا ... إذا دهتْكم رياح الشَّكِّ والكُفْرِ
فمن رَعَى الله فى صدق وفى ثِقَةٍ ... رأَى الحقيقةَ فى وجدانه تسرى
وللسماءِ رجالٌ لا يغرّهمو ... من التراب متاع زائفٌ مُغْرِ
باعوا نفوسهمو لله واحتشدوا ... ببابه فى رضًا سام وفى بشْر
فى ساحة الحرب آسادٌ جبابرةٌ ... وفى المحاريب أَملاكٌ من الطُّهْرِ
وحيث ساروا فوجه الله غايتُهم ... فى الجو يكلؤهم والبَّر والبحر

بطل السلام

للشاعر محمد جمال سليم

عبر الفضاء وما عثر فكأنه سهم القدر
كيف ارتقى أوج السـماءِ وما تمهل أو فتر
كيف اعتلى وهو الولـيد على العالقة الأُخر
أَو ما سمعتم أَن أطلس كَمْ تحطم وانفجر
تالله إنك يا جما ل اجبتهم وبلا أَشر
هو مارد متحرر من سجن قمقمة طفر
قد فك طلسم سحره شعب عزيمته القدر
فبدى يقهقه عاليا كالرعد يقذف بالشرر
يسرى إلى اهدافنا طوع «المشير» إِذا أَمر
عبد الحكيم لقد تركـتِ الحاقدين على خطر
ومنحت جيشك راية رَفَّتْ على دنيا القمر
قولوا لإسرائيل ماذا قدْ دَهاكِ من الخبر
فيما البقاءِ على المطا مِع يا أَخس بنى البشر
اسطورة الْمُلك القد يم بها تَشَرْشَرْ قَدْ كفر

لما رأى فى بور سعـــــيد هلاكه وَلّى وفر
ومضى يجرجر ذيله المبتور من فوق العَفَر
إبْكى الدماءَ فان قا هر قد تَجَهَّز للسفر
وعلى الحدود اخوه ظا فر قد تَحَفَّز للظفر
وإلى فلسطين الحبيبـــــة (عائدون على الأثر
لله درك يا جمال بعهدك المجد افتخر
من ليس يعرف ناصرا وبه السلام قد اشتهر
سمع الزمان بصوته حتى أصاخ له الحجر
فأَقام من السدّ فى أسوان يسحر من نظر
هرمًا على الأَهرام يَزْ هُو بالشباب على الكبر
فانظر إلى الوادى الجد يد ترى على مد البصر
جنات عدن ازلفت للمتقين من البشر
بوركت يا بطل الســـباق إلى السلام المنتظر
ادخلتنا روض العلى فدنا لأَيدينا الثمر
وجعلت ميثاق الكـــرامة فى يمين المؤتمر
وبنيت مجدًا مثلما قدْ مَا بناه لنا عمر
وظللت تسعى دائبا لا يستبدُّ بِكَ الضجر
حتى اهتديت بنور ربـــك للطريق المختصر
وبقاهر وبظافر قد فاز شعبك وانتصر
كُنْ فى الطليعة دائـــما : وخذ الطريق إلى القمر

مؤتمر القمة العربي

الشاعر التونسي احمد البختري

اليوم يا شعب العروبة والفدا
آمنت بالوطن الكبير توحدا

آمنتُ يا وطن الأُباة بوحدة
ضمَّتْ شعوبا ، فرقتها يدُ العدا

آمنتُ يا وطن العروبة مُخْلِصًا
لمّا رأيت بنيك قد لبّوا النِّدا

لبوا النِّدا فى نخْوة عربيَّة
لبّوا بصدق عزيمة لمْ تخمدا

لبّوا نداءَ (الواجب العربى) الذى
هبُّوا إليه قائلين على المدا :

الله أكبر يا (فلسطين) اسعدى

فلسوف يشقى مَن تطاول واعتدى

أنت البلاءُ على عدوّ ملحد

يا ويله هذا العدوّ الملحدا

اليوم أَبناءُ العروبة أَصبحوا

متضامنين ، لبعضهمْ مدُّوا الْيَدا

يحدوهمُ الأَمل الوطيد ورغبة

فى الاتحاد ، وبالْإِيمان توطدا

يحدوهمُ فى الحق رأْىٌ واحد

بمقر (جامعة) تحقق مُنتدى

إِذْ فى التشاور والتدابر سُؤدد

و (الأَمر شورى) إِنْ أَردنا السؤددا

إِن العِدا قد حاولوا إِفساده

عبثا ، محاولة العدا ، ذهبتْ سُدى

اليوم شعب العربْ أَظهر قوة

لمَّا رأَى ظلم الدخيل تأكدا

فى (مصر) قام زعيمها يدعوا إِلى

عقد اجتماع ، مثله لن يعقدا

أَعنى (جمالا) رائد العرب الأَبى
مَنْ كان سَبَّاقا له وممهدا

مِن أَجل مَن سُلبتْ إِليه حقوقه
ظلما وقهرا ، مِن بلاده أَطردا

مِن أَجل أَرض ، شعبها متشتت
أَمْسى بعيدا فى الغيا فى مشردا

لبَّاه مِن شرق البلاد وغربها
أَبطال يعرب كىْ تذود وتنجدا

فهمُ أُباة الضيم عزَّ ذليلهمْ
فالذُّلُّ يأَلفه الذى يخشى الرّدى

فالعرب تأَبى أَن يعيش أَبيُّهم
عبدًا ذليلا ، فى الحياة مقيَّدا

لبّاه شعب فى العروبة ناهض
حرّ ، أَبىّ ، عاش دومًا سيّدا

لبّاه من أَرض (الكنانة) شعبها
وأَجابه شعب (العراق) مرددا

والشعب فى (سوريا) أَبدى تحديا
كالشعب فى (لبنان) قام مُهَدّدا

لكنَّ فى (السودان) أُنكر فعلة
شعب ، وإن (اللِّيبىَّ) صاح منددا
والشعب فى شبه (الجزيرة) رابض
وكذاك فى (اليَمَن) السعيد توعدا
ورأيتُ فى الشعب (الكويتى) حمية
وسمعتُ فى (عمَّان) شعبا جنِّدا
تبغى (اليهود) بأَن تهوّد نهره
حاشا . وكلَّا ، أَن يكون مُهودا
فالقصد مِن تحويله ، لا غاية
ليكون (للصهيونيين) الموردا
بل غاية سفلى التى يرمى لها
يهوَى التوسع ، لو علمت المقصدا
فبنو العروبة ، ليس هُمْ فى غفلة
بَلْ انَّهُمْ مستيقظون لِمَا بَدَا
و (المغرب العربىّ) أَصبح شعبه
فى يقظة ، للعرب كان مؤيدا
فلننتظر نصرا قريبا عاجلا
يا (فلسطين) وقد رأيت تعَهدا
مِن أُمة العرب الكرام ، توحدتْ
وكذا الك الوطن الكبير توحدا

قصة العدد:

الدعاء المستجاب!

بقلم حسين القبانى

تعرفت « بمحمود » أول مرة عن طريق صديقى « س » حين التقينا جميعا فى منتدى عام .. وكان احتفاله بصديقى حارا ملؤه الاخلاص والبهجة ، ولم يتركنا حتى قبلنا دعوته لزيارته فى بيته القائم على ضفة النيل الشرقية .

وقال صديقى « س » ونحن فى طريقنا ذات يوم لتلبية الدعوة :

ان لمحمود قصة ، وأعتقد أنه خير من يقصها بنفسه .. لسوف أغريه بذلك ..

ولم أستطع أن أخفى دهشتى حين وجدت بيت محمود « فيللا » أنيقة يشيع فيها الترف والثراء .. فقد كان مظهر محمود ـ لما رأيته أول مرة ـ لا يدل على كل هذا الثراء والترف .. وتضاعفت دهشتى وأنا أدور بعينى فى غرفة الاستقبال الواسعة المفروشة بسجاد تغوص الأقدام فيه ، والمؤثثة برياش اجتمع فيها المال والفن الجميل ..

وفى شرفة واسعة ذات عمد رخامية تطل على النيل والضفاف الخضراء ، جلسنا على مقاعد وثيرة ندخن ونسمر .. واستطاع صديقى « س » فى لباقة أن يغرى محمود ليسرد علينا قصة ، وما أن تم هذا حتى راح يحدثنا بصوت هادىء ، ونظرات حالمة .. فقال :

كنت فى عام ١٩٣٥ قد بلغت الثانية عشرة من عمرى ، أقيم فى مدينة « بنها » مع أبى وزوجته التى كنت أدعوها خالتى وأختى من أبى .. وكان قد مضى على وفاة أمى نحو ثلاثة عشر عاما ..

وبرغم أنى حاولت كثيرا أن أمحو من نفسى هذه الفترة الواقعة بين وفاة أمى وبلوغى الثانية عشرة فقد عجزت تماما .. لكأنها حفرت فى أعماق روحى بأحرف من نار وآلام ..

كنت أعيش فى بيت أبى عيشة ينكرها الخادم الأجير أو العبد المشترى .. وما أظن أحدا فى هذه الدنيا لقى فى طفولته من الشقاء ما لقيت ، الا اذا عاش ـ مثلى ـ فى كنف زوجة أب ..

كان أبى كهلا مشرفا على الشيخوخة ، ضعيف الارادة ، هادىء الطبع ، متواضع الرزق ، وكانت زوجه فى نحو التاسعة والثلاثين ، عنيفة ، مستفزة الأعصاب ، ملتهبة المزاج ، عنيدة الطباع .. وليس من المستغرب أن ألقى من مثل هذه المرأة ما لم يلقه طفل من زوج أب ..

كنت أحس بحقدها الهائل ينفذ الى أعماقى ويصهر جسمى .. فكنت ـ من ثم ـ أجلس الى طعامى وحيدا فى ركن المطبخ ، أزدرد بقايا الطعام ممزوجا بدموعى .. وكانت آلامى النفسية تشتد كلما طاف بخاطرى ذكرى أمى أيام كانت تجلسنى على حجرها ، وتطعمنى بيدها وهى تناغينى وتغنى لى ..

وأخرجتنى زوجة أبى من المدرسة قبل اتمام دراستى الابتدائية ، وألحقتنى بمصنع أعمل فيه عشر ساعات كل يوم .. وكان على أن أقوم

فى الفجر فأجهز طعـام الافطـار للأسرة ، وأنتظر حتى يلقى الى بلقيمات أتبلغ بها ، ثم أمضى الى عملى .. فاذا عدت فى المساء متعبا منهوكا ، حتمت على أن أمسح البلاط ، وأغسل أوعية الطعام ، ثم أظل ساهرا أكاد أسقط من الاعياء والرغبة فى النوم .. وأخيرا تأذن لى فآوى الى فراشى فى ركن مظلـم من صحن الدار ..

ولم أحاول أن أشكو الى أبى ما أعـانى ، فكثيرا ما كنت أرى الدمع يجول فى عينيـه حزنا على وشفقة بى .. وكنت أشـعر به أحيانا وهو يتسلل الى من غرفته فى بهيم الليل فيمسح على رأسى أثناء نومى ، ويتمتم بصوت باك « ولدى .. ولدى .. رحمك الله .. »

ولقد حاولت فى سن المراهقة أن أثور على المرأة الباغية ، ولكنى خشيت أن أضاعف آلام أبى وأزيد مركزه حرجا على حرج .. وانتهى هذا كله فى ليلة من ليالى عام ١٩٣٥ حين صممت الزوجة على طردى من البيت .. بل ومن المدينة كلها . ولما حاول أبى أن يثنيها عن عزمها ، صاحت به فى خبل ـ أننى لا أريد أن أعيش بين رجلين ..

فتمتم أبى فى ذهول ـ رجلين .. ؟!

ـ نعم .. ألا تراه قد أصبح رجلا .. انظر اليه ، والى عينيه الفاجرتين ..

والتفت أبى الى وأنا جـالس فى ركنى شاحب الوجه ، ذليل النظرات ، لا أكاد أدرك المعنى الكامن فى كلماتها .. وقبل أن يلفظ أحدنا بكلمة ، أردفت صائحة :

ـ اما أن يرحل .. واما أرحـل أنا مع ابنتى ..

فرفعت عينى الى أبى ، فاذا بوجهه يمتقع ، واذا هو يزم شفتيه ، ويجمع نفسـه كأنما يزمع أمرا ، ولكننى هرعت اليه ، وأمسكت بيده وتمتمت ..

ـ أبى .. رحمـاك .. سأذهب أنا .. حسبى فى هذه الحياة رضاؤك عنى ، ودعاؤك لى .. ورفعت يده الى شفتى فلثمتهـا ، ثم أسرعت الى ثيابى القليلة فجمعتها ، وجاء أبى الى يودعنى ويدس فى يدى مظروفا ويقول ـ فى هذا المظروف خاتم ذهبى كان لجدك ، وورثته المرحومة أمك .. وقد صار لك الآن .. وفيه مبلغ ثلاثة جنيهـات كانت أمـك تدخرها لك ، وفيه صورتها أيضا .. فاذهب يا ولدى فى رعاية الله ، وفى ظل دعائى لك أن يسدد الله خطاك ويجنبك السوء ، ويبارك لك فى عملك » .. وفى تلك اللحظة رنت فى صحن الدار ضحكة ساخرة هازئة، أرسلتها زوجة أبى وهى تطل علينا من نافذة قريبة ..

وغادرت البيت وفى صدرى لوعة ، وفى عينى دمعة ، فى يدى مظروف ثميـن ، وفى سمعى يتردد دعاء أبى ، وضـحكة الزوجة الهازئة الساخرة ..

وقضيت تلك الليلة فى غرفة زميل لى بالمصنع ، وقبيل الفجـر ، صحوت وفتحت المظروف حيث وجـدت الخـاتم الذهبى ، والجنيهات الثلاثة ، والصورة : أما الخاتم فجعلتـه فى أصبعى البنصر وأما الجنيهات فقد أخفيت اثنين منها فى صرة ثيـابى ، واحتفظت بالباقى لأنفق منه ، وأما الصورة ، فقد أخذت أنظر اليها بعيون دامعة ، وقلب خافق ، ومضيت أتأمل وجه أمى الهـادىء الحنون وهى ترنو بعيون ملؤها الحب واللهفة الى طفل وليد بين يديها ... ولم يكن الطفل أحدا غيرى ...

وفى الصباح غادرت المدينـة الى ميناء السويس ، وهناك التحقت بعمل فى أحـد المصانع قبل أن أنفق الجنيه الأول كلـه .. ومضت أربع سنوات وأنا فى حيـاة هادئة نسبيا ، أؤدى عملى ، وأنفق بحساب ، وأدخر الباقى ، وكلمـا هفت نفسى الى ارتكاب معصية ، ذكرت دعاء أبى الى الله أن يجنبنى السوء ..

وكان الخاتم الذهبى يذكرنى دائما بأمى ، وكان النظر الى صورتها يخفف عن صـدرى لوعة الحرمان والوحشة والشوق الى أبى والى مسقط رأسى ..

وقبيل الحرب العالمية الثانية ببضعة شهور، أغلق المصنع أبوابه ، وسرح عماله بعد أن كوفئوا فأصبح معى من مالى المدخر والمكافأة ثروة صغيرة تبلغ مائة وعشرين جنيها ، عدا الجنيهين الباقيين مما ورثته عن أمى ٠٠ ومن ثم قررت أن أعود الى أبى وزوجـــه مرفوع الرأس ، حاملا بعض الهدايا من الثيـــاب والفاكهة والحلوى ، آملا أن أستثمر مالى فى متجر أو مصنع صغير ٠٠

وهبطت « بنهـــا » ذات يوم ، واستأجرت مركبة تقلنى الى البيت حتى أبين لزوجة أبى أنى لم أعد ذلك الغلام الحيى الخجول الذى كانت تركبه بالمذلة والهوان والتعذيب ٠٠

وطرقت باب البيت وقد هالنى السكون المخيم عليه ، فلما سمعت وقع أقدام أبى وهو يسعى فى الداخل تنهدت فى ارتياح ، وبذلت مجهودا عنيفا لأسيطر على أعصابى ، ولكنى ما أن رأيت الباب يفتح وقد وقف أبى به متقدما بالشيخوخة والحزن، يحدق الى كأنما لا يصدق عينيه ، حتى ضممته الى صدرى ، وتركت دموعى تمتزج بدموعه الغزيرة ٠٠٠

وبعد أن أسترد كل منا هدوءه فى (منظره) الاستقبال ، همست له :

ـ أين ٠٠ أين ٠٠ « خالتى » ٠٠

فأجابنى وهو مطرق فى أسى :

ـ انها غضبى مع ٠٠ مع أختيك ٠٠

ـ غضبى ٠٠ ؟!

ـ أجل ٠٠ لقد خطب أختك عائشة شاب مستقيم ٠٠ هو يوسف أبو السعود تاجـــر الأقمشة ، وخالتك تصر على أن تبيع هذا البيت ٠٠ بيت آبائى وأجدادى لكى تنفق ثمنه فى « جهاز » لائق بمركز العريس ٠٠

وتأملت أبى برهة ، فراعنى ما كان يبدو على وجهه المغضن من حزن قاس ٠٠ ولم يكن ثمة عجب ، فقد كان بين أمرين كلاهما مر ، فاما أن يضحى ببيت الأجداد ويعيش بقية حياته فى مسكن بالايجار واما يصبر على فراق زوجه التى كان يحبها ويتعلق بها رغم عنفها وفساد طبعها ٠٠

وفى حركة طبيعية لا شعورية ، مددت يدى الى حافظة نقودى ، فاحتجزت منها الجنيهين الباقيين من الجنيهات الثلاثة التى تركتهـــا أمى ، وسلمت الباقى كله اليه ٠٠ وأقسم أن ومضة السرور التى أشرق بها وجهه حينذاك كانت عندى أثمن مما فى الدنيا كلها من مال ومتاع ٠٠

وقضيت معه ليلة هادئة ، تحدثنا فيهـــا كثيرا ، ونمنا خلالها جنبا الى جنب ، وفى الصباح وقفت مع أبى أودعه مرة ثانية وأتلقى دعواته ٠٠ وقبل أن أنصرف ، دس فى يدى مظروفا وقال :

ـ هذه جنيهات عشرة ادخرتها لك فى غفلة من « خالتك » وكنت أحتفظ بها لأرسلها اليك حين أعلم أنك فى حاجة الى عون ٠٠ فتقبلها يا ولدى ، وأمض بها فى رعاية الله وبركته ٠٠

وصمت محمود برهة ، أشعل خلالها لفيفة بأصابع ترتعد ٠٠ ثم ابتسم فجأة لصديقى « س » وتراخى فى مقعده وكأنما رأى أن ليس ثمة حاجة لاتمام القصـــة ٠٠ ولكن صديقى « س » أتمها لى بقوله أن « محمود » بدأ حياته من جديد بهذه الجنيهـــات العشرة ودعـــاء الوالد ، واستطاع أن يجمع ثروة كثيرة ، أخذ يستثمرها فى مصنع خاص به ٠٠

وفى أثناء الحديث ، طرق الباب ، ثم دخل شيخ كبير ، فأسرع محمود اليه ، وأخذ بيده فقبلها ثم قدمنا اليه قائلا انه والده الشفيق ٠٠ وأعتقد أننى لم أر فى حياتى رجلا أسعد من ذلك الشيخ وهو جالس ينظر الى ولده فى حب واعجاب ورضى ٠٠

وبينما كان محمود يودعنا الى الباب عند انصرافنا ، سألته فجأة هامسا :

ـ أين خالتك الآن ؟ أهى تقيم مع والدك هنا ٠٠ ؟!

فطافت بوجهه سحابة من الحزن وهو يقول ـ لا ٠٠ لقد ماتت منذ عام بالسكتة القلبية ٠

فابتسم صديقى « س » وتمتم ـ لعلها ماتت بالسكتة حين رأت كيف أجـــاب الله دعاء أبيك رغم ضحكتها الساخرة ٠

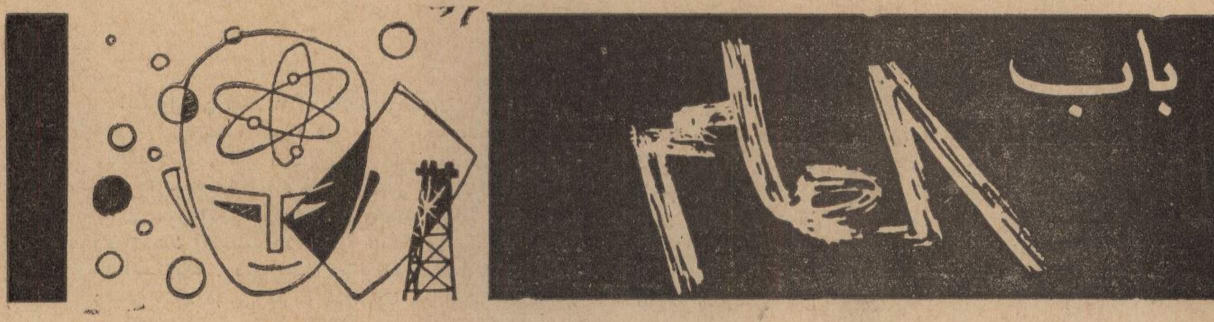
باب

البترول من أعظم المواد فائدة عرفها الانسان وفوائده موزعة توزيعا كبيرا فى جميع أوجه نشاط البشر واحتياجاتهم . فهو يمدهم بأنواع شتى من الوقود التى تتميز بالرخص كما انه مصدر لكثير من المنتجات التى تسهل سبل الحياة . ولولاه لما وجدت صناعة السيارات ولا الحديد والصلب ولا صناعة المطاط ولا عشرات أخرى من الصناعات . ذلك فضلا عن أوجه النشاط الاقتصادى وليس هناك سبيل لمعرفة كم مليونا من البشر يعتمدون بصفة مباشرة أو غير مباشرة على صناعة البترول فى كسب عيشهم .

والبترول ذو فائدة أيضا للحكومات وبالتالى لمواطنيها بصفة عامة وما تحصل عليه الحكومات من ايرادات عن طريق البترول يفوق مرات عديدة ما يحصل عليه المساهمون فى شركات البترول . وبعض هذه الحكومات فى الدول المنتجة للبترول تعتمد عليه اعتمادا كبيرا بحيث يؤلف ما يزيد على ٩٠٪ من دخلها القومى ويعتبر أساسا لرفع مستوى المعيشة بها ولرفاهية شعوبها . كما أن الدول المستهلكة تفرض من الضرائب المباشرة وغير المباشرة على منتجات البترول فتكون هذه الضرائب مصدرا مهما للدخل كما قد تنفق جزءا منها لبناء الطرق التى لها فائدة مشتركة للبترول والاقتصاد القومى والدفاع .

ونظرا لسهولة استعمال البترول واستخراجه ورخص تكاليف انتاجه فأهميته تزداد عاما بعد آخر كمصدر هام من مصادر الطاقة وأصبح يحل محل الفحم تدريجيا وخاصة فى الدول الصناعية الكبرى . فهو يزود العالم حاليا بنسبة ٤٥ ٪ من الطاقة اللازمة كما أن الغاز الطبيعى وهو أيضا من المشتقات البترولية يزود العالم بنسبة ٢٠ ٪ من هذه الحاجة أما الفحم وهو ما كان يركن اليه الانسان فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فان نصيبه لا يتعدى ٢٦ ٪ أما الثمانية فى المائة الباقية فهى من نصيب مساقط المياه وتشمل أيضا الطاقة الذرية .

ورغم ظهور البترول وبروز أثره فى جميع انحاء العالم بهذه السرعة المدهشة فان التزايد فى استهلاكه يسبب شيئا من القلق على مستقبله واحتمال نفاذه فى وقت ليس بالبعيد مما يحتم على الانسان البحث عن مصدر آخر للطاقة .

وقد بلغ الاستهلاك العالمى منه فى عام ١٩٦٣ نحو ٢٦ مليون برميل يوميا أو ١ر٣٠٤ر٠٠٠ر٠٠٠ طن سنويا بزيادة قدرها ٤ر٧ ٪ عن عام ١٩٦٢ .

فانه بمعدل استهلاكه الحالى وبفرض عدم العثور على موارد جديدة منه ينفد البترول من العالم فى ٣٥ عاما . الا أنه من حسن الحظ ما زلنا نعثر على حقول جديدة للبترول من وقت لآخر كما أن هناك مصادر لم تمس يمكن للانسان الحصول على البترول منها وهى رمال القار والطفلة البترولية وهى قد تسد حاجة الانسان لعشرات السنين الى أن يهتدى الى مورد لا ينفد كالطاقة الذرية .

وقد خص الله سبحانه وتعالى الامة العربية بالغنى الحقول البترولية سواء من جهة الانتاج الغزير أو المدخرات الكبيرة . فانتاجها يبلغ حوالى ٢٥ ٪ من الانتاج العالمى ومدخرات البترول بها تبلغ ٥٥ ٪ من الكميات التى تحقق وجودها بالعالم حتى الآن .

ويمتاز البترول العربى بغزارة الانتاج فيبلغ معدل انتاج البئر الواحدة فى المنطقة العربية حوالى ٦٠٠٠ برميل يوميا فى حين أن متوسط انتاج البئر فى الولايات المتحدة الامريكية لا يتجاوز ١١ برميلا يوميا - كما ان تكاليف الانتاج للبترول العربى اقل منها فى اى مكان آخر فى العالم فتبلغ حوالى عشر التكاليف بالولايات المتحدة .

وأكبر دول العالم انتاجا للبترول هى الولايات المتحدة كما انها أكثر دول العالم استهلاكا منه فتستهلك حوالى ٤٠ ٪ من الانتاج العالمى . وتليها فى ضخامة الانتاج الاتحاد السوفيتى ثم فنزويلا فدولة الكويت .

وفيما يلى بيان عن انتاج البترول بالعالم العربى وبعض البلدان الاخرى .

ساحل البحر المتوسط فى طرابلس بلبنان وبانياس بسوريا وبناقلات البترول عبر قنال السويس الى بلاد أوربا الغربية .

كل هذا جعل من الوطن العربى منطقة حساسة بالنسبة لهذه المادة الحيوية - لذا يجرى البحث عن البترول فى جميع انحاء العالم حتى لا يكون الاعتماد كله على بترول الشرق الاوسط وشمال أفريقيا - وقد عثر حديثا فى بحر الشمال على كميات هائلة من الغازات قد تفيد بعض الشىء فى سد حاجة دول أوربا للبترول ولكن كل هذا لا يجرى فى يسر ولكن بتكاليف باهظة . ولا شك أن الوطن العربى سيبقى لفترة طويلة المورد الاول للبترول فى العالم .

وها هى المياه الاقليمية بالخليج العربى تثبت وجود كميات هائلة من البترول بها كحقل السفانية والخانجى وحقل مربان فى امارة أبو ظبى وما اكتشف حديثا فى مسقط وعمان بالجنوب العربى .

ولا شك ان الامة العربية قد تنبهت الى هذه الاوضاع الخطيرة والى ضرورة المساهمة فى هذه الصناعة الحيوية من جميع النواحى والسبل .

الانتاج والاحتياطى من الزيت الخام لعام ١٩٦٣

الجهة	انتاج ١٩٦٣ برميل يوميا	الاحتياطى فى نهاية ١٩٦٣ بالبرميل
الجمهورية الجزائرية	٥٠٢ر٣٠٠	٧ر٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الجمهورية العراقية	١ر٠٣٥ر٠١٩	٢٤ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
المملكة العربية السعودية	١ر٦٢٩ر٠١٨	٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الجمهورية العربية السورية	—	١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
الجمهورية العربية المتحدة	١٠٥ر٠٠٠	١ر٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
دولة الكويت	١ر٩٣٢ر٧٩٨	٦٢ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
المملكة الليبية	٤٥٢ر٠٠٠	٨ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
المملكة المغربية	٢ر٦٠٠	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠
امارة البحرين	٤٥ر٠٠٠	٢٤٤ر٠٠٠ر٠٠٠
امارة قطر	١٩٢ر١٠٠	٢ر٧٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
المنطقة المحايدة	٣١٠ر٠٠٠	٨ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
أبو ظبى	٤٩ر٤٠٠	٧ر٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
البترول العربى	٦ر٢٥٥ر٢٣٥	١٧٧ر٠٥٩ر٠٠٠ر٠٠٠
الولايات المتحدة الامريكية	٧ر٥٣٨ر٠٠٠	٣٤ر٥٩٢ر٠٠٠ر٠٠٠
الاتحاد السوفييتى	٤ر١٢٠ر٦٦٣	٢٩ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
جمهورية فنزويلا	٣ر٢٥٦ر٨٤٢	١٧ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠
العالم	٢٦ر١٢٥ر٥٨٢	٣١٢ر٧٠٥ر٧٠٠ر٠٠٠

ان صناعة البترول فى العالم العربى صناعة ناشئة فبينما يرجع تاريخها فى الولايات المتحدة الى عام ١٨٥٩ فالانتاج فى العراق لم يبدأ الا فى عام ١٩٢٧ وبالكويت فى عام ١٩٤٦ وفى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٤٨ .

الا أن العثور على البترول فى البلاد العربية بهذه الغزارة كان له وزن كبير وأثر ملحوظ فى تطور هذه الصناعة فى السنين الاخيرة . كما ان نقله فى خطوط الانابيب عبر البلاد العربية التى تبدأ من الظهران بالمملكة العربية السعودية وتنتهى فى صيدا بلبنان وكذلك من حقل كركوك بالعراق عبر بادية الشام الى

ولذا أنشأت جامعة الدول العربية ادارة لشئون البترول لتنسيق السياسة البترولية العربية واعداد الدراسات وعمل الاحصائيات كما دعت الجامعة العربية الى عقد مؤتمرات للبترول عقد منها حتى الآن أربعة مؤتمرات وسيعقد المؤتمر الخامس فى مدينة القاهرة فى ١٦ مارس سنة ١٩٦٥ وسيقام فى نفس الوقت معرض البترول العربى الثانى وقد أصبح لهذه المؤتمرات أهمية عالمية بالغة لما يجرى بها من مناقشات هامة ويقدم فيها من بحوث قيمة وقد عقدت الجامعة العربية اتفاقية لتنسيق السياسة البترولية للدول العربية وأعدت عدة

مشروعات هامة منها مشروع انشاء شركة عربية لناقلات البترول وشركة بترول عربية متكاملة ومعهد عربي لبحوث البترول .

وقد انشأت كثير من الدول وزارات للبترول بها ومؤسسات وشركات وطنية للعمل في قطاع البترول وأمكن في الجمهورية العربية المتحدة تعريب صناعة البترول تعريبا كاملا حيث تجرى جميع العمليات من بحث وانتاج وتكرير وتصنيع بمعرفة العمال والخبراء العرب .

ويطلق البترول عامة على الزيت الخام وهو سائل قاتم يميل لونه الى اللون البنى أو الاخضر ويوجد فى باطن الارض على أعماق مختلفة قد تصل الى ١٠٫٠٠٠ قدم أو تزيد ويكون متخزنا فى مسام الصخور والفجوات الموجودة بها .

ولا يعرف على وجه التحقيق منشأ البترول وأصله وهل هو من أصل معدنى أو نباتى أو حيوانى . فرغم انه مركب من عنصرى الكربون والهيدروجين فقط الا انه يوجد منه مئات المركبات منها الغازى والسائل والصلب وغالبا ما يكون طافيا فى مكمنه على الماء المالح وتعلوه طبقة غازية . كما قد يوجد فى الطبيعة فى حالة صلبة كالاسفلت أو الشمع مختلطا بالرمال مكونا الطفلة البترولية أو الرمال الاسفلتية كما انه يعثر عليه فى طبقات من جميع العصور الجيولوجية من قديمة ومتوسطة وحديثة .

والرأى السائد عن تكوينه هو أنه نتيجة لتحلل المواد العضوية لكائنات بحرية دقيقة تعرف باسم الفورامنيفرا وهى تتكاثر بكميات هائلة فى البحار الضحلة الدافئة ومتى تراكمت عليها المواد الرسوبية أثر عليها الضغط مع حرارة جوف الارض فحولتها الى مواد بترولية ولذا يوجد البترول دائما مقترنا مع الماء المالح . وهذا الماء قد يجرى فى باطن الارض الى أن يتوقف مسيره فيما يسمى بالمصيدة مثل طية محدبة فى باطن الارض فيتجمع فيها البترول مكونا حقلا للبترول .

فاذا كان هناك بعض الشقوق فى الطبقات أو تقلصت الارض وارتفع الخزان البترولى الى قرب سطح الارض ظهر البترول تلقائيا على سطح الارض ولذا كان البترول معروفا لدى الاقدمين فى ايران والعراق ومصر وكان المصريون يستعملونه فى التحنيط ويسمى جبل الزيت على ساحل البحر الاحمر لما كان يظهر حوله من زيت البترول .

وقد كان الكشف عن حقول البترول فى أول الامر سهلا حيث كانت تحفر الآبار فى المواقع التى يتسرب فيها الى سطح الارض ولما تم كشف كل هذه الاماكن أصبح من العسير العثور عليه وقد تضافرت الجهود العلمية بعد ذلك للكشف عنه بالفرق الجيوفيزيقية من مغناطيسية أو جاذبية أو سيسمولوجية وهدف هذه الطرق هو التعرف على شكل الطبقات فى باطن الارض لاختيار المواقع المحدبة التكوين لاحتمال تجمع البترول بها .

والبحث عن البترول وحفر آباره عملية مكلفة فضلا عن انها غير مضمونة النتائج حيث لا يمكن الاستدلال على البترول الا بالعثور عليه فعلا .

فاذا عثر عليه بحفر البئر الاستكشافية حفرت عدة آبار حولها لتحديد مساحة الحقل المكتشف ومدت خطوط الانابيب الى الموانىء ومعامل التكرير — ومن الموانىء تنقله الناقلات الى الجهات المصدر اليها وهذه الناقلات متفاوتة الاحجام وقد بنيت حديثا ناقلات تزيد حمولتها على ١٠٠٫٠٠٠ طن ويبلغ حمولة أسطول الناقلات العالمى ٧٥ مليون طن .

وفى معامل التكرير تجرى معالجة الزيت الخام لاستخراج مختلف المنتجات منه وأهمها البنزين والكيروسين والسولار والديزل والمازوت والاسفلت كما ينتج بنزين خاص للطائرات ووقود خاص للنفاثات وزيوت التزييت والكبريت الخام .

وتنتج غازات قد تستعمل فى انتاج السماد والمواد البتروكيميائية أو تعبأ فى أسطوانات حديدية للاستعمالات المنزلية ويوجد بالعالم ٧٣٥ معملا للتكرير .

ولا تقف فوائد البترول على مواد الوقود . فقد أدت البحوث فى السنوات الاخيرة الى انتاج كثير من المواد الجديدة والى انتاج مواد كانت تصنع فى الماضى من مصادر غير البترول .

فيستعمل البترول حاليا فى صناعة الالياف الصناعية وخيوط النسيج كالنايلون ومستحضرات التجميل واطارات السيارات واللدائن والشمع والروائح العطرية والمذيبات والمنظفات الصناعية التى تحل محل الصابون والمبيدات الحشرية كما انه تجرى التجارب حاليا لانتاج مادة البروتين من البترول للاستعاضة بها عن اللحوم والعالم فى أشد الحاجة اليها لمواجهة نقص المواد الغذائية فى كثير من بلدان العالم .

والآن ما الذى يهدد هذا الضيف الكريم لينزل عن عرشه ؟

من المعروف انه يمكن للانسان الحصول على حاجته من الطاقة من كثير من القوى الطبيعية وأولها الشمس التى هى أصل البترول والفحم والحياة عموما على سطح الارض — ولكن الطاقة الشمسية لا يمكن استخدامها بسهولة لتوزيعها على مساحة الكرة الارضية كلها — ومن القوى الطبيعية أيضا مساقط المياه والرياح والامواج والحرارة الجوفية من باطن الارض وكل هذه المصادر أمكن استعمالها بنجاح الا انها لا تحل محل البترول أو الفحم .

أما الخطر الاكبر على البترول فهو الطاقة الذرية التى أمكن استخدامها بنجاح لتوليد الطاقة على نطاق واسع فى المحطات الكهربائية والسفن والغواصات ولا شك أنها ستحل محل البترول والفحم فى المستقبل وربما لتسيير السيارات أيضا .

وحينئذ لن يكون هناك مجال لاستعمال البترول والفحم لتوليد الطاقة وستكون فائدتهما قاصرة على توفير مادة خام أساسية سهلة التشكيل تمد العالم بما يحتاجه من زيوت التزييت واللدائن وغيرها .

لا شك أن التطور العلمى فى عصرنا الحديث يسير بخطى جبارة ولدى الأمة العربية فى هذا العصر مورد هام للتطور واللحاق بالركب وهو البترول وهذه الفرصة الذهبية المتاحة لنا الآن بامتلاكنا المورد الاول للطاقة فى العالم يجب أن تستغل وتوجه فى أحسن السبل .

باب المرأة

أم سلمة

رضى الله عنها

إعداد عائشة حسنى

ام سلمه رضى الله عنها

فى هذا العدد أقدم مهاجرة جليلة ذات رأى وعقل وكمال وجمال اجتمع لها من الفضائل النسب الشريف ، والبيت الكريم ، والسبق الى الاسلام وعلو الأخلاق ، وجودة الفكر ، وصحة الرأى ... فكان هذا كله السبب لاختيار رسول الانسانية لهذه المرأة الفضلى فى أن تكون من أزواجه الطاهرات وأمهات المؤمنين ، ومعلمات المؤمنات .

من هى :

هند بنت أبى أمية وقد اختلف الباحثون فى اسم أبيها فقيل سهيل بن المغيرة ابن مخزوم وقيل حذيفة . وذكر بن سعد : ان اسمه سهيل زاد الركب بن المغيره ولقب بزاد الركب لأنه كان أحد الأجواد » .

كما اختلف فى اسم أم سلمة فقيل رمله - وقال بن عبد البر اسمها هند وهو الصواب لأنه أجمع عليه كثير من العلماء .

زواجها :

* زواجها قبل النبى

تزوجت هند من ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد المخزومى ، وهو من السابقين الأولين الى الاسلام وقيل بأنه أسلم بعد عشرة أنفس . وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه فى الرضاعة وأول المهاجرين الى الحبشة . وحينما أراد الهجرة بهند الى المدينة صدها قومها وانزعوها منه هى وابنها سلمه ثم أنزع بنو عبد الأسد (آل زوجها) ابنها سلمه من آلها بالقوة وقاست الكثيرحتى استطاعت أخذ ابنها ورحلت بعيدا وهاجرت عليه . وبذلك كانت أول امرأة هاجرت الى الحبشة ، كما كانت أول ظعينة هاجرت الى المدينة .

وكانت أم سلمه زوجة مخلصة وأم فاضلة ، فحدث أن قالت لأبى سلمة : « بلغنى أنه ليس من امرأة يموت زوجهاوهو من أهل الجنة ثم لم‌تتزوج بعده الا جمع الله بينهما فى الجنة وكذلك اذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها ، فتعال أعاهدك الا تتزج بعدى ولا أتزوج بعدك. قال : اتطيعينى يا أم سلمة . قالت : ما استأمرتك الا وأنا أريد أن أطيعك . قال : فاذا مت فتزوجى ثم قال : اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يحزنها ولا يؤذيها .

زواجها من الرسول :

بعد وفاة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى رفضت أم سلمة أن تتزوج وقالت : من هذا الفتى الذى هو خير لى من أبى سلمة فبعث اليها أبو بكر يخطبها فرفضت (وفى طبقات ابن سعد أن عمر بن الخطاب تقدم الى أم‌سلمة يخطبها لنفسه ولكنها أصرت على الرفض . فأرسل اليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر يخطبها عليه فقالت : مرحبا برسول الله وبرسوله أخبر رسول الله انى امرأة غيرى وانى مصبية وانه ليس أحد من أوليائى شاهد . فبعث اليها رسول اما قولك انى مصبية فان الله سيكفيك صبيانك وأما قولك انى غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك واما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب الا سيرضانى .

وفى كتب السيرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل علىّ أم سلمة يعزيها بأبى سلمة فقال : اللهم عز حزنها واجبر مصيبتها

وابدلها بها خيرا منها . قال : فعزى الله حزنها وجبر مصيبتها وابدلها خيرا منها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزادت منزلة هند فى نفسه تلك السيدة التى رفضت الأيدى التى امتدت اليها ورفضت أن تتزوج بعد زوجها وذلك ثقة منها أنها لن تجد مثل أبى سلمة .

تزوجها رسول الله وقيل فى شوال سنة اربع للهجرة وكان ابنها شاهدها فى الزواج وأدخلها بيت زينب (أم المساكين) رضى الله عنها . فوجدت جرة فيها شعير ورحى ووعاء وقدر . فأخذت الشعير وطحنته ثم عصرته فى وعاء . فكان ذلك طعامه وطعام أهله ليلة عرسه. كما ان صداقها كان فراش حشوة ليف وقدر وصحفة ومحشة .

صفاتها :

اجتمع لها من الفضائل علو الأخلاق وجودة الفكر وصحة الرأى والدليل على ذلك استشارة النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما احزنه من أمر المسلمين وما أشارت به عليه ، ذلك أن الصحابة - رضى الله عنهم - كان قد ساءهم صلح الحديبية الذى عقده صلى الله عليه وسلم مع المشركين على ترك الحرب عشر سنين ... (وبشروط تدل فى ظاهرها على أن المسلمين مغلوبون) ولكن فى الحقيقه لم يكن المسلمون بمغلوبين ولكن حبه صلى الله عليه وسلم - للسلم هو الذى جعله يرضى ذلك . وكان من أثر استياء المسلمين من شروطهم أمرهم صلى الله عليه وسلم وقال : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، فلم يقم منهم رجل بعد أن قال ذلك ثلاث مرات فقام الرسول ودخل على أم سلمة فاستشارها فى ذلك وقال (هلك الناس) هونت عليه الأمر وأشارت عليه بأن يخرج اليهم ويحلق رأسه أولا فسيقتدون به ، لأنهم يعلمون أنه أصبح أمرا لا مرد له ، ولأن تأثير العمل فى القدوة أقوى من تأثير القول وحده فكذلك كان .. وخرج الرسول وأمر الحلاق بحلق رأسه فتنافسوا فى التبرك بشعره وبادروا الى الاقتداء به ، وبذلك كانت أم سلمة من أعلم أزواجه ، وقد روى عنها كثيرون من الرجال والنساء فهى تلى عائشة فى كثرة الرواية والعلم وسداد الرأى .

وعاصرت أم سلمة فتح خيبر وتمنت لو أسهمت المرأة فى الجهاد بأن قالت لبعض النساء : ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم . فنزلت الآية : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** » .

فام سلمة لم تكن سديدة الرأى والمشورة فقط بل كانت مؤمنة ، مجاهدة كما كانت واعظة فحدث أن قالت لعثمان بن عفان : يا بنى مالى أرى رعيتك نافرين وعن جناحك نافرين لا تعف طريقا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحبها ولا تقتدح بزند كان عليه السلام اكباه ... هذا حق أمومتى قضيته اليك وان عليك حق الطاعة . فقال عثمان : اما بعد فقد قلت فوعيت وأوصيت فقبلت ولى عليك النصتة ..

وكتبت الى عائشة يوم عزمت على الخروج الى وقعة الجمل : « من أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - الى عائشة أم المؤمنين فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو . أما بعد هتكت سدة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمته حجاب مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن الله من عقيداك فلا تصحريها صرح الله من وراء هذه لأمة لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن النساء يحتملن الجهاد عهد اليك أما علمت انه قد نهاك عن الفراطة فى الدين فان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع جهاد النساء غض الأطراف وصنم الذيول وقصر الموادة ماكنت قائلة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لو عارضك ببعض هذه الفلوات ناصة قعودا من فهل الى فهل وغدا تردين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقسم لو قيل لى يا أم سلمة ادخلى الجنة لاستحيت أن ألقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هاتكة حجابا ضربه على فاجعليه ستر - وقاعة البيت حصنك فانك أنصح ما تكونين لهذه الأمة ما قعدت عن

البقية ص ٢٣٤

لقاء مع طالبتين من العراق

إعداد نجاة الزبيري

فى جامعة القاهرة .. التقيت بالطالبتين « أمل الخطاط وسعاد يحيى محمود » .. وصلتا من العراق هذا الشهر لتقديم رسالة الماجستير بعد أن حصلتا على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية من جامعة بغداد ..

أما « أمل الخطاط » فقد أمضت فى القاهرة من قبل عامين حصلت خلالهما على شهادة الثانوية العامة والسنة الأولى بالجامعة .. ثم عادت الى بغداد لاستكمال دراستها هناك وبعد أن حصلت على الليسانس جاءت الى القاهرة مرة ثانية لتقديم رسالة الماجستير ..

وأما (سعاد يحيى محمود) فهذه هى المرة الأولى التى ترى فيها القاهرة .. وهى شاعرة تنظم الشعر فى مختلف المناسبات .. وقد جاءت لتقديم رسالة الماجستير كذلك ..

وبلهجة عراقية ممتزجة باللهجة المصرية تحدثتا معى عن العراق الشقيق .. بلد العروبة والثورة الذى حطم أغلال الاستعمار وأعوانه وسار فى طريق الاشتراكية والوحدة ..

كفاح المرأة العراقية :

قالت أمل الخطاط :

« كانت المرأة العراقية ولا تزال متمسكة بالتقاليد الاسلامية السامية . محافظة عليها .. ولكن هذه المحافظة لا تمنع الفتاة من السير فى طريق التقدم والرقى ومسايرة ركب الحضارة ..

ولقد كان للفتاة العراقية نشاط كبير فى مجال الكفاح الوطنى ومناوءة الاستعمار والجهاد الكفاح الوطنى ومناوءة الأمة فى الوحدة الكبرى الشاملة التى تجمع أجزاء الوطن العربى الكبير من محيطه الى خليجه .

وتأسست فى العراق جمعيات نسائية كثيرة ذات أهداف خيرية واجتماعية الا أنها بالاضافة الى أداء رسالتها فى الميدان الاجتماعى والخدمات الخيرية ساهمت بنصيب واف فى فضح أساليب المستعمرين وناوءت الحكام المستبدين من السائرين فى ركاب الاستعمار العاملين فى سبيل تأمين مصالحه . وكان للمرأة العراقية مواقفها المشهودة المعروفة فى ثورة العراق عام ١٩٤١ .. ومعاهدة بورتسماوث الانجليزية العراقية عام ١٩٤٨ وخلال العدوان الثلاثى الغادر على بورسعيد الباسلة عام ١٩٥٦ . كما كافحت المرأة عهد الطغيان القاسمى وشجبت كل انحراف عن طريق الوحدة الذى رسمه رائد الأمة وزعيمها الرئيس جمال عبد الناصر .. وقدمت المرأة العراقية ضحايا عزيزة فى طريق الجهاد الطويل الذى شاركت فيه أخاها الرجل جنبا الى جنب فى كل معركة وطنية .

ونلاحظ فى الفترة الأخيرة اقبالا شديدا على تلقى العلوم والثقافة . فالفتاة العراقية تحاول قدر استطاعتها أن تسعى للحصول على شهادة أعلى وان تستزيد من العلم والمعرفة ..

ورأينا زوجات مسئولات عن بيوت وأزواج وأطفال ومع ذلك يوصلن رسالتهن من البيت للحصول على الثانوية والالتحاق بالكليات.. وهذا دليل على أن المرأة تريد أن تؤدى واجبها فى خدمة المجتمع جنبا الى جنب مع أخيها الرجل • ونلاحظ أن عددا كبيرا من الآباء الفضلاء أخذوا يحسون بالدور الذى يتحتم على الفتاة القيام به ويقدرونها حق قدرها شأنها فى ذلك شأن أخيها ..

وقالت سعاد يحيى محمود :

ما يزال البيت العربى فى العراق يرتفع على أعمدة من المثل العليا والقيم الانسانية الرفيعة المستمدة من جوهر التعاليم الاسلامية والخلق العربى الأصيل الذى كان هو والقيم التى جاء بها الاسلام سببا فى اتساع الفتوحات الاسلامية حتى بلغت الصين شرقا والأطلسى غربا • واندفعت طلائع الفتح الاسلامى الى أوروبا تنشر النور على الفردوس المفقود ثم تندفع حاملة راية الايمان حتى تبلغ ضواحى باريس فى (معركة بواتيه) •

وتتلقى الفتاة العراقية المثل الانسانية العليا وتعاليم الاسلام من فم جدتها عن طريق الحكايات التى تتناقلها البنات عن الأمهات جيلا بعد جيل ومن فم أمها وهى تغنى لها الزجل العراقى عندما تهز مهدها لتنام .. أبيات الزجل التى تغنى وحكايات الجدات التى تروى للفتاة قبل نومها كلها تعطى معانى موجهة تتغنى دائما بانتصار الخير على الشر وتحثها على ايثار الآخرين على نفسها والرحمة بالضعفاء وتعلمها الاباء وتنمى قوة شخصيتها واعتدادها بنفسها ..

وعندما تلتحق الفتاة العراقية بالمدرسة الابتدائية تجىء الى المدرسة وهى تحمل كل تلك القيم الانسانية والمثل العليا راسخة فى أعماق قلبها .. فالتربية الاسلامية العربية تتم فى البيت ثم تجىء المدرسة لتزيد تلك الصور تألقا حتى اذا انتهت الفتاة من دراستها الثانوية والجامعية خرجت الى الحياة وهى على استعداد تام لأن تكون أما صالحة لتربية جيل جديد يحمل الرسالة المقدسة رسالة الأمة العربية فى الاعتزاز بقوميتها وفى الجهاد من أجل وحدتها التى أصبحت عقيدة مقدسة يدين بها كل بلد عربى فى أجزاء الوطن العربى الكبير فى جباله وسهوله وصحاريه وهضابه ..

وعن التعليم فى العراق قالت أمل الخطاط :

أصبح التعليم بالمجان فى جميع مراحله بالعراق • ويبلغ عدد المدارس الابتدائية نحو ٤١٠٠ مدرسة تضم نحو ٨٦٥ ألف تلميذ وتلميذة • وعدد المدارس الثانوية ٤١٢ مدرسة تضم ١٦٠ ألف طالب وطالبة • وعدد المدارس المهنية ٤٤ مدرسة تضم ٨١٠٠ طالب وطالبة .. **وتوجد ببغداد أربع جامعات : (جامعة بغداد) الحكومية وبها ٢١ من الكليات والمعاهد العلمية والنظرية ومن بين كلياتها (كلية الشريعة) الملاصقة لمسجد الامام الأعظم أبى حنيفة .. بالاضافة الى كلية الحقوق .. ومن أحدث كليات جامعة بغداد (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ويتبع هذه الجامعة كلية للطب بالموصل وأخرى للتجارة بالبصرة •**

والجامعة الثانية هى (جامعة المستنصرية) وهى أهلية تديرها نقابة المعلمين ببغداد •

والجامعة الثالثة هى (جامعة الحكمة) وهى جامعة أمريكية •

وعن الآثار الاسلامية بالعراق قالت سعاد يحيى محمود :

بغداد غنية بمساجدها التى تمتاز بطابع خاص فى مآذنها المنقوشة الملونة وأهم مساجد بغداد مسجد الامام الأعظم أبى حنيفة النعمان فى حى (الأعظمية) نسبة اليه — ومسجد السيد عبد القادر الجيلانى ومسجد السيد موسى الكاظم فى حى (الكاظمية) نسبة اليه وهو من أئمة المذهب الشيعى • ويوجد ضريح الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى مدينة (النجف) وضريح الامام الحسين فى (كربلاء)

وتعتبر (سامراء) من أشهر المدن العراقية الغنية بآثارها الاسلامية وبها ضريحا الامام على الهادى وابنه الامام الحسن العسكرى .. وتمتاز هذه الأضرحة بالقباب المذهبة •

من العادات والتقاليد العراقية :

قالت امل الخطاط :

تسود العراق عادات وتقاليد عربية صميمة ويغلب على سكان الريف طابع البداوة والأخلاق العربية التى تشتهر بالكرم والنخوة والأنفة .. والمرأة العراقية رغم تطورها الاجتماعى والثقافى ودخولها ميدان العمل مع الرجل فلا تزال متحفظة الى حد كبير .. وترتدى ربات البيوت (العباءة) حينما يخرجن من المنزل . وبعض فتيات الجامعة لا زلن يرتدين (العباءة) وهن ذاهبات الى كلياتهن ولا يخلعنها فى الكلية أو قاعة المحاضرات .

ويحتفل أهل بغداد (بيوم بذكريا) وهى أول يوم أحد من شعبان .. وفيه تصوم النساء ويقام فى المساء احتفال كبير فى معظم البيوت .. كذلك الاحتفال بليلة (المحيا) وهى ليلة نصف شعبان .. ومن الأيام التى يحتفل بها العراق (يوم دورة السنة) وهو يوم الربيع الذى ينعمون فيه بالاستحمام فى نهر دجلة والنزهة والزيارات ..

ومن عادة أهل العراق أيضا زيارة أضرحه الأئمة والمشايخ والشهداء وتخصص الأسرة يوما لزيارة كل واحد منهم ..

وقالت سعاد يحيى محمود :

ويهتم أهل العراق بحفلات الزواج ويوم ختان الأولاد والبذل بسخاء فى هذه المناسبات ومن مظاهر الثراء أن يختن الوالد مع ولده عددا من أولاد الفقراء.. فيعلن عن يوم لحلاقة الأولاد مع أنغام الموسيقى وقرع الطبول ثم ينظم موكب من الأولاد ومن معهم بملابسهم الجميلة المزركشة وأمامهم عدد من المتبرعين أو المأجورين يحملون الأوانى الكبيرة وعليها أن يطوف الموكب بالشوارع يعود بالأطفال الى البيت .. وفى الصباح الباكر وعلى أنغام الموسيقى وقرع الطبول وتجرى عملية الختان.

ومن الأكلات الشعبية المحببة لدى العراقيين : أكلة (القوزى والتمن) أى لحم الضأن والأرز ..

وكذلك السمك (المسجوف) ويشوى بطريقة خاصة على لهب الحطب والخشب .. و (الكبيبة العراقية) و (الكبيبة الموصلية) وتصنع على هيئة فطيرة كبيرة من اللحم المفروم (أى الكفتة) .

وأهل بغداد مولعون بالحلوى ومن احبها الى نفوسهم (المن والسلوى) وهما عبارة عن اللبن ونوع من الحلوى الصلبة نوعا وكلاهما محشو بأنواع الياميش المختلفة .

ومن عادة أهل العراق شرب اللبن (الخض) أثناء تناول طعام الغداء والعشاء ..

وبعد انتهاء الحديث شكرت الآنستين امل وسعاد لتقديم هذه اللمحة السريعة عن العراق وحياة شعب العراق .. البلد الشقيق الذى يساهم فى صنع تاريخ الأمة العربية المتوثبة .

وتمنيت لهما النجاح والتوفيق فى دراستهما العالية حتى يساهمن بنصيب من المسئولية فى سبيل تحقيق الحرية والرفاهية لشعب العراق العظيم .

بقية مقال أم سلمة

نصرتهم ولو أنى حدثتك بحديث سمعته من رسول الله لنهشت نهش الرقشاء المطرقة والسلام .

وحدث أن قدم بسر بن ارطاة المدينة فى خلافة معاوية فقال : لا أبايع رجلا من بنى سلمة حتى يأتى جابر . فأتت أم سلمة بنت أبى أمية زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - فقالت : بايع فقد أمرت عبد الله بن زمعة ابن اخى أن يبايع على دمه وماله انا اعلم انها بيعة ضلالة .

وبذلك اتضحت لنا أم سلمه ، ففى حياتها جهاد وكفاح ومثابرة وعلو أخلاق وسداد رأى وجودة فكر ومشورة .

وفاتها :

توفيت بالمدينة فى ذى القعدة سنة ٥٩ هـ وقد بلغت من العمر أربع وثمانين سنة فصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع مع سائر أمهات المؤمنين .

لماذا أسلمت ؟

ميخائيل غطاس الذى أصبح
عبد ربه المطراوى

الاسلام دين يحمل الدعوه . ويحض على السلام العالمى والاخاء ، والمحبة ، والتوحيد بين الأمم والشعوب على اختلاف مشاربها وأجناسها وعقائدها وألوانها ، جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » .

والانسان حينما يخلو الى نفسه ليحاسبها .. يجد نفسه أمام قوة أخرى أكثر كمالا .. واقتدرا منه هذا الاحساس البشرى الذى يغمر به قلب الانسان ووجدانه هو فطرة الانسان التى فطر عليها ، فصارت لازمة من لوازم حياته المعنوية والروحية .

هذه الفريزة هى التى دفعت الانسان الى بحر المعرفة فادرك كل ما ادركه من علوم ، وفنون ، ومعارف ، وحقق تطوره .

هذه الفريزة هى التى تجعل الانسان دائما تواقا لأن يزداد معرفة بكل شىء ويتبحر فى كل شىء فيجد نفسه باحثا عن سر هذا الخلق .. وسر هذا الكون ... فيتوه فى بحر خضم لا يجد له قرارا .. وأخيرا يهتدى الى الايمان .. الايمان بوجود قوة كبيرة تسير هذا الكون .

الايمان بوجود قوة خارقة تفوق قوة البشر . هى التى تبدىء وتعيد .. تحيى وتميت . يجد هذه القوة . ويجد هداه فى الاسلام .

الاسلام ذلك الدين الذى يفوق سائر الأديان . فلايكاد الباحث يقارن بين الاديان المختلفة من يهودية ومسيحية أو بوذية والاسلام . حتى يقطع بتفوق الاسلام وتعاليمه على غيرها من التعاليم . ولا يستطيع أن يمنع نفسه من الاعجاب بهذا الدين العظيم . الذى يدل كل الدلائل على أن هذا الدين هو الدين الحق .. الدين الصحيح الذى سوف يوشك أن يغمر العالمين بمبادئه . والمشاهد أن الاسلام يشق طريقه فى قلب اوربا وامريكا .. وكل يوم يطالعنا صباحه نجد المئات من الاوربيين قد اهتدوا بنور الاسلام بعد دراسة مستفيضة واقتناع تام .

وهكذا نرى أن الاسلام يشق طريقه على الرغم من الدعايات المغرضة التى تبثها الصهيونية والاستعمار عليه.
وذلك لأن الحق لابد أن ينتصر ولو كره الكافرون .
واليوم نلتقى بأخ مسلم ، الشاب عبد ربه الذى ترك الضلالة ، والتجأ الى الهداية ، ترك الكفر .. والتجأ الى الايمان .. ترك الظلام وسار فى طريق النور . « نور على نور يهدى الله بنوره من يشاء » .

نلتقى فى هذا العدد مع أخ أسلم حديثا . وقد رأى فى الاسلام دعوة صريحة ناصعة قوية الى التوحيد بما يتفق والتفكير السليم فى ذات الله . الخالق . فالله سبحانه وتعالى ـ وفقا لتعاليم الاسلام ـ منزه عن كل شبيه. « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » .. منزه عن أن يرى أو يسمع « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » . الله الذى ليس له أول .. وليس له آخر .. وليس له مثيل .. ولا شريك .. الله .. الواحد .. الفرد .. الصمد .. الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ويحدثنا الأخ عبد ربه عن ايمانه بهذا الدين الجديد فيقول .. اننى حينما قررت أن اعتنق الاسلام قارنت بينه وبين المسيحية .

هذا الدين الذى يجعلك بالتبحر فيه تحاول أن تتركه وذلك لعدم اقتناعك به . فالمسيحيون يدينون لعقيدة التثليث .. هذه العقيدة التى تجعل الانسان يشك فيها رغما عن صعوبة الاقتناع بها . باسم الابن والآب. والروح القدس . فهم يقولون لنا ان المسيح ابن الرب والآب هو الرب الاكبر ، والروح القدس هو رب ثالث ، فهنا نجد تعدد الآلهة ، ويرجعوا فيفسروا ذلك ويقولوا ان الابن والروح القدس ليست الا ثلاث معانى لحقيقة واحدة ويصلوا أخيرا الى أن هذه الأسماء ما هى الا أسماء مختلفة لله .

هذه هى العقيدة أو اساس العقيدة عند المسيحيين يعلموننا اياها فى الكنيسة ، هذه العقيدة لا شك أنها تبلبل الافكار . وتحير العقول . وتجعلنا نفكر فى أشياء كثيرة ونحاول أن نهرب من هذا التعقيد .. وسرعان ما نجد ضالتنا المنشودة فى الاسلام حيث نجد البساطة .. والسماحة فيه .

نجد فى الاسلام ما يجعلنا نقبل بعقلنا السليم كل شىء فلا تثليث ولا تعقيد . فا الله سبحانه وتعالى .. لا ولد له .. ولا ابن .. قل هو الله أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . هو الله الذى لا اله الا هو .

هنا جاء الاسلام فقطع كل شك .. بوضوح وبساطة.. ويسر وسهولة .. فانك حينما تقرأ هذه الآية الكريمة لا تحتاج الى تفكير فيها على الاطلاق ، بل نقتنع بها دون تفكير . فهى واضحة بوحدانية الله سبحانه وتعالى .. قاطعة بأن لا ابن لله سبحانه وتعالى .هذه البساطة من جانب الاسلام هى التى جعلتنى ارجع الى نفسى وافيق من من غفلتى واشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله .

اننى حينما قررت أن أعتنق الاسلام.. قررت ذلك بعد ان راجعت نفسى كثيرا ووجدت أننى كنت أعيش فى غموض وضلال .. فهدانى الله الى دينه . دين العزة والكرامة. دين المحبة والاخاء .. هذا الدين الذى يهدى للتى هى أقوم .

وبعد . هذه قصة أخرى تعودت أن اقصها عليكم فى غرة كل شهر عربى . قصة اسلام شاب سارع الى ترك الضلال لانه وجد فى الاسلام نورا يهدى التائهين ، والمتخبطين فى الظلام .

يهديهم الى عبادة الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم ويشهدون بأن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ؟
رسول الله الذى ستظل دعوته تشرق على أرجاء الارض فتنير القلوب بنور الايمان وتهدى الحائرين الى صراط الله المستقيم

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

ان الثورة الوطنية فى كل من آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تسير فى انطلاقها الى المجال الدولى على سياسة تنبع من تجاربها وواقعها وطبيعتها .. ومن هنا فهى تمارس سياسة عدم الانحياز مستهدفة خدمة قضية السلام .. فالسلام هو الشرط الضرورى والموضوعى لسرعة وضمان استقلالها القومى وتطورها الاقتصادى والاجتماعى .. وهو ما أكدته قرارات مؤتمر عدم الانحياز الثانى الذى عقد أخيرا - فى القاهرة والذى أشادت الدوائر العالمية بنجاحه وبجهود الرئيس عبد الناصر فى هذا النجاح .

ناصر الحرية ..
وباعث النهضة الاسلامية

السيد / عبد الهادى محمد عبد الله - موظف ببنك التسليف الزراعى والتعاونى باسنا

يسطر لنا فى رسالة أدبية وطنية انطباعاته القلبية وتعبيراته الفكرية الصادقة نحو مجلة « منبر الاسلام » قائلا : نيابة عن نفسى وعن اخوانى بعالمنا الاسلامى المجيد أقدم خالص شكرى وتقديرى العميق لما تحققه منبر الاسلام وما تنشره من شذاها عبر قارات العالم ، واننى لأعتبرها بمثابة رسول المحبة والرفعة والحرية والسلام والاسلام .. وانه ليسرنى ويسعدنى أن أفخر بالمجهودات الجبارة التى يبذلها السيد رئيس التحرير من أجل تحقيق الخير والعدل تحت راية الاسلام برعاية السيد الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر .

نعم يا أخى .. **انه ناصر الحرية وباعث النهضة الاسلامية ، وهبة الأقدار للانسانية ومطلع فجر جديد فى حياة البشرية .. وشكرا**

رائد ثورتنا العربية ..
ومجال الدعوة الاسلامية

السيد / السيد على القدرى - رئيس جمعية الرابطة الاسلامية بالأسكندرية

يعدد فى رسالة مطولة مواقف رائد ثورتنا العربية الرئيس جمال عبد الناصر فى مجال الدعوة الاسلامية .. فيتحدث عن تحريره الشعوب الاسلامية ، واقامته مجتمع الكفاية والعدل فى ظل الاشتراكية العربية الانسانية العادلة التى تسقى من رحيق الاسلام السمح .. ثم يستطرد قائلا : **ان السيد الرئيس جمال عبد الناصر ايمانا منه بأهداف الدعوة الاسلامية قد سخر المخترعات الحديثة لخدمة الاسلام ونشر مبادئه .. مشيرا بذلك الى افتتاح محطة لاذاعة القرآن الكريم واذاعة صلاة الجمعة من مسجد التليفزيون العربى وان رائد ثورتنا العربية استطاع بذلك أن يحقق نشر الدعوة الاسلامية بالكلمة المسموعة فضلا عن الكلمة المكتوبة والصورة المرئية .**

نعم ياأخى .. فزعيمنا يقيم ثورتنا على اساس دينى قويم هو التوازن بين ماديات هذا المجتمع وروحانياته المستمدة من القيم الخالدة فى الدين .. وشكرا .

« فتح مكة » واللجنة الفنية

السيد / محمد سعيد الشامى - قسم السواحل - الترسانة بالاسكندرية

مسرحيتك « فتح مكة » أمام اللجنة الفنية للنشر ، لتقرر مدى صلاحيتها للنشر . ولك منا أصدق التمنيات بالتوفيق . والى اللقاء

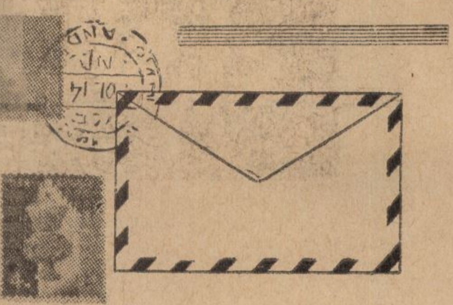

بريد التعارف

الاسم : زغلول مسعود
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب أزهري
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : سوهاج ـ العارف

الاسم : الفاشفونى ادريس
البلد : المغرب
السن : ٢٤ سنة
المهنة : موظف
الهواية : المراساة والاطلاع
العنوان : مكناس المغرب

الاسم : محمد الفقى
البلد : المغرب الاقصى
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : مراسله الشباب العربى
العنوان : زنقة أوای رقم ٣١ الدرب الكبير الدار البيضاء

الاسم : سمير محمد عوض
البلد : فلسطين ـ قطاع غزة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : كرة القدم
العنوان : مدرسة فلسطين الثانوية بغزة

الاسم : كمال عبد الظاهر محمد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بكلية دار العلوم
الهواية : الاطلاع ـ الرحلات الوعظ ـ الارشاد
العنوان : اسيوط ـ شارع شلبى

الاسم : ربيع أحمد عبد الغنى الغنى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة وعمل الابحاث العلمية
العنوان : ٥ ش فتح الباب محرم بك الاسكندرية

الاسـم : عبد الهادى محمد عبد الله
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ٢٢ سنة
المهنـة : موظف ببنـك التسليف الزراعى والتعاونى
الهواية : القراءة والاطلاع والمراسلة
العنوان : بنك التسـليف الزراعى والتعاونى باسنا

الاسـم : على عبده الخميسى
البـلد : الجمهورية العربية المتحدة
السـن : ٢٥ سنة
المهنـة : موظف بشركةرجوا بالقاهرة
الهواية : الرسم وتبادل المعلومات والمناظر الطبيعية
العنوان : برمبال الجديدة مركـز دكرنس دقهلية

الاسـم : عبدالسلام جاب‌الله الحسانين
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ٢٥ سنة
المهنـة : طـالب بكليـه الدراسات العربيه
الهواية : التحصيل الـدينى والعلمى
العنوان : ٥ ش دربالاتراك بالدراسة بالقاهرة

الاسـم : رشيد على نصير
البـلد : ليبيا
السـن : ٢٩ سنة
المهنـة : مساعد مهندس كهربائى
الهواية : مراسلة الشباب المسلم ـ تبادل الآراء
العنوان : ٦٩ ش الرشـيد طرابلس الغـرب ليبيا

الاسـم : عبد الحميد قاسم حشاد
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ٤٠ سنة
المهنـة : مدرس لغة عربيه بالمدارس الثانوية
الهواية : اللغة العربية بما فيهامنبلاغة وأدب
العنوان : الحامول ـ منوفية ـ شنوفة

الاسـم : محمد محمد حسن يوسف
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ٢٥ سنة
المهنـة : موظـف بمجلس مدينة سمنود
الهواية : الموسيقى والسباحه
العنوان : مجلس مدينـة سمنود

الاسـم : محمد احمد عبد الستار
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ١٤ سنة
المهنـة : طالب بمدرسـة رمسيس الاعدادية
الهواية : جمعالطوابع وقراءة الكتب الدينية
العنوان : شارع البراد حارة الخازندار رقم ١٨ شبرا مصر

الاسـم : نبيل عبـد الملك محمد
البـلد : الجمهورية العربيه المتحدة
السـن : ١٨ سنة
المهنـة : طالب ثانوى
الهواية : القراءة والمراسلة
العنوان : مدرسـة ملوى الثانوية للبنين ـ الفصول التجارية الملحقة

فى هذا العدد

		صفحة
معالم الطريق		٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة		٨
التعريف بالاجهزة الشعبية والحكومية	السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية	١٣
حديث مع سفير المملكة الليبية بالقاهرة		١٥
الحديث	فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد	١٧
الرؤيا الصالحة	فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى	٢٥
من حضارة الاسلام	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٣٠
مالا يجوز الخلاف فيه	فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى	٣٧
تعقيبات		٤١
درجات الطلاق فى الاسلام	الدكتور أحمد الحوفى	٤٧
من توجيهات النبوة	فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى	٤٩
الوحدانية	الاستاذ محمود كمال	٥٣
الجوانية	الدكتور عثمان أمين	٥٨
خواطر مستشار	المستشار على على منصور	٦١
مظهران من نزول المراة المصرية	الدكتور على عبد الواحد وافى	٦٥
تنمية العقلية الاشتراكية	الدكتور محمود البسيونى	٦٩
دعوة الميثاق الوطنى	الاستاذ حسنى عبد المجيد	٧١
من دعاة الاسلام	الاستاذ أنور الجندى	٧٥
العلاج بالاعشاب	الدكتور عبد الكريم دهينة	٧٩
حديث السيف	الاستاذ محمد فرج	٨١
افريقيا السمراء	الاستاذ محمد محمد خليفة	٨٣
الزار خرافة	الاستاذ على الجندى	٨٥
حياة الصقر الشهابى	الاستاذ محمد عبد الجواد	٨٩
دور ثورة ٢٣ يوليو فى أفريقيا	الاستاذ عبده بدوى	٩٢
الاسلام والمبادىء الاشتراكية	الاستاذ محمد محمود عبد الله	٩٤
بين قصص المعجزات والفلاسفة	الاستاذ حسن الشيخة	٩٦
الحضارة الاسلامية	الدكتور محمد مظهر سعيد	٩٨
التامين والاسلام	الاستاذ البهى الخولى	١٠١
اليهودية	الدكتور أحمد شلبى	١٠٧
معجزات فى الحديث الشريف	الدكتور محمود دياب	١٠٩
حول الاسراء والمعراج	الاستاذ عبد الحميد يلبع	١١٠

محمد المثل الأعلى	الاستاذ محمد عطية الابراشي	١١٤
رحلتي الى تونس	الاستاذ منصور رجب	١١٧
نبذة من الاخلاق النبوية	الاستاذ مبشر الطرازى	١٢١
فلينظر الانسان مم خلق	الدكتور عبد الحليم كامل	١٢٥
حقوق غير المسلمين	الاستاذ اسماعيل كشميرى	١٣٠
الصهيونية	الدكتور محمد صلاح مجاور	١٣٣
الشورى فى الاسلام	الاستاذ عبد العال شعيب	١٣٦
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود المنوفى	١٣٩
حاضر الاسلام والمسلمين فى الهند	الاستاذ محيى الدين الالوائى	١٤١
العلم ومشكلة تزايد السكان فى العالم	الدكتور عبد الحليم منتصر	١٤٥
ذكرى حطين فى شعر الكاظمى	الاستاذ على الجمبلاطى	١٤٧
الاسلام سلوك	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٥٠
الاسلام يحمى الاقليات	الاستاذ منصور نسيم	١٥٢
دراسات فى التاريخ الاسلامى	الاستاذ أحمد الشريف	١٥٣
قصة يوسف	الاستاذ بهاء القبانى	١٥٥
رؤيا عاتكة	المستشار ابراهيم الحينى	١٦٢
شهر رجب	الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٦٤
بين حلف الفضول ومؤتمر عدم الانحياز	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٦٦
يحيى بن يعمر	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٧١
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى	فضيلة الشيخ عبدالله المشد	١٧٣
كتاب الفتاوى	الدكتورة نعمات أحمد فؤاد	١٧٦
العلم يثبت القلوب المؤمنة	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٧٩
فى رحاب القرآن	الاستاذ عبد العزيز العلى	١٨١
باب الرياضة	الاستاذ ناصف سليم	١٨٤
عدم الانحياز	تحقيق رياض خليفة ـ على عيسى	١٨٧
الدهانات البحرية	الاستاذ أحمد الدمرداش	١٩١
ندوة الشهر	الاستاذ عبد الرحمن الشربينى	١٩٥
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر حسن مأمون	١٩٩
دحض أباطيل المفترين على الاسلام	الاستاذ عبد العظيم ملوك	٢٠٣
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	٢٠٩
على هامش الاسراء	الشاعر عبد الله شمس الدين	٢١٤
بطل السلام	الشاعر محمد جمال سليم	٢١٦
مؤتمر القمة العربى	الشاعر التونسى أحمد البخترى	٢١٨
قصة العدد	الاستاذ حسين القبانى	٢٢٢
صناعة البترول	الدكتور حسن محمد الخولى	٢٢٥
أم سلمة	اعداد عائشة حسنى	٢٢٩
لقاء مع طالبتين من العراق	اعداد نجاة الزنيرى	٢٣٢
لماذا أسلمت		٢٣٥
مع القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٣٦
بريد التعارف		٢٣٧

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ إسطوانات شاملة
الأذان . الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا

فى منتصف كل شهر عربى

سلسلتى :

كتب اسلامية

دراسات فى الاسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
بأقلام أساتذة متخصصين

مطابع شركة الاعلانات الشرقية